مَشرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ والرَّدُ عَلَى الوَهَّابِيَّة

مَشرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

والرَّدُ عَلَى الوَهَّابِيَّة

الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر

عَلي عَايِد المِقْدَادِي الحَاتِمِي الأَشْعَرِي



مَشرُوْعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ

والرَّدُ عَلَى الوَهَّابِيَّة

تأليف : الأُسْتَاذُ الدُّكْتُوْر عَلي عَايِد المِقْدَادِي الحَاتِمِي الأَشْعَرِي

الطبعة : الأولى : ٢٠٢١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (١٨١/ ١/ ٢٠٢٠)

ISBN (ردم)١-١١-٧٤٩-٩٩٢٣-٩٧٨)

المُقَدِّمَةُ

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يَهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله ، وصفيُّه وخليله **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْن﴾** [آل عمران :١٠٢] ، **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسائَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾** [النساء : ١] ، **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾** [الأحزاب : ٧٠] .

أمَّا بعد : فإنَّ المتفحِّص والنَّاظر يجد أنَّ الأمَّة ما فتئت تحتفل بميلاد خير الورىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث يجتمع النَّاس علىٰ المضيِّ علىٰ طاعته ، والاستماع لسيرته ، والتَّعاهد علىٰ نُصرة شريعته ... فيُنشدون الأناشيد في مدحه ، ويُطعمون الطَّعام ، ويأكلون الحلوىٰ علىٰ محبَّته ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشُكراً لله تعالىٰ علىٰ نعمة النُّور والحبور والسُّرور المتمثِّلة بميلاد خير خلق الله تعالىٰ ...

ومع أنَّ مشروعيَّة الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضحة جليَّة ، إلَّا أنَّ البعض عاند وعارض ما سارت عليه الأمَّة قروناً طويلة ، بسبب فهمه المعكوس ، وحظِّه المنكوس ، مُعلِّلاً ما ذهب إليه بالبدعة ... مع أنَّ هؤلاء أجازوا الاحتفال بميلاد محمَّد بن عبد الوهَّاب ... وكذا احتفلوا بالشَّيخ الألباني في الأردن ...وكذا احتفلوا بالأيَّام الوطنيَّة في بلادهم ...

وما كان منهم هذا التَّعنُّت إلَّا تعصُّباً ومتابعة وتقليداً لشيوخهم الذين علَّموهم ... مع العلم أنَّ القرآن الكريم والسُّنَّة المُطهَّرة شنَّا حرباً شعواء لا هوادة فيها علىٰ التَّقليد والمُقلِّدة ... أُولئك النَّفرُ الذين ألغَوْا عقولهم ، واتَّبعوا آباءهم وأجدادهم ، وساداتهم وكبراءهم في معتقداتهم ...

ومن الآيات القرآنيَّة التي ذمَّت التَّقليد :

قوله تعالىٰ : **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٧٠] .

وقوله تعالىٰ : **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُول قالُوا حَسْبُنا مَا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾** [المائدة:١٠٤] .

وقوله تعالىٰ : **﴿قالُوا أَجِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس:٧٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا إِبْراهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عالِمِينَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ * قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ * قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ * قالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٦٩-٧٦] .

أمَّا عن الأحاديث النَّبويَّة التي ذمَّت التَّقليد والمُقلِّدة ، فهي كثيرة أيضاً ، منها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ القُرُونِ قَبْلَهَا ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ » ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ ؟ فَقَالَ : « وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ » . أخرجه البخاري (٩/ ١٠٢ برقم ٧٣١٩) ، أحمد في المسند (١٤/ ٤٠٤ برقم ٨٨٠٥) .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟ قَالَ : «فَمَنْ » . أخرجه البخاري (٩/ ١٠٣ برقم ٧٣٢٠) ، أحمد في المسند (٢/ ٤٥٠ برقم ٩٨١٨) ، ابن ماجه (٢/ ١٣٢٢ برقم ٣٩) ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧ برقم ٧٤) .

كما تضافرت أقوال العلماء في الدَّعوة إلىٰ نبذ التَّقليد والعصبيَّة للأشخاص والمذاهب ، ومن أقوالهم في ذلك :

قال الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) : " قَالَ ابْن الْمُبَارك : سَمِعت أَبَا حنيفَة يَقُول : إِذا جَاءَ عَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلىٰ الرَّأْس ، وَإِذا جَاءَ عَن أَصْحَابه نَخْتَار من قَوْلهم ، وَإِذا جَاءَ عَن التَّابِعين زاحمناهم .

وَفِي رِوَايَة قَالَ : آخذ بِكِتَاب الله ، فَإِن لم أجد فبسنَّة رَسُول الله ، فَإِن لم أجد فِي كتاب الله وَسنَّة رَسُول الله آخذ بقول أَصْحَابه ، ثمَّ آخذ بقول من شِئْت مِنْهُم وأدع قَول من شِئْت مِنْهُم ، وَلَا أخرج عَن قَوْلهم إِلَىٰ قَول غَيرهم " . انظر : مختصر المؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول (ص٦٣) .

وقال الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) : قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: " مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ بِالْكَلَامِ ، وَتَأَلَّفَ عَلَيْهَا ، وَدَعَا إِلَيْهَا ، فَهُوَ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ ، لِأَنَّهُ أَتَىٰ مُحَرَّمًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلِمْتُهُ ". وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَبِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا " . انظر : السنن الكبرىٰ (١٠/ ٣٩١) .

وروىٰ الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) في "تاريخ دمشق" (٥١/ ٣٨٩) بسنده عن الرَّبيع بن سليمان قال : سمعت الشَّافعي وسأله رجل عن مسألة ، فقال : يروىٰ عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال كذا وكذا ، فقال له السَّائل : يا أبا عبد الله ، أتقول هذا ؟!! فارتعد الشَّافعي واصفرَّ وحال لونه ، وقال : ويحك أيّ أرض تقلُّني وأيّ سماء تظلُّني إذا رويت عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً لم أقل به ، نعم علىٰ الرَّأس والعينين علىٰ الرَّأس والعينين ، قال : وسمعت الشَّافعي يقول : ما من أحد إلَّا وتذهب عليه سنَّة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعزب عنه ، فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل فيه عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قولي ، قال : وجعل يردِّد هذا الكلام .

وقال الإمام ابن عبد البر (٤٦٣هـ) : " ... وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ مِنْ ذَمِّ تَقْلِيدِ الْآبَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَقَدِ احْتَجَّ الْعُلَمَاءُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ فِي إِبْطَالِ التَّقْلِيدِ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ كُفْرُ أُولَئِكَ مِنَ جِهَةِ الِاحْتِجَاجِ بِهَا؛ لِأَنَّ التَّشْبِيهَ لَمْ يَقَعْ مِنْ جِهَةِ كُفْرِ أَحَدِهِمَا وَإِيمَانِ الْآخَرِ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ التَّقْلِيدَيْنِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ لِلْمُقَلِّدِ ، كَمَا لَوْ قَلَّدَ رَجُلٌ فَكَفَرَ وَقَلَّدَ آخَرُ فَأَذْنَبَ وَقَلَّدَ آخَرَ فِي مَسْأَلَةِ دُنْيَاهُ فَأَخْطَأَ وَجْهَهَا، كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مَلُومًا عَلَىٰ التَّقْلِيدِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ تَقْلِيدٌ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الْآثَامُ فِيهِ " .

وقال أيضاً : " وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ: لَا فَرْقَ بَيْنَ بَهِيمَةٍ تُقَادُ وَإِنْسَانٍ يُقَلِّدُ . وَهَذَا كُلُّهُ لِغَيْرِ الْعَامَّةِ؛ فَإِنَّ الْعَامَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَقْلِيدِ عُلَمَائِهَا عِنْدَ النَّازِلَةِ تَنْزِلُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَبَيَّنُ مَوْقِعَ الْحُجَّةِ وَلَا تَصِلُ لِعَدَمِ الْفَهْمِ إِلَىٰ عِلْمِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ لَا سَبِيلَ مِنْهَا إِلَىٰ أَعْلَاهَا إِلَّا بِنَيْلِ أَسْفَلِهَا، وَهَذَا هُوَ الْحَائِلُ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَبَيْنَ طَلَبِ الْحُجَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْعَامَّةَ عَلَيْهَا تَقْلِيدَ عُلَمَائِهَا وَأَنَّهُمُ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] . انظر : جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٩) ، (٢/ ٩٨٨) ، بالترتيب .

وقال الإمام أبو شامة (٦٦٥هـ) : قَالَ الشَّافِعِي : ... إِذا وجدْتُم عَن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّة خلاف قولي فَخُذُوا السُّنَّة ودعوا قولي فَإِنِّي أَقُول بهَا . وَفِي رِوَايَة إِذا وجدْتُم فِي كتابي خلاف سنة رَسُـــول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقولُوا بهَا ودعوا مَا قلت . وَفِي رِوَايَة : كل مَسْأَلَة تَكَلَّمت فِيهَا بِخِلَاف السّنة فَأَنا رَاجع عَنْهَا فِي حَياتِي وَبعد مماتي .

قَالَ : وَسمعت الشَّافِعِي يَقُول ورویٰ حَدِيثاً قَالَ لَهُ رجل تَأْخُذ بِهَذَا يَا أَبَا عبد الله ، فَقَالَ : وَمَتىٰ رويت عَن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثاً صَحِيحاً فَلم آخذ بِهِ ، فأشهدكم أَنَّ عَقْلِي قد ذهب ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ رَأسه .

وقال أيضاً نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : لَا تكْتبُوا عنِّي شَيْئاً وَلَا تقلِّدوني ، وَلَا تقلِّدوا فلَاناً وَفُلَانَاً وخذوا من حَيْثُ أخذُوا .

وقال أيضاً : " وَقَالَ بَعضهم لَا تقلِّدوا دينكُمْ الرِّجَال ، إِن آمنُوا آمنتم ، وَإِن كفرُوا كفرْتُمْ . انظر : مختصر المؤمل في الرد إلىٰ الأمر الأول (ص٥٧) ، (ص٦١) ، (ص٦٢) ، بالترتيب .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٨/ ٤٢٢-٤٢٣) : " فَمَنْ تَعَصَّبَ لِأَهْلِ بَلْدَتِهِ أَوْ مَذْهَبِهِ أَوْ طَرِيقَتِهِ أَوْ قَرَابَتِهِ أَوْ لِأَصْدِقَائِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، كَانَتْ فِيهِ شُعْبَةٌ مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّىٰ يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ كَمَا أَمَرَهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ مُعْتَصِمِينَ بِحَبْلِهِ وَكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ . فَإِنَّ كِتَابَهُمْ وَاحِدٌ ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَرَبُّهُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ ، لَا إلَهَ إلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . قَالَ الله تَعَالَىٰ: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** [آل عمران: ١٠٢ – ١٠٦] .

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) في "زاد المعاد في هدي خير العباد" (٢/ ٤٣١) : " فَصْلٌ فِي أَلْفَاظٍ كَانَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ تُقَالَ : ... الدُّعَاءُ بِدَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالتَّعَزِّي بِعَزَائِهِمْ ، كَالدُّعَاءِ إِلَىٰ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَبِيَّةِ لَهَا وَلِلْأَنْسَابِ ، وَمِثْلُهُ التَّعَصُّبُ لِلْمَذَاهِبِ ، وَالطَّرَائِقِ ، وَالْمَشَايِخِ ، وَتَفْضِيلُ بَعْضِهَا عَلَىٰ

بَعْضٍ بِالْهَوَىٰ وَالْعَصَبِيَّةِ ، وَكَوْنُهُ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ ، فَيَدْعُو إِلَىٰ ذَلِكَ وَيُوَالِي عَلَيْهِ ، وَيُعَادِي عَلَيْهِ ، وَيَزِنُ النَّاسَ بِهِ، كُلُّ هَذَا مِنْ دَعْوَىٰ الْجَاهِلِيَّةِ .

وقال الإمام المناوي (١٠٣١هـ) في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٥/ ٤٥٣) في شرحه لحديث : " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًىٰ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ": " أي : ما ضلَّ قوم مهديُّون كائنين علىٰ حال من الأحوال إلَّا أوتوا الجدل ، يعني : من ترك سبيل الهدىٰ وركب سنن الضَّلالة ، والمراد لم يمش حاله إلَّا بالجدل ، أي : الخصومة بالباطل . وقال القاضي : المراد التَّعصُّب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزَّائفة لا المناظرة لإظهار الحقّ ، واستكشاف الحال ، واستعلام ما ليس معلوماً عنده أو تعليم غيره ما عنده ، لأنَّه فرض كفاية خارج عمَّا نطق به الحديث " . والحديث المشار إليه أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٥٦ برقم ٢٢٥٥٧) . ابن ماجه (١/ ١٩ برقم ٤٨) ، الترمذي (٥/ ٢٣٢ برقم ٣٢٥٣) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ وَحَجَّاجٌ ثِقَةٌ مُقَارِبُ الحَدِيثِ، وَأَبُو غَالِبٍ اسْمُهُ: حَزَوَّرُ ، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٧ برقم ١٠١) ،الآجري في الشريعة (١/ ٤٢٩ برقم ١٠٩) ، الطبراني في الكبير (٨/ ٢٧٧ برقم ٨٠٦٧) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٢٨ برقم ١٧٧) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٢/ ٤٨٧ برقم ٥٢٩) .

ومن المعلوم أنَّ العصبيَّة المذهبيَّة أدَّت إلىٰ الفُرقة والتَّنازع المجافي لقول الله تعالىٰ : **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال:٤٦]، حتَّىٰ وصل الأمر بالبعض إلىٰ درجة تكفير المُخالفين ولو كانوا مجموع الأُمَّة ، وتبديعهم وتضليلهم ... حتَّىٰ لو خالفوا في مسائل فرعيَّة أو جزئيَّة ، كمسألة الاحتفال بميلاد سيِّد ولد آدم صلَّىٰ الله عليه وسلَّم ...

وهذا أمرٌ واقعٌ في حياة المسلمين حيث يوجد فئامٌ من النَّاس لا همَّ لهم إلَّا تفريق الشَّمل ، وتبديد الكلمة ، وبثّ بذور الاختلاف والفُرقة بين النَّاس ، وهم يحسبون أنَّهم يُحسنون صُنعاً ...وإذا ما أجريت معهم حواراً زعموا أنَّهم متَّبعون للسَّلف ، وأنَّهم لا يحملون إلَّا أقوال السَّلف ، وبها يصولون علىٰ الخلق ويجولون ... وإذا ما وضَّحت لهم السَّبيل ، وأبنت لهم الحقّ ، وأنَّ ما هم عليها يجافي الحقَّ ويُعانده ... أعرضوا ونأوا بجانبهم ، وأخذوا يصرخون ويولولون ويقولون : من أنت حتَّىٰ تُخالف وتعارض فلاناً وفلاناً ... وما درىٰ هؤلاء المساكين أنَّ من أعرض عن اتِّباع الحقّ ابتُلي باتِّباع الباطل ، وأنَّ الحقَّ لا يُعرف بالرِّجال بل الرِّجال هم الذين يُعرفون بالحقّ ... فاعرف الحقَّ تعرف أهله ...

يقول الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة (٧٥١هـ) في "الصَّواعق المرسلة في الرَّدِّ علىٰ الجهميَّة والمعطِّلة" (٢/ ٥١٦) : " فمن هداه الله سبحانه إلىٰ الأخذ بالحقِّ حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه

، وردّ الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبّه ويواليه فهو ممَّن هُدي لما اختلف فيه من الحقّ . فهذا أعلم النَّاس وأهداهم سبيلاً وأقومهم قيلاً " .

وبيَّن الإمام ابن القيِّم في موضع آخر أنَّ عدم الانقياد للحقِّ سبيل للصَّغار ، والذِّلَّة والاحتقار ، وأنَّه بإعراضه عنه يكون معرضاً عن الله تعالىٰ ، لأنَّ الله هو الحقّ ... فقال : " ... مَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الِانْقِيَادِ لِلْحَقِّ أَذَلَّهُ اللَّهُ وَوَضَعَهُ ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ . وَمَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الِانْقِيَادِ لِلْحَقِّ – وَلَوْ جَاءَهُ عَلَىٰ يَدِ صَغِيرٍ ، أَوْ مَنْ يُبْغِضُهُ أَوْ يُعَادِيهِ – فَإِنَّمَا تَكَبُّرُهُ عَلَىٰ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ. وَكَلَامُهُ حَقٌّ . وَدِينُهُ حَقٌّ. وَالْحَقُّ صِفَتُهُ . وَمِنْهُ وَلَهُ . فَإِذَا رَدَّهُ الْعَبْدُ وَتَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِهِ : فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَىٰ اللَّهِ، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ . انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣١٧) .

والنَّاظر يجد أنَّ من أهمِّ الأسباب التي أدَّت إلىٰ الخلاف إنَّما هو الجهل والتَّعصُّب ... فلو سكت الجُهَّال لانعدم الخلاف واسترحنا ، قال الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) في " تاريخ دمشق" (٢٣/ ٢٨٠) : " لو سكت من لا يعلم لاسترحنا ، وأنا أقول : لو كان له من يردعه ويكفّه ويمنعه ويقبضه ويقدعه ويسكته قهراً ويصمته قسراً أو كان من يصرفه عن شنيع الجهالات وبديع الضَّلالات بالتَّأديب والقصب والتَّثريب والتَّبكيت والتَّأنيب لرجونا أن يعفي النَّاس بذلك عمَّا ينالهم الضَّرر أو كثير منه من جهته ، وإلىٰ الله المُشتكىٰ ، وهو المُستعان علىٰ كلِّ حادثة وبلوىٰ " .

وليعلم الجميع أنَّ الدِّراسة التي أثمرت هذا السِّفر كانت من باب البيان ، والتَّوضيح ، وإقامة الحجَّة علىٰ من لا يعلم حقيقة وحكم الاحتفال بميلاد خير الورىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كي لا يُوقعه جهله بالحُكم ببراثن تكفير ، وتبديع ، وتضليل جمهور الأمَّة الذين رأوا في الاحتفال بميلاد سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّة حسنة طيِّبة ... وقد اشتمل الكتاب علىٰ مُقدِّمة ، وتمهيد ، وستَّة فصول ، وخاتمة ، هي :

المُقَدِّمَة : ...

تَمْهِيْد : إِقَامَةُ البَرَاهِيْنِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدَاً أَفْضَل المُرْسَلِيْن .

الفَصْلُ الأَوَّلُ : وَهَّابِيَّـــــــــةٌ لَا سَلَفِيَّـــــــــةٌ .

الفَصْلُ الثَّانِيْ : مَوْقِفُ مُدَّعِي السَّلَفِيَّةِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ : الأَدِلَّةُ عَلَى جَوَازِ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الفَصْلُ الرَّابِعُ : أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِيْ جَوَازِ وَاسْتِحْبَابِ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ .

الفَصْلُ الخَامِسُ : نَمَاذِجٌ لِبَعْضِ المَوَالِدِ .

الفَصْلُ السَّادِسُ : الشُّبُهَاتُ المُثَارَةُ حَوْلَ الاحْتِفَالَ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ والرَّدّ عَلَيْهَا .

والله تعالىٰ نسأل أن يرزقنا سُبُل الهُدىٰ ، وأن يُجنبنا موارد الهوىٰ والرَّدىٰ والخطأ ، وسُبُل الغواية والعمىٰ ، اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَزِدْنَا عِلْمًا إِلَىٰ ما علَّمتنا ، اللهمَّ إنَّا نسألك السَّداد والرَّشاد ، ونسألك اللهمَّ أن لا تُزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، اللهمَّ هب لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهَّاب ، اللهمَّ ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، في السرِّ والعلن ، إنَّك أهل ذلك والقادرُ عليه ...

اللهمَّ إنَّا نسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيِّباً ، وعملاً متقبَّلاً ، اللهمَّ إجعل ألسنتنا عامرة بذكرك ، وقلوبنا بخشيتك ، وأسرارنا بطاعتك ، إنَّك علىٰ كلِّ شيء قدير ، اللهمَّ علِّمنا ما جهلنا ، وذكِّرنا ما نسينا ، اللهمَّ اجعلنا من عبادك المتَّقين ، اللهمَّ ارزقنا عملاً وفقهاً وإخلاصاً في الدِّين ، اللهمَّ إنَّا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ، ناصيتنا بيدك ، ماضٍ فينا حكمك ، عدلٌ فينا قضاؤك ، نسألك بكلِّ اسم هو لك سمَّيت به، نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تفتح علينا فتوح العارفين بحكمتك ، وأن تنشر علينا من خزائن رحمتك ، وذكِّرنا من العلم ما نسينا يا فتَّاح يا عليم يا خبير يا حكيم يا ذا الجلال والإكرام ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلَّا الله، الله اكبر ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم ، عدد كلّ حرف كُتِبَ ويُكتَبُ إلىٰ أبد الآبدين ودهر الدَّاهرين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين ...

وَسُبْحَـــــــــــــانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ،

نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـــــــــــهَ إِلَّا أَنْتَ

نَسْتَغْفِـــــــــــرُكَ

وَنَتُـــــوْبُ

إِلَيك

تَمْهِيْدٌ : إِقَامَةُ البَرَاهِيْنِ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدَاً أَفْضَل المُرْسَلِيْن .

حين يحتفل المؤمنون الموحّدون بميلاد رسول الله محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يحتفلون بميلاد من جعله الله تعالىٰ رحمة للعالمين ، قال سبحانه : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧] ، وأفضل المرسلين ، وسيِّد ولد آدم ، حامل لواء الحمد يوم القيامة ، الذي أُرسل لإخراج النَّاس من الظُّلمات إلىٰ النُّور ، النَّبي الأُمِّي الذي آثر أُمَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ نفسه ، إذ جعل الله تعالىٰ لكلِّ نبيّ دعوة مُستجابة ، فكلٌّ منهم تعجَّل دعوته في الدُّنيا ، واختبأ هو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته شفاعة لأُمَّته في الآخرة ... وهو صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الخصائص والمزايا التي تنوء عن الحدِّ والعدِّ ، فقد فضَّله الله تعالىٰ علىٰ سائر الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين ...

وقد دلَّ القرآن العظيم والسُّنَّة المُطهَّرة علىٰ أنَّ سيّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المرسلين ... ومن الأدلَّة علىٰ ذلك :

أوَّلاً : دلالة القرآن العظيم على أنَّ سيِّدنا محمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المرسلين .

أدلَّة القرآن العظيم علىٰ أنَّ سيِّدنا محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المرسلين كثيرة وعديدة ، من الصَّعب جمعها وعدّها وحصرها ، لذلك أحببت الإشارة إلىٰ أهمِّها وأشهرها ، من ذلك :

١ .قوله تعالىٰ: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ﴾** [البقرة : ٢٥٣] . والآية نصٌّ صريح واضح علىٰ تفضيل بعض النَّبيين علىٰ بعض ، فهي " إعلام بأنَّ بعض الرُّسل أفضل من بعض علىٰ وجه الإجمال ، وعدم تعيين الفاضل من المفضول ، ذلك أَنَّ كلَّ فريق اشتركوا في صفة خيرٍ لا يخلُونَ من أن يكون بعضهم أفضل من بعض بما للبعض من صفات كمال زائدة علىٰ الصِّفة المشتركة بينهم ...

وقد ثبت أنَّ محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الرُّسل ، لما تظاهر من آيات تفضيله ، وتفضيل الدِّين الذي جاء به ، وتفضيل الكتاب الذي أنزل عليه . انظر : التحرير و التنوير (٢/ ٤٨٣) ، البحر المحيط (٢/ ٢٨٢) ، نظم الدرر (١/ ٤٨٣-٣٨٣) ، روح البيان (١/ ٤٨٤-٤٨٥) ، محاسن التأويل (٢/ ٥٨٢-٥٨٣) ، تفسير الشعراوي (٢/ ١٠٧٠-١٠٧٣) ، حاشية الشهاب علىٰ البيضاوي (٢/ ٥٧٣-٥٧٤) ، فتح القدير (ص٢٣٢) ، دار الكتاب العربي .

وقد روي عن ابن عبَّاس ، والشَّعبي ، ومجاهد ، أنَّ المعني بقوله تعالىٰ : **﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ﴾** ، إنَّما هو محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انظر : تفسير الطبري (٣/ ٣) ، الدر المنثور (٢/ ٥) ، تفسير البغوي (ص١٥٦) دار ابن حزم ، تفسير ابن كثير (ص٢٦٢) ، بيت الأفكار الدولية ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٤) ، روح البيان (١/ ٤٨٥) ، تفسير الرازي (٦/ ١٧١)

قال الطَّبري : " قال مجاهد : أراد بهذه الآية فضيلة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جميع الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿**وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح : ٤] . انظر : تفسير الطبري (١/ ٤٦٠) .

وقال الزَّمخشري في " الكشَّاف" (١/ ٣٨٣) في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ**﴾ : " أي : ومنهم من رفعه علىٰ سائر الأنبياء ، فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة ، والظَّاهر أنَّه أراد محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه هو المفضَّل عليهم ، حيث أُوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلىٰ ألف آية وأكثر ، ولو لم يؤت إلَّا القرآن وحده لكفىٰ به فضلاً منيفاً علىٰ سائر ما أوتي الأنبياء ، لأنَّه المعجزة الباقية علىٰ وجه الدَّهر دون سائر المعجزات ، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفىٰ ، لما فيه من الشَّهادة علىٰ أنَّه العلم الذي لا يشتبه ، والمتميِّز الذي لا يلتبس ..." .

فالتَّفاضل إذن باعتبار الدَّرجات وكثرة المعجزات والمكرمات ... قال الإمام الألوسي في " روح المعاني " (٢/ ٤) في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ**﴾ [البقرة : ٢٥٣] ، أي : ومنهم من رفعه الله تعالىٰ علىٰ غيره من الرُّسل بمراتب متباعدة ومن وجوه متعدِّدة ، وتغيير الأسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشَّرف ، والمراد ببعضهم هنا النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما ينبئ عنه الأخبار بكونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم ، فإنَّه قد خُصّ بمزايا تقف دونها الأماني حسرىٰ ، وامتاز بخواص علميَّة وعمليَّة لا يستطيع لسان الدَّهر لها حصراً، ورقي أعلام فضل رفعت له علىٰ كواهله الأعلام ، وطأطأت له رؤوس شرفات الشَّرف فقبلت منه الأقدام ، فهو المبعوث رحمة للعالمين ، والمنعوت بالخلق العظيم بين المرسلين ، والمنزل عليه قرآن مجيد ﴿**لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت : ٤٢] ، والمؤيَّد دينه المؤيَّد بالمعجزات المستمرَّة الباهرة ، والفائز بالمقام المحمود ، والشَّفاعة العظمىٰ في الآخرة ، والإبهام لتفخيم شأنه وللإشعار بأنَّه العلم الفرد عن التَّعيين" .

وعليه فإنَّ للتَّفضيل أسباب من خلالها يتفاضلون ، قال الطَّاهر بن عاشور: " وأسباب التَّفضيل لا يعلمها إلَّا الله تعالىٰ ، غير أنَّها ترجع إلىٰ ما جرىٰ علىٰ أيديهم من الخيرات المُصلِحة للبشر ومن نصر الحقّ ، وما لقوه من الأذىٰ في سبيل الله ، وما أُيِّدوا به من الشَّرائع العظيمة المتفاوتة في هدي البشر ، وفي عموم ذلك ، الهدىٰ ودوامه ، وإذا كان الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :" لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك ممَّا طلعت عليه الشَّمس " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٣١٥ برقم ٩٣٠) ، الحاكم في المستدرك علىٰ

الصحيحين (٣/ ٦٩٠ برقم ٦٥٣٧) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُول (ص٥٣٤ برقم ٦٠٤) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٦٠٢) ، وقال : رواه الطبراني عن يزيد بن أبي زياد مولىٰ ابن عبَّاس ذكره المزي في الرواة عن أبي رافع ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وبقية رجال الطريق الأولىٰ ثقات .

فما بالك بمن هدىٰ الله بهم أمماً في أزمان متعاقبة ؟!!! ومن أجل ذلك كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الرُّسل " . انظر : التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٢) ، وانظر أيضاً : الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (١/ ٤٤٢) ، حاشية الجمل علىٰ الجلالين (١/ ١٥٧) ، البحر المحيط (٨/ ٢٨٣) .

٢. قوله تعالىٰ : **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾** [الإسراء : ٥٥] .

والآية كسابقتها دليلٌ واضحٌ صريحٌ بيّنٌ علىٰ تفضيل بعض النَّبيين علىٰ بعض ...

وقد استدلَّ الإمام الزَّمخشري بهذه الآية علىٰ أفضليَّته عليه الصَّلاة والسَّلام علىٰ سائر النَّبيين فقال : " وقوله : **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾** [الإسراء : ٥٥] ، إشارة إلىٰ تفضيل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقوله : **﴿وَءاتَيْنَا دَاوُودُ زَبُوراً﴾** [الإسراء : ٥٥] ، دلالة علىٰ وجه تفضيله ، وهو أنَّه خاتم الأنبياء ، وأنَّ أُمَّته خير الأمم ، لأنَّ ذلك مكتوب في زبور داود ، قال تعالىٰ : **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ﴾** [الأنبياء : ١٠٥] ، وهم محمَّد وأمَّته " . انظر : الكشاف (٢/ ٤٥٣) .

وفي تفسيره لقول الله تعالىٰ : **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾** [الإسراء : ٥٥] . قال الإمام البروسوي : " إشارة إلىٰ أنّ فضل النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ داود بقدر فضل القرآن علىٰ الزَّبور .

وقد نعت الله نبيَّنا عليه السَّلام وأُمَّته المرحومة في جميع الكتب المتقدِّمة ، وفضَّله الله بكثرة الأتباع أيضاً ، كما قال النَّبي عليه السَّلام : " أهل الجنَّة عشرون ومائة صف ، ثمانون منها أمَّتي " . انظر : روح البيان (٥/ ٢٠٥) ، والحديث أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٥٤٨ برم ١٥٧٢) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٧٠ برقم ٣٢٣٧١) ، أحمد في المسند (٥/ ٣٤٧ برقم ٢٣٣٢٨١) ، الدارمي (٣/ ١٨٧٧ برقم ٢٨٧٧) ، ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤ برقم ٤٢٨٩) ، الترمذي (٤/ ٢٦٤ برقم ٢٥٤٦) ، البزار (٥/ ٣٦٨ برقم ١٩٩٩) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المعجم (ص١٨٣ برقم ٢١١) ، ابن حبان (١٦/ ٤٩٨ برقم ٧٤٥٩) ، الطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٨ برقم ١٣٥٠) ، الأوسط (١/ ١٧٢ برقم ٥٣٩) ، الصغير (١/ ٣٢) ، الحاكم في المستدرك (١/ ١٤٥ برقم ٢٧٤ ، وقال : حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه) ، أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢/ ٧٥ برقم ٢٣٩) .

فتفضيل بعضهم علىٰ بعض منوط بما مُنحوا من الفضائل النَّفسيَّة ، والشَّمائل العليَّة ، والمزايا القُدُسيَّة ، وإنزال الكتب السَّماويَّة ، وبما أُعطوه لإثبات دعوتهم من الدَّلائل والوسائل ، وقد أشار ابن عبَّاس رضي الله عنهما إلىٰ هذا ، فقال : إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام وَعَلَىٰ

أَهْلِ السَّمَاءِ، فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَ فَضَّلَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ **﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾** [الأنبياء: ٢٩] ، الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح: ٢] قَالُوا فَمَا فَضْلُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام؟ قَالَ قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾** [إبراهيم: ٤] ، الْآيَةَ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾** [سبأ: ٢٨] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ" . أخرجه الدارمي (١/ ١٩٣ برقم ٤٧) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤١٤ برقم ٣٣٩٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، فَإِنَّ الْحَكَمَ بْنَ أَبَانَ قَدِ احْتَجَّ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُخَرِّجْهُ الشَّيْخَانِ) ، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٥٤ ، وقال : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ وَهُوَ ثِقَةٌ) .

٣. قوله تعالى : **﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾** [الشرح : ٤] . والآية تبيِّن عظيم فضل الله على سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قرن الله تعالى اسمه مع اسمه سبحانه وتعالى في كلمتي الشَّهادة ، والأذان ، والإقامة ، والتَّشهُّد ... فلا يذكر الله تعالى إلَّا ذكر معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال الإمام القرطبي في معنى الآية : " وَقِيلَ: أَيْ أَعْلَيْنَا ذِكْرَكَ، فَذَكَرْنَاكَ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ، وَأَمَرْنَاهُمْ بِالْبِشَارَةِ بِكَ، وَلَا دِينَ إِلَّا وَدِينُكَ يَظْهَرُ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: رَفَعْنَا ذِكْرَكَ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، وَفِي الْأَرْضِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَرْفَعُ فِي الْآخِرَةِ ذِكْرَكَ بِمَا نُعْطِيكَ مِنَ المقام المحمود، وكرائم الدرجات" . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٠٧) ، " وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النَّبيين وإلزامهم الإيمان به والإقرار بفضله " . انظر : تفسير الشربيني (٤/ ٦٤١) .

وقيل : " وليس بعد هذا رفع ، وليس وراء هذا منزلة ، وهو المقام الذي تفرَّد به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون سائر العالمين .

ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ ، حين قدّر الله أن تمرَّ القرون وتكرّ الأجيال ، وملايين الشِّفاه في كلِّ مكان تهتف بهذا الاسم الكريم ، مع الصَّلاة والتَّسليم ، والحبّ العظيم العميق .

ورفعنا لك ذكرك ، وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهي الرَّفيع ، وكان مجرَّد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد في هذا الوجود " . انظر : في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٣٠) .

وعن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :" أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي" . أخرجه ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٧٥ برقم ٣٣٨٢) ، الآجري في الشريعة (٣/ ١٤١٢ برقم ٩٥١) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (٢/ ٥٢٢ برقم ١٣٨٠) .

وبسبب قرن الله تعالىٰ لاسم الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع اسمه في الشَّهادتين ، فإنَّه لا يذكر الله ذاكر إلَّا ويثني بذكر الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومن المعلوم أنَّ من أشهر الشَّعائر التي اقترن بها اسم الرَّسُول مع اسم الله تعالىٰ بعد الشَّهادتين : الأذان ...

ومن المعلوم ـ أيضاً – أنَّ الله تعالىٰ قرن اسمه مع محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العديد من آيات القرآن ، من ذلك :

١ . قوله تعالىٰ : **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾** [النساء : ٨٠] ، وقد جاء في الأثر أنَّ سيِّدنا عمر رضي الله عنه قال للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربِّك أن جعل طاعتك طاعته ، فقال تعالىٰ : **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ﴾** [النساء : ٨٠] . ففوّض إليك ، فلم تأمر إلَّا بخير ورشد ، بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عند ربِّك أنَّ أهل النَّار يَوَدُّون لو يكونون أطاعوك ، وهم بين أطباقها يعذَّبون ، يقولون : **﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾** [الأحزاب : ٦٦] . انظر : نهاية السول في تفضيل الرَّسُول (ص٣٠) .

٢ . وقال تعالىٰ : **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نارًا خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾** [النساء : ١٤] .

٣ . وقال : **﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾** [المائدة : ٥٥] .

٤ . وقال : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** [الأنفال : ٢٤] .

٥ . وقال : **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة : ٦٢] .

٦ . وقال : **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** [المنافقون : ٨] .

وفي دراسة لأحد البحَّاثه توصَّل إلىٰ أنَّ الأذان لا ينقطع عن الكرة الأرضيَّة طيلة اليوم والليلة ، فهو مستمر علىٰ مدار أربع وعشرين ساعة ، فما أن ينتهي في منطقة حتىٰ ينطلق في أخرىٰ ، وشرح الباحث عبد الحميد الفاضل فكرته بتوضيحه أنَّ الكرة الأرضيَّة تنقسم إلىٰ (٣٦٠) خطاً تحدِّد الزَّمن في كلِّ منطقة منها ، يفصل كلّ خطٍّ عن الخطِّ الذي يليه (٤) دقائق بالضَّبط ، والأصل في الأذان أن ينطلق في موعده المحدَّد ، ويفترض أن يؤدِّيه المؤذن أداءً حسناً يستمر أربعة دقائق من الزَّمن ، فإذا افترضنا أنّ الأذان انطلق الآن في المنطقة الواقعة عند خطِّ الطَّول (١) ، واستمرَّ أربع دقائق ، فإنَّه سينطلق في المنطقة الواقعة عند الخط (٢) ، وعندما ينتهي سينطلق في الخط الثَّالث ، ثمَّ الرَّابع ، وهكذا لا ينقطع الأذان طول اليوم الكامل من حياة يومنا . وبناء علىٰ ذلك فإنَّ اسم محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتردَّد في كلِّ ثانية في جميع أركان المعمورة ...

ويمكن التأكُّد بعمليَّة حسابيَّة صغيرة ، كالآتي :

٤ (دقائق) × ٣٦٠ (يوم) = ١٤٤٠ (دقيقة) .

١٤٤٠ (دقيقة) ÷ ٦٠ (دقيقة) = ٢٤ (ساعة) . اقتبستها من شبكة النت .

فسبحان الله العظيم ...

٤ . أنَّ الله تعالىٰ في خطابه وندائه للأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام كان يناديهم بأسمائهم ، قال تعالىٰ : ﴿**يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**﴾ [البقرة : ٣٥] ، وقال : ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا**﴾ [هود : ٤٨] ، وقال : ﴿**يَا إِبْراهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الصافات : ١٠٤ – ١٠٥] ، وقال : ﴿**يَا مُوسى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً**﴾ [طه : ١٢] ، وقال : ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى**﴾ [مريم : ٧] ، ﴿**يَا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ [مريم : ١٢] ، وقال : ﴿**يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [المائدة : ١١٦] ، وهكذا...

أمَّا عند ندائه للرَّسول محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّه لم يناده إلَّا بأحبِّ الأسماء وأسنىٰ الأوصاف ، كقوله : ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُول لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**﴾ [المائدة : ٤١] ، وقوله : ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [المائدة : ٦٧] ، وقوله : ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب : ٥٩] ، وهذا منه تعالىٰ توقير منه وإجلال للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو دليل علىٰ أفضليَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ سائر الأنبياء والمرسلين .

ومن المعلوم أنَّ من دُعيَ بأوصافه العليَّة ، وأخلاقه السَّنيَّة ، أفضل وأعزّ وأكرمُ ممن دُعيَ باسمه العَلَم الذي لا يُشعر بوصف من الأوصاف ، ولا بخُلق من الأخلاق . انظر : نهاية السول في تفضيل الرَّسُول (ص١٨) .

٥. أنّ الله تعالىٰ أقسم بحياة نبيِّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [الحجر : ٧٢] ، وفي هذا تشريف عظيم ، ومقام رفيع ، وجاه عريض لم يتأتَّىٰ لغيره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النَّبيين . قال ابْنِ عَبَّاسٍ: " مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ نَفْسًا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا سَمِعْتُ اللَّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ " . أخرجه الطبري في التفسير (١٤/ ٩١) ، ابن كثير في التفسير (٤/ ٥٤٢) .

و " ذلك يدلُّ علىٰ أنَّه أكـــــرم الخلق علىٰ الله تعالىٰ" . انظر : تفسير الرازي (١٩/ ١٦١) .

قال القاضي عياض : " قال تعالىٰ : **﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [الحجر : ٧٢] . اتَّفق أهل التَّفسير في هذا أنَّه قسمٌ من الله جل جلاله بمدَّة حياة محمَّد صلَّىٰ الله عليه وسلَّم... ومعناه : وبقائك يا محمَّد ، وقيل : وعيشك ، وقيل : وحياتك . وهذه نهاية التَّعظيم وغاية البرّ والتَّشريف ... قال أبو الجوزاء : ما أقسم الله تعالىٰ بحياة أحد غير محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّه أكرم البريَّة عنده " . انظر : الشفا (١/ ٨٦-٨٧) ، وانظر : فتح القدير (ص٩٣٢) ، بيت الأفكار الدولية ، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٥) .

فإقسام الله تعالىٰ بحياة سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون سائر النَّبيِّين دليل علىٰ شَرَفه ، ومكانته ، وفضله ... وفي آية أخرىٰ قال تعالىٰ : **﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [يس : ١ – ٣] .

قال البيهقي في " دلائل النُّبوَّة" (١/ ١٥٩٠١٦٠) : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّا: يَحْيَىٰ بْنَ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ «الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ» : خَمْسَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ذَوُو اسْمَيْنِ، مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، نَبِيُّنَا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعِيسَىٰ، وَالْمَسِيحُ، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ، وَإِسْرَائِيلُ، وَيَعْقُوبُ، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ، وَيُونُسُ، وَذُو النُّونِ، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ. وَإِلْيَاسُ، وَذُو الْكِفْلِ، صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا: وَلِنَبِيِّنَا، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ فِي الْقُرْآنِ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَعَبْدُ اللهِ، وَطه، وَيس. قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي ذِكْرِ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾** ، وَقَالَ: **﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾** ، وَقَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي ذِكْرِ عَبْدِ اللهِ: **﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾** ، يَعْنِي النَّبِيَّ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَيْلَةَ الْجِنِّ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ... " .

٦ . أنَّ الله تعالىٰ أمر نبيَّنا محمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاقتداء بالهدي الذي كان عليه أنبياؤه ورسله ، إذ أنَّه سبحانه بعد أن قال عن أنبيائه ورسله : **﴿وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [الأنعام : ٨٧] ، قال : **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾** [الأنعام : ٨٩] ، ولذلك أمر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاهتداء بما كانوا عليه من الهدىٰ ، قال تعـــالىٰ : **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾** [الأنعام: ٩٠] .

قال الإمام الخازن : " احتجَّ العلماء بهذه الآية علىٰ أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام . بيانه أنَّ جميع خصال الكمال وصفات الشَّرف كانت متفرِّقة فيهم ، فكان نوح صاحب احتمال علىٰ أذىٰ قومه ، وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عزَّ وجلَّ ، وكان إسحق ويعقوب من أصحاب الصَّبر علىٰ البلاء والمحن ... ثمَّ إنَّ الله تعالىٰ أمر نبيَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بهم ، وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرِّقة فيهم ، فثبت بهذا البيان أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرِّقة في جميعهم " . انظر : تفسير الخازن (١/ ٤٠٩) .

وقال الإمام ابن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير" (٦/ ٢٠٥-٢٠٦) في تفسيره للآية : " وقوله : **﴿فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾** تَفْرِيعٌ عَلَى كَمَالِ ذَلِكَ الْهُدَىٰ، وَتَخَلُّصٌ إِلَىٰ ذِكْرِ حظّ محمدّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هُدَىٰ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قدّم قبله مسهب ذِكْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَدْيِهِمْ إِشَارَةً إِلَىٰ عُلُوِّ مَنْزِلَةِ

مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنّها منزلَة جَدِيدَة بِالتَّخْصِيصِ بِالذِّكْرِ حَيْثُ لَمْ يَذْكُرْ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأَنَّهُ جَمَعَ هُدَىٰ الْأَوَّلِينَ، وَأُكْمِلَتْ لَهُ الْفَضَائِلُ، وَجَمَعَ لَهُ مَا تَفَرَّقَ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا الْعَظِيمَةِ. وَفِي إِفْرَادِهِ بِالذِّكْرِ وَتَرْكِ عَدِّهِ مَعَ الْأَوَّلِينَ رَمْزٌ بَدِيعٌ إِلَىٰ فَذَاذَتِهِ وَتَفَرُّدِ مِقْدَارِهِ، وَرَعْيٌ بَدِيعٌ لِحَالِ مَجِيءِ رِسَالَتِهِ بَعْدَ مُرُورِ تِلْكَ الْعُصُورِ الْمُتَبَاعِدَةِ أَوِ الْمُتَجَاوِرَةِ، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ الْمَجْرُور وَهُوَ (فَبِهُداهُمُ) عَلَىٰ عَامِلِهِ، لِلِاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الْهُدَىٰ لِأَنَّهُ هُوَ مَنْزِلَتُكَ الْجَامِعَةُ لِلْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا، فَلَا يَلِيقُ بِهِ الِاقْتِدَاءُ بِهُدًىٰ هُوَ دُونَ هُدَاهُمْ ...

وَأمر النّبيء صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالِاقْتِدَاءِ بِهُدَاهُمْ يُؤْذِنُ بِأَنَّ اللَّهَ زَوَىٰ إِلَيْهِ كلّ فَضِيلَةً مِنْ فَضَائِلِهِمُ الَّتِي اخْتَصَّ كُلَّ وَاحِدٍ بِهَا سَوَاءٌ مَا اتَّفَقَ مِنْهُ وَاتَّحَدَ، أَوِ اخْتَلَفَ وَافْتَرَقَ، فَإِنَّمَا يُقْتَدَىٰ بِمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ فَضَائِلِ الرُّسُلِ وَسِيَرِهِمْ، وَهُوَ الْخُلُقُ الْمَوْصُوفُ بِالْعَظِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم : ٤] .

وقد قام عليه الصَّلاة والسَّلام بما أُمر به ، فجمع ما كان عليه جميع الأنبياء من محاسن الأخلاق وأجودها ، فوجب لذلك أن يكون أفضلهم .

قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (١٣/٥٨) : " احْتَجَّ الْعُلَمَاءُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ رَسُولَنَا صَلَّى اللَّه عليه وآله وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَقْرِيرُهُ: هُوَ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ خِصَالَ الْكَمَالِ، وَصِفَاتَ الشَّرَفِ كَانَتْ مُفَرَّقَةً فِيهِمْ بِأَجْمَعِهِمْ، فَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ كَانَا مِنْ أَصْحَابِ الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ، وَأَيُّوبُ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ وَيُوسُفُ كَانَ مُسْتَجْمِعًا لِهَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ.

وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ صَاحِبَ الشَّرِيعَةِ الْقَوِيَّةِ الْقَاهِرَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَإِلْيَاسُ، كَانُوا أَصْحَابَ الزُّهْدِ، وَإِسْمَاعِيلُ كَانَ صَاحِبَ الصِّدْقِ، وَيُونُسُ صَاحِبُ التَّضَرُّعِ، فَثَبَتَ إِنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا ذَكَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِ كَانَ خَصْلَةً مُعَيَّنَةً مِنْ خِصَالِ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْكُلَّ أَمَرَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ بِأَسْرِهِمْ، فَكَانَ التَّقْدِيرُ كَأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُحَمَّدًا صلّى اللَّه عليه وآله وَسَلَّمَ أَنْ يَجْمَعَ مِنْ خِصَالِ الْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ كُلَّ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ مُفَرَّقَةً فِيهِمْ بِأَجْمَعِهِمْ وَلَمَّا أَمَرَهُ اللَّه تَعَالَى بِذَلِكَ، امْتَنَعَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ قَصَّرَ فِي تَحْصِيلِهَا، فَثَبَتَ أَنَّهُ حَصَّلَهَا، وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، ثَبَتَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ مَا كَانَ مُتَفَرِّقًا فِيهِمْ بِأَسْرِهِمْ، وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَجَبَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ بِكُلِّيَّتِهِمْ " .

٧. أنَّ الله تعالى أخذ العهد على جميع الأنبياء والمرسلين بالإيمان به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتِّباعه ونُصرته إذا بُعثَ وهم أحياء ، قال تعالى : **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران : ٨١] .

فقد رُوي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: " لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا، آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾** [آل عمران: ٨١] الآية . أخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٥٤٠) ، السُّيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٠) ، ونسبه لابن جرير ، ابن كثير في التفسير (٢/ ٦٧) .

وفي هذا بيان لرفعته ، ومكانته ، وعظيم قدره ، وأفضليَّته على سائر النَّبيين ...

٨. وقال تعالى مبيِّناً عموم دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [سبأ : ٢٨] . فالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرَّسُول الوحيد الذي أرسل

لعموم الإنس والجن . والأدلَّة على إرساله للجنِّ عديدة منها هذه الآية . " قال أبو الوفا بن عقيل : الجنُّ داخلون في مسمَّى النَّاس لغة . وقال الجوهري : النَّاس قد يكون من الإنس والجن . وقال الرَّاغب : النَّاس جماعة حيوان ذوي فكر ورويَّة ، والجن لهم فكر ورويَّة ، والنَّاس من ناس ينوس إذا تحرَّك " . انظر : قرة العين بأدلة إرسال النَّبي إلى الثقلين (ص١٣) ، وانظر : لسان العرب (٣/ ٧٤١) ، تهذيب اللغة (١٣/ ٦٢) .

ووجه الدِّلالة من الآية على أفضليَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سائر النَّبيين هو أنَّه كلَّما كانت دائرة مسؤوليَّته كبيرة ، كانت المشقَّة أكبر ، وكبر المشقَّة سبب لكثرة الأجر ، لأنَّ الصَّبْرِ عَلَي الطَّاعة مَعَ الْمَشَقَّةِ يَزِيدُ في الثَوَابِ وَالأَجْر ، فَيَزْدَادُ الثَّوَابُ بِالْمَشَقَّةِ ، وبما أنَّ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل إلى الثَّقلين دون غيره من الأنبياء والرُّسل ، ففي ذلك مشقَّة لم تحصل قطّ لنبي ، فهو أفضل من غيره ، لأنَّ الأجر الحاصل من العمل يكون على قدر المشقَّة ...

قال الإمام ابن تيمية : "... وَالرَّسُولُ الَّذِي يَنْشَأُ بَيْنَ أَهْلِ الْكُفْرِ الَّذِينَ لَا نُبُوَّةَ لَهُمْ يَكُونُ أَكْمَلَ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ جِهَةِ تَأْيِيدِ اللَّهِ لَهُ بِالْعِلْمِ وَالْهُدَى وَبِالنَّصْرِ وَالْقَهْرِ ... " . انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣١٥) ، جمع : عبد الرَّحمن بن محمَّد وولده محمَّد .

٩ . التَّفضيل بكثرة المعجزات ... فمن المعلوم أنَّ أعظم الرُّسل معجزات وأكثرها هو سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قيل : إنَّها تبلغ ألفاً ، قاله البيهقي ، وقيل : ألفاً ومائتين ، قاله النَّووي . وقيل : ثلاثة آلاف سوى القرآن ، حكاهما البيهقي . وذكر بعض العلماء أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتي ثلاثة آلاف معجزة وخصيصة . انظر : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٥٢) .

١٠ . التَّفضيل بخيريَّة الأمَّة ، وكثرة الأتباع ، كما قال تعالى عن أمَّة سيِّدنا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عبَّاس مرفوعاً : " عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَأَخَذَ النَّبي يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي ؟ قَالَ : لاَ ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ ، قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ... " . أخرجه البخاري (٨/ ١١٢ برقم ٦٥٤١ ، واللفظ له)، ابن أبي شيبة في المُصنف (٧/ ٤٢٥ برقم ٢٤٠٨٨) ، أحمد في المسند (١/ ٢٧١ برقم ٢٤٤٨) ، مسلم (١/ ١٩٩ برقم ٢٢٠) ، البزار (١١/ ٣١٠ برقم ٥١١٦) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٨٢ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٤/ ٣٣٩ برقم ٦٤٣٠) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٢٣ برقم ٣٩) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٨٩٨ برقم ٩٨٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية

الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/ ٣٠٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٩١ برقم ١١٢٢) ، البغوي في شرح السنة (١٥/ ١٣٥ برقم ٤٣٢٢) .

والآية دلَّت دلالة واضحة بيِّنة على أنَّ أمَّة سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي خير الأمم ، وما نالت الأمَّة هذا الشَّرف الرَّفيع إلَّا بسبب متابعتهم له عليه الصَّلاة والسَّلام ، قال الإمام التَّفتازاني : " وتفضيل الأمَّة من حيث إنَّها أمَّة ، تفضيل للرَّسول الذي هم أمَّته " . انظر : شرح المقاصد (٥/ ٤٧) .

وقال صاحب " الجواهر " : " لا شكَّ أنَّ الخيريَّة للأمَّة إنَّما هي بحسب كمالهم في الدِّين ، وذلك تابع لكمال نبيِّهم الذي يتبعونه ، أي : فلولا أنَّه خير الأنبياء لم تكن أمَّته خير الأمم ، وقد ثبت بنصِّ الآية أنَّهم خير الأمم ، فيكون نبيّهم خير الأنبياء ، لما علمت ما بينهما من الملازمة الظَّاهرة " . انظر : جواهر البحار في فضائل النَّبي المختار (٢/ ١٣٠) .

وفي شرحه لما رواه البخاري (١/ ٢٥ برقم ٧١) بسنده عَنْ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ» ، قال ابن أبي جمره : " وفي هذا دليل علىٰ أفضليَّة هذه الأمَّة علىٰ غيرها من الأمم ، إذ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أبقاها علىٰ دينها إلىٰ قيام السَّاعة من غير أن يدخل عليها في ذلك خلل ، ولا تتعبَّد لغير ما شرع لها ، وغيرها من الأمم ليس كذلك ، لأنَّه لم تأت أمَّة قط حتىٰ تنقرض الأخرىٰ ، وفي هذا دليل علىٰ شرف النَّبي إذ إنَّه بسببه حصلت لها هذه السَّعادة العظمىٰ " . انظر : عون المريد لشرح جوهرة التَّوحيد ، تتان والكيلاني (٢/ ٧٧٨) ، نقلاً عن بهجة النفوس لابن أبي جمرة (١/ ١١٨) .

ومن الآيات الدالَّة علىٰ خيريَّة هذه الأمَّة وأفضليَّتها علىٰ جميع الأمم ، قوله تعالىٰ : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة : ١٤٣] ، " أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم ، والوسط العدل ، وأصل هذا أنَّ أَحْمَدَ الأشياء أوسطها ، وروىٰ التِّرمذي عن أبي سعيد عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾** ، قال : عَدْلاً . انظر : تفسير القرطبي (٢/ ١٥٣) ، وانظر : تفسير الطبراني (١/ ٢٥٨-٢٥٩) ، روح المعاني (١/ ٤٠٤) ، روح البيان (١/ ٣١٠-٣١١) ، وانظر ما قاله الترمذي في : سنن الترمذي (٥/ ٥٧) ، والحديث أخرجه البخاري (٤/ ١٣٤ برقم ٣٣٣٩) .

ولأنَّ هذه الأمَّة أمَّة عدْلٍ وخيريَّة ، ستشهد للنَّبيين بالتَّبليغ يوم الدِّين . روىٰ البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً :" " يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟

فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ : **﴿النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة : ١٤٣] ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة : ١٤٣] ، الوسط العدل" . أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنف (١١/ ٤٥٤ برقم ٣٢٣٤٢) ، البخاري (٦/ ٢١ برقم ٤٤٨٧ ،،، واللفظ له) ، ابن حبَّان (١٤/ ٣٩٧ برقم ٦٤٧٧) البغوي في شرح السنة (١٥/ ١٤٠ برقم ٤٣٢٥) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (١/ ١٨١) .

وجاء في رواية أحمد (٣/ ٥٨ برقم ١١٥٧٩) :" ... فَيُقَالُ : وَمَا عِلْمُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : جَاءَنَا نَبِيُّنَا ، فَأَخْبَرَنَا : أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾** [البقرة : ١٤٣] ، قَالَ : يَقُولُ : عَدْلاً ، **﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة : ١٤٣] .

١١ . التَّفضيل بإنزال الشَّرائع ، كما قال الله تعالىٰ عن سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجهاً أنظار أهل الكتاب إلىٰ صفته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي لم تزل موجودة في كُتبهم ، يعرفها علماؤهم وأحبارهم : **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾** [الأعراف : ١٥٧] . فالشَّرائع السَّابقة كانت من الشدَّة بحيث وصفت بالإصر الذي يحبس صاحبه ويثقل عليه ، بحيث يمنعه من الحركة ، بعكس ما عليه شريعة الإسلام التي وضعت عن المكلَّفين ذلكم الإصر ... فمن أوتي شريعة تامَّة ، ويسيرة ، أفضل من غيره من الأنبياء .

١٢ . أنَّ الله تعالىٰ تولَّىٰ الجدال والدِّفاع عنه ، بينما غيره من الأنبياء والمرسلين كانوا يجادلون عن أنفسهم وينافحون . فها هم قوم نوح عليه السَّلام يقولون له : **﴿إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** [الأعراف : ٦٠] ، فأجابهم بنفسه فقال : **﴿قالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾** [الأعراف: ٦١] .

وها هم قوم هود عليه السَّلام يقولون له : **﴿إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ﴾** [الأعراف : ٦٦] . فأجابهم قائلاً : **﴿قالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾** [الأعراف : ٦٧] ، وها هو فرعون يقول لموسىٰ عليه السَّلام : **﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسى مَسْحُوراً﴾** [الإسراء : ١٠١] ، فأجابه موسىٰ بقوله : **﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾** [الإسراء : ١٠٢] .

وأمَّا نبيّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتولَّىٰ الله المجادلة والدِّفاع عنه ، فلمَّا قالوا عنه : **﴿بَلْ هُوَ شاعِرٌ﴾** [الأنبياء : ٥] ، ردّ الله عليهم فقال : **﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾** [يس : ٦٩] ، **﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴾** [الحاقة : ٤١] ، ولمَّا اتَّهموه بالكهانة ، أجاب الله عنه ، فقال : **﴿وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾** [الحاقة : ٤٢] ، وعندما اتَّهموه بالضَّلال المبين ، أجاب الله تعالىٰ عنه ، فقال : **﴿مَا ضَلَّ صاحِبُكُمْ**

وَما غَوى﴾ [النجم : ٢] ، ولمَّا اتَّهموه بالجنون ، كما في قوله تعالىٰ : **﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾** [القلم : ٥١] . أجاب الله تعالىٰ عنه ، فقال : **﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾** [القلم : ٢] .

وهذا كلّه برهان وأيّ برهان علىٰ فضله علىٰ سائر المرسلين ، ودلالة واضحة ناطقة علىٰ علوِّ مكانته ، وعظيم قدْره ، ورفيع درجته التي لم يصل إليها غيره من الأنبياء والمرسلين ...

١٣ . ومن عظيم قدْره ، وعلوِّ شأنه ومكانته : أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بتقديره وتبجيله ، بحيث لا يُنادىٰ باسمه ، بل يُنادىٰ بأحب صفاته ومحامده ، نحو : يا رسول الله ، يا نبيَّ الله ، قال تعالىٰ : **﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُول بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور : ٦٣] .

روىٰ ابن كثير وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانُوا يَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ ذَلِكَ، إِعْظَامًا لِنَبِيِّهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ. وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَير.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُهَابَ نَبِيُّهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يُبَجَّل وأن يعظَّم وأن يسود.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّان فِي قَوْلِهِ: **﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُول بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾** يَقُولُ: لَا تُسَمّوه إِذَا دَعَوتموه: يَا مُحَمَّدُ، وَلَا تَقُولُوا: يَا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَكِنْ شَرّفوه فَقُولُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ " . انظر : تفسير القرآن العظيم (٦/ ٨٨-٨٩) ، الدر المنثور (٦/ ٢١١) ، تفسير القرطبي (١٢/ ٣٢٢) ، روح البيان (٦/ ٢٤٠-٢٤١) .

أمَّا أتباع الأنبياء السَّابقين ، فإنَّهم كانوا ينادون أنبيائهم بأسمائهم المجرَّدة من غير إضافة ، وقد دلَّت علىٰ ذلك آيات عديدة ، من ذلك :

قوله تعالىٰ علىٰ لسان قوم موسىٰ : **﴿قالُوا يَا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ﴾** [المائدة : ٢٢] .

وقوله تعالىٰ علىٰ لسان قوم صالح: **﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأعراف : ٧٧] .

وقوله تعالىٰ علىٰ لسان قوم نوح : **﴿قالُوا يَا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** [هود : ٣٢] .

وقوله تعالىٰ علىٰ لسان قوم شعيب : **﴿قالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود : ٨٧] .

وقوله تعالىٰ علىٰ لسان قوم لوط : **﴿قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾** [الشعراء : ١٦٧] .

" ولا يخفىٰ علىٰ أحدٍ أنَّ السيِّد إذا دعا أحد عبيدِه بأفضل ما وُجِد فيه من الأوصاف العليَّة والأخلاق السَّنيَّة ، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصفٍ من الأوصاف ، ولا بخلق من الأخلاق ، أنَّ منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه ، وأقرب إليه ممَّن دعاه باسمه العلم . وهذا معلوم بالعرف ؛ فإنَّ من دُعي بأفضل أسمائه وأخلاقه كان ذلك مبالغةً في تعظيمه واحترامه " . انظر : نهاية السول في تفضيل الرَّسُول (ص١٨-١٩) .

وبعد ، فهذه بعض الدّلالات القرآنيَّة التي تشير إلىٰ عظيم قدْر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ كونه سيِّد الأنبياء والمرسلين ...

ثَانِياً : أدلَّة السُّنَّة المطهَّرة على كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المرسلين .

أدلَّة السُّنَّة المطهَّرة علىٰ كونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل المرسلين كثيرة ، منها :

١ .قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢ برقم ١١٠٠٠) ، مسلم (٤/ ١٧٨٢ برقم ٢٢٧٨) .

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . أخرجه البخاري (٦/ ٨٤ برقم ٤٧١٢) ، مسلم ، (١/ ١٨٤ برقم ١٩٤)

والسيِّد هو الذي فاقَ قومه ، وقام بأمرهم ، وتحمَّل مكارههم ، ولا يكون كذلك إلَّا إذا اتَّصف بالصِّفات العليَّة ، والأخلاق السَّنيَّة ، قال الإمام النَّووي :" قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ) قَالَ الْهَرَوِيُّ : السَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَفُوقُ قَوْمَهُ فِي الْخَيْرِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ الَّذِي يُفْزَعُ إِلَيْهِ فِي النَّوَائِبِ وَالشَّدَائِدِ ، فَيَقُومُ بِأَمْرِهِمْ ، وَيَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مَكَارِهَهُمْ ، وَيَدْفَعُهَا عَنْهُمْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَوْمَ الْقِيَامَةِ " مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَسَبَبُ التَّقْيِيدِ أَنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ سؤدده لكلِّ أحد ، ولا يبقىٰ مناع وَلَا مُعَانِدٌ وَنَحْوُهُ ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ نَازَعَهُ ذَلِكَ فِيهَا مُلُوكُ الْكُفَّارِ وَزُعَمَاءُ الْمُشْرِكِينَ ، وَهَذَا التَّقْيِيدُ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾** [غافر : ١٦] ، مَعَ أَنَّ الْمُلْكَ لَهُ سُبْحَانَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، لَكِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَدَّعِي الْمُلْكَ أَوْ مَنْ يُضَافُ إِلَيْهِ مَجَازًا ، فَانْقَطَعَ كُلُّ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ . قَالَ الْعُلَمَاءُ :قَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ " لَمْ يَقُلْهُ فَخْرًا بَلْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْفَخْرِ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ : " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ " ، وَإِنَّمَا قَالَهُ لِوَجْهَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : امْتِثَالُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾** .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ مِنَ الْبَيَانِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ تَبْلِيغُهُ إِلَىٰ أُمَّتِهِ لِيَعْرِفُوهُ ، وَيَعْتَقِدُوهُ ، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ ، وَيُوَقِّرُوهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَقْتَضِي مَرْتَبَتُهُ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ لِتَفْضِيلِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ " . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٧) .

وسيادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنَّاس يوم القيامة ستكون واضحة جليَّة بما سيُعطاه يوم القيامة من الشَّرف العظيم ، والمكانة الرَّفيعة التي عبَّرت عنها عشرات الأحاديث الصَّحيحة ، التي أبانت عن مجموعة كبيرة من فضائله وخصائصه وميزاته ، من ذلك :

أ-أنَّه أوَّل شافع وأوَّل مشفَّع ، روىٰ مسلم بسنده عن أنس بن مالك مرفوعاً :" أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الجنَّة "، وقال :" أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلَا فَخْر ". أخرجه مسلم (ص ١١١ برقم ١٩٦) ، بيت الأفكار الدولية .

ب-أنَّه صاحب المقام المحمود ، قال تعالىٰ : **﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾** [الإسراء:٧٩] . والمقام المحمود هو الشَّفاعة العظمىٰ التي ليست إلَّا له ، دون غيره من الأنبياء والمرسلين . فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: " إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ " . أخرجه البخاري (٦/ ٨٦ برقم ٤٧١٨) .

ج-أنَّ الله تعالىٰ خصَّه بالكوثر دون سائر النَّبيين . فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** [الكوثر:١-٣] . ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ " زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ ". أخرجه مسلم (١/ ٣٠٠ برقم ٤٠٠) .

والكوثر خاصٌّ بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم ينقل أنَّ لغيره من الأنبياء مثله ، قال الحافظ ابن حجر :" ... فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ " . انظر : فتح الباري (١١/ ٤٦٧) .

د-أنَّ الخلائق يرغبون إليه يوم القيامة ، كي يشفع لهم ، كما جاء في حديث الشَّفاعة...

هـ-أنَّه أوَّل من يجوز الصِّراط بأُمَّته ، كما جاء في الحديث : " ... فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ ". أخرجه البخاري (١/ ١٦٠ برقم ٨٠٦) .

و-أنَّ أمَّته يدخلون الجنَّة قبل جميع الخلائق إكراماً له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، روىٰ مسلم (٢/ ٥٨٥ برقم٨٥٥) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ - قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَىٰ " .

ز-أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، وهو لواء حقيقي اختصَّ عليه الصَّلاة والسَّلام بحمله دون سائر الأنبياء والمرسلين ، خصَّه الله تعالىٰ به لحمده الله تعالىٰ بمحامد لم يحمده بها غيره . وقد دلّت السُّنة علىٰ اختصاصه بهذه الخصيصة ، فقد روىٰ التِّرمذي ، وغيره ، بسندهم إلىٰ أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ " . أخرجه الترمذي (ص ٥٦٨ برقم ٣٦١٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح) ، بيت الأفكار الدولية ، ، أحمد في المسند (ص ٧٥٠ برقم ١١٠٠٠) ، بيت الأفكار الدولية .

ح-أنَّه أوَّل من يقرع باب الجنَّة ، لقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ " . أخرجه مسلم (١/ ١٨٨ برقم ١٩٦) .

ط-أنه عليه الصَّلاة والسَّلام صاحب الوسيلة ، وهي درجة عالية في الجنَّة ، لا تنبغي إلَّا لعبد واحد . روىٰ مسلم (١/ ٢٨٨ برقم ٣٨٤) بسنده عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» .

وغير هذه كثير من الخصائص التي خصَّ الله بها النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره من الأنبياء ، وما خصَّ بها إلَّا لشرفه ، ومكانته ، وفضله علىٰ من سواه من الأنبياء والمُرسلين ...

وقد استشكل قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْر " علىٰ البعض ، ففهم منه عدم تفضيله علىٰ آدم ، وإنَّما تفضيله علىٰ أولاده . انظر : شرح العقائد النسفية (ص ١٦٦) .

والحقّ أنَّه استنتاج مردود بالآتي :

أَوَّلاً : قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي ..." .

والحديث نصٌّ صريح علىٰ علوّ قدره ، ومرتبته ، وفضله علىٰ سائر النَّبيين ، آدم وغيره . قال ابن الجوزي في معنىٰ قوله (وَلَا فَخْر) :" قال ابن الأنباري : المعنىٰ : لا أتبجَّح بهذه الأوصاف ، وإنَّما أقولها شكراً لربِّي ، ومنبِّهاً أمَّتي علىٰ إنعامه عليَّ . وقال ابن عقيل : إنَّما نفي الفخر الذي هو الكبر الواقع في النَّفس المنهي عنه الذي قيل فيه : **﴿لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [لقمان:١٨] ، ولم ينف فخر التجمُّل بما ذكره من النِّعم التي بمثلها يفتخر ، ومثله قوله : **﴿لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾** [القصص:٧٦] ، يعني الأشرين ، ولم يرد الفرح بنعمة الله تعالىٰ" . انظر : صفة الصفوة (١/ ١٨٣).

وقال الباجوري في شرح قوله عليه السَّلام في الحديث: " وَلَا فَخْر " : أي : ولا فخر أعظم من ذلك " . انظر : شرح الجوهرة (ص ٤١٥) .

ثَانِيَاً: أنَّه سيِّد الخلائق جميعهم بمن فيهم آدم ، لقوله في الحديث المتقدِّم :" أنا سيِّد النَّاس يوم القيامة " ، والحديث صريح في تفضيله علىٰ جميع الخلق حتىٰ آدم عليه السَّلام ، قال تعالىٰ : **﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى﴾** [النجم:٣] ، وإنَّما تأدَّب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أبيه آدم ، لأنَّه لا ينبغي للولد أن يقول : أنا أفضل من أبي ، إلَّا فيما ورد فيه الإذن الإلهي ، كما في حديث :" آدم ومن دونه تحت لوائي ". انظر : جواهر البحار (٢/ ٦٨) .

وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" فُضِّلتُ علىٰ الأنبياء بستّ : أُعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرُّعب ، وأُحلَّت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلىٰ الخلق كافَّة ، وختم بي النَّبيُّون " . أخرجه مسلم (ص ٢١١، برقم ٥٢٣) ، بيت الأفكار الدولية . ...

وفي رواية :" فضلت علىٰ الأنبياء بست : أُعطيتُ جوامع الكلم ، ونصرت بالرُّعب ، وأحلَّت لي الغنائم ، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ، وأرسلت إلىٰ الخلق كافَّة ، وختم بي النَّبيُّون " . أخرجه مسلم (ص٢١١ برقم ٥٢٣) ، بيت الأفكار الدولية .

والحديث يدلُّ دلالة صريحة على كونه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل النَّبِيِّين والمرسلين ، قال الإمام الطَّحاوي عقب ذكره للحديث :" وفي هذا ذكر تفضيله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ النَّبيين ، وفيهم إبراهيم صلَّىٰ الله عليهم أجمعين " . انظر بيان مشكل الآثار للطحاوي (٣/ ٦٢) ، وانظر : فيض القدير (٤/ ٥٧٧) .

ثالِثَاً : أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمَّهم ليلة المعراج ، فقد روىٰ مسلم (١/ ١٥٦ برقم ١٧٢) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَىٰ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ " .

ومن المعلوم أنَّه لا يتقدَّم للإمامة إلَّا الأفضل ...

وهناك روايات أخرىٰ غير التي ذكرت أبانت عن خصائص جمَّة خصَّه الله تعالىٰ بها دون غيره من المرسلين ، لدرجة أنَّ بعض العلماء جمعها في مصنَّفات خاصَّة، منها :

١- نهاية السُّول في خصائص الرَّسُول لابن دحية الكلبي .

٢- غاية السُّول في خصائص الرَّسُول لسراج الدِّين بن الملقِّن .

٣- خصائص النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم لعلاء الدِّين مغلطاي .

٤- خصائص سيِّد العالمين ليوسف بن محمَّد العبادي .

٥- الأنوار بخصائص النَّبي المختار لابن حجر العسقلاني .

٦- اللفظ المكرَّم في خصائص النَّبي المعظَّم لشهاب الدِّين أحمد بن عبد السَّلام المنوفي .

٧- خصائص الرَّسُول صلىٰ الله عليه وسلم لإمام الكامليَّة .

٨- الإعلام بخصائص النَّبي عليه السَّلام لجلال الدِّين بن البلقيني .

٩- الخصائص الكبرىٰ للسُّيوطي .

١٠- الدُّرر البهيَّة في شرح الخصائص النَّبويَّة لمحمَّد بن عمر النَّووي الجاوي ...

والرِّوايات الخاصَّة بخصائصه وفضائله التي خُصَّ بها ، دون غيره من الأنبياء والمرسلين ، وإن اختلفت في تحديد العدد ، فإنَّ ذلك لا يعتبر تعارضاً واختلافاً في الرِّوايات ، لأنَّ الجمع بينها سهل ، وقد جمع العديد من العلماء بينها . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري " (١/٤٣٦) :" وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ : لَعَلَّهُ اطَّلَعَ أَوَّلًا عَلَىٰ بَعْضِ مَا اخْتُصَّ بِهِ ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَىٰ الْبَاقِي ، وَمَنْ لَا يَرَىٰ مَفْهُومَ الْعَدَدِ حُجَّةً يَدْفَعُ هَذَا الْإِشْكَالَ مِنْ أَصْلِهِ ، وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَاتِ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ" .

ثمَّ إنَّ العدد لا مفهوم له ، كما هو رأي العديد من أهل الأصول ، فقوله : " أُعطيت خمساً " لا يفيد نفي ما فوقها كالستَّة والسَّبعة ...

ثَالِثاً : دلَالَةُ الإِجْمَاعِ وَالعَقْل عَلَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً أَفْضَل المُرْسَلِيْن :

أَوَّلاً : دلَالَةُ الإِجْمَاع :

الإجماعُ حجَّة شرعيَّة لازمة ، قال الإمام الخطيب البغدادي :" إجماع أهل الاجتهاد في كلِّ عصر حجَّة من حجج الشَّرع ، ودليل من أدلَّة الأحكام ، مقطوع على مغيبة ، ولا يجوز أن تجتمع الأمَّة على خطأ..." . انظر : الفقيه والمتفقه (ص ١٥٤) .

ومن أدلَّة حجيَّة الإجماع :

١. قوله تعالى : **﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً﴾** [النساء:١١٥] . قال الإمام الرازي في " التَّفسير" (١١/٢١٩) : " وَتَقْرِيرُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ اتِّبَاعَ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامٌ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ اتِّبَاعُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَاجِبًا، بَيَانُ الْمُقَدِّمَةِ الْأُولَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ أَلْحَقَ الْوَعِيدَ بِمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُشَاقَّةُ الرَّسُولِ وَحْدَهَا مُوجِبَةٌ لِهَذَا الْوَعِيدِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ اتِّبَاعُ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مُوجِبًا لَهُ لَكَانَ ذَلِكَ ضَمًّا لِمَا لَا أَثَرَ لَهُ فِي الْوَعِيدِ إِلَىٰ مَا هُوَ مُسْتَقِلٌّ بِاقْتِضَاءِ ذَلِكَ الْوَعِيدِ وَأَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ، فَثَبَتَ أَنَّ اتِّبَاعَ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامٌ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِمْ وَاجِبًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَدَمَ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ اتِّبَاعٌ لِغَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا كَانَ اتِّبَاعُ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ عَدَمُ اتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَامًا، وَإِذَا كَانَ عَدَمُ اتِّبَاعِهِمْ حَرَامًا كَانَ اتِّبَاعُهُمْ وَاجِبًا، لِأَنَّهُ لَا خُرُوجَ عَنْ طَرَفَيِ النَّقِيضِ" .

وفي تفسيره اعتبر الإمام القرطبي الآية دليلاً علىٰ صحَّة القول بالإجماع. انظر تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٦)، وانظر: محاسن التأويل (٣/ ١١٢١ فما بعدها)، التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٥، روح المعاني (٣/ ١٤١).

٢. قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، قال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (٢/١٨-١٩): " اسْتَدَلَّ أَهْلُ أُصُولِ الْفِقْهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ أَنَّ إِجْمَاعَ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ أَيِ الْمُجْتَهِدِينَ حُجَّةٌ شَرْعِيَّةٌ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ، وَفِي بَيَانِ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ طُرُقٌ:

الْأَوَّلُ: قَالَ الْفَخْرُ إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ عَدَالَةِ الْأُمَّةِ وَخَيْرِيَّتِهَا فَلَوْ أَقْدَمُوا عَلَىٰ مَحْظُورٍ لَمَا اتَّصَفُوا بِالْخَيْرِيَّةِ وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ وَجَبَ كَوْنُ قَوْلِهِمْ حُجَّةً اه، أَيْ لِأَنَّ مَجْمُوعَ الْمُجْتَهِدِينَ عُدُولٌ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ احْتِمَالِ تَخَلُّفِ وَصْفِ الْعَدَالَةِ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِمْ، وَيُبْطِلُ هَذَا أَنَّ الْخَطَأَ لَا يُنَافِي الْعَدَالَةَ وَلَا الْخَيْرِيَّةَ فَلَا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَىٰ عِصْمَتِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ فِيمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

وَهَذَا رَدٌّ مُتَمَكِّنٌ، وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّ الْعَدَالَةَ الْكَامِلَةَ الَّتِي هِيَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ طَرَفَيْ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ تَسْتَلْزِمُ الْعِصْمَةَ مِنْ وُقُوعِ الْجَمِيعِ فِي الْخَطَأِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ.

الطَّرِيقُ الثَّانِي: قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: لَوْ كَانَ فِيمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ بَاطِلٌ لَانْثَلَمَتْ عَدَالَتُهُمُ اهـ، يَعْنِي أَنَّ الْآيَةَ اقْتَضَتِ الْعَدَالَةَ الْكَامِلَةَ لِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ فَلَوْ كَانَ إِجْمَاعُهُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ بَاطِلٍ لَانْثَلَمَتْ عَدَالَتُهُمْ أَيْ كَانَتْ نَاقِصَةً وَذَلِكَ لَا يُنَاسِبُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ بِمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَىٰ الطَّرِيقِ الْأَوَّلِ.

الطَّرِيقُ الثَّالِثُ: قَالَ جَمَاعَةٌ: الْخِطَابُ لِلصَّحَابَةِ وَهُمْ لَا يُجْمِعُونَ عَلَىٰ خَطَأٍ فَالْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَىٰ الْإِجْمَاعِ فِي الْجُمْلَةِ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ أَنَّ عَدَالَةَ الصَّحَابَةِ لَا تُنَافِي الْخَطَأَ فِي الِاجْتِهَادِ وَقَدْ يَكُونُ إِجْمَاعُهُمْ عَنِ اجْتِهَادٍ أَمَّا إِجْمَاعُهُمْ عَلَىٰ مَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ فَيَنْدَرِجُ فِيمَا سَنَذْكُرُهُ " ... وانظر: تفسير الرازي (٤/ ٩٠)، تفسير القرطبي (٢/ ١٥٦)، تفسير البيضاوي (١/ ١١٠)، تفسير القاسمي (١/ ٣٦٢-٣٦٣).

٣. وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: " لا تجتمع أُمَّتي علىٰ ضلالة ". أخرجه أحمد (ص ٢٠١٨ برقم ٢٧٧٦٦)، بيت الأفكار الدولية، الطبراني في الكبير (٢/ ٤٠٥ برقم ٢١٢٩)، السيوطي في جمع الجوامع (١/ ١٣١٨٤ برقم ١٣٠٠٤)، الترمذي (ص ٣٦٠ برقم ٣١٦٧، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه)، بيت الأفكار الدولية، وذكره الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢١ برقم ١١٩٦٦، وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه راو لم يسم).

٤. وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ". أخرجه البخاري (١/ ٢٥ برقم ٧١)، مسلم (٢/ ٧١٨ برقم ١٠٣٧).

قال الحافظ ابن حجر في : فتح الباري" (١٣/ ٢٩٥) :" قال النَّووي : فيه أنَّ الإجماع حجَّة " .

والأدلَّة على حُجيَّة الإجماع كثيرة ، وهي مبثوثة في كتب الأصول ...

والمسائل التي أجمعت عليها الأمَّة عديدة ، وقد صنِّفت في ذلك المصنَّفات ، ومن جملة ما أجمعوا عليه : أفضليَّة سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع المرسلين ... ومن أقوال العلماء في ذلك :

١-قال الإمام الرَّازي في " التَّفسير" (٦/ ٥٢١) :" أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَعَلَىٰ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنَ الْكُلِّ... " .

٢-وقال الإمام السَّعد التَّفتازاني في " شرح المقاصد"(٥/ ٤٧) :" وأجمع المسلمون على أنَّ أفضل الأنبياء محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

٣-وقال الإمام محمَّد بن جعفر الكتَّاني بعد أن ذكر أنَّ الخلاف في المفاضلة بين الملائكة والنَّبيين مخصوص بغير نبيِّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أمَّا هو – أي النَّبي – فالإجماع كما ذكره فخر الدِّين الرَّازي ، وأبو عبد الله الأُبي ، وغيرهما على أنَّه أفضل من المخلوقات على الإطلاق ، وأجلّهم عند الله ، وأكملهم بطريق العموم والاستغراق . وفي نظمٍ محصل المقاصد في كلامه على الأنبياء :

وإنَّهم أفضل في الأصح ... من الملائكة دون قدح
نبيّنا ذا الخلق لا يشمله ... ومن يعمّمه يخصّ قوله
قلت كما يظهر في الأبكار ... للآمدي يرد بالأقطار
نبيّنا أفضل بالإطباق ... من كلِّ مخلوق على الإطلاق

وفي أرجوزة علم الكلام لسيد حمدون بن الحاج السّلمي المرداسي :

الرُّسل أفضل من الملائك ... والمصطفى أفضل من أولئك
هو أجلّ ما اختفى وظهر ... انعقد الإجماع فيه واشتهر

انظر : جلاء القلوب (٢/ ٧٢) .

٥.وقال الدكتور البوطي انظر في "كبرى اليقينيَّات الكونيَّة" (ص ١٩٩) :" لا ريب أنَّ أفضل الخلق على الإطلاق هو نبيّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو ما أجمع عليه المسلمون قاطبة... " .

وقد تناول هذا الأمر علماء الأمَّة في منظوماتهم وأشعارهم ...

قال الإمام اللقَّاني في جوهرته :

وأفضل الخلق على الإطلاق نبيّنا فَمِل عن الشِّقــاق

وقال صاحب الدرَّة المضيّة :

وأفضل العالم من غير امترا نبيّنا المبعوث في أُمِّ القرىٰ

وقال الإمام البوصيري :

محمَّد أشرف الأعراب والعجم محمَّد خير من يمشي على قدم

ثَانِيَاً : دلَالَةُ العَقْل :

وأدلَّة العقل علىٰ أفضليَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ سائر المرسلين كثيرة ، منها :

١ .أنَّ معجزته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من معجزات سائر الأنبياء ، فوجب أن يكون أفضل من سائر الأنبياء . انظر : تفسير الرازي (٦/ ١٦٦) .

وأفضليَّة معجزته علىٰ سائر معجزات الأنبياء تبدو في أمور كثيرة لم تكن في معجزات غيره من الأنبياء ، فقد امتاز القرآن العظيم علىٰ غيره من معجزات الأنبياء بـ :

(أ) أنَّه باقٍ لا ينسخ .

(ب) أنَّه محفوظ بحفظ الله تعالىٰ ، حيث تعهَّد الله تعالىٰ بحفظه ، فقال : **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾** [الحجر:٩] ، أمَّا معجزات غيره من الأنبياء ، فقد انتهت لوقتها ، ولم يبق إلَّا خبرها ، ولم يشاهدها إلَّا من حضرها ...

(ج) أنَّه ناسخ لجميع الشَّرائع قبله ومهيمن عليها جميعاً .

(د) أنَّه احتوىٰ علىٰ جميع مقاصد الشَّريعة ، وتناول أسباب سعادة الدَّارين .

(هـ) أنَّه آخر الكتب السَّماويَّة ، وذلك أنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، المبعوث إلىٰ النَّاس كافَّة .

(و) أنَّه تضمَّن خلاصة التَّعاليم السَّماويَّة التي تضمَّنتها الكُتب السَّابقة .

(ز) أنَّه سهل لا مشقَّة علىٰ النَّاس في فهمه ، وكذا لا يصعب عليهم العمل به ، قال تعالىٰ : **﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾** [القمر:١٧] .

٢. أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ، بَيَانُ الْأَوَّلِ أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ الْإِسْلَامَ نَاسِخًا لِسَائِرِ الْأَدْيَانِ، وَالنَّاسِخُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ ، قَوْلِهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»". أخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٤)، البيهقي في الكبرىٰ (٤/ ١٧٥)، الشُّعب (٧/ ٣٢١ برقم ٣١٦٩)، النسائي في الكبرىٰ (٢/ ٤٠)، الطبراني في الكبير (٣/ ٢ برقم ٢٣٧٨)، الطحاوي في المشكل (١/ ٢٥٠ برقم ٢٠٧)، مسلم (ص ٣٩٢ برقم ١٠١٧)، بيت الأفكار الدولية، أحمد في المسند (ص ١٣٨٥ برقم ١٩٣٦٩)، بيت الأفكار الدولية، البغوي في شرح السنة (٣/ ١٩٣)، البزار (٤/ ٣٩٤ برقم ٢٩٦٣)، الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٣١ برقم ٨٩٤٦)، الطيالسي (١/ ٩٢ برقم ٦٧٠).

فَلَمَّا كَانَ هَذَا الدِّين أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ ثَوَابًا، كَانَ وَاضِعُهُ أَكْثَرَ ثَوَابًا مِنْ وَاضِعِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ". انظر: تفسير الرازي (٦/ ١٦٧) ...

أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي أَحَادِيْثِ النَّهْي عَنِ المُفَاضَلَة :

تبيَّن ممَّا سبق بيانه أنَّ التَّفاضل بين الأنبياء أمر ثابت في الكتاب والسُّنَّة، ومع ذلك فقد وردت أحاديث تنصُّ نصَّاً صريحاً علىٰ المنع من التَّفضيل، وفي هذا إشكال ألجأ العلماء لدراسة تلك الأحاديث دراسة معمَّقة خلصوا من خلالها إلىٰ الجمع بين ما قرَّره القرآن الكريم من التَّفضيل بين النَّبيين، وبين ما ورد في الأحاديث الصَّحيحة التي تنهىٰ عن التَّفضيل.

والأحاديث التي تنهىٰ عن التَّفضيل، هي :

١-روىٰ البخاري (٣/ ١٢٠ برقم ، ٢٤١١، واللفظ له)، مسلم (٤/ ١٨٤٤ برقم ٢٣٧٣) بسندهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، قَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُحَمَّدًا عَلَىٰ العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ العَالَمِينَ، فَرَفَعَ المُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللَّهُ».

٢-وروىٰ البخاري (٤/ ١٥٣ برقم ٥٥٩٥)، مسلم (٤/ ١٨٤٦ برقم ٢٣٧٧) بسندهما عن ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ ".

٣-وروىٰ البخاري (٣/ ١٢١ برقم ٢٤١٢) بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: مَنْ؟ "، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «ادْعُوهُ»، فَقَالَ: «أَضَرَبْتَهُ؟»، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي

اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ» .

٤-وروىٰ البخاري (٤/ ١٥٩ برقم ٣٤١٤) بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَىٰ مُوسَىٰ عَلَىٰ البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: " لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَىٰ آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي" .

٥-وروىٰ مسلم (٤/ ١٨٣٩ برقم ٢٣٦٩) بسندهعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» .

هذه هي أشهر الأحاديث التي جاء فيها النَّهي عن المفاضلة بين الأنبياء...

وحاصل ما ذكره العلماء من تأويلات لأحاديث النَّهي عن المفاضلة بين الأنبياء ، ينتظم في النّقاط التّالية :

(١) إنَّما نهىٰ عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدِّي إلىٰ تنقيص المفضول أو يؤدِّي إلىٰ الخصومة والتّنازع .

(٢) أنَّ المراد : لا تفضِّلوا بجميع أنواع الفضائل ، بحيث لا يترك للمفضول فضيلة ، فالإمام مثلاً إذا قلنا : أنَّه أفضل من المؤذِّن ، لا يستلزم نقص فضيلة المؤذِّن بالنِّسبة إلىٰ الأذان .

(٣) وقيل : النَّهي عن التَّفضيل إنَّما هو في حقِّ النُّبوَّة نفسها ، كقوله تعالىٰ : **﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾** [البقرة:٢٨٥] ، ولم ينه عن تفضيل بعض الذَّوات علىٰ بعض ، لقوله : **﴿تلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾** [البقرة:٢٥٣] ، قال القرطبي : " وهذا قول حسن ، فإنَّه جمع بين الآي والحديث من غير نسخ " . انظر : تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٣) .

(٤) الأخبار الواردة في النَّهي عن التَّخيير إنَّما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على المخايرة ، لأنَّ المخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلىٰ الازدراء بالآخر ، فيفضي إلىٰ الكفر ، فأمَّا إذا كان التَّخيير مستنداً إلىٰ مقابلة الفضائل لتحصيل الرُّجحان ، فلا يدخل في النَّهي ". انظر : فتح الباري (٦/ ٤٤٦ ، ٦/ ٤٥٢) ، وانظر : اليواقيت والجواهر (٢/ ٢٢) ، عون المريد (٢/ ٧٨٢) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) ، بيت الأفكار الدولية ، فتاوىٰ ابن تيمية (١٤/ ٤٣٦) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٧-٣٨) ، جواهر البحار (٢/ ١٢٩) ، العقائد الإسلامية لسيد سابق (ص ١٩٩) ، فتح القدير (ص ٢٣٢) ، بيت الأفكار الدولية .

(٥) أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هذا ، لأنَّ التَّفضيل إذا كان علىٰ وجه الحميَّة والعصبيَّة وهوىٰ النَّفس كان مذموماً ، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرَّجل حميَّة وعصبيَّة كان مذموماً ، فإنَّ الله حرَّم الفخر ، وقد قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ، فعُلم أنَّ المذموم إنَّما هو التَّفضيل علىٰ وجه الفخر ، أو علىٰ وجه الانتقاص بالمفضول .

(٦) أنَّ قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" لا تُفضِّلوني علىٰ موسىٰ " ، وقوله :" لا تفضِّلوا بين الأنبياء" نهي عن التَّفضيل الخاص ، أي : لا يفضل بعض الرُّسل علىٰ بعض بعينه ، بخلاف قوله :" أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر " ، فإنَّه تفضيل عامٌّ فلا يمنع منه ، وهذا كما لو قيل : فلان أفضل أهل البلد ، لا ينصب علىٰ أفرادهم ، بخلاف ما لو قيل لأحدهم : فلان أفضل من فلان. انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٧٠-١٧٢) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) ، بيت الأفكار الدولية .

(٧) أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك تواضعاً منه ، مع علمه أنَّه أفضل الأنبياء. انظر : تأويل مختلف الحديث (ص ٧٨) ، اليواقيت والجواهر (٢/ ٢٢) ، تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) ، بيت الأفكار الدولية ، البداية والنِّهاية (١/ ٣٣١) ، دلائل النبوة (٥/ ٣٧٩) ، فتح القدير (ص ٢٣٢) ، بيت الأفكار الدولية ، الشفا (١/ ٤٤٠) ، أصول الدِّين الإسلامي (ص ٣٣٤) .

(٨) أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له علىٰ سائر الأنبياء والرُّسل مع مراعاته لعلوِّ مراتبهم الباذخة ، وجلالة مناصبهم الشَّامخة ، ثمَّ أعلمه الله تعالىٰ بأنَّه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، وأفضل جميع الأنبياء والمرسلين ، وأمر بتبليغ ذلك فبلغه كما أمر ، فالقرآن ناسخ للمنع عن التَّفضيل. انظر : لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٩٨) ، تفسير ابن كثير (ص ٢٦٢) ، بيت الأفكار الدولية ، التحرير والتنوير (٢/ ٤٨٤) ، تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، مشكل الآثار للطحاوي (٣/ ١٢) ، صحيح مسلم شرح النووي (١٥/ ٣٨) ، فتح القدير (ص ٢٣٢) ، بيت الأفكار الدولية ، الشفا (١/ ٤٣٩) .

(٩) أنَّ المنع من التَّفضيل إنَّما هو من جهة النُّبوَّة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وإنَّما التَّفضيل في زيادة الأحوال و الخصوص ، والكرامات ، والألطاف ، والمعجزات المتباينات ، وأمَّا النُّبوَّة في نفسها فلا تتفاضل ، وإنَّما التَّفاضل في أمور أخر زائدة عليها ، ولذلك منهم الرُّسل ، ومنهم أولو العزم من الرُّسل ، ومنهم من رفع مكاناً عليّاً ، ومنهم من أُوتي الحكم صبيّاً ، وأُوتي داود زبوراً ، وبعضهم البيِّنات ، ومنهم من كلَّم الله ورفع بعضهم درجات . انظر : تفسير القرطبي (٣/ ٢٦٢) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٣٨) ، فتح القدير (ص ٢٣٢) ، بيت الأفكار الدولية ، الشفا (١/ ٤٤١) .

(١٠) لَيْسَ مَقَامُ التَّفْضِيلِ إِلَيْكُمْ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَلَيْكُمُ الِانْقِيَادُ وَالتَّسْلِيمُ لَهُ ، وَالْإِيمَانُ بِهِ ، ليس مقام التَّفضيل إليكم ، إنَّما هو إلىٰ الله عزَّ وجلَّ ، وعليكم الانقياد والتَّسليم له ، والإيمان به . انظر : تفسير ابن كثير (١/ ٦٧١) .

(١١) إنَّما خصَّ سيِّدنا يونس عليه السَّلام بالذِّكر خشية علىٰ من سمع قوله تعالىٰ : **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾** [القلم:٤٨] ، أن يقع في نفسه تنقيصه ، والحطّ من مرتبته ، فبالغ في ذكر فضله سدّاً لهذه الذَّريعة . انظر : هداية الباري إلىٰ ترتيب أحاديث البخاري (٢/ ١٨٤) ، صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ١٣٢) ، الشفا (١/ ٤٤٠)

(١٢) أنَّ النَّهي الوارد في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متَّىٰ " يحتمل التَّأويل علىٰ وجهين :

الأوَّل : أن يكون المراد بقوله (أَنَا) : الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الخطَّابي : وهذا أولىٰ الوجهين وأشبههما بمعنىٰ الحديث ، فقد جاء من غير هذا الطَّريق أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :" ما ينبغي لنبيٍّ أن يقول : إنِّي خير من يونس بن متَّىٰ " ، فعمَّم الأنبياء كلّهم ، فدخل هو في جُملتهم . انظر : الشفا (١/ ٤٤١) .

الثَّاني : أن يكون إنَّما أراد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : " لا ينبغي لعبد " : من سواه من النَّاس ، أي : لا ينبغي للعبد القائل أن يقول ذلك .

هذا محصِّل ما قاله العلماء من تأويلات للنَّهي الوارد في الأحاديث الشَّريفة عن التَّفضيل بين النَّبيين ، والحقّ أنَّ بعضها لا يخلو من مقال ...

فالقول بأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن التَّخيير والتَّفضيل تواضعاً منه ، مع علمه بأنَّه أفضلهم ، فهذا لا يسلم من الاعتراض ، كما قال القاضي عياض في " الشِّفا \، لأنَّ هذا التَّوجيه لا يتناسب مع قوله

في الحديث الآخر الذي أخرجه البخاري (٦/ ٥٠ برقم ٤٦٠٤) :" مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ فَقَدْ كَذَبَ " ، إنَّ قلنا بعود الضَّمير (أنا) الوارد في الحديث علىٰ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انظر : تحفة الأحوذي (٨/ ٩٢) .

أمَّا إن حمل علىٰ غير الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذا لا شيء فيه ، لأنَّ التَّواضع خُلقٌ إسلامي رفيع ، جاء الأمر به في القرآن والسُّنَّة ، فقد روىٰ مسلم (٤/٢١٩٨ برقم ٢٨٦٥) بسنده عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَزَادَ فِيهِ «وَإِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ» .

ومن قال بأنَّ النَّهي ورد قبل أن يعلم عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه سيِّد ولد آدم ، وأنَّ النَّهي عن التَّفضيل منسوخ بآيتي البقرة والإسراء ، فهذا فيه نظر ، كما قال ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (١/ ٣٣١) : " ، لِأَنَّ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ – الإشارة هنا إلىٰ حادثة لطم المسلم لليهودي – وَمَا هَاجَرَ أبو هريرة إلَّا عام حنين مُتَأَخِّرًا ، فَيَبْعُدُ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهَذَا، إِلَّا بَعْدَ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ" . ثمَّ إنَّ القول بالنَّسخ هنا مردود ، لأنَّ آيات التَّصريح بالتَّفضيل آيات مكيَّة ، وأحاديث النَّهي كانت في المدينة ...

وأمَّا قول من قال : إنَّ النَّهي إنَّما هو عن تعيين المفضول ، أمَّا التَّفضيل فيما بينهم بالجملة دون تعيين المفضول فهو دلالة النَّص ...

ففي هذا التَّوجيه نظر ، لأنَّ القرآن ذكر الوجوه التي فضَّل بها بعض النَّبيين علىٰ بعض ، فقد امتدح الله تعالىٰ أولي العزم من الرُّسل الذين هم أفضل الرُّسل ، فقال تعالىٰ آمراً نبيَّه بالتَّأسِّي بهم : **﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾** [الأحقاف:٣٥] .

قال الإمام ابن كثير في " التَّفسير" (٥/ ٨٧-٨٨) :" وَلَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ أَفْضَلُهُمْ، وَهُمُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورُونَ نَصًّا فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾** [الأحزاب: ٧] ، وَفِي الشُّورَىٰ فِي قَوْلِهِ : **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّين وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾** [الشُّورَىٰ: ١٣] . وَلَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَىٰ عَلَى الْمَشْهُورِ" .

ثمَّ إنَّ الرُّسل أفضل من الأنبياء ، كما هو معلوم ، إذ كلُّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً ، وهذا تعيين ، كما في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر " تعيين لا يخفىٰ ، لأنَّه يتضمَّن أفضليَّته علىٰ جميع الرُّسل ، وأنَّه مقدّمهم ...

الفَصْلُ الأَوَّلُ

وَهَّابِيَّـــــــةٌ لَا سَلَفِيَّـــــــةٌ

من المعلوم أنَّ الوهَّابيَّة حركة دينيَّة ترتبط بمؤسِّسها محمَّد بن عبد الوهَّاب النَّجدي الذي قام في القرن الثَّاني عشر الهجري بإحياء ما دفنه علماء الأمَّة من أفكار ومعتقدات ابن تيمية التي خالف فيها جمهور الأُمَّة المحمَّدية في القرن الثَّامن الهجري ...

وولد ابن عبد الوهَّاب في عام (١١١٥هـ) ، وتوفِّي عام (١٢٠٦هـ) ، وكان والده يتفرَّس فيه الإلحاد ، ويُحذِّر النَّاس منه ، فقد جاء في ترجمة عبد الوهَّاب والد محمَّد بن عبد الوهَّاب ، التي ذكرها الإمام محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي مفتي الحنابلة بمكَّة (١٢٩٥هـ) في كتابه : " السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة " : " وهو والد محمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررها في الآفاق ، لكن بينهما تباين مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضبان على ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من محمَّد من الشَّر ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ محمَّد كان منافياً له في دعوته ، ورد عليه ردَّاً جيداً بالآيات والآثار ، لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلى كلام عالم متقدِّماً أو متأخِّراً كائناً من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن تيمية وتلميذه ابن القيِّم ، فإنَّه يرى كلامهما نصَّاً لا يقبل التَّأويل ، ويصول به على النَّاس ، وإن كان كلامهما على غير ما يفهم ، وسمَّى الشَّيخ سليمان ردَّه على أخيه : " فصلُ الخطاب في الرَّدِّ على محمَّد بن عبد الوهَّاب " وسلَّمه الله من شرِّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحد وردَّ عليه ولم يقدر على قتله مجاهرة ، يُرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السَّوق ليلاً لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله ، وقيل : إنَّ مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسَّلاح ، فأمر محمَّد أن يُعطى سيفاً ويدخل على أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأُدخل عليه فلمَّا رءاه الشَّيخ سليمان خاف منه فرمى المجنون السَّيف من يده وصـــار يقول : يا سليمان لا تخف إنَّك من الآمنين ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات " . انظر : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦) .

وبسبب ما صرَّح به من اعتقادات كفَّرَ على ضوئها من ليس على فكره ومعتقده ، كان شقيقه سليمان بن عبد الوهَّاب أوَّل من ردَّ عليه في كتابه الطيِّب : " الصَّواعق الإلهيَّة في الرَّدِّ على الوهَّابيَّة " ...

ومن المعلوم الوهَّابيَّة اسم خلعه أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب علىٰ أنفسهم ...

فقد جاء في " الدُّرر السَّنيَّة " : " وصار بعض النَّاس يسمع بنا معاشر الوهَّابيَّة ، ولا يعرف حقيقة ما نحن عليه " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٦٦) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " الرَّدُّ علىٰ من أنكر علىٰ أهل الدَّعوة الوهَّابيَّة إنكارهم الشِّرك " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٥١١) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فأبيتم هذا كلَّه ، وقلتم هذا دين الوهَّابيَّة ، ونعم هو ديننا بحمد الله " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٢٦٧) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " فلذلك الوهَّابيَّة ، يُسمُّون مذهبهم : عقيدة السَّلف " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٢٨) .

وجاء فيها أيضاً قولهم : " ومن محاسن الوهَّابيَّة : أنَّهم أماتوا البدع ومحوها " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٥٣) .

وقال المدعو أحمد بن حجر بن محمَّد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي (١٤٢٣هـ) وهو يتكلَّم عن أحد أُمراء الهند واسمه السيِّد أحمد : " فلمَّا التقىٰ بالوهَّابيِّين في مكَّة اقتنع بصحَّة ما يدعون إليه ، وأصبح من دعاة المذهب ، الذين تملَّكهم الإيمان ، وسيطرت عليهم العقيدة ... وبعد مرحلة من الجهاد استطاع هؤلاء المسلمون الوهَّابيُّون أن يقيموا الدَّولة الإسلاميَّة علىٰ أساس من المبادئ الوهَّابيَّة ، بجهة البنجاب ، تحت حكم الدَّاعية السيِّد أحمد . ولم تلبث هذه الدَّولة طويلاً ، حتىٰ قضىٰ عليها الاستعمار الإنكليزي في العقد الرَّابع من القرن التَّاسع عشر . ولكن الدَّعوة الوهَّابيَّة ظلَّت قائمة هناك علىٰ يد خلفاء السيِّد أحمد من بعده ، ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها .

ولا يزال الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام علىٰ المذهب الوهَّابي .

وفي سومطرة ابتدأت الدَّعوة الوهَّابيَّة سنة (١٨٠٣م) علىٰ يد أحد الحجَّاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحجِّ في نفس السَّنة ، بعد أن التقىٰ بالوهَّابيِّين ، واطَّلع علىٰ صحَّة ما يدعون إليه .

فلمَّا عاد إلىٰ وطنه ابتدأ دعوته ، ثمَّ تطوَّرت الحركة إلىٰ حروب طاحنة بين المسلمين والوهَّابيِّين ، الذين أصبحوا قوَّة كبيرة في سومطرة ، وبين غير المسلمين من سكانها الأصليِّين ، حتىٰ رأت حكومة

الاستعمار الهولنديَّة سنة (١٨٢١م) أنَّ تناهض هذه الحركة القويَّة ، محافظة على كيانها ونفوذها هناك " . انظر : محمَّد بن عبد الوهَّاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (ص٧٨-٧٩) .

وكتب الدكتور محمَّد بن خليل حسن هرّاس (١٣٩٥هـ) كتاباً بعنوان : " الحركة الوهَّابيَّة " ردَّ فيه على الدكتور محمَّد البهي في نقده للوهَّابيَّة . انظر : الحركة الوهَّابيَّة (رد على مقال لمحمد البهي في نقد الوهابية) ، محمَّد بن خليل حسن هرّاس ، تحقيق : أحمد بن عبد العزيز بن محمَّد بن عبد الله التويجري ، دار السنة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٨هـ .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز (١٤٢٠هـ) : " الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله الذي تنسب إليه الوهَّابيَّة ، هو رجل قام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر ، يدعو النَّاس إلى ما قاله الله ورسوله ، يدعو النَّاس إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، من أتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسَّير على منهج أصحابه في الأقوال والأعمال ، وهو حنبلي المذهب ولكنَّه وفقه الله لدعوة النَّاس إلى إصلاح العقيدة ، وترك الشِّرك بالله عزَّ وجلَّ ، وترك البدع والخرافات التي قام بها وتخلق بها المتصوِّفة ، أو أصحاب الكلام ، فهو يدعو إلى عقيدة السَّلف الصَّالح ، في العمل وفي العقيدة ، وينهى عمَّا عليه أهل الكلام من بدع ، وما عليه بعض الصُّوفيَّة الذين خرجوا عن طريق الصَّواب إلى البدع ، فليس له مذهب يخالف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، بل هو يدعو إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة فقط، فإذا دعوت أحداً إلى التَّوحيد ونهيته عن الشِّرك فقالوا الوهَّابيَّة ، قل نعم أنا وهابي وأنا محمَّدي أدعوكم إلى طاعة الله وشرعه ، أدعوكم إلى توحيد الله ، فإذا كان من دعا إلى توحيد الله وهَّابيَّاً فأنا وهَّابي ... " . انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٣) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز : " فالوهَّابيَّة هم هذا ، الوهَّابيَّة دعاة إلى توحيد الله " . انظر : فتاوى نور على الدرب (٣/ ١٥٤) .

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز : " أمَّا الوهَّابيَّة فهم أتباع الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي التَّميمي رحمه الله ، فهو إمام مشهور ... " . انظر : فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٤)

وقال الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز : " وليست الوهَّابيَّة حسب تعبير الكاتب بدعاً في إنكار مثل هذه الأمور البدعية ، بل عقيدة الوهَّابيَّة : هي التَّمسُّك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والسَّير على هديه ، وهدي خلفائه الرَّاشدين ، والتَّابعين لهم بإحسان ، وما كان عليه السَّلف الصَّالح ، وأئمَّة الدِّين والهدى ، أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله ، وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحَّت بها الأخبار النَّبويَّة ، وتلقَّتها صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بالقبول والتَّسليم . يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ويتمسَّكون بما درج عليه التَّابعون ، وتابعوهم من أهل العلم والإيمان والتَّقوىٰ ، وسلف الأمَّة وأئمَّتها " . انظر : مجموع فتاوىٰ العلَّامة عبد العزيز بن باز (١/ ٢٢٨) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز : " س : هل صحيح أنَّ الوهَّابيَّة تناصب آل البيت العداء ، وأنَّها تنتقص من سيِّد الخلق ، وما حقيقة الدَّعوة الوهَّابيَّة ؟ ولماذا تحارب بهذا الشَّكل ؟

ج : الوهَّابيَّة منسوبة إلىٰ الشَّيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله (١٢٠٦هـ) ، وهو الذي قام بالدَّعوة إلىٰ الله سبحانه في نجد ، وأوضح للنَّاس حقيقة التَّوحيد والشِّرك ، ودعا النَّاس إلىٰ توحيد الله وإفراد العبادة له سبحانه ، وترك التَّعلُّق علىٰ أصحاب القبور ، ممَّن يسمّون بالأولياء ، ودعاؤهم من دون الله والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم والنَّذر لهم " . انظر : مجموع فتاوىٰ العلَّامة عبد العزيز بن باز (٩/ ٢٣٠) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ عبد العزيز بن باز : " كما أنَّ الوهَّابيَّة يسيرون علىٰ منهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في العقيدة والقول والعمل ، ويبغضون من خالف سيرتهم ، وخرج عن نهجهم من سائر الطَّوائف ، وهذا هو الحقّ الذي يجب علىٰ كلِّ مسلم أن يسير عليه ، ويعتقده ويدعو إليه ، كما قال الله سبحانه : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ . انظر : مجموع فتاوىٰ العلَّامة عبد العزيز بن باز (٩/ ٢٣١) .

وقال الشَّيخ محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (١٤٢١هـ) : " وأمَّا ما ذكره من مجادلة الطَّالب له ، وقول بعضهم : إنَّه رجل وهَّابي ، وإنَّ الوهَّابيَّة لا يقرُّون المدائح النَّبويَّة ، وما إلىٰ ذلك ، فإنَّنا نخبره وغيره بأنَّ الوهَّابيَّة – ولله الحمد – كانوا من أشدِّ النَّاس تمسُّكاً بكتاب الله وسُنَّة رسوله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ومن أشدِّ النَّاس تعظيماً لرسول الله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – واتِّباعاً لسُنَّته ، ويدلُّك علىٰ هذا أنَّهم كانوا حريصين دائماً علىٰ اتِّباع سنة الرَّسُول – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والتَّقيُّد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة ، أو عمل قولي أو فعلي " . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٣/ ٦٠) .

وجاء في مجموع فتاوىٰ ورسائل الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين : " وأمَّا قول السَّائل : بأنَّ من فعل هذا كان وهَّابيّاً ، فإنِّي أبلغ السَّامعين جميعاً بأنَّ الوهَّابيَّة ليست مذهباً مستقلّاً أو مذهباً خارجاً عن المذاهب الإسلاميَّة ، بل إنَّها حركة لتجديد ما اندثر من الحقِّ ، وخفي علىٰ كثير من النَّاس ، فهم في عقيدتهم متَّبعون للسَّلف ، وفي مذهبهم في الفروع مقلِّدون للإمام أحمد – رحمه الله – ولا يعني ذلك

أنَّه إذا تبيَّن الصَّواب لا يدعون من قلدوه ، بل هم إذا تبيَّن لهم الصَّواب ، ذهبوا إليه وإن كان مخالفاً لمن قلَّدوه ؛ لأنَّهم يؤمنون بأنَّ المقلَّد عرضة للخطأ ، ولكن النُّصوص الشَّرعيَّة ليس فيها خطأ .

وبهذا تبيَّن أنَّ هذه الدَّعوىٰ التي يقصد بها التَّشويه لا حقيقة لها ، وأنَّ الوهَّابيَّة ما هي إلَّا حركة لتجديد ما اندثر من علم السَّلف في شريعة الله سبحانه وتعالىٰ ، وهي لا تخلو أن تكون دعوة سلفيَّة محضة كما يعرف ذلك من تتبَّعها بعلم وإنصاف " . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١٣/ ١٤٣)

وجاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة : " ما هي الوهَّابيَّة ؟ السُّؤال الثَّاني من الفتوىٰ رقم (٩٤٥٠) :

س٢: ما هي الوهَّابيَّة ؟

ج٢: الوهَّابيَّة : لفظة يطلقها خصوم الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله علىٰ دعوته إلىٰ تجريد التَّوحيد من الشِّركيَّات ونبذ جميع الطُّرق إلَّا طريق محمَّد بن عبد الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومرادهم من ذلك : تنفير النَّاس من دعوته وصدِّهم عمَّا دعا إليه ، ولكن لم يضرها ذلك ، بل زادها انتشاراً في الآفاق وشوقاً إليها ممَّن وفقهم الله إلىٰ زيادة البحث عن ماهيَّة الدَّعوة وما ترمي إليه وما تستند عليه من أدلَّة الكتاب والسُّنَّة الصَّحيحة فاشتدَّ تمسُّكهم بها ، وعضُّوا عليها ، وأخذوا يدعون النَّاس إليها ولله الحمد . وبالله التَّوفيق ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوىٰ اللجنة الدائمة – المجموعة الأولىٰ (٢/ ٢٥٥).

فالوهابيَّة اسم خَلَعه أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب علىٰ أنفسهم ، وهم في الحقيقة امتداد لآراء ابن تيمية ، فهم دون غيرهم من الأنام الذين تحمَّسوا لآرائه وأفكاره ، وقد زادوا ضغثاً علىٰ إبالة حين نسبوا أقوالهم ومعتقداتهم للسَّلف الصَّالح ، مع أنَّ العديد من أفكار ابن تيمية لم يقل بها أحد من السَّلف ، وقد عارضه وردَّ عليه في زمنه أغلب علماء عصرهِ ...

ومن أشهر وأهمِّ ما يميِّز الوهَّابيَّة أنَّهم لا يتورَّعون عن نشر أفكارهم بالقوَّة ... بعد الإعلان عن تكفير وتبديع المخالفين لهم ... فهم يعتبرون أنفسهم دائماً علىٰ الصَّواب الذي لا يقبل الخطأ ، كما يعلنون أنَّ من سواهم علىٰ الخطأ الذي لا يحتمل الصَّواب ... وهذه الأفكار هي أفكار الخوارج التي اندثرت حيناً من عالم المسلمين ... ثمَّ عادت علىٰ أيدي هؤلاء الذين عملوا علىٰ نشرها وتجديد أثوابها في عالم الإسلام والمسلمين ...

الفَصْلُ الثَّانِيْ

مَوْقِفُ مُدَّعِي السَّلَفِيَّةِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إنَّ النَّاظر في مسيرة أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب يجزم بأنَّ القوم عندهم ضغينة للنَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويبدو هذا واضحاً في كلِّ مسألة تتعلَّق به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد زعم محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّ الاعتقاد في الصَّالحين : توسُّلاً ، وتبرُّكاً ، عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرَّأ منه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٧٨) .

ولذلك سمُّوا كلَّ متوسِّلٍ به بالصَّنم ، حتىٰ تطاول أشقاهم علىٰ مقام سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمَّىٰ قبره بالصَّنم ، فقد كتب المدعو : عبد العزيز بن يحيىٰ البرعي اليمني كتاباً سمَّاه : " قوارع الأسنَّة في الرَّدِّ علىٰ أعداء السُّنَّة " ، قال فيه تحت عنوان : " عُبَّاد الأصنام " : إنَّ عبادة الأصنام في زماننا كثيرة ... ومن تلك الأصنام : قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : قوارع الأسنة في الردِّ علىٰ أعداء السنة (ص٢٨) .

فالبرعي في كلامه هذا يُسمِّي قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّنم ، وهذا كلامٌ خطير يُخشىٰ علىٰ صاحبه أن يقع في دائرة ...

وقال الشَّيخ محمَّد ناصر الدِّين الألباني (١٤٢٠هـ) وهو يتكلَّم عن المسجد النَّبوي : " ... قلت : وممَّا يؤسف له أنَّ هذا البناء قد بُني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أزيل تلك القبَّة الخضراء العالية وأحيط القبر الشَّريف بالنَّوافذ النُّحاسيَّة والزَّخارف والسّجف وغير ذلك ممَّا لا يرضاه صاحب القبر نفسه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل قد رأيت حين زرت المسجد النَّبوي الكريم وتشرَّفت بالسَّلام علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة (١٣٦٨هـ) ، رأيت في أسفل حائط القبر الشّمالي محراباً صغيراً ، ووراءه سدَّة مرتفعة عن أرض المسجد قليلاً ، إشارة إلىٰ أنَّ هذا المكان خاص للصَّلاة وراء القبر ، فعجبت حينئذ كيف ظلَّت هذه الظَّاهرة الوثنيَّة !!! قائمة في عهد دولة التَّوحيد ... " . انظر : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٦٨) .

فبناء علىٰ ما قاله الألباني ، فإنَّ الأمَّة ظلَّت حامية للوثنيَّة قروناً عديدة حتىٰ جاء هذا (السَّاعاتي) المنقذ لها من شرِّ براثن الوثنيَّة التي تعيش فيها ، فهل يجوز وصف الأمَّة بالضَّلال والشِّرك ، ثمَّ كيف سكت السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم علىٰ المظاهر الشِّركيَّة التي قال بها من يدَّعون السَّلفيَّة زوراً وعدواناً وإثما وبهتاناً ...

كيف سكت السَّلف الصَّالح عن وجود القبر داخل المسجد ؟!!! أليس لخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز هو من قام بتوسعة المسجد وضمَّ القبر إليه ؟!!!

أمَّا كلام البرعي فيحمل في طيَّاته منتهىٰ قلَّة الحياء وقلَّة الأدب مع الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مع أنَّنا لم نرَ ولم نسمع عن أحدٍ من العالمين أنَّه عبَدَ القبر الشَّريف ، وهذا مصداق حديث الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللهمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ " . أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٤٠ برقم ٥٩٣) .

وقد استجابَ اللهُ تعالىٰ لدعاء الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يجعله وثناً يُعبَد من دون الله تعالىٰ ، بالرَّغم من زيارة مئات الملايين لقبره عليه الصَّلاة والسَّلام ، تلك الزِّيارة التي اعتبرها ابن تيمية ومعه من يدَّعون السَّلفيَّة معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، ومع ذلك فلم يلتفت أحد لفتواهم بل لسائر فتاويهم ، وتهافت النَّاس لزيارة قبره الشَّريف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهافت المحبّ للقيا الحبيب أو كتهافت الظَّمآن علىٰ الماء ، ولسان الحال يقول :

أمرُّ علىٰ الدِّيار ديار ليلىٰ ... أقبِّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الدِّيار شغفن قلبي ... ولكن حبُّ من سكن الدِّيارا

وقال الشَّاعر عمر بهاء الدِّين الأميري :

الحجرُ الأسودُ قبَّلتُهُ ... بشفَتَيْ قلبيْ وكُلّي وَلَـهْ
لا لاعتِقادي أنَّه نافعٌ ... بل لِهُيامي بالّذي قَبَّلَهْ
محمَّدٌ أطهرُ أنفاسهِ ... كانت علىٰ صفْحاتِهِ مُرسَلَةْ
قبّلتُ ما قبَّلهُ ثغرهُ النَّـ ... ـاطِقُ بالوَحي ابتِغاءَ الصِّلَةْ

فما قبَّله هو ولا غيره إلَّا لأنَّ الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبَّله ، ولم نسمع أنَّ أحداً عَبَدَ الحجَر الأسْوَد أو مقام إبراهيم ...

وقد أَكَّد علىٰ ما سبق من بهتانهم وهذيانهم إمامهم ابن باز ، فقد أفتىٰ بأَنَّ وجود القبَّة الخضراء علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام بدعة ، فقد جاء في فتاوىٰ اللجنة الدَّائمة :

" إقامة القبَّة علىٰ قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست حجَّة :

السُّؤال الأوَّل من الفتوىٰ رقم (٦٢٥٨) :

س١ : ما هي حقيقة التَّصوُّف ؟ وهل في التَّصوُّف جوانب حسنة وجوانب سيِّئة ؟ هل التَّصوُّف مفصول عن الفقه ؟ أرجو من فضيلتكم التَّحدُّث إليَّ عن الحضرة النَّبويَّة التي توجد في المفهوم الصُّوفي

، وهل هي حقيقة ؟ عندي في السُّودان بعض رجالِ المتصوِّفة يستدلُّون على بناء القباب على الميِّت بالقبَّة المشيَّدة على قبر الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ما حكم الدِّين في ذلك ؟ ما هي حقيقة هذه الأسماء : الغوثي والقطبي ورجال الكون في المفهوم الصُّوفي ؟

ج١ : أولاً : اقرأ في ذلك كتاب " مدارج السَّالكين " لابن قيِّم الجوزيَّة وكتاب " هذه هي الصُّوفيَّة " لعبد الرَّحمن الوكيل فيما يتعلَّق بمسائل التَّصوُّف .

ثانياً : ليس في إقامة القبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجَّة لمن يتعلَّل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصَّالحين ؛ لأنَّ إقامة القبَّة على قبره لم تكن بوصيَّة منه ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ولا من التَّابعين ولا أحد من أئمَّة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخير ، إنَّما كان ذلك من أهل البدع ، وقد ثبت أنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وثبت عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال لأبي الهياج : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! ألَّا تدع تمثالاً إلَّا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلَّا سوَّيته " ، رواه مسلم ؛ فإذا لم يثبت عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناء قبة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمَّة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك ، لم يكن لمسلم أن يتعلَّق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبَّة على قبر النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وبالله التَّوفيق . وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٦٤-٢٦٥) .

وقال المدعو صالح العصيمي : " إنَّ استمرارَ هذه القبَّةِ على مدى ثمانيةِ قرونٍ لا يعني أنَّها أصبحت جائزة ، ولا يعني أنَّ السُّكوتَ عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاةِ المسلمين إزالتها ، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهدِ النُّبوَّةِ ، وإزالة القبَّةِ والزَّخارفِ والنُّقوشِ التي في المساجدِ ، وعلى رأسها المسجدُ النَّبوي ، ما لم يترتَّب على ذلك فتنةٌ أكبر منه ، فإن ترتَّبَ عليه فتنةٌ أكبر ، فلولي الأمرِ التَّريُّث مع العزمِ على استغلالِ الفرصة متى سنحت " . انظر : بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها (ص٢٥٣) .

وهذه من العصيمي وغيره من المتمسلفة فتوى صريحة لهدم القبَّة الخضراء ، متى سنحت الفرصة لذلك ، دون النَّظر لمشاعر المسلمين جميعاً ، ودون النَّظر لما سيحدثه الهدم من إساءة للحبيب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ القبَّة حول قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وما أرى فتاويهم بحقِّ الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره الشَّريف إلَّا لأنَّ في قلوبهم شيء منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الإمام التَّقي الحصني في كلامه عن ابن تيمية : " ... وهذا وغيره يدلُّ على أنَّ عنده

ضغينة للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولصاحبيه ، وكذا لأُمَّته ، ليفوِّت عليهم هذا الخير الذي رتَّبه على زيارة قبره عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ، فاحذروه ، واحذروا تزويق مقالته المطوي تحتها أخبث الخبائث ، فإنَّها لا تجوز إلا على عاميٍّ أو بليد الذِّهن كالحمار يحمل أسفاراً " . انظر : دفع شبه من شبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيِّد الجليل الإمام أحمد (ص١١٢) .

وإلَّا فما معنى أن يعتبر ابن تيمية في تعليقه على قصَّة العُتبي من رأى الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام ضعيفاً في دينه ، وبه نفاق ، ومن المؤلَّفة قلوبهم ... قال ابن تيمية : " وَأَمَّا مَا ذكره بعض الْفُقَهَاء من حِكَايَة الْعُتْبِي عَن الْأَعرَابِي الَّذِي أُتِي قبر النَّبي ، وَقَالَ : يَا خير الْبَرِيَّة إِن الله يَقُول : **﴿وَلَو أَنهم إِذْ ظلمُوا أنفسهم﴾** [النساء : ٦٤] ، وَإِنِّي قد جِئْت ، وَأَنَّه رَأْي النَّبي فِي الْمَنَام ، وَأمره أَن يبشر الْأَعرَابِي ، فَهَذِهِ الْحِكَايَة وَنَحْوهَا مِمَّا يذكر فِي قبر النَّبي وقبر غَيره من الصَّالِحين ، فَيَقَع مثلهمَا لمن فِي إيمَانه ضعف ، وَهُوَ جَاهِل بِقدر الرَّسُول وَبِمَا أُمر بِهِ ، فَإِن لم يعف عَن مثل هَذَا لِحَاجَتِهِ وَإِلَّا اضْطربَ إيمَانه وَعظم نفَاقه ، فَيكون فِي ذَلِك بِمَنْزِلَة الْمُؤَلّفَة بالعطاء فِي حَيَاة النَّبي ، كَمَا قَالَ : إِنِّي لأتألَّف رجَالاً بِمَا فِي قُلُوبهم من الْهَلَع والجزع وَأكل رجَالاً إِلَىٰ مَا جعل الله فِي قُلُوبهم من الْغَنِيّ وَالْخَيْر ، مَعَ أَن أَخذ ذَلِك المَال مَكْرُوه لَهُم ، فَهَذِهِ أَيْضاً مثل هَذِه الْحَاجَات " . انظر : جامع الرسائل (٢/ ٣٧٨) ، قاعدة في المحبة (ص١٩٢) .

وما معنى أن يُنكر ابن تيمية أن تكون البُقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، كما نقل القاضي عياض في الشِّفا ، فقد جاء في فتاوى ابن تيمية : " وَسُئِلَ أَيْضاً : عَنْ رَجُلَيْنِ تَجَادَلَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إنَّ تُرْبَةَ محمَّد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَقَالَ الْآخَرُ : الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ . فَمَعَ مَنْ الصَّوَابُ ؟ فَأَجَابَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَمَّا نَفْسُ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ . وَأَمَّا نَفْسُ التُّرَابِ فَلَيْسَ هُوَ أَفْضَلَ مِنْ الْكَعْبَةِ البيت الْحَرَامِ بَلْ الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلَا يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَضَّلَ تُرَابَ الْقَبْرِ عَلَىٰ الْكَعْبَةِ إلَّا الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إلَيْهِ ، وَلَا وَافَقَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ " . انظر : مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨) .

قلت : وهو في كلامه هذا يَهرُفُ بما لا يَعرف ، فقد نقل القاضي عياض (٥٤٤هـ) الإجماع على أنَّ البقعة التي ضمَّت جسد الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الكعبة ومن كلِّ بقاع الأرض ، ولم يخالفه فيما قال أحدٌ إلَّا ابن تيمية الذي خالف الإجماع في غير ما مسألة ... وممَّا يُثبت هذا ما قاله العلماء في تأييد ما ذهب إليه القاضي عياض ، فقد نقل الإمام النَّووي قول عياض مقرّاً له ، فقال : " وَنَقَلَ الْقَاضِي

عِيَاضٌ فِي آخِرِ كِتَابِ الْحَجِّ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ إجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّ مَوْضِعَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَرْضِ ، وَأَنَّ الْخِلَافَ فِيمَا سِوَاهُ " . انظر : المجموع شرح المهذب (مع تكملة السُّبكي والمطيعي) (٧/ ٤٧١) .

وقال الإمام ابن كثير : " وقد حكىٰ ذلك عياض السّبتي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه والله أعلم ، ونقل الاتِّفاق علىٰ أنَّ قبره الذي ضمَّ جسده بعد موته أفضل بقاع الأرض .

وقد سبقه إلىٰ حكاية هذا الإجماع القاضي أبو الوليد الباجي ، وابن بطَّال ، وغيرهما ، وأصل ذلك ما روي أنَّه لمَّا مات صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا في موضع دفنه فقيل بالبقيع ، وقيل بمكَّة ، وقيل ببيت المقدس ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنَّ الله لم يقبضه إلَّا في أحبِّ البقاع إليه " . انظر : الفصول في السيرة (ص٢٩٠) .

وما معنىٰ أن يزعم ابن تيمية أنَّ معرفة قبور الأنبياء ، وكذا زيارتها ليس لها فائدة ، فقد قال في " مجموع الفتاوىٰ " (٢٧/ ٤١٦) : " ... وَقَدْ حَصَلَ مَقْصُودُهُمْ وَمَقْصُودُهُ مِنْ السَّلام عَلَيْهِ والصَّلاة عَلَيْهِ فِي مَسْجِدِهِ وَغَيْرِ مَسْجِدِهِ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي إتْيَانِ الْقَبْرِ فَائِدَةٌ لَهُمْ وَلَا لَهُ ، بِخِلَافِ إتْيَانِ مَسْجِدِ قُبَاء ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَهُ كُلَّ سَبْتٍ فَيُصَلُّونَ فِيهِ اتِّبَاعاً لَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِنَّ الصَّلاة فِيهِ كَعُمْرَةِ ، وَيَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الصَّلاة فِي مَسْجِدِهِ يَوْمَ الْجُمْعَةِ إذْ كَانَ أَحَدُ هَذَيْنَ لَا يُغْنِي عَنْ الْآخَرِ ، بَلْ يَحْصُلُ بِهَذَا أَجْرٌ زَائِدٌ . وَكَذَلِكَ إذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إلَىٰ الْبَقِيعِ وَأَهْلِ أُحُدٍ ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ إلَيْهِمْ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو لَهُمْ كَانَ حَسَناً ، لِأَنَّ هَذَا مَصْلَحَةٌ لَا مَفْسَدَةَ فِيهَا ، وَهُمْ لَا يَدْعُونَ لَهُمْ في كلِّ صَلَاةٍ حَتَّىٰ يُقَالَ : هَذَا يُغْنِي عَنْ هَذَا " .

ويُصرِّحُ ابن تيمية بأنَّ السَّفر لزيارة قبر نبيِّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا غيره من الأنبياء والصَّالحين ، غلط ... فيقول في " مجموع الفتاوىٰ " (٢٧/ ٢٤٣) : " ... وَهَذَا ظَنَّ أَنَّ السَّفَرَ إلَىٰ زِيَارَةِ نَبِيِّنَا كَالسَّفَرِ إلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَهُوَ غَلَطٌ مِنْ وُجُوهٍ :

أَحَدُهَا: أَنَّ مَسْجِدَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَالسَّفَرَ إلَيْهِ مَشْرُوعٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ ؛ بِخِلَافِ غَيْرِهِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ زِيَارَتَهُ كَمَا يُزَارُ غَيْرُهُ مُمْتَنِعَةٌ ، وإنَّما يَصِلُ الْإِنْسَانُ إلَىٰ مَسْجِدِهِ وَفِيهِ يَفْعَلُ مَا شُرِعَ لَهُ .

الثَّالِثُ : أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَبْرُ نَبِيِّنَا يُزَارُ كَمَا تُزَارُ الْقُبُورُ لَكَانَ أَهْلُ مَدِينَتِهِ أَحَقَّ النَّاس بِذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ كُلِّ مَدِينَةٍ أَحَقُّ بِزِيَارَةِ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا اتَّفَقَ السَّلف وَأَئِمَّةُ الدِّين عَلَىٰ أَنَّ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لَا يَزُورُونَ قَبْرَهُ ، بَلْ وَلَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ لِلسَّلَامِ إذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَخَرَجُوا . وَإِنْ لَمْ يُسَمَّىٰ هَذَا زِيَارَةً بَلْ يُكْرَهُ لَهُمْ ذَلِكَ

عِنْدَ غَيْرِ السَّفَرِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ مَالِكٌ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ صَدْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَفْعَلُونَهُ : عُلِمَ أَنَّ مَنْ جَعَلَ زِيَارَةَ قَبْرِهِ مَشْرُوعَةً كَزِيَارَةِ قَبْرِ غَيْرِهِ ، فَقَدْ خَالَفَ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ " .

هذا ما قاله ابن تيمية ، وهو كلام خطير لا يقوله إلَّا من كان في قلبه شيء من سيِّد ولد آدم عليه الصَّلاة والسَّلام ، مع أنَّ علماء الأمَّة أجمعوا علىٰ استحباب زيارة قبره الشَّريف بأَبي هو وأُمِّي ، قال القاضي عياض في " الشِّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ" (٢/ ١٩٤) : " وَزِيَارَةُ قَبْرِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فيها " .

ومن الأدلَّة علىٰ استحباب زيارة قبره الشَّريف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من زار قبري وجبت له شفاعتي " . والحديث حسن . قال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " أخرجه الدارقطني في سننه (٢ / ٢٧٨) ، والدولابي في الكنىٰ والأسماء (٢ / ٦٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١ / ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل علىٰ التاريخ (٢ / ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٢٣٥٠) ، والسبكي في شفاء السقام (ص ٢ – ١٤) . جميعهم من طرق عن موسىٰ بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع عن ابن عمر به مرفوعاً . وهذا الإسناد حسن سواء قال موسىٰ بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه عبد الله بن عمر أو عنهما . وقد صحَّحه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السُّبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا ، وآخرون ممَّن تأخروا عنه . وقد أعلَّ هذا الحديث بعللٍ لا يصح منها شيء لكن لا بد من ذكرها ثمَّ الجواب عليها بدون تكلف إن شاء الله تعالىٰ ... انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص ٢٨٠) .

وتشجيعاً من ابن تيمية لأتباعه ومريديه كي يهجروا القبر الشَّريف ، فقد أرشدهم وأفتاهم بأنَّ السَّلام علىٰ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة يُغنِيْ عن الإتيان إلىٰ القبر للسَّلام عليه ، لأنَّ إتيانه بعد الصَّلاة مرَّة بعد مرَّة يُعتبر ذريعة لاتِّخاذه عيداً ووثناً يُعبد من دون الله تعالىٰ !!! وفي ذلك يقول ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٤١٧) : " وَأَمَّا إِتْيَانُ الْقَبْرِ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَقَدْ اسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِالسَّلَام عَلَيْهِ فِي الصَّلاة وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ ، وَفِي إِتْيَانِهِ بَعْد الصَّلاة مَرَّةً بَعْد مَرَّةٍ ذَرِيعَةً إِلَىٰ أَنْ يُتَّخَذَ عِيداً وَوَثَناً " .

ويحضرني في هذا المقام ما قاله أحد طلَّابي من المتمسلفة ، حيث قال : " من فَضْلِ الله عليه أنَّه اعتمر ولم يزُرْ قبر محمَّد " . نعم قبر محمَّد ، ولم يقل : صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الوقت الذي لا ينطقون فيه اسم ابن تيمية إلَّا وينعتونه بشيخ الإسلام ...

فإلىٰ الله المشتكىٰ من قوم حدثــاء الأسنان ، سفهاء الأحــلام ، يقولون من خير قــول البريَّة ، يقتــلون أهل الإسلام ويدعون أهــل الأوثان ، غزيرو اللحيــة ، مقصِّرين الثِّيــاب ، محلِّقيــن الرُّؤوس ، يُحسنون القــيل ويسيئون الفعل ، يدعون إلىٰ كتاب الله وليسوا منه في شيء ...

وفي كلامه السَّابق يزعم ابن تيمية ويفتري أنَّ المؤمنين قد استغنوا !!! عن إتيان القبر للسَّلام عليه بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلاة ، مع أنَّ وفود الحجَّاج والمعتمرين تصلُ في كلِّ عام إلىٰ عشرات الملايين الذين يصرُّون علىٰ تكحيل عيونهم بإثمد رؤية قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم ولن يستغنوا كما زعم وادَّعىٰ ابن تيمية ، ومعه سائر مدَّعي السَّلفيَّة ...

وقال ابن تيمية أيضاً في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٤٤٤) : " وَلَكِنْ لَيْسَ فِي مَعْرِفَةِ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ بِأَعْيَانِهَا فَائِدَةٌ شَرْعِيَّةٌ ، وَلَيْسَ حِفْظُ ذَلِكَ مِنْ الدِّين ، وَلَوْ كَانَ مِنْ الدِّين لَحَفِظَهُ اللَّهُ كَمَا حَفِظَ سَائِرَ الدِّين ، وَذَلِكَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ إنَّما قَصْدُهُ الصَّلاة عِنْدَهَا ، والدُّعاء بِهَا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْبِدَعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا " .

فمن خلال النَّصِّ السَّابق نجد أنَّ ابن تيمية يدعو لشحن النَّاس كي لا يزوروا قبر الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه لا توجد ثمَّة فائدة من الزِّيارة ، لأنَّ الزَّائر لا يقصد بزيارته إلَّا البدع المنهي عنها ، كما أنَّه لا فائدة شرعيَّة أيضاً في معرفة قبور الأنبياء بأعيانها ، وقد سبق له أن اعتبر زيارة قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، بل إنَّ ابن تيمية لم يستحب أن يسكن أحد بجوار قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد قال في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٤٣٤) : " وَلَا اسْتَحَبَّ هُوَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَا عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ أَنْ يُجَاوِرَ أَحَدٌ عِنْدَ قَبْرٍ ، وَلَا يَعْكُفَ عَلَيْهِ ، لَا قَبْرِهِ الْمُكَرَّمِ وَلَا قَبْرِ غَيْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَقْصِدَ السُّكْنَىٰ قَرِيباً مِنْ قَبْرٍ أَيَّ قَبْرٍ كَانَ " .

ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نسوق ما رواه ابن حبَّان وغيره بسندهم عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ، قَالَ : أَتَىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيّاً فَأَكْرَمَهُ ، فقَالَ لَهُ : " ائْتِنَا " ، فَأَتَاهُ ، فقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " سَلْ حَاجَتَكَ " ، قَالَ : نَاقَةٌ نَرْكَبُهَا ، وَأَعْنُزٌ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : " إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فقَالَ : مَا هَذَا ؟ فقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّىٰ نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ : عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ ، فقَالَ : دُلِّينِي عَلَىٰ قَبْرِ يُوسُفَ ،

قَالَتْ : حَتَّىٰ تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكِ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا ... ". أخرجه ابن حبَّان في الصحيح ، (٢/ ٥٠٠ برقم ٧٢٣) ، الهيثمي في موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان (ص٦٠٣ برقم ٢٤٣٥) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ١٧٠ برقم ١٧٣٤٨ ، وقال : وَرِجَالُ أَبِي يَعْلَىٰ رِجَالُ الصَّحِيحِ) .

فالنَّصُّ السَّابق يردُّ علىٰ ما زعمه ابن تيمية من أنَّه لا فائدة في معرفة قبور الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وقد وضَّح النصَّ وبرهن علىٰ أنَّ معرفة عجوز بني إسرائيل لقبر سيِّدنا يوسف عليه السَّلام تكفَّلت بدخولها الجنَّة ، كرامة لها من الله تعالىٰ ...

أمَّا عن عدم استحباب ابن تيمية مجاورة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذه مصيبة وطامَّة ، لأنَّ مجاورة الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ممَّا تشرئب له قلوب محبِّيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الخطيب البغدادي في " تاريخ بغداد" (١/ ٤٤٣) : " حَدَّثَنِي أَبُو يعلىٰ محمَّد بْن الحسين بْن محمَّد بْن الفرَّاء الحنبلي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو طاهر بْن أَبِي بكر ، قَالَ : حكىٰ لي والدي عَنْ رجل كان يختلف إِلَىٰ أَبِي بكر بْن مالك أنَّه قيل له : أين تُحبّ أن تدفن إذا متّ ؟ فقال : بالقطيعة ، وإن عَبْد الله بْن أَحْمَد بْن حَنْبَل مدفون بالقطيعة ، وقيل له ، يَعْنِي لعبد الله ، في ذلك ، قَالَ : وأظنُّه كان أوصىٰ بأن يدفن هناك ، فقَالَ : قد صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة نبيّاً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحبّ إليَّ من أكون في جوار أَبِي " .

ولك أن تستغرب وتتعجَّب معي يا قارئي من تلامذة ابن تيمية ومحبِّيه حين صرَّحوا باستحباب مجاورة وزيارة قبر شيخهم ابن تيمية ، وفي ذلك يقول أحدهم :

قد أودع الْقَبْر الشَّريف علومـــه ... عجبـــاً لوسع الْقَبْر بحراً سَائِلاً
قد كَانَ لَا يحْتَاج طَالب علمه ... كثر السُّؤَال وَلَيْسَ يلقىٰ سَائِلاً
قد كَانَ ركناً فِي المواعظ جملَة ... بحراً عميقـــاً إِن أردْت مسائلاً
وَإِذا رآك يكـــون حَقّاً بادياً ... لَك بِالسَّلَامِ مواردا ومســـائلاً
يَا ربّ فارحمـه وبلّ ثراه بالغيـ ... ـث الْكَرِيم معـــاوداً ومواصلاً
يا ربّ وَافْعل ذَا بِكُـــل موادد ... ومجاور قبر الإِمَام مؤمـــــــلاً
يا ربّ وارحمنـــــا وكلّ مشيع ... صلّىٰ عَلَيْهِ أَو أَتَاهُ مُقبـــــــلاً

انظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص٤٧١) .

وما معنىٰ أن يمنع ابنُ تيمية من الدُّعاء عند القبر الشَّريف ويعتبره بدعة ... قال ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٦/ ١٤٧) : " وَلَا يَقِفُ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلدُّعَاءِ لِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذَا بِدْعَةٌ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابة يَقِفُ عِنْدَهُ يَدْعُو لِنَفْسِهِ " .

وقال ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ١١٠) : " وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ؛ لَا قَبْرِ نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا قَبْرِ الْخَلِيلِ وَلَا غَيْرِهِمَا. وَلِهَذَا ذَكَرَ الْأَئِمَّةُ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ أَنَّ هَذَا بِدْعَةٌ " .

وقال ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ١١٧) : " بَلْ نَصَّ أَئِمَّةُ السَّلف عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُوقَفُ عِنْدَهُ لِلدُّعَاءِ مُطْلَقاً ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ إسْمَاعِيلُ بْنُ إسْحَاقَ فِي " كِتَابِ الْمَبْسُوطِ " ، وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ . قَالَ مَالِكٌ : لَا أَرَىٰ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَدْعُوَ ؛ وَلَكِنْ يُسَلِّمُ وَيَمْضِي " .

وقال ابن تيمية : " قصد القبور للدُّعاء عندها أو لها ، فإنَّ الدُّعاء عند القبور وغيرها من الأماكن ينقسم إلىٰ نوعين :

أحدهما : أن يحصل الدُّعاء في البقعة بحكم الاتِّفاق لا لقصد الدُّعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتَّفق أن يمرّ بالقبور أو من يزورها فيسلِّم عليها ويسأل الله العافية له وللموتىٰ ، كما جاءت به السُّنَّة ، فهذا ونحوه لا بأس به .

الثَّاني : أن يتحرَّىٰ الدُّعاء عندها بحيث يستشعر أنَّ الدُّعاء هناك أجوب منه في غيره ، فهذا النَّوع منهي عنه إمَّا نهي تحريم أو تنزيه ، وهو إلىٰ التَّحريم أقرب " . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٣٣٦-٣٣٧) .

فابن تيمية يزعم فيما نقلنا عنه في النُّصوص السَّابقة أنَّ الوقوف للدُّعاء عند القبر الشَّريف بِدْعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابة يفعل ذلك ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصِدُ الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ، وكذا لم يتحرَّ أحد منهم الدُّعاء عند أيٍّ من قبور الأنبياء ...

هذا ما قاله ابن تيمية ، وكلامه في هذا الباب باطل عاطل ، تردُّه الرِّوايات الصَّريحة الصَّحيحة عن الصَّحابة الكرام ، وأنَّهم فعلوا وتحرَّوا ما اعتبره ابن تيمية بدعة ...

فقد روىٰ مالك وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ ؛ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَىٰ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيُصَلِّي عَلَىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ . أخرجه مالك (٢/ ٢٣١ برقم ٥٧٤) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٥/ ٤٠٣ برقم ١٠٢٧٢) .

وروىٰ الطَّبراني وغيره بسندهم عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ يَدْعُو ، فَجَاءَ مَرْوَانُ فَأَسْمَعَهُ كَلَاماً ، فَقَالَ أُسَامَةُ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٦ برقم ٤٠٥) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤/ ١٠٥ برقم ١٣١٦) .

وروىٰ البيهقي في " شعب الإيمان" (٣/ ٤٩١ برقم ٤١٦٤) بسنده عن عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " رَأَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَتَىٰ قَبْرَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَقَفَ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ افْتَتَحَ الصَّلاة ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ انْصَرَفَ " .

فالنُّصوص الثَّلاثة السَّابقة تبرهن بوضوح علىٰ أنَّ الصَّحابة : عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ، وأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وقفوا عند القبر الشَّريف ودعوا ... فهل هم مُبتدعة يا من تدَّعون السَّلفيَّة زوراً وظلماً وعدواناً ... سبحانك ربِّي هذا بهتان مبين .

وما معنىٰ أن يصرِّح الألباني بأنَّ من البدع المذمومة في زماننا : إبقاء قبر النَّبي في مسجده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . انظر : مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السَّلف وسرد ما ألحق النَّاس بها من البدع (ص٦٠) .

وفي دراسة بعنوان : " عمارة مسجد النَّبي عليه السَّلام ودخول الحُجرات فيه دراسة عقديَّة " ، قدَّمها المدعو الدكتور علي بن عبدالعزيز الشِّبل ، عضو هيئة التَّدريس في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة في الرِّياض ، اقترح فيها نقل قبر سيِّدنا محمَّد "صلَّىٰ الله عليه وسلَّم" ، وحُجراته من حرم المسجد النَّبوي الشَّريف ، لتكون الحُجرة خارج المسجد الذي تتمُّ فيه الصَّلاة حالياً . وطالب فيها بهدم الجدار القبلي العثماني المجيدي ، وتوسيع مقدمة المسجد إلىٰ الجنوب ، كما طالب المومىٰ إليه بتشكيل لجنة متخصِّصة من أهل العلم المعروفين ، لدراسة حاجة المسجد النَّبوي الشَّريف ، وتتبُّع ما فيه من البدع المحدثات ذات الخطر علىٰ الدِّين والعقيدة ، ومن ضمنها أبيات العتبي الشِّعريَّة المكتوبة في محيط الحجرة ، زاعماً أنَّ ذلك لصفاء التَّوحيد !!! ومنعاً للشِّرك والتَّوسُّل والاستغاثة بالرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره وهو ميت .

ونُشرت الدِّراسة المذكورة في المجلَّة العلميَّة المحكمة !!!! الصَّادرة عن مركز البحث العلمي وإحياء التُّراث الإسلامي ، التَّابع للرِّئاسة العامَّة لشئون المسجد الحرام والمسجد النَّبوي . فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم ...

وقال الشَّيخ ابن باز في " مجموع الفتاوىٰ " (١٣/ ٢٣٨) : " ... أمَّا احتجاج بعض الجهلة بوجود قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقبر صاحبيه في مسجده ، فلا حجَّة في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفن في بيته وليس في المسجد ، ودفن معه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولكن لمَّا وسَّع الوليد بن عبد الملك بن مروان المسجد أدخل البيت في المسجد ؛ بسبب التَّوسعة ، وغلط في هذا ، وكان الواجب أن لا يدخله في المسجد ؛ حتىٰ لا يحتج الجهلة وأشباههم بذلك ، وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يقتدىٰ به في هذا ، ولا يظن ظانٌّ أنَّ هذا من جنس البناء علىٰ القبور أو اتِّخاذها مساجد ؛ لأنَّ هذا بيت مستقل أدخل في المسجد ؛ للحاجة للتَّوسعة ، وهذا من جنس المقبرة التي أمام المسجد مفصولة عن المسجد لا تضرُّه ، وهكذا قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفصول بجدار وقضبان . وينبغي للمسلم أن يبيِّن لإخوانه هذا ؛ حتىٰ لا يغلطوا في هذه المسألة . والله وليُّ التَّوفيق " .

وجاء في " فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب" (٢/ ٢٣٢) : " س : قال الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ألا إنَّ من كان قبلكم كانوا يتَّخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتَّخذوا القبور مساجد ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك " . وله أحاديث تنهىٰ عن بناء المساجد علىٰ القبور ، فإذا وجد القبر ، فعلينا التَّسوية ، والمسجد النَّبوي أسأل الله أن يطعمني زيارته ، ولكن من زار المسجد النَّبوي ، وجد أنَّ قبر النَّبي بارز غير مسوَّىٰ مع الأرض ، ويصلِّي عليه أحياناً ، أنا أسأل مع السَّائلين هل هناك رخصة لقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط ، وهذا غير وارد . أفتونا جزاكم الله خيراً ؟

ج : النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفن في بيته ، والصَّحابة رأوا دفنه في البيت حتىٰ لا يتَّخذ قبره مسجداً ، هذا هو الأصل لكن لمَّا وسَّع أمير المؤمنين في وقته الوليد بن عبد الملك في المائة الأولىٰ مسجد الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدخل الحجرة في المسجد ، ومن ذلك الوقت دخلت في المسجد ، وإلَّا فهو مدفون في بيته عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلا حجَّة فيه لأحد من النَّاس ؛ لأنه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يدفن في المسجد ، وإنَّما دُفن في بيته ، ودخلت الحجرة برمَّتها في التَّوسعة .

أمَّا النَّاس فلا يجوز لهم أن يدفنوا في المساجد ، والرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن من فعل ذلك ، قال : " لعن الله اليهود والنَّصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ، فلا يجوز الدَّفن في المساجد ، ولا يجوز بناء مساجد علىٰ القبور ، فكلُّ هذا منكر ، لعن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعله ، والواجب الحذر من ذلك ، أمَّا قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يدفن في المسجد ، بل دفن في بيته ، ولكن عند التَّوسعة أدخل البيت في المسجد ، وكان هذا من أخطاء الوليد عفا الله عنه " .

قلت : لقد اشتمل كلام ابن باز على ألوان من التَّدليس والمراوغة وعدم المصداقيَّة ، وإليك البيان :

أمَّا زعمه بأنَّ من أَمَرَ بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الوليد بن عبد الملك فكذبٌ صُراح ، لأنَّ التَّاريخ يشهد بأنَّ من قام بضمِّ القبر للمسجد إنَّما هو الخليفة الرَّاشد الخامس عمر بن عبد العزيز ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ...قال الإمام الذَّهبي في " سير أعلام النُّبلاء" (٥/ ١١٤-١١٥) في ترجمته له : " الإِمَامُ ، الحَافِظُ ، العلَّامة ، المُجْتَهِدُ ، الزَّاهِدُ ، العَابِدُ ، السيِّد ، أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ حَقّاً ، أَبُو حَفْصٍ القُرَشِيُّ ، الأُمَوِيُّ ، المَدَنِيُّ ، ثمَّ المِصْرِيُّ ، الخَلِيْفَةُ ، الزَّاهِدُ ، الرَّاشِدُ ، ... وَكَانَ مِنْ أَئِمَّةِ الاجْتِهَادِ ... وَكَانَ ثِقَةً ، مَأْمُوْناً ، لَهُ فِقْهٌ وَعِلْمٌ وَوَرَعٌ ، وَرَوَى حَدِيْثاً كَثِيْراً ، وَكَانَ إِمَامَ عَدْلٍ – رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ " .

قال الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ) في " البداية والنِّهاية" (٩/ ٨٩) : " ... وَذَكَرَ ابن جرير : أَنَّه فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ قَدِمَ كِتَابُ الْوَلِيدِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز يَأْمُرُهُ بِهَدْمِ الْمَسْجِدِ النَّبوي وَإِضَافَةِ حُجَرِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّ يُوَسِّعَهُ مِنْ قِبْلَتِهِ وَسَائِرِ نَوَاحِيهِ ، حَتَّى يَكُونَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ فِي مِائَتَيْ ذِرَاعٍ ، فَمَنْ باعك ملكه فاشتره مِنْهُ وَإِلَّا فقوِّمه لَهُ قِيمَةَ عَدْلٍ ثمَّ اهدمه وَادْفَعْ إِلَيْهِمْ أَثْمَانَ بُيُوتِهِمْ ، فَإِنَّ لَكَ فِي ذَلِكَ سَلَفَ صِدْقٍ عُمَرَ وَعُثْمَانَ .

فَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وُجُوهَ النَّاس وَالْفُقَهَاءَ الْعَشَرَةَ وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الْوَلِيدِ ... فَعِنْدَ ذَلِكَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ الْعَشَرَةُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَأْمُرُهُ بِالْخَرَابِ وَبِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَى مَا ذَكَرَ، وَأَنْ يُعَلِّيَ سُقُوفَهُ . فَلَمْ يَجِدْ عُمَرُ بُدّاً مِنْ هَدْمِهَا ، ... فَأَدْخَلَ فِيهِ الْحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ – حُجْرَةَ عَائِشَةَ – فَدَخَلَ الْقَبْرُ فِي الْمَسْجِدِ .. " .

فعمر بن عبد العزيز هو من أَدْخَلَ القبرَ في المسجد ، وليس الوليد بن عبد الملك ، ولو كان فيه محذور لما أطاع هو ومن معه من الفقهاء أمرَ الوليد بن عبد الملك ، لأنَّه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق . مع أنَّ ابن باز – كما جاء في كلامه – يجعل الأمر غلطاً ممَّن قام بعمليَّة ضمِّ القبر للمسجد ، وهذا الكلام يدلُّ دلالة واضحة على أنَّ من حضر من العلماء الذين استشارهم سيِّدنا عمر بن عبد العزيز من الفقهاء والعلماء ما كانوا يفهمون التَّوحيد ، حتى جاء ابن باز ليعلمهم الخطأ من الصَّواب ، وأنَّهم فيما صنعوا قد ضلُّوا السَّبيل ...

ومن المعلوم يقيناً أنَّ الخليفة الرَّاشد عمر بن عبد العزيز ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، واستشارهم ، وكان لا يقطع أمراً ، ولا يصدرُ إلَّا عن أمرهم ونُصحهم ، قال الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية" (٩/ ٢١٩) : " وَبَنَى فِي مُدَّةِ وِلَايَتِهِ هَذِهِ مَسْجِدَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَسَّعَهُ

عَنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ لَهُ بِذَلِكَ ، فَدَخَلَ فِيهِ قَبْرُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مِنْ أَحْسَنِ النَّاس مُعَاشَرَةً ، وَأَعْدَلِهِمْ سِيرَةً ، كَانَ إِذَا وَقَعَ لَهُ أَمْرٌ مُشْكِلٌ جَمَعَ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ عَيَّنَ عَشَرَةً مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَا يَقْطَعُ أَمْراً بِدُونِهِمْ أَوْ مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عُرْوَةُ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، وأبو بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، وأبو بكر بن سليمان بن خَيْثَمَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، وَالْقَاسِمُ بْنُ محمَّد بن حزم ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ . وَكَانَ لَا يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ... " .

فهؤلاء هم العلماء الذين وافقوا عمر بن عبد العزيز علىٰ ضمِّ القبر الشَّريف إلىٰ المسجد ...

ويُضاف لما سبق : أنَّ الفترة التي أُدخل فيها القبر الشَّريف إلىٰ المسجد كانت ما بين عامي (٨٨هـ-٩١هـ) ، وهي فترة كان فيها بعض الصَّحابة الكرام رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين ، مثل : سهل بن سعد ، قال ابن عبد البر في " الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٢/ ٦٦٤) : " وَاختلف في وقت وفاة سهل بن سعد . فقيل : توفِّي سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن ست وتسعين سنة . وقيل : توفِّي سنة إحدىٰ وتسعين ، وقد بلغ مائة سنة ".

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل أنس بن مالك ، : قال ابن كثير في " البداية والنهاية" (٩/ ٩٢) : " وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي سَنَةِ وَفَاتِهِ ، فَقِيلَ : سَنَةَ تِسْعِينَ ، وَقِيلَ : إِحْدَىٰ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثِنْتَيْنِ وَتِسْعِينَ ، وَقِيلَ : ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن ثعلبة بْن صغير ، قال ابن عبد البر في ترجمته في " الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٣/ ٨٧٦) :" وتوفِّي سنة تسع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وتسعين . وقيل : سنة سبع وثمانين ، وَهُوَ ابْن ثلاث وثمانين " .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بْن عَبْد اللَّهِ بْن وهب بْن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور بن عفير الكندي . قال ابن عبد البرّ في ترجمته في " الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٤/ ١٤٨٢) : " مات سنة سبع وثمانين " .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل عبد الله بْن بسر المازني . قال ابن عبد البرّ في ترجمته في "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" (٣/ ٨٧٤) : " مات بالشَّام سنة ثمانين " .

وعاش في تلك الفترة أيضاً : الصَّحابي الجليل يوسف بن عبد الله بن سلام . قال ابن عساكر في " تاريخ دمشق" (٧٤/ ٢٤٤) : " قال خليفة بن خيَّاط : توفِّي في خلافة عمر بن عبد العزيز " .

وعاش فيها أيضاً الصَّحابي الجليل أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، قال ابن عبد البرّ في ": الاستيعاب" (٢/٧٩٨) : " ومات سنة مائة أو نحوها . ويقَالَ : إنَّه آخر من مات ممَّن رأىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

ولـم نعلم لهؤلاء الصَّحابة الكرام نكيراً لـما صنع عمر بن عبد العزيز من إدخال القبر إلىٰ المسجد .

وأمَّا إنكار ابن المسيّب لهدم حجرات الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم يكن إنكاره لذات الإدخال ، بل كان لسبب آخر ذكره صاحب " الطَّبقات الكبرىٰ" (١/٣٨٧) ، قال : " سَمِعْتُ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ يَقُولُ وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ : أَدْرَكْتُ حُجَرَ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ عَلَىٰ أَبْوَابِهَا الْمُسُوحُ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فَحَضَرْتُ كِتَابَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يُقْرَأُ يَأْمُرُ بِإِدْخَالِ حُجَرِ أَزْوَاجِ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا رَأَيْتُ أَكْثَرَ بَاكِياً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قَالَ عَطَاءٌ : فَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا عَلَىٰ حَالِهَا يَنْشَأُ نَاشِئٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْدَمُ الْقَادِمُ مِنَ الأُفُقِ فَيَرَىٰ مَا اكْتَفَىٰ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي حَيَاتِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا يُزَهِّدُ النَّاس فِي التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ " .

فسعيد بن المسيّب عليه رحمة الله تعالىٰ ما أنكر إدخال القبر إلىٰ المسجد ، وإنَّما كان يرىٰ إبقاء حجرات الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كي تكون سبيلاً للزُّهد والتَّقلُّل من الدُّنيا وزينتها ، مع العلم أنَّ من يزعمون السَّلفيَّة لم يُبقوا علىٰ أي أثر من آثار الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكذا آثار الصَّحابة الكرام الذين أداروا ظهورهم للدُّنيا زاهدين متقلِّلين ، في الوقت الذي نرىٰ فيه من يدَّعون السَّلفيَّة في بحار الدُّنيا المتلاطمة يسبحون ، وفي تغيير الشَّكل لأجل الأكل يُبدعون ...

فمن يكون ابن باز إذا وُضع معهم ؟!!! وإنَّني والله أقسم بالله العظيم غير حانث أنَّه لولا الدَّعم المالي والإعلامي منقطع النَّظير لعاش ابن باز وابن عثيمين ووو... ولم يسمع بهم أحد من العالمين ... ولله في خلقه شؤون .

من جهة أخرىٰ فإنَّ الدَّفن في المسجد لا يتعلَّق أبداً بسيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل شاركه في ذلك العديد من إخوانه الأنبياء ، فقد ذكر أهل العلم أنَّ جمعاً من الأنبياء مدفونون في بيت الله الحرام ، قال الإمام أبو الوليد محمَّد بن عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغسَّاني المكي المعروف بالأزرقي (٢٥٠هـ) في " أخبار مكَّة وما جاء فيها من الأثار" (١/٦٨) : " حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحمن بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَىٰ بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ

السَّائِبِ ، عَنْ محمَّد بْنِ سَابِطٍ، عَنِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ فَيَتَعَبَّدُ فِيهَا النَّبي ، وَمَنْ مَعَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ فِيهِ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورُهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحَجَرِ " .

وقال الإمام الأزرقي أيضاً في " أخبار مكَّة وما جاء فيها من الأثار" (٢/ ١٣٣) : " قَالَ محمَّد بْنُ سَابِطٍ : كَانَ النَّبي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا هَلَكَتْ أُمَّتُهُ لَحِقَ بِمَكَّةَ ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا النَّبي وَمَنْ مَعَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ ، فَمَاتَ بِهَا نُوحٌ ، وَهُودٌ ، وَصَالِحٌ ، وَشُعَيْبٌ ، وَقُبُورَهُمْ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالْحِجْرِ . حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ أَبِي الْمَهْدِيِّ ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سُلَيْمٍ ، عَنْ أَبِي خَيْثَمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ سَابِطٍ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ضَمْرَةَ السَّلُولِيَّ ، يَقُولُ : مَا بَيْنَ الرُّكْنِ إِلَىٰ الْمَقَامِ إِلَىٰ زَمْزَمَ إِلَىٰ الْحِجْرِ قَبْرُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ نَبِيّاً ، جَاءُوا حُجَّاجاً فَقُبِرُوا هُنَالِكَ ، فَتِلْكَ قُبُورُهُمْ غَوْرُ الْكَعْبَةِ " .

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَالِمٌ الْأَفْطَسُ ، قَالَ : مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَيَهْرَبُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ يَعْبُدُ رَبَّهَا ، وَإِنَّ حَوْلَهَا لَقُبُورَ ثَلَاثِمِائَةِ نَبِيٍّ " . انظر : الآثار (٢/ ٢٩٠ برقم ٢٦٥)

وقال الإمام محمَّد بن الحسن الشَّيباني : " أَخْبَرَنَا أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ ، قَالَ : قَبْرُ هُودٍ وَصَالِحٍ وَشُعَيْبٍ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَام " . انظر : الآثار (٢/ ٢٩٢ برقم ٢٦٦) .

وقد أخبر الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ " فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ قَبْرُ سَبْعِينَ نَبِيّاً " . أخرجه الفاكهي في أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه (٤/ ٢٣٧ برقم ٢٥٩٤) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤١٤ برقم ١٣٥٢٥) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣/ ٢٩٧ برقم ٥٧٦٩ ، وقال : رَوَاهُ الْبَزَّارُ ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ) .

أمَّا ما زعمه ابن باز في قوله : " ... وقد أنكر عليه أهل العلم ذلك ، فلا يجوز أن يُقتدىٰ به في هذا " . فهذا محض كذب وافتراء ... وقد تقدَّم ما قاله ابن كثير من جمعِ عمر بن عبد العزيز العلماء والفقهاء ، وأنَّه استشارهم في المسألة حتىٰ صدروا علىٰ رأي واحد ، وهو تنفيذ ما أمر به الوليد بن عبد الملك من زيادة مساحة مسجد الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضمِّ القبر الشَّريف إلىٰ المسجد ... ولم يخالف في ذلك أحد ، فكان إجماعاً ...

فكيف سكت علماء الأمَّة قروناً طويلة علىٰ وجود ما ذكره مدَّعو السَّلفيَّة من المظاهر الوثنيَّة في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أليس الأجدر بعلماء الأمَّة أن ينبِّهوا إلىٰ هذه المسألة الخطيرة ، وأن يعملوا علىٰ إزالتها من قديم الزَّمان ؟!!! أم أنَّ التَّوحيد لا يعلمه إلَّا من نسبوا أنفسهم زوراً وبهتاناً إلىٰ

السَّلف ؟!!! ألا يعتبر السَّابقون سلفاً لمن طالبوا بإزالة المظاهر الشِّركيَّة الوثنيَّة من مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ !!! ألا يُعتبر زمان سيِّدنا عمر بن عبد العزيز زمن السَّلف ؟!!! أليس هو من قام بضمِّ القبر الشَّريف للمسجد ؟!!! والضمُّ كان بموافقة من حضر في ذلك الزَّمان من جهابيذ العلماء وأساطينهم ...

ويستمرُّ مسلسل ابن تيمية بحقِّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنَّه يصف من صلَّىٰ في بيت لحم حيث وُلد المسيح عليه السَّلام بالضَالُّ الخَارِجُ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ويُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ ، فيقول في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ١٤) : " وَأَمَّا زِيَارَةُ " مَعَابِدِ الْكُفَّارِ " مِثْلَ الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّىٰ " بِالْقُمَامَةِ " أَوْ " بَيْتِ لَحْمٍ " أَوْ " صَهْيُون " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ مِثْلُ " كَنَائِسِ النَّصَارَىٰ " فَمَنْهِيٌّ عَنْهَا . فَمَنْ زَارَ مَكَاناً مِنْ هَذِهِ الْأَمْكِنَةِ مُعْتَقِداً أَنَّ زِيَارَتَهُ مُسْتَحَبَّةٌ وَالْعِبَادَةَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ الْعِبَادَةِ فِي بَيْتِهِ : فَهُوَ ضَالٌّ خَارِجٌ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ " .

مع أنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّىٰ في بيت لحم أثناء رحلة الإسراء والمعراج ، فقد روىٰ البزَّار بسنده عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ أُسْرِيَ بِكَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِكَ ؟ قَالَ : "صَلَّيْتُ لِأَصْحَابِي صَلَاةَ الْعَتَمَةِ بِمَكَّةَ مُعْتِماً ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، فَقَالَ : ارْكَبْ ، فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيَّ ، فَأَدَارَهَا بِأُذُنِهَا حَتَّىٰ حَمَلَتْنِي عَلَيْهَا ، فَانْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ أَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، ثمَّ قَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أتدري أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ ، ثمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، حَتَّىٰ بَلَغْنَا أَرْضاً بَيْضَاءَ ، فَقَالَ لِي : انْزِلْ فَنَزَلْتَ ، ثمَّ قَالَ لِي : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فقَالَ : تَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ صَلَّيْت عِنْدَ شَجَرَةِ مُوسَىٰ ، ثمَّ انْطَلَقَتْ تَهْوِي بِنَا تَضَعُ حَافِرَهَا أَوْ يَقَعُ حَافِرَهَا حَيْثُ أَدْرَكَ طَرَفُهَا ، ثمَّ ارْتَفَعْنَا ، فَقَالَ : انْزِلْ فَنَزَلْتُ ، فَقَالَ : صَلِّ فَصَلَّيْتُ ثمَّ رَكِبْنَا ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : صَلَّيْت بِبَيْتِ لَحْمٍ حَيْثُ وُلِدَ الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ ... " . أخرجه البزار في المسند (٨/ ٤٠٩ برقم ٣٤٨٤) .

وزعم ابن تيمية أنَّ من سلَّم علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند قبره ، ثمَّ سمع ردَّ السَّلام عليه من القبر ، فإنَّ الشَّيطان هو من ردَّ عليه ...

قال ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٣٨٧-٣٨٨) : " ... وَكَانَ أَصْحَابُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ وَهُمْ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِسُنَّتِهِ وَأَطْوَعُ الْأُمَّةِ لِأَمْرِهِ ، وَكَانُوا إذَا دَخَلُوا إلَىٰ مَسْجِدِهِ لَا يَذْهَبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إلَىٰ قَبْرِهِ لَا مِنْ دَاخِلِ

الْحُجْرَةِ وَلَا مِنْ خَارِجِهَا . وَكَانَتْ الْحُجْرَةُ فِي زَمَانِهِمْ يُدْخَلُ إلَيْهَا مِنْ الْبَابِ إذْ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيهَا . وَبَعْدَ ذَلِكَ إلَى أَنْ بُنِيَ الْحَائِطُ الْآخَرُ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ التَّمَكُّنِ مِنْ الْوُصُولِ إلَى قَبْرِهِ لَا يَدْخُلُونَ إلَيْهِ ؛ لَا لِسَلَامِ وَلَا لِصَلَاةِ عَلَيْهِ وَلَا لِدُعَاءِ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِسُؤَالِ عَنْ حَدِيثٍ أَوْ عِلْمٍ وَلَا كَانَ الشَّيْطَانُ يَطْمَعُ فِيهِمْ حَتَّى يُسْمِعَهُمْ كَلَاماً أَوْ سَلَاماً فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ كَلَّمَهُمْ وَأَفْتَاهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ الْأَحَادِيثَ أَوْ أَنَّهُ قَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ السَّلام بِصَوْتِ يُسْمَعُ مِنْ خَارِجٍ كَمَا طَمِعَ الشَّيْطَانُ فِي غَيْرِهِمْ فَأَضَلَّهُمْ عِنْدَ قَبْرِهِ وَقَبْرِ غَيْرِهِ : حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَ الْقَبْرِ يُحَدِّثُهُمْ وَيُفْتِيهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي الظَّاهِرِ وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ الْقَبْرِ وَيَرَوْنَهُ خَارِجاً مِنْ الْقَبْرِ ... " .

مع أنَّ ابن تيمية ذكر في فتاويه أنَّ سعيد بن المسيِّب كان يسمع الأذان من قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيَّام الحرَّة ، فقال في " مجموع الفتاوىٰ" (١١/ ١٨٠-٢٨١) : " وَكَانَ " سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ " فِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ يَسْمَعُ الْأَذَانَ مِنْ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْقَاتَ الصَّلَوَاتِ وَكَانَ الْمَسْجِدُ قَدْ خَلَا فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُهُ " .

وقد ذكر ذلك مُقِرّاً ، حيث لم يتعقَّبه بشيء ... وهذا من تناقضاته ، وما أكثرها ...

وأنكر ابن تيمية رؤية الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقظة ، فقال في " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٣/٣٤٨) : " وَقَدْ يَرَىٰ أَحَدُهُمْ فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَقُولُ لَهُ : أَنَا الْخَلِيلُ ، أَوْ أَنَا مُوسَىٰ ، أَوْ أَنَا الْمَسِيحُ ، أَو محمَّد ، أَوْ أَنَا فُلَانٌ لِبَعْضِ الصَّحابة ، أَوِ الْحَوَارِيِّينَ ، وَيَرَاهُ طَائِراً فِي الْهَوَاءِ ، وإِنَّما يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، وَلَا تَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ مِثْلَ صُورَةِ ذَلِكَ الشَّخْصِ .

وَقَدْ قَالَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقّاً فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي " ، فَرُؤْيَتُهُ فِي الْمَنَامِ حَقٌّ ، وَأَمَّا فِي الْيَقَظَةِ فَلَا يُرَىٰ بِالْعَيْنِ هُوَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْمَوْتَىٰ ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاس قَدْ يَرَىٰ فِي الْيَقَظَةِ مَنْ يَظُنُّهُ نَبِيّاً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، إِمَّا عِنْدَ قَبْرِهِ وَإِمَّا عِنْدَ غَيْرِ قَبْرِهِ .

وَقَدْ يَرَىٰ الْقَبْرَ انْشَقَّ ، وَخَرَجَ مِنْهُ صُورَةُ إِنْسَانٍ ، فَيَظُنُّ أَنَّ الْمَيِّتَ نَفْسَهُ خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ ، أَوْ أَنَّ رُوحَهُ تَجَسَّدَتْ وَخَرَجَتْ مِنَ الْقَبْرِ ، وإِنَّما ذَلِكَ جِنِّيٌّ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ لِيُضِلَّ ذَلِكَ الرَّائِيَ ... " .

وكلام ابن تيمية هذا مناقض لما جاء في البخاري (٩/ ٣٣ برقم ٦٩٩٣) من قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي " .

ومن الأدلَّة علىٰ جواز رؤية الرُّسل يقظة : ما روي عَنِ ابْنِ عبَّاس ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ ، فَقَالَ : " أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟ " فَقَالُوا : هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ ، قَالَ : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ

السَّلام هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ " ، ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ هَرْشَىٰ ، فَقَالَ : " أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ ؟ " قَالُوا : ثَنِيَّةُ هَرْشَىٰ ، قَالَ : " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلام عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ وَهُوَ يُلَبِّي " . أخرجه مسلم (١/ ١٥٢ برقم ١٦٦) .

ومن الأدلَّة أيضاً : ما رواه الحاكم والطَّبراني بِسَنَدِهِمَا عَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَرِيبَةٌ مِنْهُ إِذْ رَدَّ السَّلام ثمَّ قَالَ : " يَا أَسْمَاءُ ، هَذَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ سَلَّمُوا عَلَيْنَا فَرُدِّي عَلَيْهِمُ السَّلام " ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا قَبْلَ مَمَرِّهِ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ ، فَقَالَ : لَقِيتُ الْمُشْرِكِينَ فَأُصِبْتُ فِي جَسَدِي مِنْ مَقَادِيمِي ثَلَاثاً وَسَبْعِينَ بَيْنَ رَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ ، ثمَّ أَخَذْتُ اللِّوَاءَ بِيَدِي الْيُمْنَىٰ فَقُطِعَتْ ، ثمَّ أَخَذْتُ بِيَدِي الْيُسْرَىٰ فَقُطِعَتْ ، فَعَوَّضَنِي اللَّهُ مِنْ يَدِي جَنَاحَيْنِ أَطِيرُ بِهِمَا مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ أَنْزِلُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُ ، وَآكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا مَا شِئْتُ ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ : هَنِيئاً لِجَعْفَرٍ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ لَا يُصَدِّقُ النَّاس ، فَاصْعَدِ الْمِنْبَرَ فَأَخْبِرْ بِهِ ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ثمَّ قَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاس ، إِنَّ جَعْفَراً مَعَ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ لَهُ جَنَاحَانِ عَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيَّ " ثمَّ أَخْبَرَهُمْ كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ حَيْثُ لَقِيَ الْمُشْرِكِينَ ، فَاسْتَبَانَ لِلنَّاسِ بَعْدَ الْيَوْمِ الَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَعْفَراً لَقِيَهُمْ ؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ ". أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٣/ ٢٣٢ برقم ٤٩٣٧ ، واللفظ له) ، الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٨٧ برقم ٦٩٣٦) .

وروىٰ الحاكم أيضاً بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَرَّ بِي جَعْفَرٌ اللَّيْلَةَ فِي مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ مُخَضَّبُ الْجَنَاحَيْنِ بِالدَّمِ أَبْيَضُ الْفُؤَادِ " . أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٣/ ٢٣٤ برقم ٤٩٤٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) .

فإذا كان جعفر بن أبي طالب ، وهو بلا شكٍّ أدنىٰ مرتبة ومنزلة من سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء إلىٰ عالم الدُّنيا ، ورآه من هو فيها ، فرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولىٰ منه بذلك ، مع التَّأكيد هنا علىٰ أَنَّ المَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحْضٍ وَلَا فَنَاءٍ صِرْف وإنَّما هوَ انتقَالٌ من عالمِ الدُّنيا إلىٰ عالم البرزخ ، وقد توسَّعت في هذه المسألة في كتابي " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ....

وقد أكَّد علىٰ ذلك طائفة طيِّبة من علماء الأمَّة الذين نصُّوا علىٰ جواز وإمكانيَّة رؤيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنيا يقظة .

قال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) في " المنقذ من الضَّلال" (ص١٧٨-١٧٩) في كلامه عن الصُّوفيَّة : " ... ومن أوَّل الطَّريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات ، حتىٰ أنَّهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد . ثمَّ يترقَّىٰ الحال من مشاهدة الصُّور والأمثال ، إلىٰ درجات يضيق عنها النُّطق ، فلا يحاول معبِّر أن يعبِّر عنها إلَّا اشتمل لفظه علىٰ خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه " .

وجاء في " الفتاوىٰ الحديثيَّة (ص٣٩٢-٣٩٤) " للإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٤هـ) : " وَسُئِلَ نفع الله بِه : هَل تمكن رُؤْيَة النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَة ، فَأجَاب بقوله : أنكر ذَلِك جمَاعَة ، وَجوَّزهُ آخَرُونَ ، وَهُوَ الْحق ، فقد أخبر بذلك من لا يُتَّهم من الصَّالِحين ، بل اسْتدلَّ بِحَدِيث البُخَارِيّ : " من رَآنِي فِي الْمَنَام فسيراني فِي الْيَقَظَة " ، أَي : بعيني رَأسه . وَقيل : بِعَين قلبه ، وَاحْتِمَال إِرَادَة الْقِيَامَة بعيد من لفظ : " الْيَقَظَة " علىٰ أَنَّه لَا فَائِدَة فِي التَّقْيِيد حِينَئِذٍ ، لِأَنَّ أُمَّته كلّهم يرونه يَوْم الْقِيَامَة ، من رَآهُ فِي الْمَنَام ، وَمن لم يره فِي الْمَنَام .

وَفِي شرح ابْن أبي جَمْرَة للأحاديث الَّتِي انتقاها من البُخَارِيّ تَرْجِيح بَقَاء الحَدِيث علىٰ عُمُومه فِي حَيَاته ومماته لمن لَهُ أَهْلِيَّة الاِتِّبَاع للسُّنَّة وَلغيره ، قَالَ : وَمن يدَّعي الْخُصُوص بِغَيْر تَخْصِيص مِنْهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقد تعسَّف ، ثمَّ أَلزم مُنكر ذَلِك بِأَنَّهُ غير مُصدِّق بقول الصَّادِق ، وَبِأَنَّهُ جَاهِل بقدرة الْقَادِر ، وَبِأَنَّهُ مُنكر لكرامات الْأَوْلِيَاء مَعَ ثُبُوتهَا بدلائل السُّنَّة الْوَاضِحَة .

وَمرَاده بِعُمُوم ذَلِك : وُقُوع رُؤْيَة الْيَقَظَة الْمَوْعُود بهَا لمن رَآهُ فِي النّوم وَلَو مرَّة وَاحِدَة تَحْقِيقاً لوعده الشَّرِيف الَّذِي لَا يخلف . وَأكْثر مَا يَقع ذَلِك للعامَّة قبل الْمَوْت عِنْد الاحتضار ، فَلَا تخرج روحه من جسده حَتَّىٰ يرَاهُ وَفَاء بوعده ، وَأمَّا غَيرهم فَيحصل لَهُم ذَلِك قبل ذَلِك بقلَّة أَو بِكَثْرَة بِحَسب تأهُّلهم وتعلُّقهم واتِّباعهم للسُّنَّة إِذْ الْإِخْلَال بهَا مَانع كَبِير .

وَفِي صَحِيح مُسلم عَن عمرَان بن حُصَيْن رَضِي الله عَنهُ : أَنَّ الْمَلَائِكَة كَانَت تسلم عَلَيْهِ إِكْرَاماً لَهُ لِصَبْرِهِ علىٰ أَلم البواسير ، فَلَمَّا كواها انْقَطع سَلام الْمَلَائِكَة عَنهُ ، فَلَمَّا ترك الكي ، أَي : برِئ كَمَا فِي رِوَايَة صَحِيحَة عَاد سلامهم عَلَيْهِ لكَون الكي خلاف السُّنَّة ، منع تسليمهم عَلَيْهِ مَعَ شدَّة الضَّرُورَة إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يقْدَح فِي التَّوَكُّل وَالتَّسْلِيم وَالصَّبْر .

وَفِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ : كَانَت الْمَلَائِكَة تصافحه ، فَلَمَّا كوىٰ تنحَّت عَنهُ . وَفِي كتاب " المنقذ من الضَّلَالَة " لحجَّة الْإِسْلَام بعد مدح الصُّوفيَّة وَبَيَان أَنَّهم خير الْخلق : حَتَّىٰ أَنَّهم وهم فِي يقظتهم يشاهدون الْمَلَائِكَة وأرواح الْأَنْبيَاء ، ويسمعون مِنْهُم أصواتاً ، ويقتبسون مِنْهُم فَوَائِد ، ثمَّ يترقَّىٰ الْحَال من مُشَاهدَة الصُّور والأمثال إِلَىٰ دَرَجَات يضيق عَنْهَا نطاق النَّاطِق .

وَقَالَ تِلْمِيذه أَبُو بكر بن الْعَرَبِيّ الْمَالِكِي : ورؤية الْأَنْبِيَاء وَالْمَلَائِكَة وَسَمَاع كَلَامهم مُمكن لِلْمُؤمنِ كَرَامَة ، وللكافر عُقُوبَة .

وَفِي الْمدْخل لِابْنِ الْحَاج الْمَالِكِي : رُؤْيَته – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْيَقَظَة بَاب ضيق ، وَقلَّ من يَقع لَهُ ذَلِك إِلَّا من كَانَ علىٰ صفة عَزِيز وجودهَا فِي هَذَا الزَّمَان ، بل عدمت غَالِباً ، مَعَ أَنَّنا لَا ننكر من يَقع لَهُ هَذَا من الأكابر الَّذين حفظهم الله تَعَالَىٰ فِي ظواهرهم وبواطنهم . قَالَ : وَقد أنكر بعض عُلَمَاء الظَّاهِر ذَلِك محتجاً بِأَنَّ الْعين الفانية لَا ترىٰ الْعين الْبَاقِيَة ، وَهُوَ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي دَار الْبَقَاء ، والرَّائي فِي دَار الفناء ورد بِأَنَّ الْمُؤمن إِذا مَاتَ يرىٰ الله وَهُوَ لَا يَمُوت وَالْوَاحد مِنْهُم يَمُوت في كلِّ يَوْم سبعين مرَّة .

وَأَشَارَ الْبَيْهَقِيّ إِلَىٰ ردِّه بِأَنَّ نَبينَا – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رآىٰ جمَاعَة من الْأَنْبِيَاء لَيْلَة الْمِعْرَاج . وَقَالَ الْبَارِزِيّ : وَقد سمع من جمَاعَة من الْأَوْلِيَاء فِي زَمَاننَا وَقبله أَنهم رَأَوْا النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة حَياً بعد وفاقه .

وَنقل اليافعي وَغَيره عَن الشَّيخ الْكَبِير أبي عبد الله الْقرشِي أَنَّه وَقع بِمصْر غلاء كَبِير فَتوجَّه للدُّعَاء بِرَفْعِهِ ، فَقيل : لَا تدع فَلَا يسمع لأحد مِنْكُم فِي هَذَا الْأَمر دُعَاء فسافرت إِلَىٰ الشَّام ، فَلَمَّا وصلت إِلَىٰ قريب ضريح الْخَلِيل عَلَيْهِ وعَلىٰ نَبينَا أفضل الصَّلاة والسَّلام تَلقَّانِي ، فَقلت : يَا رَسُول الله اجْعَل ضيافتي عِنْدك الدُّعاء لأهل مصر ، فَدَعَا لَهُم فَفرج الله عَنْهُم . فَقَالَ اليافعي : فَقَوله : " تلقَّانِي الْخَلِيل " قَول حقّ لَا يُنكره إِلَّا جَاهِل بِمَعْرِفَة مَا يرد عَلَيْهِم من الْأَحْوَال الَّتِي يشاهدون فِيهَا ملكوت السَّمَوَات وَالْأَرْض ، وَيَنْظُرُونَ الْأَنبِيَاء أَحيَاء غير أموات ، كَمَا نظر النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَىٰ جمَاعَة من الْأَنبِيَاء فِي السَّمَاء ، وَسمع خطابهم .

وَقد تقرَّر أَنَّ مَا جَازَ للأنبياء معْجزَة جَازَ للأولياء كَرَامَة ، بِشَرْط عدم التَّحدِّي . وَحكىٰ ابْن الملقِّن فِي طَبَقَات الْأَوْلِيَاء أَنَّ الشَّيخ عبد الْقَادِر الجيلي ، قَالَ رَأَيْت : النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قبل الظّهْر ، فَقَالَ لي : يَا بُني ، لِمَ لَا تَتَكَلَّم ؟ قلت : يَا أبتاه ، أَنا رجل أعجمي ، كَيفَ أَتَكَلَّم علىٰ فصحاء بَغْدَاد ؟ فَقَالَ

لي : افْتَحْ فَاك ، ففتحته ، فتفل فِيهِ سبعاً ، وَقَالَ : تكلَّم علىٰ النَّاس وادع إِلَىٰ سَبِيل رَبِّك بالحكمة وَالْمَوْعِظَة الْحَسَنَة ، فَصلَّيت الظُّهْر ، وَجَلَست ، وحضرني خلق كثير ، فارتجَّ عليَّ ، فَرَأَيت عليّاً قَائِماً بإزائي فِي الْمجْلس ، فَقَالَ : يَا بُني ، لِمَ لَا تَتَكَلَّم ؟ فَقلت : يَا أبتاه ، قد ارتجَّ عليَّ ، فَقَالَ : افْتَحْ فَاك ، ففتحته ، فتفل فِيهِ سِتّاً ، قلت : لِمَ لَا تُكملها سبعاً ، قَالَ : أدباً مَعَ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ توارىٰ عنِّي ، فتكلَّمت .

وَقَالَ فِي تَرْجَمَة غَيره : كَانَ كثير الرُّؤْيَة للنَّبِي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة وَمناماً . وَذكر الْكَمَال الأدفوي عَمَّن أَخذ عَنهُ ابْن دَقِيق الْعِيد وَغَيره عَن غَيره . وَقَالَ التَّاج ابْن عَطاء الله عَن شَيْخه الْكَامِل الْعَارِف أبي العبَّاس المرسي : صافحت بكفِّي هَذِه رَسُول الله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . وَحكىٰ ابْن فَارس عَن سَيِّدي عَليّ وفا ، قَالَ : كنت وَأَنا ابْن خمس سِنِين اقْرَأ الْقُرْآن علىٰ رجل ، فَأَتَيْته مرّة فَرَأَيْت النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقظة لَا مناماً ، وَعَلِيهِ قَمِيص أَبيض قطن ثمَّ رَأَيْت الْقَمِيص عليَّ ، فَقَالَ لي : اقْرَأ ، فَقَرَأت عَلَيْهِ سُورَة وَالضُّحَىٰ ، وألم نشرح ، ثمَّ غَابَ عنِّي ، فَلَمَّا أَن بلغت إِحْدَىٰ وَعشْرين سنة أَحرمت بِصَلَاة الصُّبْح بالقرافة ، فَرَأَيْت النَّبي قبالة وَجْهي ، فعانقني ، فَقَالَ : وَأَمَّا بِنِعْمَة رَبِّك فَحدِّث ، فأثبت لِسَانه من ذَلِك الْوَقْت . والحكايات فِي ذَلِك عَن أَوْلِيَاء الله كَثِيرَة جداً ، وَلَا يُنكر ذَلِك إِلَّا معاندٌ أَو محروم " .

وقال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) في " التَّذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة" (٤٥٩/١-٤٦٠) : " قال شيخنا أحمد بن عمر : والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالىٰ : أنَّ الموت ليس بعدم محض ، وإنَّما هو انتقال من حال إلىٰ حال ، ويدلُّ علىٰ ذلك : أنَّ الشُّهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربِّهم يُرزقون ، فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدُّنيا ، وإذا كان هذا في الشُّهداء ، كان الأنبياء بذلك أحقّ وأولىٰ ، مع أنَّه قد صحَّ عن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء " ، وأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السَّماء ، وخصوصاً بموسىٰ ، وقد أخبرنا النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يقتضي أنَّ الله تبارك وتعالىٰ يردُّ عليه روحه حتىٰ يردّ السَّلام علىٰ كلِّ من يسلِّم عليه ، إلىٰ غير ذلك ممَّا يحصل من جملته القطع بأنَّ موت الأنبياء إنَّما هو راجع إلىٰ أن غيِّبوا عنَّا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة ، فإنَّهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلَّا من خصَّه الله بكرامة من أوليائه " .

وممَّا اجترحه من يزعمون ويدَّعون السَّلفيَّة : تغيير صيغة السَّلام عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التَّشهُّد من : السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إلىٰ صيغة : السَّلام علىٰ النَّبي ، وذلك منهم اقصاء لأيِّ

دليل يدلُّ على مخاطبة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره ، مع أنَّ صيغة السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ مخرَّجة في الصَّحيحين ، وأمَّا الرِّواية التي اعتمدوها في التَّشهُّد ، فهي رواية شاذَّة ...

فقد روى البخاري (١/ ١٦٦ برقم ٨٣١) بسنده عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْنَا : السَّلام عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلام عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلام ، فَإِذَا صلَّى أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " .

وروى مسلم (١/ ٣٠٢ برقم ٤٠٣) بسنده عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَكَانَ يَقُولُ : التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ ، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ " . وروي مثله عن عبد الله بن مسعود ، وجابر ...

قال الإمام ابن حزم الظَّاهري (٤٥٦هـ) في "الفصل في الملل والأهواء والنِّحل" (١/ ٧٦) : " وَكَذَلِكَ مَا أجمع النَّاس عَلَيْهِ وَجَاء بِهِ النَّص من قَول كل مصلٍّ فرضاً أَو نَافِلَة : السَّلام عَلَيْك أَيهَا النَّبي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته ، فَلَو لم يكن روحه عَلَيْهِ السَّلام مَوْجُوداً قَائِماً ، لَكَانَ السَّلام على الْعَدَم هدراً " .

وقال الإمام ابن حزم الظَّاهري (٤٥٦هـ) في " المحلَّى بالآثار" (٢/ ٣١٧-٣١٨) : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ الْجَسُورِ ، ثنا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دُلَيْمٍ ، ثنا محمَّد بْنُ وَضَّاحٍ ، ثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، ثنا محمَّد بْنُ جَعْفَرٍ غُنْدَرٌ - ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمن ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى ، قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فَرَآنِي النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي ؟ قُلْتُ : كُنْتُ أُصَلِّي ، قَالَ : أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ تَعَالَى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾** [الأنفال:٢٤] ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ . فَصَحَّ أَنَّ هَذَا بَعْدَ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلاة ، لِامْتِنَاعِ أَبِي سَعِيدٍ مِنْ إجَابَةِ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى أَتَمَّ الصَّلاة ، وَصَحَّ أَنَّ الْكَلَامَ مَعَ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُبَاحٌ فِي الصَّلاة هَذَا خَاصٌّ لَهُ ، وَفِيهِ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْعُمُومِ ، وَإِجْمَـــاعُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْمُتيَقِّنِ عَلَى أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُـــولُ فِي صَلَاتِهِ " السَّلام عَلَيْك أَيُّهَا النَّبي " .!!!

وهذه صاعقة أقضَّت مضاجعهم ، وهدَّت أركانهم ، وهدمت بنيانهم ، فما كان من الألباني إلَّا أن أسعفهم برواية شاذَّة ضعيفة رويت عن ابن عمر وابن مسعود ، بلفظ : " السَّلام على النَّبي ورحمة الله وبركاته " . انظر : تَلخيصُ صِفة صَلاة النَّبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم (ص٢٩) ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٢/ ٢٧) .

فتشبَّث بها المتمسلفون متنكِّرين وجاحدين وشائحين بوجوههم عمَّا روي في الصَّحيحين من مناداته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مغيِّرين صيغة السَّلام في صلاة المسلمين ، من الخطاب إلى الغيبة !

وقد تبع الألباني في ذلك بعض المتمسلفة كالمدعو مشهور حسن ، الذي قال : " غلط قول : " السَّلام عليك أيُّها النَّبي في التَّشهُّد " . انظر : القول المبين في أخطاء المصلين (ص١٥٢) .

هذا ما قاله متمسلفة هذا الزَّمان ، وهم في قولهم متنكِّرين لما جاء في الصَّحيحين من حديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والذي التزمه السَّلف ، كما نقل ابن عبَّاس في رواية مسلم : " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ... " . فهل تعليم الرَّسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان خاصَّاً بالصَّحابة أم أنَّ قوله تشريع لعموم الأمَّة ؟!!! فلماذا هذا الليّ لأعناق النُّصوص أيُّها اللصوص ...

وقد ردَّ على الألباني الإمام عبد الله بن الصدِّيق الغُماري في رسالته :" إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنَّبي " ، فقال : " ... تواتر عن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليم التَّشهُّد في الصَّلاة ، وفيه السَّلام عليه بالخطاب ونداؤه " السَّلام عليك أيُّها النَّبي " ، وبهذه الصِّيغة علمه على المنبر النَّبوي أبو بكر وعمر وابن الزُّبير ومعاوية ، واستقرَّ عليه الإجماع كما يقول ابن حزم وابن تيمية !

والألباني لابتداعه خالف هذا كلّه ، وتمسَّك بقول ابن مسعود ، " فلمَّا مات قلنا : السَّلام على النَّبي " ، ومخالفة التَّواتر والإجماع هي عين الابتداع " . انظر : إرغام المبتدع الغبي بجواز التَّوسُّل بالنبي (ص١٩) .

ومن مظاهر الضَّغينة الموجودة عند من يزعمون السَّلفيَّة : إنكارهم التَّوسُّل برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

قال ابن تيمية في " الرَّد على البكري" (٢/ ٤٦٩) : " ... وكذلك إذا قيل : إنَّ الشَّيخ الميِّت يُستسقى عند قبره ، ويقسم به على الله ، ويعرف عنده عشيَّة عرفة ، ونحو ذلك ـ قيل له : إذا كان النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيِّد الخلق لم تستسق الصَّحابة ، رضوان الله عليهم ، عند قبره ، ولا أقسموا به على الله ، ولا عرفوا عند قبره ، فكيف غيره " .

وهذا الكلام محض كذب وتلبيس وتدليس ، وقد رددتُ عليه بحمد الله تعالىٰ ، في كتابي : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ...

وزعم ابن تيمية – كذباً وزوراً – اتِّفاق الأئمَّة علىٰ النَّهي عن تقبيل القبر الشَّريف ، وكذا حجرة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ادعاء منه وافتراء علىٰ أنَّ ذلك لغاية المحافظة علىٰ التَّوحيد ... تلك النَّغمة التي قتل محمَّد بن عبد الوهَّاب بها عشرات الآلاف من المؤمنين الموحِّدين ، زعماً منه بكفرهم وشركهم وإلحادهم في الدِّين ...

وفي ذلك يقول ابن تيمية : " وَاتَّفَقَ الْأَئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمَسُّ قَبْرَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُقَبِّلُهُ "

. انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٢٢٣) ، الرد علىٰ الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية (ص٣١) .

وقال ابن تيمية أيضاً : " وَكَذَلِكَ حُجْرَةُ نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحُجْرَةُ الْخَلِيلِ ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمَدَافِنِ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ : لَا يُسْتَحَبُّ تَقْبِيلُهَا ، وَلَا التَّمَسُّحُ بِهَا بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ ؛ بَلْ مَنْهِيٌّ عَنْ ذَلِكَ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١٣٦) ، الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٢/ ٤٤٠) .

وقال ابن تيمية أيضاً في " مجموع الفتاوىٰ" (٢٧/ ٩١) : " وَأَمَّا التَّمَسُّحُ بِالْقَبْرِ – أَيَّ قَبْرٍ كَانَ – وَتَقْبِيلُهُ ، وَتَمْرِيغُ الْخَدِّ عَلَيْهِ ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ !!! وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ، بَلْ هَذَا مِنْ الشِّرك ".

وللرَّدِّ علىٰ ما افتراه ابن تيمية في هذه المسألة ، نقول : قال الإمام عبد الملك بن محمَّد بن إبراهيم النَّيسابوري الخركوشي ، أبو سعد (٤٠٧هـ) : " ... إنَّ بلالاً رضي الله عنه رأىٰ في منامه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني يا بلال ؟ قال : فانتبه حزيناً ، وجاء خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتىٰ قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجعل يبكي عنده ويمرِّغ وجهه عليه . وأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمُّهما ويقبِّلهما ، فقالا : يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذِّن به لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السَّحر ، ففعل ، وعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلمَّا أن قال : الله أكبر الله أكبر ارتجَّت المدينة ، فلمَّا أن قال : أشهد أن لا إله إلَّا الله ازدادت رجَّتها ، فلما أن قال : أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله ، خرجن العواتق من خدورهنَّ ، وقالوا : بُعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال : فما رؤي يوماً أكثر باكياً ولا باكيـــة بالمدينة بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك اليوم " . انظر : شرف المصطفىٰ (٣/ ١٩٦) ، تاريخ دمشق (٧/ ١٣٧) .

والأثر صحَّحه غير واحد من العلماء ، منهم : الذَّهبي ، والسَّمهودي ، والشَّوكاني ، والصَّالحي ، والزّرقاني ... انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ، الذَّهبي (٥/ ٧٧٣) ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ (١/ ٣٥٥) ، نيل الأوطار (٥/ ١١٤) ، سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٣٥٩) ، شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٥/ ٧١) بالترتيب .

ورویٰ أحمد في المسند بسنده عن داود بن أبي صالح ، قال : أقبل مروان يوماً ، فوجد رجلاً واضعاً وجهه علىٰ القبر ، فقال : أتدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فإذا هو أبو أيُّوب ، فقال : نعم ، جئت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : لا تبكوا علىٰ الدِّين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا علىٰ الدِّين إذا وليه غير أهله . أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٢ برقم ٢٣٩٨٣) ، الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠ برقم ٨٥٧١) ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، ووافقه الذَّهبي . وفي تخريجه للحديث قال الأستاذ المحقق محمود سعيد ممدوح : " عبد الملك بن عمرو هو القيسي أبو عامر العقدي ، ثقة ، احتج به الجماعة ، وكثير بن زيد حسن الحديث . وداود بن أبي صالح ، قال عنه الذَّهبي في الميزان : (٢ / ٩) : لا يعرف ، وسكت عنه ابن أبي حاتم الرازي (الجرح ٣ / ٤١٦) . وذكره الحافظ ابن حجر تمييزاً ، وقال في التقريب : "مقبول " . فإذا تشددت وأعرضت عن تصحيح الحاكم وموافقه الذَّهبي له لأنَّ التصحيح هو توثيق للراوي ، فهذا الإسناد فيه ضعف يسير يزول بالمتابعة ، وداود بن أبي صالح قد تابعه المطلب بن عبد الله بن حنطب فيما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤ / ١٨٩) ، والأوسط (١ / ١٩٩) ، وأبو الحسين يحيىٰ ابن الحسن في أخبار المدينة (كما في شفاء السقام ص ١٥٢) . والمطلب بن عبد الله بن حنطب صدوق ويدلس ، ومثله يصلح للمتابعة ، صرح بالسماع أو لم يصرح ، أدرك أبا أيوب أو لم يدركه . فغاية هذا الإسناد أنه فيه انقطاع يسير يزول بالمتابعة المتقدمة . وبهذه المتابعة يثبت الحديث ويصير من قسم الحسن لغيره ، والله أعلم .

تنبيه :

أما الألباني فكان ولا بد أن يضعِّف الحديث ، فماذا فعل في تضعيفه ؟! اقتصر علىٰ رواية أحمد والحاكم التي فيها داود بن أبي صالح وضعَّف الحديث به ، وهذا قصور ، وقد علمت وجود متابع لداود بن أبي صالح . ثم أخطأ علىٰ الحافظ العلم نور الدِّين الهيثمي ، فقال الألباني : وذهل عن هذه العلة (أي داود بن أبي صالح) الحافظ الهيثمي ، فقال في المجمع (٥ / ٢٤٥) : رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه كثير بن زيد وثقه أحمد وغيره ، وضعفه النسائي وغيره . ا هـ. وخطأ الألباني أنه اعتبر الجودة ذهولاً ، ذلك أنَّ الحافظ الهيثمي عندما نظر لإسنادي أحمد والطبراني وجد متابعاً لداود بن أبي صالح ، وهو المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فلم يجد ما يستحق الكلام عليه إلا كثير بن زيد فبيَّن أنه مختلف فيه ، ومثله يحسن حديثه . فحصر الهيثمي الكلام علىٰ كثير بن زيد هو الصواب . ومنشأ خطأ الألباني هو عدم وقوفه علىٰ المتابعة وهو قصور بلا شك . وبيان هذا القصور أنه عندما علم تخريج الطبراني للحديث كان ينبغي المسارعة والبحث عن إسناد الطبراني والنظر فيه ، وهذا هو مسلك المحدثين الناقدين ، أما الاقتصار علىٰ طريق واحد للحديث

ثمَّ تضعيف الألباني له مع وجود طريق آخر فهو خطأ بلا ريب . ولعمل الألباني هذا نظائر في كتبه . والحديث فيه التجاء أحد الصَّحابة إلىٰ القبر الشَّريف . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٣٤-٢٣٦) .

وعلىٰ أي حال فإنَّ التزام القبر ثابت عن الصَّحابي الجليل أبي أيُّوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيه جواز التَّوسُّل بالتبرُّك بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ الصَّحابة الكرام توسَّلوا به ... كما أنَّه رضي الله عنه ردَّ علىٰ من أنكر عليه التزامه قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووصف المنكر عليه بأنَّه ليس من أهل العلم ...

والغريب في هذه المسألة أنَّ ابن تيمية نقل التَّمسُّح بالقبر الشَّريف عن الإمام أحمد ، فقال في " اقتضاء الصِّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" (٢/ ٢٤٥) : " قال أبو بكر الأثرم : قلت لآبي عبد الله – يعني أحمد بن حنبل – قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمسّ ويتمسَّح به ؟ فقال : ما أعرف هذا . قلت له : فالمنبر ؟ فقال : أمَّا المنبر فنعم ، قد جاء فيه ، قال أبو عبد الله : شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبىٰ ذئب عن ابن عمر : أنه مسح علىٰ المنبر ، قال : ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرّمَّانة . قلت : ويروونه عن يحيىٰ بن سعيد : أنَّه حين أراد الخروج إلىٰ العراق جاء إلىٰ المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسنه ، ثمَّ قال : لعله عند الضّرورة والشَّيء . قيل لأبىٰ عبد الله : إنَّهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسُّونه ويقومون ناحية فيسلمون . فقال أبو عبد الله : نعم . وهكذا كان ابن عمر يفعل . ثمَّ قال أبو عبد الله : بأبي هو وأمِّي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فقد رخَّص أحمد وغيره في التَّمسُّح بالمنبر والرُّمَّانة التي هي موضع مقعد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويده ، ولم يرخِّصوا في التَّمسُّح بقبره ، وقد حكىٰ بعض أصحابنا رواية في مسح قبره !!! لأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتىٰ ، فوضع يده علىٰ قبره يدعو له " .

قلت : والرِّواية التي أشار إليها ابن تيميه ، وأنَّ أحمد شيَّع بعض الموتىٰ ... ذكرها صاحب الرِّوايتين والوجهتين ، فقال :

مسألة : واختلف في وضع اليد علىٰ القبر علىٰ روايتين ، قال محمَّد بن حبيب البزَّار : كنت مع أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل في جنازة فأخذ يدي وقمنا ناحية ، فلمَّا فرغ النَّاس وانقضىٰ الدَّفن جاء إلىٰ القبر وأخذ بيدي وجلس ووضع يده علىٰ القبر ، وقال : اللهمَّ إنَّك قلت في كتابك : **﴿فَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾** [الواقعة : ٨٨ – ٩٤] . اللهمَّ إنَّا

نشهد أنَّ هذا فلان ابن فلان ما كذَّب بك ، ولقد كان يؤمن بك وبرسولك ، اللهمَّ فاقبل شهادتنا له ، ودعا وانصرف " . انظر : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (١/ ٢١٥) .

وفي ترجمة محمَّد بن المنكدر(١٣٠هـ) نقل الإمام الذَّهبي عن مصعب بن عبد الله ، قال : حدَّثني إسماعيل بن يعقوب التَّيمي ، قال : كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه ، فكان يصيبه صمات ، فكان يقوم كما هو حتىٰ يضع خدَّه علىٰ قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ يرجع ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنَّه يصيبني خطر ، فإذا وجدت ذلك ، استعنت !!! بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان يأتي موضعاً من المسجد يتمرَّغ فيه ويضطجع ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنِّي رأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الموضع . انظر : سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٨-٣٥٩) .

ونقل الإمام الذَّهبي عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لأَنَّهُ رَآهُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبوي وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْساً ، رَوَاهُ عَنْهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيلَ : فَهَلا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحابة ؟ قِيلَ : لأَنَّهُمْ عَايَنُوهُ حَيّاً وَتَمَلَّوْا بِهِ ، وَقَبَّلُوا يَدَهُ ، وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَىٰ وُضُوئِهِ ، وَاقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَخَّمَ لا تَكَادُ نُخَامَتُهُ تَقَعُ إلا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيُدَلِّكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فَلَمَّا لَمْ يَصِحَّ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَىٰ قَبْرِهِ بِالالْتِزَامِ وَالتَّبْجِيلِ وَالاسْتِلامِ وَالتَّقْبِيلِ ، أَلا تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ؟ كَانَ يُقَبِّلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَىٰ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهَذِهِ الأُمُورُ لا يُحَرِّكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إلا فَرْطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنَ الْجَنَّةِ وَحُورِهَا ، بَلْ خَلْقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ " . انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣) .

ويستمرُّ ابن تيمية في إبعاد النَّاس عن قبر الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيزعم أنَّ الدُّعاء غير مُستجاب عند قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيقول : " إذا كانت قبور الأنبياء عليهم السَّلام ليست ترياقاً مجرَّباً ، فكيف تكون قبور الشُّيوخ ترياقاً مجرَّباً " . انظر : الرد علىٰ البكري (٢/ ٤٦٩) .

ويقول ابن تيمية أيضاً : " ... وَمَعَ هَذَا لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ : إِنَّ الدُّعاء مُسْتَجَابٌ عِنْدَ قَبْرِهِ ، وَلَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَحَرَّىٰ الدُّعاء مُتَوَجِّهاً إِلَىٰ قَبْرِهِ ، بَلْ نَصُّوا عَلَىٰ نَقِيضِ ذَلِكَ " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ١١٧) ، الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٢/ ٤٢٧) .

ويتمادىٰ ابن تيمية في هذه المسألة ، فيزعم أنَّ اعتقاد استجابة الدُّعاء عند قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزيارته لتلك الغاية من المحرَّمات والمنكرات المبتدعة !!! ، ويزعم أنَّ ما ذهب إليه في هذه المسألة محطّ اتِّفاق بين أئمَّة الدِّين ... وفي ذلك يقول : " المرتبة الثَّانية : أن يظن أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب أو أنَّه أفضل من الدُّعاء في المساجد والبيوت ، فيقصد زيارته لذلك أو للصَّلاة عنده أو لأجل طلب حوائجه منه ، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتِّفاق أئمَّة المسلمين ، وهي محرَّمة ، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمَّة الدِّين ". انظر : الرد علىٰ البكري (١/ ١٤٦) .

وكلام ابن تيمية محض افتراء وتقوُّل ، ويُردُّ عليه بما روىٰ ابن أبي شيبة ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ مَالِكِ الدَّارِ ، قَالَ : وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ عَلَىٰ الطَّعَامِ ، قَالَ : أَصَابَ النَّاس قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ قَبْرِ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَأَتَىٰ الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ : " ائْتِ عُمَرَ فَأَقْرِئْهُ السَّلام ، وَأَخْبِرْهُ أَنَّكُمْ مُسْتَقِيمُونَ ، وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكَ الْكَيْسُ ، عَلَيْكَ الْكَيْسُ " ، فَأَتَىٰ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ فَبَكَىٰ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ لَا آلُو إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

فَإِتيَانُ هذا الصَّحابي الجليل لقبرِ النَّبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلَّم ونِدَاؤُهُ لَهُ وطَلَبهُ أنْ يستَسقي لأمَّتِهِ دَليل علىٰ أنَّ ذَلكَ جائز ، وهُوَ مَوضعُ الاستدلال بِعَمل هذا الصَّحابي علىٰ صِّحةِ التَّوسُّل بِهِ صلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسلَّم سَواء في حَيَاتِهِ أو بعد وفَاتِهِ . وقد أقرَّه عمر علىٰ صنيعه ولم يعنِّفه أو يقل له أشركت ...

وقد اعترض المتمسلفون علىٰ هذا الأثر بعدة اعتراضات ، هي :

جهالة السَّائل ، وكذا جهالة مالك الدَّار ، قال ابن باز في تعليقه علىٰ هذا الأثر : " ... هذا الأثر – علىٰ فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة علىٰ جواز الاستسقاء بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، لأنَّ السَّائل مجهول ، ولأنَّ عمل الصَّحابة رضي الله عنهم علىٰ خلافه ، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع ، ولم يأت أحد منهم إلىٰ قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها ، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلىٰ الاستسقاء بالعبَّاس ، ولم يُنكر ذلك عليه أحد من الصَّحابة ، فعُلم أنَّ ذلك هو الحقّ ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلىٰ الشِّرك ، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك " . انظر : هامش فتح الباري (٢/ ٤٩٥) .

وذكر الألباني من علله : جهالة مالك الدَّار ، وأنَّه غير معروف بعدالة ، وعضد رأيه بأنَّ المنذري والهيثمي نصَّا علىٰ جهالة مالك الدَّار . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٣١) .

والرَّدُّ علىٰ هذا سهل جداً ، ويكفي في الرَّدِّ عليه أن نقول : إنَّ مالك الدَّار كان معروفاً للكثيرين ، لدرجة أنَّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قد استعمله علىٰ بيت المال ، ومثل هذا المنصب لا يتولَّاه إلّا الثِّقة أو من هو فوق الثِّقة ، وإذا خلت بعض كتب التَّراجم من التَّرجمة له فلا يعني ذلك أبداً أنَّه مجهول ، فها هو الحافظ ابن حجر يوثِّق عاملاً لعمر ، وهو هنيّ بن نويره الكوفي ، وقد استعمله عمر علىٰ الحمىٰ ، فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اسْتَعْمَلَ مَوْلًىٰ لَهُ يُدْعَىٰ هُنَيّاً عَلَىٰ الحِمَىٰ ، فَقَالَ : " يَا هُنَيُّ اضْمُمْ جَنَاحَكَ عَنِ المُسْلِمِينَ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ، فَإِنَّ دَعْوَةَ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ... " .

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٦/ ١٧٦) : " وهذا المولىٰ لم أَرَ من ذكره في الصَّحابة مع إدراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روىٰ عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، وشهد صفِّين مع معاوية ثمَّ تحوَّل إلىٰ عليّ لما قتل عمَّار .... ولولا أنَّه كان من الفضلاء النُّبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر " . وعليه فما ينطبق علىٰ هنيّ ينطبق علىٰ مالك الدَّار ، ذلك أنَّ علَّة توثيق هنيّ ، هي علَّة توثيق مالك الدَّار ، بل هي أوضح وأجلّ في مالك الدَّار الذي ولَّاه عمر رضي الله عنه بيت المال ، وما ولَّاه إلَّا لفرط في دينه وأمانته . ومن جهة أخرىٰ فقد نصَّ غير واحد من العلماء علىٰ توثيق مالك الدَّار ... فقد وثَّقه ابن حبَّان في " الثقات " . انظر : الثقات ، ابن حبان (٣/ ٣٨٤) .

وقال أبو يعلىٰ الخليلي في الإرشاد (١/ ٣١٣) : " مَالِكُ الدَّارِ مَوْلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الرِّعَاءِ عَنْهُ : تَابِعِيٌّ ، قَدِيمٌ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، أَثْنَىٰ عَلَيْهِ التَّابِعُونَ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرِ الرِّوَايَةِ ، رَوَىٰ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَعُمَرَ " .

أمَّا عن جهالة السَّائل فلا ضير في ذلك ، فكم من حديث في الصَّحيحين تضمَّنا السُّؤال للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو لقبره ، والسَّائل فيها مجهول .

وممَّا يردُّ افتراء وزعم ابن تيمية أنَّ الدُّعاء لا يُستجاب عند القبر الشَّريف : ما رواه الدَّارمي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْجَوْزَاءِ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً ، فَشَكَوْا إِلَىٰ عَائِشَةَ فَقَالَتْ : " انْظُرُوا قَبْرَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ . قَالَ : فَفَعَلُوا ، فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّىٰ نَبَتَ الْعُشْبُ ، وَسَمِنَتِ الْإِبِلُ حَتَّىٰ تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ " . أخرجه الدارمي (١/ ٢٢٧ برقم ٩٣) .

قال الأستاذ المحقِّق محمود سعيد ممدوح في تخريجه لهذا الأثر : " قلت : هذا إسناد حسن إن شاء الله تعالىٰ ... وبعد مناقشة مستفيضة مع من ضعَّفه من مدَّعي السَّلفيَّة ، قال : فحاصل ما تقدَّم : أنَّ هذا إسناد حسن أو صحيح ، ورجاله رجال مسلم ما خلا عمرو بن مالك النّكري ، وهو ثقة ، والله تعالىٰ أعلم بالصَّواب " . انظر : رفع المنارة لتخريج أحاديث التَّوسُّل والزيارة (ص٢٥٣-٢٦١) .

فالذي صنعه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم من فتح الكوىٰ ، بإشارة من أمِّ المؤمنين عائشة الصدِّيقة هو توسُّلٌ بقبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلباً للسُّقيا ، وما ذاك إلَّا لأنَّ القبر الشَّريف ضمَّ ذاته الشَّريفة ، والتي بسببها أصبح مكان القبر أشرف البقاع علىٰ وجه الأرض ، ... ولم يجد ذلكم الفعل عند أحد من الصَّحابة نكيراً ، ولم يُسمِّه أحدٌ منهم شركاً ، فكان إجماعاً ... فهل من يدَّعون السَّلفيَّة أعلم من الصَّحابة وأحرص علىٰ سلامة الإيمان من عائشة رضي الله عنها ومن معها من الصَّحابة الكرام الذين وافقوها وبادروا إلىٰ فعل ما أشارت به ؟!!! نبِّئوني بعلم إن كنتم صادقين ...

وعن سبب كشف قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الإمام الغُماري نقلاً عن القاري في " شرح المشكاة " : " قيل في سبب كشف قبره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السَّماء ، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به ، فلا يبقىٰ بينه وبين السَّماء حجاب " . انظر : الردُّ المحكم المتين علىٰ كتاب القول المبين (ص١٩٦) .

ومن المعلوم أنَّ فَتحُ الكوَّة عِنْدَ الجَدْبِ كان سُنَّةُ أهلِ المدينة ، " قال الزّين المراغي : واعلم أنَّ فتح الكوَّة عند الجدب سُنَّة أهل المدينة حتىٰ الآن ، يفتحون كوَّة في أسفل قبَّة الحجرة : أي القبَّة الزَّرقاء المقدَّسة من جهة القبلة ، وإن كان السَّقف حائلاً بين القبر الشَّريف وبين السَّماء .

قلت – أي : السَمهُودي – : وسُنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماع هناك " . انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ (٢/ ١٢٣) .

واجتماعهم عندَ الحُجرة الشَّريفة ما كان إلَّا للتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ به صلَّىٰ اللهُ عَليهِ وآله وسلَّم وبِجَاهِهِ ...

قلت : وكعادتهم احتجَّ مدَّعو السَّلفيَّة علىٰ هذا الحديث ، وزعموا أنَّه ضعيف ...

فقد ضعَّف الألباني هذا الأثر بثلاث علل :

١-ضعف سعيد بن زيد - أحد رواة الحديث - حيث اقتصر الألباني علىٰ النَّقل من بعض كتب التَّراجم . انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤٠) .

وهذا مردودٌ لأنَّ سعيداً بن زيد من رجال مسلم ، ووثَّقه غير واحد من العلماء ، فقال الدُّوري : " عن يحيىٰ بن معين ، وقال ابن عدي هو عندي في جملة من ينسب إلىٰ الصِّدق ، وقال ابن حبَّان : كان صدوقاً حافظاً . انظر : تهذيب الكمال (١٠/ ٤٤٣) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩) .

وقد ذكره الذَّهبي في جزء من تكلِّم فيه وهو ثقة . انظر : ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق (ص٨٥) .

وعليه فإنَّ سعيد بن زيد لا ينزل عن درجة الحسن .

٢-اختلاط أبي النِّعمان (التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) ، واسمه محمَّد بن الفضل المعروف بعارم شيخ البخاري .

وهذا مردودٌ بأَنَّ اختلاط أبي النُّعمان لم يؤثِّر في روايته ، قال الدَّارقطني : تغيَّر بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة . وقول ابن حبَّان : وقع في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه ، ردَّه الذَّهبي ، فقال : لم يقدر ابن حبَّان أن يسوق له حديثاً منكراً . والقول فيه ما قاله الدَّارقطني . وبمثل قول الدَّارقطني قال الذَّهبي في السِّير ، وابن حجر في التَّهذيب . انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٦٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٩) ، ميزان الاعتدال (٤/ ٧-٨) .

٣-أنَّه موقوف علىٰ عائشة رضي الله عنها ، وليس مرفوعاً إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولو صحَّ لم تكن فيه حجَّة ... انظر : التَّوسُّل ، الألباني (ص١٤١) .

والجواب علىٰ ما ذكره الألباني بأنَّ الحديث صحيح بلا شكٍّ وريبة ، وهو حجَّة من وجهين :

-أنَّ بصَّحته سقط كلام الألباني وتمويهه في التَّضعيف ، وثبت أنَّ التَّوسُّل مذهب للسيِّدة عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها .

-أنَّه اتِّفاق من حضر من الصَّحابة والتَّابعين علىٰ التَّوسُّل برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته . انظر : هامش ارغام المبتدع (ص٢٤ بتصرُّف) .

ثمَّ إنَّ جمهور العلماء ذكروا في كتبهم أنَّ الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مُستجاب ، فقد جاء في كتاب الفروع للمرداوي : " قَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة عُثْمَان بن عبد الرَّحمن بن مُوسَىٰ بن أبي نصر الْكرْدِي الشّهرزوري : " ... فدفنوه بِطرف مَقَابِر الصُّوفيَّة ـ وقبره علىٰ الطَّرِيق فِي طرفها الغربي ظَاهر يُزار ويُتبرَّك بِهِ ، قيل : والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٨/ ٣٢٨) .

وقال الإمام تاج الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في ترجمة أَحْمد بن علىٰ بن أَحْمد بن محمَّد بن الْفرج بن لال أَبُو بكر الهمذاني : " والدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٢٠) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) في ترجمة أَحْمَد بْن عَلِيّ أَبُو بَكْر الهَمَذَاني الشَّافعي الفقيه، المعروف بابن لال : " والدُّعاء عند قبره مُسْتَجَاب " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٨/ ٧٨٣) .

وقال الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، في ترجمة الإمام الشَّاطبي (٥٩٠هـ) : "... ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة بمقبرة القاضي الفاضل عبد الرَّحيم البيساني ، وقبره مشهور معروف يقصد للزِّيارة ، وقد زرته مرَّات وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبية عند قبره ، ورأيت بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة – رحمه الله ورضي عنه . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٢٣) .

وقال الإمام أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد بن بلال أبو بكر الهمداني : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : طبقات الشافعية (١/ ١٥٥) .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، في ترجمة السُّلطان نور الدِّين الشَّهيد (٥٧٨هـ) : " قيل إنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : كنوز الذهب في تاريخ حلب (١/ ٢٧٩) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن أَحْمد أَبُو الْحسن الْآدَمِيّ ثمَّ الْمصْرِيّ الشَّافعي (٧٦٦هـ) : " ... وَيُقَال أَن الدُّعاء عِنْد قَبره مُستجاب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ١٦٤) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد العكري الدِّمشقي (١٠٨٩هـ) ، في ترجمة صبح بن أحمد الحافظ أبو الفضل التَّميمي الأحنفي الهمذاني السّمسار (٣٨٤هـ) : " ... والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد الهمذاني (٣٩٨هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الملك العادل أبو القسم محمود بن زنكي (٥٩٧هـ) : " وروي أَنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة سيف الدِّين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس القيمري (٦٥٣هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

وقال أيضاً في ترجمة الشَّيخ أبو بكر بن داود الصَّـــالحي (٨٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " .

انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٧/ ٥٧) ، بالترتيب .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، في ترجمة الشَّيخ إبراهيم أبو إسحق برهان الدِّين الدِّمشقي : " ... ودفن بالمغارة المعروفة بمغارة الشَّيخ إبراهيم في سفح جبل قاسيون في صالحيَّة دمشق ، يُزار ويُتبرَّك به ، والمشهور أنَّ الدُّعاء عند قبره مُستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (١/ ٣٣) .

بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، في ترجمة الشَّيخ أبو زيد عبد الرَّحمن بن عبد الله الهزميري (٧٠٦هـ) : " والدُّعاء عند قبره مُستجاب " . انظر : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٢٨٨) .

فإذا كان الدُّعاء عند قبور الصَّالحين مُستجاب كما نصَّ عليه أساطين العلم وجهابيذه ، فما بالك بقبر سيِّد الخلق ، وحبيب الخلق سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!!

ونبقىٰ مع مصائب ابن تيمية في حقِّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... حيث ينكر سؤال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حال حياته ، فيقول : " وَقَالَ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِابْنِ عبَّاس : " إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ " الْحَدِيثُ عَنِ ابْنِ عبَّاس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فِي : سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ". وَأَوَّلُهُ فِيهِ : " يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ " ... الْحَدِيثَ ، وَهُوَ فِي الْمُسْنَدِ ، وَلَمْ يَقُلْ : سَلْنِي ، وَلَا اسْتَعِنْ بِي . وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧ – ٨] . انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٤/ ٢٤٤) .

مع أنَّه ثبت أنَّ أحد الصَّحابة طلب من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنَّة ، فقد روىٰ مسلم وغيره بسندهم عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَقَالَ لِي : " سَلْ " ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ : " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ " ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ

. قَالَ : " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " . أخرجه مسلم (١/ ٣٥٣ برقم ٤٨٩ ، واللفظ له) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣١) .

ويسيء ابن تيمية إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بسبب موقفه من فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها ، فقد قال ابن تيمية في حقِّها : " وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مَا يُحْكَىٰ عَنْ فَاطِمَةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّحابة مِنَ الْقَوَادِحِ كَثِيرٌ ، مِنْهَا كَذِبٌ ، وَبَعْضُهَا كَانُوا فِيهِ مُتَأَوِّلِينَ . وَإِذَا كَانَ بَعْضُهَا ذَنْباً ، فَلَيْسَ الْقَوْمُ مَعْصُومِينَ ، بَلْ هُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ " . انظر : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٤/ ٢٤٤) .

ولم يذكر ابن تيمية ما له من اعتراضات علىٰ الزَّهراء رضي الله عنها ... فما هي القوادح التي سجَّلها ابن تيمية علىٰ بضْعَة رسول الله الذي أساء له ابن تيمية بإساءته إلىٰ فاطمة ، فقد صحَّ عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال : " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي " . أخرجه البخاري (٥/ ٢١ برقم ٣٧١٤ ، واللفظ له) ، مسلم (٤/ ١٩٠٣ برقم ٢٤٤٩) .

وتحت ستار وغطاء المحافظة علىٰ صفاء التَّوحيد ، كان محمَّد بن عبد الوهَّاب يخطب في النَّاس بكفر المتوسِّلين إلىٰ الله تعالىٰ بالأنبياء والصَّالحين ، فقد قال مفتي الشَّافعية ورئيس المدرِّسين في مكَّة أيام السُّلطان عبد الحميد ، الشَّيخ العلَّامة أحمد زيني دحلان في حديثه عن محمَّد بن عبد الوهَّاب : " كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ، ويقول في كلِّ خطبة : ومن توسَّل بالنَّبي فقد كفر ... وكان ــ محمَّد بن عبد الوهَّاب ــ ينهىٰ عن الصَّلاة علىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويتأذَّىٰ من سماعها وينهىٰ عن الإتيان بها ليلة الجمعة ، وعن الجهر بها علىٰ المنائر ، ويؤذىٰ من يفعل ذلك ويعاقبه أشدَّ العقاب ، حتَّىٰ أنَّه قتل رجلاً أعمىٰ كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنارة ، فلم ينته ، وأتىٰ بالصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأمر بقتله فقتل ، ثمَّ قال : إنَّ الرَّبابة في بيت الخاطئة يعني الزَّانية أقل إثماً ممَّن يُنادي بالصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المنائر ، ويُلبِّس علىٰ أصحابه بأنَّ ذلك كلّه محافظة علىٰ التَّوحيد ، فما أفظع قوله وما أشنع فعله . وأحرق " دلائل الخيرات " وغيرها من كتب الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتستَّر بقوله : إنَّ ذلك بدعة ، وأنَّه يريد المحافظة علىٰ التَّوحيد . وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والتَّفسير والحديث وأحرق كثيراً منها ، وأذن لكلِّ من تبعه أن يفسِّر القرآن بحسب فهمه ، حتىٰ

الهمج من أتباعه ، فكان كلٌّ واحد منهم يفعل ذلك وإن كان لا يحفظ شيئاً من القرآن ، فيقول الذي لا يقرأ لآخر يقرأ : أقرأ عليَّ حتىٰ أفسِّر لك ، فإذا قرأ عليه فسَّره له برأيه ، وأمرهم أن يعملوا ويحكموا بما يفهمونه ، وجعل ذلك مقدَّماً علىٰ كتب العلم ونصوص العلماء ، وكان يقول في كثير من الأقوال : الأئمَّة الأربعة ليست بشيء ... وكان ينتقص النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيراً بعبارات مختلفة ويزعم أنَّ قصده المحافظة علىٰ التَّوحيد ، فمنها : أن يقول : أنَّه طارش ، وهو في لغة أهل المشرق بمعنىٰ الشَّخص المرسل من قوم الىٰ آخرين ، فمراده انه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل كتب ، أي : غاية أمره أنَّه كالطَّارش الذي يرسله الأمير أو غيره في أمر النَّاس ليبلِّغهم إيَّاه ثمَّ ينصرف . ومنها : أنَّه كان يقول : نظرت في قصَّة الحديبية فوجدت بها كذا كذا ، إلىٰ غير ذلك ممَّا يشبه هذا حتىٰ أنَّ أتباعه كانوا يفعلون مثل ذلك أيضاً ، ويقولون مثل قوله بل أقبح ممَّا يقول ويخبرونه بذلك فيظهر الرِّضا وربما أنَّهم قالوا ذلك بحضرته فيرضىٰ به حتىٰ إنَّ بعض أتباعه كان يقول : عصاي هذه خيرٌ من محمَّد ، لأنَّها ينتفع بها في قتل الحيَّة و نحوها ، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً ، وإنَّما هو طارش !! " . انظر : الدرر السنية في الردِّ علىٰ الوهَّابيَّة أحمد زيني دحلان (ص٤٢-٤٤ ببعض الاختصار) .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الأَدِلَّةُ عَلَى جَوَازِ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم

استدلَّ الجمهور على جواز واستحباب الاحتفال بميلاد خير البريَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعديد من الأدلَّة ، منها :

الدَّلِيْلُ الأَوَّل : أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتبر لوناً من ألوان الاحتفاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك مطلوب لأنَّه الرَّحمة المهداة ، قال تعالى : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الانبياء ١٠٧] . وروى مسلم (٤/ ٢٠٠٦ برقم ٢٥٩٩) بسند عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ : " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً ، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً " .

وعَنِ ابْنِ عبَّاس ، فِي قَوْلِهِ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس : ٥٨] ، قَالَ : يَعْنِي بِفَضْلِ اللَّهِ : الْقُرْآنُ ، وَبِرَحْمَتِهِ فَلْيَفْرَحُوا يَعْنِي : مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، " ثمَّ تَلا **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] . انظر : نسخة الزبير بن عدي ، الزُّبَيْرُ بنُ عَدِيٍّ أَبُو عَدِيٍّ الهَمْدَانِيُّ اليَامِيُّ الكُوْفِيُّ، قَاضِي الرَّيِّ (١٣١هـ) ، (١/ ٥٢ برقم ٥١) ، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية ، الطبعة : الأولى ، ٢٠٠٤م .

وروى ابن أبي شيبة وغيره بسندهم عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَ الرَّاهِبُ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ فلاَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يَلْتَفِتُ ، قَالَ : فَهُمْ يَحِلُّونَ رِحَالَهُمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَذَا سيِّد الْعَالَمِينَ ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هَذَا يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عِلْمُك ؟ فَقَالَ : إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ ، وَلاَ حَجَرٌ إلاَّ خَرَّ سَاجِداً ، وَلاَ يَسْجُدُون إلاَّ لِنَبِيٍّ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (١١/ ٤٧٩ برقم ٣٢٣٩١) ، الترمذي (٦/ ١٩ برقم ٣٦٢٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْه) ، البزار في المسند (٨/ ٩٧ برقم ٣٠٩٦) ، البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤) .

والرَّحمة كما حصلت للمؤمن ، حصلت للكافر ، وذلك من خلال معافاته ممَّا أصاب الأمم السَّابقة من الخسف والقذف ، فقد روى الطَّبري بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، فِي قَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] ، قَالَ : " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ كُتِبَ لَهُ الرَّحْمَةُ فِي

الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ مِنَ الْخَسْفِ وَالْقَذْفِ " . أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٤٤٠) ، ابن كثير في التفسير (٥/ ٣٨٧) ، (٩/ ٤٦٠) .

وروىٰ أيضاً بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عبَّاس ، فِي قَوْلِهِ : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] ، قَالَ : " تَمَّتِ الرَّحْمَةُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ قَبْلُ " . أخرجه الطبري في التفسير (١٦/ ٤٤٠) .

وقد طلب الله تعالىٰ منَّا أن نفرح بفضل الله ورحمته ، قال تعالىٰ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** ، والرَّحمة هنا هي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يؤيِّد هذا ما روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس : ٥٨] ، قَالَ : يَعْنِي بِفَضْلِ اللَّهِ الْقُرْآنَ وَبِرَحْمَتِهِ يَعْنِي مُحَمَّداً صلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم ، ثمَّ تَلَا **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] . أخرجه الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ١٣٦ برقم ٤٨٢) ، وذكره ابن الجوزي في التفسير (٢/ ٣٦٦) السُّيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٦٧) ، وقال : وأخرج أبو الشَّيخ عن ابن عبَّاس ، به

فقوله سبحانه وتعالىٰ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** ، فيه ندبٌ للفرح بكلِّ ما هو من فضل الله ورحمته ، وأيّ فضل ورحمة إلهيَّة أعظم من ولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! فقد بزغ بمجيئه نور الحقّ ، وجاء بمولده الخير للبشريَّة . كما أنَّه لا فرق بين ما ورد من كون المقصود من الفرح بالرَّحمة الواردة بالآية الكريمة : الإسلام ، وبين ما ورد من كونها النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الفرح بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحٌ بالإسلام ...

والفرح به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجبُّ أن يعمَّ جميع أوقاتنا ، ولكنَّه يتأكَّد في يوم مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه بداية ظهور الرَّحمة التي عمَّت الأكوان بنورها ، وعطَّرت الأركان بأريجها ...

وبناء علىٰ أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المقصود بالرَّحمة الواردة في الآية ، كما روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، فالآية نصٌّ علىٰ أنَّ الاحتفال والفرح بمولده مشروع بل مستحبٌّ بنصِّ القرآن ، ولذلك فإنَّ المعترضين علىٰ الفرح والسُّرور والحبور بميلاد سيِّد ولد آدم إنَّما يعترضون علىٰ آي القرآن العظيم ، بناء علىٰ تفسير حبر الأمَّة وترجمان القرآن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما لقوله تعالىٰ : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** ... فلمن نستجيب ؟؟!! اللأمر الإلهي ، أم لمن أغرقوا في بحر التَّقليد العقيم الذَّميم من المتمسلفة ؟!!!

الدَّلِيْلُ الثَّانِي : قوله تعالىٰ : **﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود:١٢٠] .

فالقرآن قصَّ علىٰ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصص الأنبياء السَّابقين من أجل تثبيت فؤاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال التأسِّي بهم ، والتَّسلية بما جرىٰ لهم مع أقوامهم وصبرهم عليهم ...

وتَثْبِيتُ الْفُؤَادِ يكون من خلال الحرص " عَلَىٰ أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَلَىٰ الصَّبْرِ وَاحْتِمَالِ الْأَذَىٰ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ابْتُلِيَ بِمِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَإِذَا رَأَىٰ لَهُ فِيهِ مُشَارِكاً خَفَّ ذَلِكَ عَلَىٰ قَلْبِهِ ، كَمَا يُقَالُ : الْمُصِيبَةُ إِذَا عَمَّتْ خَفَّتْ ، فَإِذَا سَمِعَ الرَّسُول هَذِهِ الْقِصَصَ ، وَعَلِمَ أَنَّ حَالَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِمْ مَعَ أَتْبَاعِهِمْ هَكَذَا ، سَهُلَ عَلَيْهِ تَحَمُّلُ الْأَذَىٰ مِنْ قَوْمِهِ وَأَمْكَنَهُ الصَّبْرُ عَلَيْهِ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٨/ ٤١٢) .

" ومعنىٰ تَثْبِيْتُ الفؤادِ : تسكين القلب ، وهو ههنا ليس للشَّكِّ ، ولكن كلَّما كان الدلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت ، كما قال إبراهيم : **﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة : ٢٦٠] . انظر : معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج (٣/ ٨٤) .

" وَتَثْبِيتُ فُؤَادِ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زِيَادَةُ يَقِينِهِ وَمَعْلُومَاتِهِ بِمَا وَعَدَهُ اللَّهُ ، لِأَنَّ كُلَّ مَا يُعَادُ ذِكْرُهُ مِنْ قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِ أُمَمِهِمْ مَعَهُمْ يَزِيدُهُ تَذَكُّراً وَعِلْماً بِأَنَّ حَالَهُ جَارٍ عَلَىٰ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَازْدَادَ تَذَكُّراً بِأَنَّ عَاقِبَتَهُ النَّصْرُ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ ، وَتَجَدُّدُ تَسْلِيَةٍ عَلَىٰ مَا يَلْقَاهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ ، وَذَلِكَ يَزِيدُهُ صَبْراً ، وَالصَّبْرُ : تَثْبِيتُ الْفُؤَادِ .

وَأَنَّ تَمَاثُلَ أَحْوَالِ الْأُمَمِ تِلْقَاءَ دَعْوَةِ أَنْبِيَائِهَا مَعَ اخْتِلَافِ الْعُصُورِ يَزِيدُهُ عِلْماً بِأَنَّ مَرَاتِبَ الْعُقُولِ الْبَشَرِيَّةِ مُتَفَاوِتَةٌ ، وَأَنَّ قَبُولَ الْهُدَىٰ هُوَ مُنْتَهَىٰ ارْتِقَاءِ الْعَقْلِ ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الِاخْتِلَافَ شَنْشَنَةٌ قَدِيمَةٌ فِي الْبَشَرِ ، وَأَنَّ الْمُصَارَعَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ شَأْنٌ قَدِيمٌ ، وَهِيَ مِنَ النَّوَامِيسِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا النِّظَامُ الْبَشَرِيُّ ، فَلَا يُحْزِنُهُ مُخَالَفَةُ قَوْمِهِ عَلَيْهِ ، وَيَزِيدُهُ عِلْماً بِسُمُوِّ أَتْبَاعِهِ الَّذِينَ قَبِلُوا هُدَاهُ ، وَاعْتَصَمُوا مِنْ دِينِهِ بِعُرَاهُ " . انظر : التحرير والتنوير (تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (١٢/ ١٩٢) .

والرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو قدوتنا وقائدنا في الطَّريق إلىٰ الله تعالىٰ ، قال سبحانه : **﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾** [الأحزاب:٢١] ، ولا يكتمل الاقتداء والاتِّباع إلَّا من خلال الاطلاع علىٰ سيرته ، وأخلاقه ، وأحواله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك الاقتداء الذي من شأنه أن يثبِّت أفئدتنا علىٰ الحقّ ، ويُجمِّل أيامنا بالصَّبر علىٰ ما نلاقيه من خلال

الدَّعوة إلىٰ صراط الله المستقيم ، وما الاحتفال بالمولد الشَّريف إلَّا لوناً من ألوان الفرح والسُّرور ، وموسماً طيِّباً من مواسم الدَّعوة إلىٰ الله تعالىٰ ، حيث لا يعدو الأمر عن قراءة سيرته ، والدَّعوة إلىٰ متابعته ، وتجديد الهمَّة علىٰ نصرة شريعته ، مع العلم أنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتخيَّر الأوقات المناسبة لدعوة أصحابه إلىٰ الخير ...

وعليه ، فنحن نسمع في يوم مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنباء سيرته لتثبت أفئدتنا علىٰ الإيمان به وبما جاء به ، لأنَّنا نعلم يقيناً أنَّ الله تعالىٰ عظَّمه بما لم يُعظم به أحداً من العالمين ، وتعظيمه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعظيمٌ لدينه ، وذلك يقتضي امتثال الأوامر واجتناب النَّواهي ، وتعلُّم الجديد عنه لنزداد محبَّة علىٰ محبَّة فيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذلك أنَّ محبَّته من أكبر أسباب السَّعادة في الدُّنيا والآخرة ، لأنَّ المرء مع من أحبّ ...

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ : أنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتفل بيوم مولده ، وذلك من خلال صيامه لذلك اليوم ... فقد سئل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صوم يوم الاثنين ، فقال : " ذاك يوم ولدتُ فيه " . أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦ برقم ٢٢٥٩٠) ، مسلم (٢/ ٨١٩ برقم ١١٦٢) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٩) ، السنن الصغير (٢/ ١١٧ برقم ١٤١٠) ، دلائل النبوة (١/ ٧٢) ، الطيالسي في المسند (١/ ٥١٥ برقم ٦٣٦) ، عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٢٩٥ برقم ٧٨٦٥) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٣ برقم ١٧٩٧) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٤٣ برقم ١٢١١) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٢١٤ برقم ٢٧٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٩٨ برقم ٢١١٧) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٢٩ برقم ٢٩٤٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ٤٠٤ برقم ٣٦٤٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٥١) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (١/ ١٣٣ برقم ١٤٤) .

قال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج : " وَفَضِيلَةُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ بِمَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُفْعَلُ فِيهَا لِمَا قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَمْكِنَةَ وَالْأَزْمِنَةَ لَا تَتَشَرَّفُ لِذَاتِهَا وإِنَّما يَحْصُلُ لَهَا التَّشْرِيفُ بِمَا خُصَّتْ بِهِ مِنْ الْمَعَانِي . فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إلَىٰ مَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ هَذَا الشَّهْرَ الشَّريف وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ .

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُلِدَ فِيهِ . فَعَلَىٰ هَذَا يَنْبَغِي إذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ أَنْ يُكَرَّمَ وَيُعَظَّمَ وَيُحْتَرَمَ الِاحْتِرَامَ اللَّائِقَ بِهِ ، وَذَلِكَ بِالِاتِّبَاعِ لَهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي كَوْنِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – كَانَ يَخُصُّ الْأَوْقَاتَ الْفَاضِلَةَ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ فِيهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ " . انظر : المدخل (٢/ ٣) .

ومن المعلوم أنَّ في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ذاك) تنويهٌ بيوم مولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، وفيه معنىٰ الاحتفال ، حيث يُشير إلىٰ الاحتفال الذي معناه : الاهتمام ، والكثرة ، والاجتماع ...

فالحديث الشَّريف يُشير إلىٰ أنَّ صيامه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوم الاثنين كان من أجل ولادته فيه ، وعليه فالصَّوم فيه هو من أجل شكر الله تعالىٰ علىٰ مننه ونعمائه التي من أعظمها ولادة خاتم أنبيائه ورسله ، وهل يصنعُ المحتفلون بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير ألوان من الشُّكر لله تعالىٰ علىٰ ما منَّ به من مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم العظيم ؟!!! مع العلم أنَّ الاحتفال بمولده قد يأخذ أشكالاً عديدة ، فقد يكون الاحتفال بالصَّوم شكراً لله تعالىٰ علىٰ نعمة الإسلام التي انبلج فجرها بولادة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد يكون بالاجتماع علىٰ محبَّته بذكر شمائله وخصائصه والاستماع إلىٰ سيرته ، وقد يكون بإطعام الطَّعام ، وكذا بأيِّ وسيلة فيها تحبيب النَّاس وترغيبهم بالإسلام والسَّير علىٰ هدي وسنن خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ...

جاء في " تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكَّة والحرم وولاتها الفخام " :
" وفي الإعلام : أنَّه يُستجاب الدُّعاء في مولد النَّبي صلىٰ الله عليه وسلم، وهو موضع مشهور يُزار إلىٰ الآن، ويكون كلّ ليلة اثنتي عشرة من ربيع الأوَّل في كلِّ عام، تجتمع الفقهاء والأعيان مع نظَّار الحرم والقضاة الأربعة بمكَّة بعد صلاة المغرب بالشُّموع الكثيرة والفوانيس والمشاعل، والمشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة، ويخرجون من المسجد إلىٰ سوق الليل، ويمشون فيه إلىٰ المحلِّ الشَّريف بازدحام، ويخطب فيه شخص ويدعو فيه للسُّلطان، ثمَّ يعودون إلىٰ المسجد الحرام، ويجلسون صفوفًا من جهة الباب الشَّريف خلف العام، ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم والقضاة ويدعو للسُّلطان، ثمَّ يؤذِّن للعشاء، ويصلُّون علىٰ عادتهم ثمَّ يتفرَّقون، ويأتي النَّاس من البدو والحضر وأهل جدَّة وسكان الأودية في تلك الليلة لإحياء هذه الليلة ويفرحون بها ، وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين، وكيف لا يجعلونه عيدًا من أكبر أعيادهم، غير أنَّ بعض المتعسِّفين أنكر حصول هذا الجمع علىٰ هذا الوجه لما أنَّه تجتمع فيه من الملاهي والغوغاء، واجتماع الرِّجال مع النِّساء، فيكون ذلك بدعة، ولم يحك عن السَّلف بشيء من ذلك.

قال القطب : والصَّواب أنَّ هذه الجمعيَّة إن حُفظت من الجمع بين النِّساء والرِّجال وما يتوقَّع فيها من مواقع الملاهي فهي بدعة حسنة، تتضمَّن تعظيم النَّبي الكريم صلىٰ الله عليه وسلم بالذِّكر والدُّعاء والعبادة وقراءة القرآن، وقد أشار صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ فضل هذا الشَّهر؛ لقوله صلىٰ الله عليه وسلم

للذي سأله عن صوم يوم الاثنين قال له: " ذاك يوم ولدت فيه"، فتشريف هذا اليوم متضمِّن لتشريف هذا الشَّهر الذي هو فيه، فينبغي أن يحترم غاية الاحترام؛ بشغله بالعبادة والصِّيام والقيام، وإظهار السُّرور بظهور سيِّد الأنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : تحصيل المرامفي أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام (ص٥٣٩-٥٤١) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ : قوله تعالىٰ : **﴿قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** [المائدة : ١١٤] .

فعيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام اتَّخذ من اليوم الذي نزلت عليه المائدة من السَّماء عيداً ، وذلك منه شكر لله تعالىٰ علىٰ نعمائه ، بأن أكرمه وتلاميذه بتلك المائدة ...

قال الإمام الطَّبري (٣١٠هـ) في تفسير الآية : " ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: **﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾** ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: نَتَّخِذُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عِيدًا نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا . ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: ثنا أَسْبَاطٌ، عَنِ السُّدِّيِّ، قَوْلُهُ: **﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾** [المائدة: ١١٤] يَقُولُ: «نَتَّخِذُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عِيدًا نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا» . انظر : جامع البيان في تأويل القرآن (١١/ ٢٢٥) ، وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم الرازي (٤/ ١٢٤٩) ، تفسير الماوردي(النكت والعيون) (٩/ ١٢٣) ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، الواحدي النيسابوري (٢/ ٢٤٦) .

وصادف نزول المائدة يوم الأحد ، " فصار ذلك اليوم عيداً لهم " . انظر : بحر العلوم (١/ ٤٥١) .

وقال الإمام محيي السُّنَّة ، أبو محمَّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ) : **﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ، تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا﴾** [المائد : ١١٤] ، أَيْ : عَائِدَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا حجَّة وَبُرْهَاناً ، وَالْعِيدُ : يَوْمُ السُّرُورِ، سُمِّيَ بِهِ لِلْعَوْدِ مِنَ التَّرَحِ إِلَىٰ الْفَرَحِ ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا اعْتَدْتَهُ وَيَعُودُ إِلَيْكَ ، وَسُمِّيَ يَوْمُ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَىٰ عِيداً لِأَنَّهُمَا يَعُودَانِ كُلَّ سَنَةٍ ، قَالَ السُّدِّيُّ : مَعْنَـــاهُ نَتَّخِذُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، أَيْ : نُعَظِّمُهُ نَحْنُ وَمَنْ بَعْدَنَا ". انظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (٣/ ١١٨) .

وقال الإمام الطَّاهر بن عاشور في " التَّحرير والتَّنوير " (١٠٨/٧) : " وَمَعْنَىٰ **﴿تَكُونُ لَنا عِيداً﴾** ، أَيْ : يَكُونُ تَذَكُّرُ نُزُولِهَا بِأَنْ يَجْعَلُوا الْيَوْمَ الْمُوَافِقَ يَوْمَ نُزُولِهَا مِنْ كُلِّ سَنَةٍ عِيداً ، فَإِسْنَادُ الْكَوْنِ عِيداً لِلْمَائِدَةِ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ ، وإِنَّما الْعِيدُ الْيَوْمُ الْمُوَافِقُ لِيَوْمِ نُزُولِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : **﴿لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا﴾** ، أَيْ : لِأَوَّلِ أُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَآخِرِهَا ، وَهُمُ الَّذِينَ خُتِمَتْ بِهِمُ النَّصْرَانِيَّةُ عِنْدَ الْبَعْثَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .

وَالْعِيدُ اسْمٌ لِيَوْمٍ يَعُودُ كُلَّ سَنَةٍ ، ذِكْرَىٰ لِنِعْمَةٍ أَوْ حَادِثَةٍ وَقَعَتْ فِيهِ لِلشُّكْرِ أَوْ لِلاعْتِبَارِ " .

وَقَوْلُهُ تعالىٰ : ﴿**تكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَآخِرِنا**﴾ إِشَارَةٌ إِلَىٰ ابْتِهَاجِ الرُّوحِ بِالنِّعْمَةِ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا نِعْمَةٌ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صَادِرَةٌ عَنِ الْمُنْعِمِ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (١٢/ ٤٦٤) .

فالنَّصارىٰ اتَّخذوا اليوم الذي أنزل الله فيه عليهم المائدة عيداً ويوماً للبهجة والسُّرور والحبور ... فهل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلّ بركة من المائدة التي أنزلها الله على عيسىٰ وتلاميذه ؟!! وهل سعِدَ العالمُ سعادةً كسعادته بصاحب الشَّفاعة العُظمىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!!! فلماذا يُصرُّ متمسلفةُ هذا الزَّمان علىٰ اعتبار الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة وضلالة ؟؟؟!!

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ : روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما بسندهم عَنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَاماً ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ ؟ " فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ ، أَنْجَىٰ اللهُ فِيهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ شُكْراً، فَنَحْنُ نَصُومُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُـــمْ ، فَصَامَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ " . أخرجه البخاري (٥/ ٧٠ برقم ٣٩٤٣) ، مسلم (٢/ ٧٩٦ برقم ١١٣٠ ، واللفظ له) ، الحميدي في المسند (١/ ٢٣٩ برقم ٥١٥) ، أحمد في المسند (١/ ٢٩١ برقم ٢٦٤٤) ، ابن ماجه (١/ ٥٥٢ برقم ١٧٣٤) ، أبو داود (٢/ ٣٢٦ برقم ٢٤٤٤) ، البزار في المسند (١١/ ٣٢٢ برقم) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ١٢٥ برقم ١١١٧٣) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٨٦ برقم ٢٠٨٤) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٣٢ برقم ٢٩٦٤) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٧) ، شعب الإيمان (٥/ ٣٢١ برقم ٣٤٩٨) ، فضائل الأوقات (ص٤٣٤ برقم ٢٣٣) ، أبو يعلىٰ في المسند (٤/ ٤٤٠ برقم ٢٥٦٧) .

فالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتفل بيوم عاشوراء من خلال صيامه شكراً له تعالىٰ ، حيث أنجىٰ الله فيه نبيّاً عظيماً من أُولي العزم من الرُّسل من الغرق ، وقال : نحن أولىٰ بموسىٰ من اليهود الذين عادوا موسىٰ ، ولم يمتثلوا أوامره ، وقاموا بتحريف دينه ، وساروا علىٰ غير هديه وسننه ... فصامه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بصيامه .

وقد استدلَّ الإمام ابن حجر العسقلاني بهذه الواقعة علىٰ مشروعيَّة الاحتفال بميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : " وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهَا عَلَىٰ أَصْلٍ ثَابِتٍ ، وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا : هُوَ يَوْمٌ أَغْرَقَ اللَّهُ فِيهِ فرعون وَنَجَّىٰ مُوسَىٰ ، فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْراً لِلَّهِ تَعَالَىٰ ، فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِعْلُ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ

مُعَيَّنٍ مِنْ إِسْدَاءِ نِعْمَةٍ أَوْ دَفْعِ نِقْمَةٍ ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ يَحْصُلُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتِّلَاوَةِ ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ بِبُرُوزِ هَذَا النَّبي نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ " . انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٩) .

الدَّلِيْلُ السَّادسُ : قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " . أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨).

قال الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) في شرحه للحديث " وَقَوله : " من سنّ فِي الْإِسْلَام سُنَّة حَسَنَة " ، أَي : فعل فعلاً جميلاً فاقتدي بِهِ ، وَكَذَلِكَ إِذا فعل فعلاً قبيحاً فاقتدي بِهِ ، فليجتهد الْإِنْسَان فِي فعل خير يلْحقهُ ثَوَابه بعد مَوته ، وليحذر من فعل شَرّ يُدْرِكهُ إثمه بعد تلفه " . انظر : كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٣٤)

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) في شرحه للحديث : " فِيهِ الْحَثُّ عَلَىٰ الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ : " فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاس " . وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ : تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ " . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٠٤) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الهادي التتوي ، أبو الحسن ، نور الدِّين السِّندي (١١٣٨هـ) : " قَوْلُهُ : (سُنَّةً حَسَنَةً) ، أَيْ : طَرِيقَةً مَرْضِيَّةً يُقْتَدَىٰ فِيهَا ، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ بِمُوَافَقَةِ أُصُولِ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا ". انظر : حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه) (١/ ٩٠) .

وقال الإمام أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم المباركفوري (١٣٥٣هـ) : " قَوْلُهُ : (مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ) ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، أَيْ : أَتَىٰ بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، (فَاتُّبِعَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ وَالضَّمِيرُ إِلَىٰ مَنْ (عَلَيْهَا) أَوْ عَلَىٰ تِلْكَ السُّنَّةِ ، (فَلَهُ أَجْرُه) الضَّمِيرَانِ يَرْجِعَانِ إِلَىٰ مَنْ سَنَّ ، أَيْ : لَهُ أَجْرُ عَمَلِهِ بِتِلْكَ السُّنَّةِ (غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً) بِالنَّصْبِ عَلَىٰ أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ ، أَيْ : لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً مِنَ النَّقْصِ ، (وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ) ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، أَيْ : طَرِيقَةً غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ لَا يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين " . انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٧/ ٣٦٥) .

وقال الإمام أبو الحسن عبيد الله بن محمَّد عبد السَّلام بن خان محمَّد بن أمان الله بن حسام الدِّين الرَّحماني المباركفوري (١٤١٤هـ) : " (من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة) ، أي : أتىٰ بطريقة مرضيَّة يشهد لها أصل من أصول الدِّين ، أو صار باعثاً وسبباً لترويج أمر ثابت في الشَّرع (فله أجرها) ، أي : أجر السُّنَّة ، أي : ثواب العمل بها والإضافة لأدنىٰ ملابسة ، فإنَّ السُّنَّة سبب ثبوت الأجر فجازت الإضافة . (من بعده) أي : من بعد ما سنَّ (من غير أن ينقص) علىٰ البناء للمفعول ، وجوز أن يكون معلوماً ؛ لأنَّه متعدٍ ولازم . (سنَّة سيِّئة) ، أي : طريقة غير مرضيَّة لا يشهد لها أصل من أصول الدِّين ، يعني : بدعة شرعيَّة . (من أوزارهم) جمع في الموضعين باعتبار معنىٰ " من " ، كما أفرد في " ينقص " باعتبار لفظه . وفي الحديث الحث علىٰ البداءة بالخير ليستنَّ به ، والتَّحذير من البداءة بالشَّر خوف أن يستنَّ به ، ووجه المناسبة بالعلم أن استنان السُّنن المرضيَّة من باب العلم المنتفع به " . انظر : مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٣١٥) .

فبناء علىٰ ما قاله العلماء في شرح الحديث ، فإنَّ الحديث دليل علىٰ استحباب الحثِّ علىٰ الابتداء بالخيرات والمرضيَّات ، وسنِّ السُّنن الحسنات الطيِّبات ، وكذا التَّحذير من سنِّ السُّنن الباطلات المستقبحات ، فمن سنَّ سُنَّة طيِّبة مرضيَّة فاقتُدي به فيها كان له أجرها وأجر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة ، فيلحقه أجرها بعد موته ، وكذا إذا سنَّ سُنَّة سيِّئة مُستقبحة فاقتُدي به فيها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة ، يلحقه وزرها بعد موته ، وهذا سبيل للمنافسة بالاجتهاد في فعل الخيرات المستحدثات التي يَشْهَدُ لَهَا أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّين ، ولا تتعارض مع أحد منها ...

فالحديث لم يجعل الخير حكراً علىٰ أهل القرون الأولىٰ ، وأنَّ في الأمر سعة ، والخير ليس له قيد يقيِّده ، ولا حدٌّ يحدُّه ، ولا تعلق له إلا بمدىٰ موافقة الشَّيء المستحدث لأصول الشَّرع ، فإن وافقها فهو

من الشَّرع ، لأنَّ الشَّرع حثَّ على الخير ودعا إليه ، والخير لا يرتبط بزمان ولا مكان ، وبالتَّالي فالباب مفتوح لأبناء الأمَّة للتَّنافس في ابتداع الخير ، وما من شكٍّ في أنَّ الاحتفال بميلاد خير الورىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لون من ألوانٌ الخير العميم ، وبدعة حسنة ، وسُنَّة طيِّبة ، جعل الله تعالىٰ أجرها لمن ابتدأها وعمل بها إلىٰ يوم القيامة ...

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ : أنَّه قد صحَّ أنَّ أبا لهب يُخفَّف عنه العذاب يوم الاثنين لإعتاقه ثويبة جاريته عندما بشَّرته بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذلك منه احتفال وسرور بولادة ابن أخيه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

فقد روىٰ البخاري عَنْ عُرْوَةُ مُرسلاً : وثُوَيْبَةُ مَوْلاَةٌ لِأَبِي لَهَبٍ : كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا ، فَأَرْضَعَتِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ ، قَالَ لَهُ : مَاذَا لَقِيتَ ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ : لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ ، وَأَشَارَ إِلَىٰ النَّقِيرَةِ الَّتِي بَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا " .

أخرجه البخاري (٧/ ٩) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٧/ ٢٦٢ برقم ١٣٩٢٣) ، السنن الصغير (٣/ ٤٠ برقم ٢٤٣٩) ، دلائل النبوة (١/ ١٤٩) ، البعث والنشور (ص٦٣ برقم ١٦) ، شعب الإيمان (١/ ٤٤٣ برقم ٢٧٧) ، البغوي في شرح السنة (٩/ ٧٦) ، ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (١/ ٨٧) ، الذَّهبي في تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١/ ٤٩٦) ، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٩) ، السهيلي في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (٥/ ١٢٢) ، الحميري في الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والثلاثة الخلفاء (١/ ٣٤٧) ، ابن كثير في السيرة النبوية من البداية (١/ ٢٢٤) ، المقريزي في إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (١/ ٩) السُّيوطي في الخصائص الكبرىٰ (١/ ٣٤٣) .

قال الإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) في شرحه للأثر : " قَالَ بن بَطَّالٍ : سَقَطَ الْمَفْعُولُ مِنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَلَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ إِلَّا بِهِ " . انظر : : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/ ١٤٥) .

قلت : والمفعول الذي أشار ابن بطَّال لسقوطه هو : (خيراً) ، فيكون الكلام : لم ألق بعدكم خيراً غير أنِّي سُقيت ...

وهذه الرِّواية وإن كانت مرسلة ، إلَّا أنَّها مقبولة لأجل نقل البخاري لها ، واعتماد العلماء من الحفَّاظ لذلك ، ولكونها في المناقب والخصائص لا في الحلال والحرام ، وطلَّاب العلم يعرفون الفرق في الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام ، وأمَّا انتفاع الكفَّار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا

محلّ بسطه ، والأصل فيه ما جاء في الصَّحيح من التَّخفيف عن أبي طالب بطلب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... " . انظر : منهج السَّلف في فهم النصوص (ص٣٩٠) .

فإذا كان أبُو لهبٍ الكافرُ ، الذي أنزل الله تعالىٰ فيه قوله سبحانه : **﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ * سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾** [المسد : ١ – ٥] ، خُفِّف عنه في النَّار لفرحه بولادة الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فما الظَّنُّ بالمؤمن الموحِّد الذي فرح طول عمره بسيِّد الخلق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودلَّل علىٰ ذلك الفرح ببذل ماله ووقته وكلّ ما يملك في مَحبَّتِهِ ...

فبعد أن أورد الإمام ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي قصَّة إعتاق أبي لهب لجاريته ثويبة ، وما جوزي عليه من التَّخفيف ، أنشد :

إذا كان هذا كافراً جاء ذمُّه ... وتبَّت يداه في الجحيم مخلَّدا

أتىٰ أنَّه في يوم الاثنين دائماً ... يُخفَّف عنه للسُّرور بأحمدا

فما الظَّنُّ بالعبد الذي طول عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحِّدا

انظر : فيض الوهَّاب في بيان أهل الحق و من ضل عن الصواب (٥/ ١٠٧) .

الدَّلِيْلُ الثَّامِنُ : أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باعث علىٰ تحقيق الأمر الوارد بالصَّلاة والسَّلام عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله : **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب:٥٦] .

قال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) : " وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الصَّلاة عَلَيْهِ فَرْضٌ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً ، وَفِي كُلِّ حِينٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وُجُوبَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ الَّتِي لَا يَسَعُ تَرْكُهَا وَلَا يَغْفُلُهَا إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ " . انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٤/ ٢٣٢) .

وقال الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) : " فإن قلت : الصَّلاة علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة ، وقد اختلفوا في حال وجوبها . فمنهم من أوجبها كلَّما جرىٰ ذكره ... ومنهم من قال : تجب في كلِّ مجلس مرَّة ، وإن تكرَّر ذكره ، كما قيل في آية السَّجدة ، وتشميت العاطس ، وكذلك في كلِّ دعاء في أوَّله وآخره . ومنهم من أوجبها في العمر مرَّة ، وكذا قال في إظهار الشَّهادتين . والذي يقتضيه الاحتياط : الصَّلاة عليه عند كلِّ ذكر ، لما ورد من الأخبار " . انظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٥٧–٥٥٨) .

ومن المعلوم أنَّ الوسائل لها حكم المقاصد ، فالصَّلاة عليه خيرٌ ، وما أَدَّىٰ إلىٰ الخير فهو خير ، وما كان باعثاً علىٰ المطلوب شرعاً ، فهو مطلوب شرعاً .

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " إنَّ المولد الشَّريف يبعث علىٰ الصَّلاة والسَّلام المطلوبين بقوله تعالىٰ : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب : ٥٦] . وما كان يبعث علىٰ المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً ، فكم للصَّلاة عليه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم من فوائد نبويَّة ، وإمدادات محمَّديَّة ، يسجد القلم في محراب البيان عاجزاً عن تعداد آثارها ومظاهر أنوارها " . انظر : منهج السَّلف في فهم النصوص (ص٣٩٢) .

وهذا هو الحاصل في اجتماع النَّاس للاحتفال بميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حيث لا يتجاوز الأمر الصَّلاة والسَّلام عليه ، وذكر خصائصه ، وفضائله ، وميزاته ، وشمائله ، وعظيم فضل الله ورحمته علىٰ العالمين بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... إنَّ من شأن ذلك كله أن يبعث علىٰ الاقتداء به ، والتَّأسِّي بأعماله وأقواله ، وتعظيم محبَّته في القلوب ... فأيُّ مانع يمنع من ذلك ؟!!!

الدَّلِيْلُ التَّاسِعُ : أنَّ الخليفة الرَّاشد الشَّهيد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه احتفل بالهجرة النَّبويَّة وخلَّدها من خلال جعلها بداية للتَّأريخ الإسلامي ، وذلك بعد أن عرض الصَّحابة عليه العديد العديد من المناسبات الإسلاميَّة الشهيرة ... ولكنَّه وجد أنَّ الهجرة هي أهمُّ حدثٍ في التَّاريخ الإسلامي ، وما ذاك إلَّا لأنَّه بالهجرة أصبحت لأمَّة الإسلام دولة وكيان ، وصولات وجولات ، وقوَّة ومنعة ، وكانت نقلة نوعيَّة في جميع الميادين ...

فاعتبار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لحدث الهجرة بداية للتَّأريخ الإسلامي هو بمثابة الاحتفال والإجلال والاحتفاء بها لعظيم قدْرها ، وأهميَّتها في تاريخ الإسلام ... فما المانع من قياس الاحتفال بميلاد صاحب الهجرة عليه الصَّلاة والسَّلام علىٰ احتفاء واحتفال عمر بن الخطاب بالهجرة ؟!!!

الدَّلِيْلُ العَاشِرُ : أنَّ النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقَّ عن نفسه ، فقد روىٰ البزَّار وغيره بسندهم عَن أَنَس ؛ أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ مَا بُعِثَ نَبيّاً . أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٤٧٨ برقم ٧٢٨١) ، الروياني في المسند (٢/ ٣٨٦ برقم ١٣٧١) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٧٨) ، الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٩٨ برقم ٩٩٤) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/ ٢٠٥ برقم ١٨٣٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٥٠٥ برقم ١٩٢٧٣) .

قال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " ... وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهُ عَلَىٰ أَصْلٍ آخَرَ ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ " أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ جَدَّهُ عبد المطلب عَقَّ عَنْهُ فِي سَابِعِ وِلَادَتِهِ . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١٢/ ٤٤٤ برقم ٣٥٥٢٠)

وَالْعَقِيقَةُ لَا تُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارٌ لِلشُّكْرِ عَلَىٰ إِيجَادِ اللَّهِ إِيَّاهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَتَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي عَلَىٰ نَفْسِهِ لِذَلِكَ ، فَيُسْتَحَبُّ لَنَا أَيْضاً إِظْهَارُ الشُّكْرِ بِمَوْلِدِهِ بِالِاجْتِمَاعِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْقُرُبَاتِ ، وَإِظْهَارِ الْمَسَرَّاتِ " . انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٣٠) .

الدَّلِيْلُ الحَادِيْ عَشَر : أنَّ النبيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوَّه بشرف يوم الجمعة ، فقد جاء في الحديث الشَّريف قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَم ... " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢/ ١٤٩ برقم ٥٥٥٤) ، أحمد في المسند ، (٤/ ٨ برقم ١٦٢٦٢) ، ابن ماجه (١/ ٣٤٥ برقم ١٠٨٥) ، أبو داود (١/ ٢٧٥ برقم ١٠٤٧) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٢٦٢ برقم ١٦٧٨) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ١١٨ برقم ١٧٣٣) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٤١٣ برقم ١٠٢٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٣٥٣ برقم ٥٩٩٣) ، السنن الصغير (١/ ٢٣٣ برقم ٦٠٥) ، شعب الإيمان (٤/ ٤٣٢ برقم ٢٧٦٨) ، فضائل الأوقات (ص٤٩٧ برقم ٢٧٥) .

فقد شرُف يوم الجمعة لولادة آدم فيه ، فكيف باليوم الذي وُلد فيه من هو أفضل من آدم ومن غيره من الأنبياء والرُّسل ، بل أفضل الخلق أجمعين ؟!!!

فما المانع إذن من قياس الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يوم الجمعة الذي شرُف على غيره بولادة آدم فيه ؟!! خاصَّة وأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بالإكثار في يوم الجمعة من الصَّلاة والسَّلام عليه . مع أنَّ صنيع المحتفلين بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام لا يعدو عن الصَّلاة والسَّلام عليه ، وذكر فضائله وخصائصه ، وتحبيب النَّاس باتِّباعه والسَّير على هديه وسننه ، والدَّعوة إلى التَّحلِّي بأخلاقه ...

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " يؤخذ من قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضل يوم الجمعة ، وعدّ مزاياه :

(وفيه خُلق آدم) تشريف الزَّمان الذي ثبت أنَّه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السَّلام ، فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النَّبيين وأشرف المرسلين ؟

ولا يختصُّ هذا التَّعظيم بذلك اليوم بعينه ، بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرَّر ، كما هو الحال في يوم الجمعة ، شكراً للنِّعمة ، وإظهاراً لمزيَّة النُّبوَّة وإحياء للحوادث التَّاريخيَّة الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانيَّة وجبهة الدَّهر وصحيفة الخلود ، كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السَّلام النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاة ركعتين ببيت لحم ثمَّ قال له : أتدري أين صلَّيت ؟ قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا ، قال : صلَّيت ببيت لحم حيث ولد عيسىٰ ، كما جاء ذلك في حديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه الذي رواه البزَّار وأبو يعلىٰ والطَّبراني رحمهم الله ، قال الحافظ الهيثمي في " مجمع الزَّوائد " : ورجاله رجال الصَّحيح (ج١ ص ٤٧) ، وقد نقل هذه الرِّواية الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ٧ ص ١٩٩) وسكت عنها " . انظر : حول الاحتفال بذكرىٰ المولد النَّبوي الشَّريف (ص٢٨-٢٩) .

الدَّلِيْلُ الثَّانِي عَشَر : أنَّ الاحتفال بميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لون من ألوان التَّعبير عن الفرح والسُّرور والحبور ، وقد نوَّه القرآن الكريم بميلاد مريم وابنها المسيح عيسىٰ عليه السَّلام ، وكذا بميلاد يحيىٰ بن زكريَّا عليهما السَّلام .

والمحتفلون بميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سائرون علىٰ ذلك السَّنن ، وقد أبدع شوقي حين قال :

وُلِدَ الهُدىٰ فَالكائِناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
الرُّوحُ وَالمَلَأُ المَلائِكُ حَولَهُ ... لِلدِّينِ والدُّنيا بِهِ بُشَراءُ
وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ... وَالمُنتَهىٰ وَالسِدرَةُ العَصماءُ
وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُبا ... بِالتُرجُمانِ شَذِيَّةٌ غَنّاءُ
وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلاً مِن سَلسَلٍ ... وَاللَوحُ وَالقَلَمُ البَديعُ رُواءُ
نُظِمَت أَسامي الرُسلِ فَهيَ صَحيفَةٌ ... في اللَوحِ وَاسمُ محمَّد طُغَراءُ
اِسمُ الجَلالَةِ في بَديعِ حُروفِهِ ... أَلِفٌ هُنالِكَ وَاسمُ طَهَ الباءُ
يا خَيرَ مَن جاءَ الوُجودَ تَحِيَّةً ... مِن مُرسَلينَ إِلىٰ الهُدىٰ بِكَ جاؤوا
بَيتُ النَبِيّينَ الَّذي لا يَلتَقي ... إِلّا الحَنائِفُ فيهِ وَالحُنَفاءُ
خَيرُ الأُبُوَّةِ حازَهُم لَكَ آدَمٌ ... دونَ الأَنامِ وَأَحرَزَت حَوّاءُ
هُم أَدرَكوا عِزَّ النُبُوَّةِ وَانتَهَت ... فيها إِلَيكَ العِزَّةُ القَعساءُ
خُلِقَت لِبَيتِكَ وَهوَ مَخلوقٌ لَها ... إِنَّ العَظائِمَ كُفؤُها العُظَماءُ
بِكَ بَشَّرَ اللَهُ السَماءَ فَزُيِّنَت ... وَتَضَوَّعَت مِسكاً بِكَ الغَبراءُ

وَبَدا مُحَيّاكَ الَّذي   حَقٌّ وَغُرَّتُهُ هُدىً وَحَياءُ

وَعَلَيهِ مِن نورِ النُبُوَّةِ رَونَقٌ   وَمِنَ الخَليلِ وَهَديِهِ سيماءُ

أَثنى المَسيحُ عَلَيهِ خَلفَ سَمائِهِ   وَتَهَلَّلَت وَاهتَزَّتِ العَذراءُ

يَومٌ يَتيهُ عَلى الزَمانِ صَباحُهُ   وَمَساؤُهُ بمحمَّد وَضّاءُ

الحَقُّ عالي الرُكنِ فيهِ مُظَفَّرٌ   في المُلكِ لا يَعلو عَلَيهِ لِواءُ

ذُعِرَت عُروشُ الظالِمينَ فَزُلزِلَت   وَعَلَت عَلى تيجانِهِم أَصداءُ

وَالنارُ خاوِيَةُ الجَوانِبِ حَولَهُم   خَمَدَت ذَوائِبُها وَغاضَ الماءُ

وَالآيُ تَترى وَالخَوارِقُ جَمَّةٌ   جِبريلُ رَوّاحٌ بِها غَدّاءُ

نِعمَ اليَتيمُ بَدَت مَخايِلُ فَضلِهِ   وَاليُتمُ رِزقٌ بَعضُهُ وَذَكاءُ

في المَهدِ يُستَسقى الحَيا بِرَجائِهِ   وَبِقَصدِهِ تُستَدفَعُ البَأساءُ

بِسِوى الأَمانَةِ في الصِبا وَالصِدقِ   لَم يَعرِفهُ أَهلُ الصِدقِ وَالأُمَناءُ

يا مَن لَهُ الأَخلاقُ ما تَهوى العُلا   مِنها وَما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ

لَو لَم تُقِم ديناً لَقامَت وَحدَها   ديناً تُضيءُ بِنورِهِ الآناءُ

زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ   يُغرى بِهِنَّ وَيولَعُ الكُرَماءُ

أَمّا الجَمالُ فَأَنتَ شَمسُ سَمائِهِ   وَمَلاحَةُ الصِدّيقِ مِنكَ أَياءُ

وَالحُسنُ مِن كَرَمِ الوُجوهِ وَخَيرُهُ   ما أوتِيَ القُوّادُ وَالزُعَماءُ

فَإِذا سَخَوتَ بَلَغتَ بِالجودِ المَدى   وَفَعَلتَ ما لا تَفعَلُ الأَنواءُ

وَإِذا عَفَوتَ فَقادِراً وَمُقَدراً   لا يَستَهينُ بِعَفوِكَ الجُهَلاءُ

وإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ   هَذانِ في الدُّنيا هُما الرُحَماءُ

وَإِذا غَضِبتَ فَإِنَّما هِيَ غَضبَةٌ   في الحَقِّ لا ضِغنٌ وَلا بَغضاءُ

وَإِذا رَضيتَ فَذاكَ في مَرضاتِهِ   وَرِضى الكَثيرِ تَحَلُّمٌ وَرِياءُ

وَإِذا خَطَبتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ   تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ

وَإِذا قَضَيتَ فَلا اِرتِيابَ كَأَنَّما   جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ

وَإِذا حَمَيتَ الماءَ لَم يورَد وَلَو   أَنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ

وَإِذا أَجَرتَ فَأَنتَ بَيتُ اللَهِ لَم   يَدخُل عَلَيهِ المُستَجيرَ عَداءُ

وَإِذا مَـلَـكـتَ النَفسَ قُمتَ بِبِرِّها وَلَـوَ اَنَّ مـا مَـلَكَت يَداكَ الشاءُ
وَإِذا بَـنَـيـتَ فَـخَيرُ زَوجٍ عِشـرَةً وَإِذا اِبـتَـنَـيـتَ فَـدونَـكَ الآبـاءُ
وَإِذا صَـحِـبتَ رَأىٰ الوَفاءَ مُجَسَّماً فـي بُـردِكَ الأَصـحابُ وَالخُلَطـاءُ
وَإِذا أَخَـذتَ الـعَـهـدَ أَو أَعطَيتَـهُ فَـجَـمـيـعُ عَـهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ
وَإِذا مَـشَـيـتَ إِلـىٰ العِدا فَغَضَنفَرٌ وَإِذا جَـرَيـتَ فَـإِنَّـكَ الـنَـكباءُ
وَتَـمُـدُّ حِـلـمَـكَ لِلسَّفيهِ مُدارِياً حَـتّـىٰ يَـضيقَ بِعَرضِكَ السُفَهـاءُ
فـي كُـلِّ نَـفسٍ مِن سُطاكَ مَهـــابَةٌ وَلِـكُـلِّ نَـفـسٍ فـي نَداكَ رَجـــاءُ

فالمحتفلون بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يقومون إلَّا بأداء شكر النِّعمة التي أنعم الله بها عليهم ، ومن أعظم النِّعم التي أنعم الله بها علينا : ميلاد مُنقذ البشريَّة الأعظم محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد أمرنا تعالىٰ في القرآن العظيم أن نتذكَّر نعمته سبحانه علينا بهذا الرَّسُول الكريم الذي أَلَّف الله به بين القلوب المتنافرة ، والأقوام المتناحرة ، فدُفنت الأحقاد ، وأصبح النَّاس في دين الله إخواناً ، قال تعالىٰ : **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾** [آل عمران : ١٠٣] .

وفي القرآن الكريم جاءت تسمية الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذِّكر ، قال تعالىٰ : **﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً﴾** [الطلاق : ١٠ – ١١] . وما ذلك إلَّا لأنَّه بدعوته يذكِّر الخلق بحقيقة ما هم فيه من اختبار وامتحان ، فهو مذكِّر لهم بما معه من الذِّكر ، ومحفِّز لذاكرتهم نحو مبادئ السَّماء ، قال الإمام الرَّازي : " وَقَوْلُهُ : **﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً﴾** [الطلاق : ١٠-١١] ، هُوَ عَلَىٰ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا : أَنْزَلَ اللَّه إِلَيْكُمْ ذِكْراً ، هُوَ الرَّسُول ، وإنَّما سَمَّاهُ ذِكْراً لِأَنَّهُ يَذْكُرُ مَا يَرْجِعُ إِلَىٰ دِينِهِمْ وَعُقْبَاهُمْ " . انظر : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٣٠/ ٥٦٥) .

كما جاء في القرآن الكريم تسميته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرَّؤوف الرَّحيم ، قال تعالىٰ : **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [التوبة : ١٢٨ – ١٢٩] .

فلسان حال المحتفلين بمولد خير الأنام يقول : نحن نحتفل بمولد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّنا له مُحبين ، فهو الذي يهمُّه شأننا ، المبالغ في الرَّأفة والشَّفقة علينا ، الذي لا يُرضيه إلَّا دخولنا الجنّة ، قال عبدالعزيز بن يحيىٰ في الكلام علىٰ قول الله تعالىٰ : **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾** [التوبة : ١٢٨] : " نظم الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزيز حريص بالمؤمنين رؤوف رحيم ، عزيز عليه ما عنتم لا يهمه إلَّا شأنكم ، وهو القائم بالشَّفاعة لكم فلا تهتمُّوا بما عنتم ما أقمتم علىٰ سنَّته ؛ فإنَّه لا يرضيه إلَّا دخولكم الجنَّة " . انظر : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٠٢) .

مع العلم أنَّه لا يوجد نمط معيَّن للاحتفال بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، فللمرء أن يفرح ويحتفل بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأيِّ طريقة شاء ، فهو الرَّحمة المهداة ، والنِّعمة المسداة ، فلولا مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كنَّا فيما نحن فيه من خير وبركة ، ولولا مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كانت سائر مناسبات الإسلام العظيمة ، لأنَّ المولد مفتاحها وأساسها ...قال السيِّد محمَّد أمين الكتبي :

دَلَّتْ مَحاسِنُهُ عَلَيْهِ الأعْيُنا ... فَغَدَا يُلاَحَظُ مِنْ هُنَاكَ وَمِنْ هُنَا
أَتُرَاهُ يَحْجُبُها وَقدْ طارَتْ بها ... رُسُلُ الغَرَامِ وَأَوْدَعَتْهَا الألْسنا
الحُسْنُ رَوْضٌ وَالنَّسِيبُ نَسَائِمٌ ... تَسْرِي بعَرْفِ الرَّوْضِ طَيِّبَةَ الثَّنا
يا فَاتني بالرَّغْمِ مِنْ إيثارِه ... قُرْبي وَكُنتُ أظنُّ أنْ لا أفْتنا
رَاحَتْ مَحَاسِنكَ البَديعَةُ بالَّذي ... أَبْقيْتَ مِنْ جلَدِي فخِفتُ مِنَ الوَنَا
فأَزِلْ شكاتيَ بالوِصَالِ وَبالرِّضىٰ ... وَاطلبْ لجَنبكَ فِي فؤادِي موْطِنا
وَانظُرْ إلىٰ الدُّنيا قدِ احْتَفَلتْ بمَنْ ... أضحىٰ بمَوْلِدِهِ الوُجُودُ مُزَيَّنا
وَانْظُرْ إلىٰ الأزْمَانِ كيفَ تَأَلَّقت ... بالْمُصطفىٰ وَالكوْنِ كَيْفَ تزَيَّنَا
هُوَ رَحْمةُ الدُّنيا وَفَاتح بَابها ... لِلبِرِّ وَالحُسْنىٰ وَكانَ مُطَيَّنا
جَاءَ الورىٰ فِي سَاعَةٍ مَحْمُودَةٍ ... سَجَدَ الزَّمانُ لها جَلالاً وَانحَنىٰ
وَتَغَيَّرَ التَّارِيخُ مِنها فاغْتدىٰ ... نُوراً وَكَانَ مِنَ الجَهالةِ ادْكَنا
يَا سيِّد الرُّسْلِ الكِرَامِ تَحِيَّةً ... تُتلىٰ بمَوْلِدِكَ الشَّريف وَتُقتنا
مَا عِندَنَا يوْمٌ أعَزُّ مِنَ الَّذِي ... أبدَا جَمَالَكَ لِلوُجُودِ وَبَيَّنا
يوْمٌ بآلافِ السِّنينَ نعُدُّهُ ... وَنرَاهُ أعْظَمَ مِنْ سِوَاهُ وَأحْسَنا
خلُقَ الوُجُودُ وَمَا حَوَاهُ كرَامَةً ... لَكَ فَاحْتكِمْ مَا شئْتَ فِيهِ مُمَكَّنا
يَا مَوْلَدَ الهَادِي مَلأتَ قلوبنا ... أنساً وَبَدَّلتَ المَخاوِفَ مَأمَنا
وَأعَدْتَ لِلأقوَامِ ذِكرىٰ لمْ تزَلْ ... تَنْمو وَذِكراً في البَسيطَةِ مُعْلنا
قمْ في فم التَّارِيخ وَاذْكرْ لِلوَرىٰ ... حقَّ النَّبي عَلىٰ العبادِ مُبيَّنا

وَاطـْـلـبْ مِـــنَ الأجيالِ أنْ يـُوفوا لهُ ... بــالعهدِ إنَّ الـْـعَــــهدَ كانَ مُعيـَّنا
يَا ليلةَ الإثنينِ مَـــاذا صَــافَــحَـتْ ... يُــمْناكِ مِــنْ شرَفٍ أشمَّ وَمِــنْ غــنى
كـُـلُّ الـلـَّـيالي الـْبيضِ فـي الدُّنيا لها ... نَـسَبٌ إليكِ فـَأنتِ مِـفـْـتاحُ الـسَّنا
فـَالقدْرُ وَالأعْـيادُ وَالـمِعْرَاجُ مِنْ ... حَـسَـناتـِكِ الـلاَّتـي بَـهِرْنَ الأعْــيُنا
وَحَـللتِ فِـي الـتَّارِيخِ أشرَفَ مَـوْضِعٍ ... نادى بــرفعَته الـزَّمانُ وَأعْلنـــا
وَمَـــلأْتِ عَينَ الـدَّهـْرِ مِنكِ مَحَاسِناً ... وَمَلأْتِ سَمْعَ الـدَّهـرِ يَـا بـُشرى لـنا
يَـا لـَيْـلةً طـَافـتْ مَـعـاهِدُ فضلها ... بخيالِنا وَهـناً فـَأشرَقتِ الـــدُّنا
وُزنـتْ مَــزِيَّتـُهَا بـِكـُلِّ مَـزِيَّةٍ ... مَـرَّتْ عَـلى الدُّنيا فكـانـتْ أوْزَنا
يَـا سَـيـِّداً لـلـمُـرْسَلِينَ وَرَحْمَةً ... لِـلـْعَـالَـمِينَ وَغـُـنيـةً لِمَنِ اغتـنى
ناجَيـْتَ رَبـَّكَ قـائماً فِي المُـسْتوى ... وَأجَزْتَ جَانِبَ طُورِ مُـوسى الأيـْمَنا
وَأتيتَ بالـصَّوَاتِ خـمْـساً بَعْدَمَا ... خفـَّـفتـها جـدّاً فكانـَتْ أضـمَـنا
وَرَأيـْتَ رَبـَّكَ رُؤيــــةً لا يـُمْترى ... فِـيـها كما رَوَتِ الـثـِّقَاتُ مُـعَـنـعَنا
وَأحَاطَكَ الـْـــمَوْلى بنورِ بـهائه ... فـَحَـمَى فـؤادَكَ أنْ يـَـزِيـْغَ وَحَـصَّنـا
جَمَعَتْ فخارَكَ خُطبــــةٌ ألـْقيتها ... فِي الـرُّسْلِ فِي الـبيـتِ المُقدَّسِ مَـوْهـنا
لمَّا رَأى جبرِيلُ قـــوَّةَ وَقعها ... نادى بـفـضلِـكَ فِـي الـْجَمِـيعِ وَأذَّنا
اللهُ أكبرُ ذاكَ فـَــــضلُ محمَّد ... فِـي الـْمُـرْسَلِـينَ أجلُّ مِـنْ أنْ يـُعـْلنا
طـُوبى لنا بكَ يـا ابنَ أكرَمِ حُـرَّةٍ ... طـُوْبى لنا بُرى لنا وَلنا الـْهنا
وَنـعَتَّ شـكلَ الـْمَسْجدِ الأقصى كمَا ... طـَلـَبُوا فكـُنْـتَ عَـلى العُقوْلِ مُـهَـيْـمِنا
وَخـصَائِصٌ لـكَ إنْ يـَـرُمْها شـاعِـرٌ ... أمْلتْ عَـلـَيـهِ نظـــامُها فـتفنَّنا
وَوَصَــلتَ سَـعيكَ في هـدَايتنا فـَمَـا ... أكـدَى جـهادُكَ فـي الـطَّرِيقِ وَلا وَنَـا
وَحَـباكَ رَبـُّكَ رُتبةً لا تـَـنـْـبغي ... لِـسِوَاكَ يوْمَ تـَقـُولُ لِـلشُّفعا أنا
فـَاشـْفـعْ لِـخادِمِكَ الأمِـينِ شـَفـَاعَةً ... تُوْليـهِ مَـكـرُمَـةً وَتـَدْفـَعُ مَـطـْعَـنا
وَلأهـْلـِـهِ وَلـِمَنْ أحَبَّ مِـنَ الـْوَرى ... وَلـمَــنْ بـحُـبِّكَ فِـي الأنام تـَـدَيـَّنا
صَلـَّى عَـلـيـْكَ اللهُ فـي أهـْلِ الـسَّما ... وَالأرْضِ مَا اكـْتـظَّتْ بـطاحُ الـْمُـنحنى
وَالآلِ وَالأصْــحَــابِ أقـْمَـارِ الـْهدى ... وَالـقـُطبِ مَا سارَ الحَجـيجُ إلى مِـنـى

الدَّلِيْلُ الثَّالِثُ عَشَر : أنَّ المحتفلين بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدفوعون لذلك بدافع المحبَّة ، والتَّعظيم ، والتَّوقير ... فمحبَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرضٌ ، لا يؤمنُ المرءُ حتىٰ يكون صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبّ إليه من نفسه وأهله والنَّاس أجمعين ، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ ، وَوَلَدِهِ ، والنَّاس أَجْمَعِينَ " . أخرجه البخاري (١/ ١٢ برقم ١٤) ، أحمد في المسند (٣/ ١٧٧ برقم ١٢٨٤٥) ، الدارمي (٣/ ١٨٠١ برقم ٢٧٨٣) ، مسلم (١/ ٦٧ برقم ٤٤) ، ابن ماجه (١/ ٢٦ برقم ٦٧) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٦/ ٥٣٤ برقم ١١٧٤٤) ، المجتبىٰ من السنن (٨/ ١١٤ برقم ٥٠١٣) ، ابن الأعرابي في المعجم (٢/ ٥٣٨ برقم ١٠٤٦) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٤٠٥ برقم ١٧٩) ، الطبراني في معجم الشاميين (٤/ ٢٩٢ برقم ٣٣٣٨) ، ابن منده في الإيمان (١/ ٤٣٤ برقم ٢٨٤) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٢/ ٥٢٨ برقم ٣٨٠٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٨٣ برقم ١٦٤٢) ، البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٠١ برقم ١٣١١) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٥٠ برقم ٢٢) ، عبد بن حميد في المسند (ص٣٥٥ برقم ١١٧٥) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (٦/ ٢٣ برقم ٣٢٥٨) .

ومن لوازم محبَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الذَّب عنه ، ونشر فضائله ، وخصائصه ، ومزاياه ، لتتشرَّب القلوب محبَّته ، وهذا ما فعله الصَّحابة الكرام فيما رواه مسلم وغيره بسندهم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ ، قَالَ آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : " مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ " قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : " آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ ؟ " قَالُوا : وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ ، قَالَ : " أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي ، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ " . أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ برقم ٢٧٠١) ، عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٣٩٥ برقم ١١٢٠) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٣٠٥ برقم ٣٠٠٨٣) ، أحمد في المسند (٤/ ٩٢ برقم ١٦٩٦٠) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٣٨٣ برقم ٥٢٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣١١ برقم ٧٠١) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (١٣/ ٣٨١ برقم ٧٣٨٧) .

الدَّلِيْلُ الرَّابِعُ عَشَر : روي بإسناد حسن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاخْتَارَ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ ، ثمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاس فَاخْتَارَ أَصْحَابَهُ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنصار دِينِهِ ، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ

حَسَنٌ ، وَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ قَبِيحاً فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ " . أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١١٢ برقم ٨٥٨٣) ، الطيالسي في المسند (١/ ١٩٩ برقم ٢٤٣) ، البزار في المسند (٥/ ٢١٢ برقم ١٨١٦) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٧٥) ، البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٨٣ برقم ٣٢٨) ، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص٣٢٢) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٥٤ برقم ١٦١٨) ، البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٥ برقم ١٠٥) ، عبد الله بن وهب في المسند (ص١٣٢ برقم ١٢٥) .

وقد رأىٰ المؤمنون أنَّ الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ حسنٌ ، ولم يُخالف في ذلك إلَّا نفرٌ قليل لا يؤبه لخلافهم ولا لكلامهم ...

ثم إنَّ بعض من أنكر الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعجبه مسار البعض الآخر من المنكرين ، كالإمام الفاكهاني ، فإنَّه أنكر علىٰ ابن تيمية في منعه زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصنَّف في ذلك رسالة سمَّاها : " التُّحفة المختارة في الرَّدِّ علىٰ من أنكر الزِّيارة " ، فليتأمَّل ...

الدَّلِيْلُ الخَامِسُ عَشَر : رُوي عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَىٰ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ نَتَلَقَّىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ . أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٤٩ برقم ١٥٨١٢) ، البخاري (٤/ ٧٦ برقم ٣٠٨٣) ، أبو داود (٣/ ٩٠ برقم ٢٧٧٩) ، الترمذي (٣/ ٢٦٨ برقم ١٧١٨ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ٣٧٩ برقم ٢٤٢١) ، الدولابي في الكنىٰ والأسماء (١/ ٢٥٧ برقم ٤٥٨) ، ابن حبَّان في الصحيح (١١/ ١١٣ برقم ٤٧٩٢) ، الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٤٨ برقم ٦٦٥٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٢٩٤ برقم ١٨٦٨٧) ، دلائل النبوة (٥/ ٢٦٥) .

وروىٰ البيهقي بسنده إلىٰ أبي عمرو بن مطر ، قال : سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لمَّا قدم النَّبي المدينة ، جعل النِّساء والصِّبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينـا من ثنيَّات الوداع   وجب الشُّكر علينا ما دعا لله داع

قلت : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكَّة ، وقد ذكرناه عنده لا أنَّه لما قدم المدينة من ثنيَّة الوداع عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم " . أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٢٦٦) .

فالصَّحابة رضوان الله عليهم ابتهجوا لمقدمه عليهم رضوان الله عليهم ، وفرحوا ، وجعلوا يُنشدون أناشيد الفرح التي تُعبِّر عن عظيم سرورهم به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . والمحتفلون اليوم بميلاده يتأسَّون بالصَّحابة رضوان الله عليهم ، حيث تُنشدُ الأناشيد ، وتتلىٰ المدائح ، وتُذبح المنائح ، فرحاً بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشكراً لله تعالىٰ علىٰ ما منَّ به علىٰ البشريَّة بقدوم الحبيب من عالم الأرحام إلىٰ عالم الحياة الدُّنيا ...

فالمسلم يفرح بالمناسبات الطيِّبة ... وميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغلاها ، وأحلاها ، وأجلاها ، وأعلاها ، وأسناها ... وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ فرح المسلمين بانتصار أهل الكتاب علىٰ الفرس الوثنيين ، فقال تعالىٰ : **﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [الروم:١-٤] .

الدَّلِيْلُ السَّادِسُ عَشَر : روىٰ التِّرمذي وغيره بسندهم عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ ، يَقُولُ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ سَالِماً أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأَتَغَنَّىٰ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ كُنْتِ نَذَرْتِ فَاضْرِبِي وَإِلاَّ فَلاَ . فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا ، ثمَّ قَعَدَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ ، إِنِّي كُنْتُ جَالِساً وَهِيَ تَضْرِبُ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ وَهِيَ تَضْرِبُ ، ثمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَهِيَ تَضْرِبُ ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ " . أخرجه الترمذي (٦/ ٦٢ برقم ٣٦٩٠ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ) ، أحمد في المسند (٥/ ٣٥٦ برقم ٢٣٣٩٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٠/ ٢٣٢ برقم ٤٣٨٦) ، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٢٣٠) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ١٣٢ برقم ٢٠١٠١) ، السنن الصغير (٤/ ١١٦ برقم ٣٢٠٩) .

فانظر – رحمك الله – إلىٰ هذه الجارية التي نذرت إن ردَّ الله تعالىٰ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوته سالماً لتضربنَّ بين يديه بالدُّف ، وتتغنَّىٰ فرحاً بسلامته ومقدمه ... وأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَّها علىٰ نذرها وسمح لها بأن تفي بنذرها ... فكيف يعيب علينا أُناسٌ قتلهم التَّقليد ، أن نحتفل بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنُظهر الفرح والسُّرور والحبور برحمة الله ونعمته علينا ...؟!!!

الدَّلِيْلُ السَّابِعُ عَشَر : " أَصْلُ الاِجْتِمَاعِ لِإِظْهَارِ شِعَارِ الْمَوْلِدِ مَنْدُوبٌ وَقُرْبَةٌ ... وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ نِيَّةِ الْمَوْلِدِ ، فَكَيْفَ يُذَمُّ هَذَا الْقَدْرُ مَعَ الْحَثِّ عَلَيْهِ أَوَّلاً ؟ وَأَمَّا مُجَرَّدُ فِعْلِ الْبِرِّ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ أَصْلاً ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُتَصَوَّرُ ، وَلَوْ تُصُوِّرَ لَمْ يَكُنْ عِبَادَةً وَلَا ثَوَابَ فِيهِ ؛ إِذْ لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا نِيَّةَ هُنَا إِلَّا الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ وِلَادَةِ هَذَا النَّبي الْكَرِيمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّريف ، وَهَذَا مَعْنَىٰ نِيَّةِ الْمَوْلِدِ، فَهِيَ نِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ بِلَا شَكٍّ " . انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٦-٢٢٩ باختصار) .

فما الذي يمنع من الاحتفال بأيَّام الإسلام الخالدة ، كيوم بدر ، والخندق ، وفتح مكَّة ، واليرموك ، والقادسيَّة ، وعين جالوت ، وحطين ... ما الذي يمنع من اجتماع النَّاس لتذكر تلك الأيَّام الطيِّبات ، وتلك المناسبات الغاليات ، حيث يجتمع النَّاس علىٰ تنسُّم عبيرها ، وتذوق حلاوتها ، والتَّرضِّي عن أصحابها ورجالها وأبطالها ، والتَّعاقد والتَّعاهد مع الله تعالىٰ علىٰ المُضيِّ قدماً علىٰ سننهم وآثارهم ... **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾** [الأنعام : ٩٠] .

بل ما الذي يمنعُ الإنسان من الاحتفال بيوم زواجه ... ما الذي يمنعُ الإنسان من الاجتماع بالأسرة في ذلك اليوم وتذكيرهم بنعمة الله تعالىٰ عليهم أن رزقهم أباً صالحاً ، وزوجة صالحة ، علَّموهم الدِّين ، وساروا بهم في طريق مرضاة الله تعالىٰ ، علىٰ نهج سيِّد الأوَّلين والآخرين سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بعيداً عن التَّرهات ، ومساوئ الأخلاق ...

ما الذي يمنع الإنسان من الاحتفال بيوم مولده ، فيجعله بداية عهد جديد مع الله تعالىٰ ، وموسماً لمراجعة الحساب مع الله تعالىٰ ، تماماً كما يفعل التَّاجرُ الذي يُخصص يوماً لمراجعة حساباته وجردها ، يرىٰ فيه ربحه وخسارته ، ويُعالج الأمور التي من شأنها أن تُطيح به وبتجا رته ...

الفَصْلُ الرَّابع

﴿ أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِيْ جَوَازِ وَاسْتِحْبَابِ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ ﴾

جاء في الحديث الشَّريف قوله صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " .

والحديث بمنطوقه يردُّ علىٰ من أطلق البدعة علىٰ كلِّ مستحدث من الأشياء ، حتَّىٰ لو كان المُستحدثُ ممدوحاً ... مع العلم أنَّ جمهور العلماء حصر البدعة بالحادث المذموم – كما سيأتي – ...

ومن المعلوم أنَّ جمهور السَّلف والخلف علىٰ وفاق تامٍّ في تعريف معنىٰ البدعة ، وأنَّها تنقسم إلىٰ قسمين : بدعة محمودة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة مذمومة ، وهي ما خالف الشَّرع ... ومع أنَّ ابن تيمية ذكر في كتبه تعريف الجمهور للبدعة ، إلا أنَّه لم يلتزم به ، ولا بما نقله عن الإمام الشَّافعي من قوله : المحدثات ضربان : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنَّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلال ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة . وكذا لم يلتزم بما ذكره من تقسيم العلماء للبدعة ، وأنَّها تنقسم إلىٰ الأحكام الخمسة ... ولو دقَّقنا في كتب ابن تيمية لرأينا أنَّه هو المبتدع بِدَعاً تصطدم مع مُحكم الكتاب وصحيح السنَّة ، فهو من ابتدع : القول بحوادث لا أوَّل لها ، وقال بالقِدَم النَّوعي للعالم ، وقال بأنَّ الله تعالىٰ جسم ، وقال بالحدِّ لله تعالىٰ ، وقال بأنَّ الله تعالىٰ بقدر العرش لا أكبر منه ولا أصغر ، وقال بتقسيم التَّوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام ، حتىٰ غدا التَّوحيد تعديداً ، وقال بأنَّ القرءان محدثٌ في ذاته تعالىٰ ، وقال بأنَّ إنشاء السَّفر لزيارة نبيِّنا محمَّد صلَّىٰ الله عليه وسلَّم معصية لا تُقصر فيها الصَّلاة ، وقال بأنَّ نبيَّنا عليه الصَّلاة والسَّلام ليس له جاه ، ولا يتوسَّل به أحد ...

فالعلماء فهموا أنَّ البدعة المذمومة هي ما أُحدث علىٰ غير مثال سابق ممَّا يضادُّ الدِّين ، أمَّا ما كان موافقاً للأصول فلا يُعتبر بدعة ، بل هو من الدِّين ... قال الإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) في كلامه علىٰ قوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ محدثة بدعة " : " ... فإنَّ هذا خاصٌّ في بعض الأمور دون بعض ، وكلُّ شيء أُحدث علىٰ غير أصل من أصول الدِّين وعلىٰ غير عياره وقياسه . وأمَّا ما كان منها مبنيَّاً علىٰ قواعد الأصول ومردودٌ إليها ، فليس ببدعة ، ولا ضلالة ، والله أعلم " . انظر : معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود (٤/ ٣٠١) .

وبناء على ما سبق بيانه فقد نصَّ العلماء على استحباب العمل بالبدع الحسنة البدع الحسنة واتَّفقوا على جواز فعلها رجاء الثَّواب لمن حسنت نيَّته فيها ...ونصَّ العديد منهم على أنَّ من أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل اسْتِحْبَابِ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ ...

قال الإمام أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدِّمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) شيخ الإمام النَّووي : " فالبدع الحسنة متَّفق على جواز فعلها ، والاستحباب لها ، ورجاء الثَّواب لمن حسنت نيَّته فيها ، وهي كلّ مبتدع موافق لقواعد الشَّريعة غير مخالف لشيء منها ، ولا يلزم من فعله محذور شرعي ، وذلك نحو : بناء المنابر ، والرُّبط ، والمدارس ، وخانات السَّبيل ، وغير ذلك من أنواع البر التي لم تعد في الصَّدر الأوَّل ، فإنَّه موافق لما جاءت به الشَّريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتَّقوى .

ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل : ما كان يفعل بمدينة أربل جبرها الله تعالى كلّ عام في اليوم الموافق ليوم مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصَّدقات والمعروف وإظهار الزِّينة والسُّرور ، فإنَّ ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء ، مشعرٌ بمحبَّة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتعظيمه ، وجلالته في قلب فاعله ، وشكراً لله تعالى على ما منَّ به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى جميع المرسلين . وكان أوَّل من فعل ذلك بالموصل الشَّيخ عمر بن محمَّد الملا أحد الصَّالحين المشهورين ، وبه اقتدى في ذلك صاحب أربل وغيره ، رحمهم الله تعالى " . انظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص٢٣) .

وقال الشَّيخ الإمام العلَّامة صدر الدِّين موهوب بن عمر الجزري الشَّافعي (٦٦٥هـ) : " ... هذه بدعة لا بأس بها ولا تكره البدع إلَّا إذا راغمت السّنة ، وأمَّا إذا لم تراغمها فلا تكره ، ويثاب الإنسان بحسب قصده في إظهار السُّرور والفرح بمولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١/ ٣٦٥) .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي الدِّمشقي (٧٢٨هـ) : " فتعظيم المولد ، واتِّخاذه موسماً ، قد يفعله بعض النَّاس ، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما قدَّمته لك أنَّه يحسن من بعض النَّاس ، ما يستقبح من المؤمن المسدَّد . ولهذا قيل للإمام أحمد عن

بعض الأمراء : إنَّه أنفق على مصحف ألف دينـــــار ، أو نحو ذلك فقال : دعهم ، فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذَّهب " . انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢٢/ ١٢٦) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) : " ... فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُزَادَ فِيهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ وَالْخَيْرِ شُكْراً لِلْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَا أَوْلَانَا مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِنْ كَانَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمْ يَزِدْ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ الشُّهُورِ شَيْئاً مِنْ الْعِبَادَاتِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِرَحْمَتِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأُمَّتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِمْ ، لِأَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – كَانَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ خَشْيَةَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ ، كَمَا وَصَفَهُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ : ﴿ ... ﴾ [التوبة : ١٢٨] . لَكِنْ أَشَارَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – إلَى فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ بِقَوْلِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لِلسَّائِلِ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ، فَقَالَ لَهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – : " ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ " . أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦ برقم ٢٢٥٩٠) ، مسلم (٢/ ٨١٩ برقم ١١٦٢) ، البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٩) ، السنن الصغير (٢/ ١١٧ برقم ١٤١٠) ، دلائل النبوة (١/ ٧٢) ، الطيالسي في المسند (١/ ٥١٥ برقم ٦٣٦) ، عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٢٩٥ برقم ٧٨٦٥) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٣ برقم ١٧٩٧) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٤٣ برقم ١٢١١) ، النسائي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٤ برقم ٢٧٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٩٨ برقم ٢١١٧) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٢٩ برقم ٢٩٤٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ٤٠٤ برقم ٣٦٤٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٥١) ، أبو يعلى الموصلي في المسند (١/ ١٣٣ برقم ١٤٤) .

فَتَشْرِيفُ هَذَا الْيَوْمِ مُتَضَمِّنٌ لِتَشْرِيفِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ . فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْتَرِمَهُ حَقَّ الِاحْتِرَامِ ، وَنُفَضِّلَهُ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْأَشْهُرَ الْفَاضِلَةَ ، وَهَذَا مِنْهَا لِقَوْلِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – " أَنَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنف (١٢/ ١٤ برقم ٣٢٦١٢) ، أحمد بن حنبل في فضائل الصَّحابة (١/ ٣٩٤ برقم ٥٩٩) ، ابن ماجه (٢/ ١٤٤١ برقم ٤٣٠٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٩ برقم ٧٩٣) ، الآجري في الشريعة (٤/ ١٥٩١ برقم ١٠٧٥) ، الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٦٦٠ برقم ٤١٨٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه) .

وَلِقَوْلِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – : " آدَم وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي " أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٧١ برقم ٦٤١٣) ، انْتَهَى .

وَفَضِيلَةُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ بِمَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُفْعَلُ فِيهَا لِمَا قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَمْكِنَةَ وَالْأَزْمِنَةَ لَا تَتَشَرَّفُ لِذَاتِهَا وإنَّما يَحْصُلُ لَهَا التَّشْرِيفُ بِمَا خُصَّتْ بِهِ مِنْ الْمَعَانِي . فَانْظُرْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إلَى مَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذَا الشَّهْرَ الشَّريف وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ .

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وُلِدَ فِيهِ . فَعَلَىٰ هَذَا يَنْبَغِي إِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ أَنْ يُكَرَّمَ وَيُعَظَّمَ وَيُحْتَرَمَ الاِحْتِرَامَ اللَّائِقَ بِهِ ، وَذَلِكَ بِالاِتِّبَاعِ لَهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي كَوْنِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – كَانَ يَخُصُّ الْأَوْقَاتَ الْفَاضِلَةَ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ فِيهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ . أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ الْبُخَارِيِّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ – " كَانَ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَجْوَدَ النَّاس بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ " . ليس هو من قول البخاري ، بل هو من قول ابن عبَّاس ، أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٨ برقم ٢٦١٦) ، البخاري في الصحيح (١/ ٨ برقم ٦) ، الأدب المفرد (ص١٤١ ب٢٩٢رقم) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٩٢ برقم ٢٤١٦) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦٩٩ برقم ٦٩٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٥٠٣ برقم ٨٥١٥) ، دلائل النبوة (١/ ٣٢٦) ، شعب الإيمان (٣/ ٥١٩ برقم ٢٠٥١) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (١/ ٢٩٤ برقم ٣٤٧) .

فَنَمْتَثِلُ تَعْظِيمَ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ بِمَا امْتَثَلَهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِطَاعَتِنَا ...

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ قَدْ الْتَزَمَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – مَا الْتَزَمَهُ فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ مِمَّا قَدْ عُلِمَ وَلَمْ يَلْتَزِمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَا الْتَزَمَهُ فِي غَيْرِهِ . فَالْجَوَابُ : أَنَّ الْمَعْنَىٰ الَّذِي لِأَجْلِهِ لَمْ يَلْتَزِمْ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – شَيْئاً فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّريف إِنَّما هُوَ مَا قَدْ عُلِمَ مِنْ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ فِي كَوْنِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – يُرِيدُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِهِ وَالرَّحْمَةَ لَهُمْ ، سِيَّمَا فِيمَا كَانَ يَخُصُّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –. أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – فِي حَقِّ حَرَمِ الْمَدِينَةِ " اللهمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مكَّة وَأَنِّي أُحَرِّمُ الْمَدِينَةَ بِمَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مكَّة وَمِثْلَهُ مَعَهُ " . لم أجده بهذا اللفظ ، بل وجدته بلفظ : " اللهمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مكَّة ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا " . أخرجه مالك في الموطأ (٥/ ٣٢٢ برقم ٩٩٥٧) ، أحمد في المسند (٣/ ١٤٩ برقم ١٢٥٣٨) ، البخاري (٤/ ١٤٦ برقم ٣٣٦٧) ، الترمذي (٦/ ٢٠٥ برقم ٣٩٢٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) ، الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ١٩٣ برقم ٦٣١٣) ، البغوي في شرح السنة (٧/ ٣١٤ برقم ٢٠١١) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (٦/ ٣٦٩ برقم ٣٧٠٢) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٥/ ٣٢٢ برقم ٩٩٥٧) .

ثمَّ إِنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لَمْ يَشْرَعْ فِي قَتْلِ صَيْدِهِ ، وَلَا فِي قَطْعِ شَجَرِهِ الْجَزَاءَ تَخْفِيفاً عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَرَحْمَةً لَهُمْ ، فَكَانَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – يَنْظُرُ إِلَىٰ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِهِ وَإِنْ كَانَ فَاضِلاً فِي نَفْسِهِ يَتْرُكُهُ لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ ، فَمَا أَكْثَرَ شَفَقَتَهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِأُمَّتِهِ ، جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْراً أَفْضَلَ مَا جَزَىٰ نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ هَذَا وَجْهٌ .

الْوَجْهُ الثَّاني : أَنَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي الْيَمِينِ الْغَمُوسِ أَنَّهُ لَا كَفَّارَةَ فِيهِ ، لِأَنَّ الْكَفَّارَةَ إِنَّما شَرَعَهَا الشَّارِعُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – فِي الْيَمِينِ الَّذِي أَجَازَ الْحَلِفَ بِهَا ، وَأَمَّا مَنْ يَتَعَمَّدُ الْيَمِينَ الْكَاذِبَةَ

فَلَا تَتَعَلَّقُ بِهَا الْكَفَّارَةُ ، لِأَنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُكَفَّرَ إِنَّما سُمِّيَتْ غَمُوساً لِانْغِمَاسِ صَاحِبِهَا فِي النَّارِ ، وَلَمْ تَرِدْ فِيهَا كَفَّارَةٌ ، وَنَحْنُ مُتَّبِعُونَ لَا مُشَرِّعُونَ . فَكَذَلِكَ قَتْلُ الصَّيْدِ عِنْدَ مَالِكٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ – فِي حَرَمِ الْمَدِينَةِ إِذْ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُكَفَّرَ لِأَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – مَنَعَ مِنْ الصَّيْدِ فِيهِ ، وَلَمْ يَشْرَعْ فِيهِ جَزَاءً عَلَىٰ مَنْ قَتَلَهُ ، فَسَبِيلُهُ سَبِيلُ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ . وَأَمَّا عَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ عَلَىٰ قَاتِلِهِ الْجَزَاءَ ، فَلَا فَرْقَ إِذَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرَمِ مكَّة فِي ذَلِكَ ، وَعَلَىٰ الْمَشْهُورِ مِنْ أَنَّهُ لَا جَزَاءَ فِيهِ يَتَحَصَّلُ مِنْهُ أَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مكَّة ، وَهُوَ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ . فَعَلَىٰ هَذَا فَتَعْظِيمُ هَذَا الشَّهْرِ الشَّريف إِنَّما يَكُونُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ الزَّاكِيَاتِ فِيهِ وَالصَّدَقَاتِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْقُرُبَاتِ ، فَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ فَأَقَلُّ أَحْوَالِهِ أَنْ يَجْتَنِبَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ وَيُكْرَهُ لَهُ تَعْظِيماً لِهَذَا الشَّهْرِ الشَّريف ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَطْلُوباً فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرُ احْتِرَاماً كَمَا يَتَأَكَّدُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ، فَيَتْرُكُ الْحَدَثَ فِي الدِّين ، وَيَجْتَنِبُ مَوَاضِعَ الْبِدَعِ وَمَا لَا يَنْبَغِي . وَقَدْ ارْتَكَبَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ ضِدَّ هَذَا الْمَعْنَىٰ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الشَّريف تَسَارَعُوا فِيهِ إِلَىٰ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ بِالدُّفِّ وَالشَّبَّابَةِ وَغَيْرِهِمَا ... " . انظر : المدخل (٢/ ٤) .

فالإمام ابن الحاج يدعو إلىٰ زيادة الخير ، والحثّ علىٰ العمل والقيام بالطَّاعات في شهر مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... كما أنَّه أنكر أشد الإنكار علىٰ ما يفعله بعض الجُهَّال من المناكر المختلفة والاختلاط ، وكل ما فيه بُعدٌ عن الدِّين ، ونحن في هذا معه في هذه المسألة ، لأنَّ إجلالنا واحترامنا وتعظيمنا لصاحب الميلاد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتنافىٰ مع ذلك كلّه ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) في ترجمة الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أبو سعيد كوكبرىٰ : " الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أبو سعيد كوكبرىٰ ابن زين الدِّين علىٰ بن تبكتكين أَحَدُ الْأَجْوَادِ وَالسَّادَاتِ الْكُبَرَاءِ وَالْمُلُوكِ الْأَمْجَادِ ، لَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ ، وَقَدْ عَمَّرَ الْجَامِعَ الْمُظَفَّرِيَّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ ، وَكَانَ قَدْ هَمَّ بِسِيَاقَةِ الْمَاءِ إِلَيْهِ من ماء بذيرة فَمَنَعَهُ الْمُعَظَّمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَاعْتَلَّ بِأَنَّهُ قَدْ يَمُرُّ عَلَىٰ مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ بِالسُّفُوحِ ، وَكَانَ يَعْمَلُ الْمَوْلِدَ الشَّريف فِي رَبِيعٍ الأوَّل وَيَحْتَفِلُ بِهِ احْتِفَالاً هَائِلاً ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ شهماً شجاعاً فاتكاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وقد صنف الشَّيخ أبو الخطَّاب ابن دِحْيَةَ لَهُ مُجَلَّداً فِي الْمَوْلِدِ النَّبوي سَمَّاهُ : " التنوير في مولد البشير النَّذير " ، فَأَجَازَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ فِي الْمُلْكِ فِي زَمَانِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، وقد كان محاصر عَكَّا وَإِلَىٰ هَذِهِ السَّنَةِ مَحْمُودَ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ ، قَالَ السِّبْطُ : حَكَىٰ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ سِمَاطَ المظفَّر

في بعض الموالد كان يمد في ذلك السّماط خمسة آلاف رأس مشوي ، وَعَشَرَةَ آلَافِ دَجَاجَةٍ ، وَمِائَةَ أَلْفِ زُبْدِيَّةٍ ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ صَحْنِ حَلْوَىٰ ، قَالَ : وَكَانَ يَحْضُرُ عِنْدَهُ فِي الْمَوْلِدِ أَعْيَانُ الْعُلَمَاءِ والصُّوفيَّة فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ وَيُطْلِقُ لَهُمْ وَيَعْمَلُ لِلصُّوفِيَّةِ سَمَاعاً مِنَ الظُّهْرِ إِلَىٰ الْفَجْرِ ، وَيَرْقُصُ بِنَفْسِهِ مَعَهُمْ ، وَكَانَتْ لَهُ دَارُ ضِيَافَةٍ لِلْوَافِدِينَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ عَلَىٰ أَيِّ صِفَةٍ ، وَكَانَتْ صَدَقَاتُهُ فِي جَمِيعِ الْقُرَبِ والطَّاعات على الحرمين وغيرهما ، ويتفك مِنَ الْفِرِنْجِ في كلِّ سَنَةٍ خَلْقاً مِنَ الأسارىٰ ، حتىٰ قيل إنَّ جملة من استفكه مِنْ أَيْدِيهِمْ سِتُّونَ أَلْفَ أَسِيرٍ ، قَالَتْ زَوْجَتُهُ ربيعة خاتون بنت أيوب- وكان قد زَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَخُوهَا صَلَاحُ الدِّين ، لَمَّا كَانَ مَعَهُ عَلَىٰ عَكَّا- قَالَتْ : كَانَ قَمِيصُهُ لَا يساوىٰ خمسة دراهم فَعَاتَبْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ : لُبْسِي ثَوْباً بِخَمْسَةٍ وَأَتَصَدَّقَ بِالْبَاقِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَلْبَسَ ثَوْباً مُثَمَّناً وأدع الفقير المسكين ، وَكَانَ يَصْرِفُ عَلَىٰ الْمَوْلِدِ في كلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفَ دِينَارٍ " . انظر : البداية والنِّهاية (١٣/ ١٣٦-١٣٧) ، ولم يُعقِّب علىٰ ذلك بشيء ...

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) : " وفي قول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا سُئل عن صيام يوم الإثنين ؟ : " ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت عليَّ فيه النُّبوَّة " إشارة إلىٰ استحباب صيام الأيَّام التي تتجدَّد فيها نعم الله علىٰ عباده ، فإنَّ أعظم نعم الله علىٰ هذه الأمة : إظهار محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم وبعثته وإرساله إليهم ، كما قال تعالىٰ : **﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** [آل عمران : ١٦٤] ، فإنَّ النِّعمة علىٰ الأمَّة بإرساله ، أعظم من النِّعمة عليهم بإيجاد السَّماء ، والأرض ، والشَّمس ، والقمر ، ، والرِّياح ، والليل والنَّهار ، وإنزال المطر ، وإخراج النَّبات ، وغير ذلك ، فإنَّ هذه النِّعم كلّها قد عمَّت خلقاً من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه ، فبدَّلوا نعمة الله كفراً ، فأمَّا النِّعمة بإرسال محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّ بها تمَّت مصالح الدُّنيا والآخرة ، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده ، وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم . فصيام يوم تجدَّدت فيه هذه النعم من الله علىٰ عباده المؤمنين ، حسنٌ جميلٌ ، وهو من باب مقابلة النِّعم في أوقات تجدُّدها بالشُّكر . ونظير هذا صيام يوم عاشوراء ، حيث أنجىٰ الله فيه نوحاً من الغرق ، ونجَّىٰ فيه موسىٰ وقومه من فرعون وجنوده ، وأغرقهم في اليمِّ . فصَامه نوحٌ وموسىٰ شكراً لله ، فصامه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متابعة لأنبياء الله ، وقال لليهود : " نحن أحقُّ بموسىٰ منكم " ، وصامه ، وأمر بصيامه " . انظر : لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (ص٩٥-٩٦) .

وقال الإمام الحريفيش (٨٠١هـ) : " يجب على أُمَّته التي رفعها الله به على الأمم ، وطأطأ لها بسيوف عزمه شوامخ القمم ، أن يتَّخذوا ليلة ولادته عيداً من أكبر الأعياد ، ويجتهدوا في الفرح به غاية الاجتهاد ، ويتقرَّبوا إليه بإكرام الغرباء والفقراء ، ويمتثلوا وصيته في إسعاف اليتامى والأرامل والضُّعفاء ، ويتلوا قصَّة مولده على أسماع الأمم ، ويحققوا عندهم ما أوجده الله بوجوده من الكرم ومحاسن الشِّيم ، ليتقرَّر في خواطرهم ما له عند الله من المكانة والإمكان ، وأنَّه ما خلق الله مثله من إنسان " . انظر : الروض الفائق في المواعظ والرقائق (ص٣٢٢) .

وقال الإمام أبو العبَّاس الونشريسي الجزائري المالكي (٩١٤هـ) : " وسئل الولي العارف بالطَّريقة والحقيقة أبو عبد الله بن عباد (٨١٠هـ) ، رحمه الله ، ونفع به عما يقع في مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وقود الشَّمع ، وغير ذلك لأجل الفرح والسُّرور بمولده عليه السَّلام . فأجاب : الذي يظهر أنَّه عيد من أعياد المسلمين ، وموسمٌ من مواسمهم ، وكل ما يقتضيه الفرح والسُّرور بذلك المولد المبارك ، من إيقاد الشَّمع وإمتاع البصر ، وتنزُّه السَّمع والنَّظر ، والتزيُّن بما حسن من الثياب وركوب فاره الدواب ، أمرٌ يُباح لا يُنكر قياساً على غيره من أوقات الفرح ، والحكم بأنَّ هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود ، وارتفع فيه العهود ، وتقشع بسببه ظلام الكفر والجحود ، يُنكر على قائله ، لأنه مقتٌ وجحود ، وادعاء أنَّ هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان ، ومقارنةُ ذلك بالنَّيروز والمهرجان ، أمرٌ مستقل ، تشمئزُّ منه النُّفوس السَّليمة وتردُّه الآراء المستقيمة .

قال بعض الفضلاء : فكلام هذا الولي يدلُّ على كمال محبَّته وحسن طريقته ، وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزَّمان من الاجتماع في المكاتب للأطفال إلَّا خيفة المناكر ، واختلاط النِّساء والرِّجال ، فأمَّا إذا أُمن ذلك فلا شكَّ في حسن ما يفعل من الاجتماع وذكر محاسنه ، والصَّلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سائر البقاع . ويحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة ، ولا يجوز تعظيم نبي الله تعالى إلَّا بما يرضيه ويرضي الله تعالى ، بل تنبغي الصَّدقة في السِّر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة ، فإنَّ ذلك أسلم من فساد النيَّات ، ومن حضور الجماعات . واختار جماعة من العلماء رضي الله عنهم الفطر في يوم المولد ، لأنَّه يوم سرور ، والتَّوسُّع على العيال بما أمكن من الميسور . وذكر ابن عبَّاد رحمه الله ونفع به أنَّه خرج في يوم ميلاده عليه السَّلام إلى خارج البلاد ، فوجد الولي الصَّالح الحاج ابن عاشر رحمه الله مع جماعة من أصحابه، فاستدعوه لأكل الطَّعام ، قال فاعتذرت بأنِّي صائم ، فنظر إلى الشَّيخ نظرة منكرة ، وقال لي: إنَّ هذا اليوم يوم فرح وسرور ، فلا يستقيم فيه الصِّيام لأنَّه يوم عيد .

قال رحمه الله : فتأمَّلت كلامه فوجدته حقَّاً ، وكأنِّي كنت نائماً فأيقظني .

قال ابن مرزوق (٦٨١هـ) في " جنا الجنَّتين في شرف الليلتين " : سمعت شيخنا الإمام أبا موسىٰ بن الإمام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب ، يحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب ، وما وضعه العزفي في ذلك ، واختاره وتبعه في ذلك ولده الفقيه أبو القاسم وهما عن الأيمَّة ، فاستصوبوه واستحسنوا ما قصده فيها والقيام بها ، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب إنكاره ، والأظهر في ذلك عندي ما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضاً ، وقد وقع الكلام في ذلك فقال ما معناه : لا شكَّ أنَّ المسلك الذي سلكه العزفي أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن مرزوق مسلك حسن ، إلَّا أنَّ المستعمل في هذه الليلة الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام بإحياء سنته ، ومعونة آله ، ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم ، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر ، وإغاثة الملهوف ، وفكِّ العاني ، ونصر المظلوم ، هو أفضل ممَّا سوىٰ ذلك ممَّا أحدث ، إذا لا يخلو من مزاحم في النيَّة ، أو مفسد للعمل ، أو دخول الشَّهوة ، وطريق الحق معروف ، ولا أفضل في هذه الليلة ممَّا ذكرناه من أعمال البر والتَّكثير من الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليحظي المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها .

فائدة جليلة : صرَّح الشَّيخ الخطيب الحاج الرحَّال أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن مرزوق ، رحمه الله ، بإيثار ليلة مولده عليه السَّلام علىٰ ليلة القدر ، واحتجَّ بمختاره في كتابه : " جنا الجنَّتين في فضل الليلتين " بإحدىٰ وعشرين وجهاً . وها أنا أسردها بعون الله ، قال :

الأوَّلُ : إنَّ الشَّرف هو العلو والرِّفعة ، وهما نسبتان إضافيَّتان ، فشرف كلّ ليلة بحسب ما شرفت به ، وليلة المولد شرفت بولادة خير خلق الله عزَّ وجلَّ ، فثبت بذلك أفضليَّتها بهذا الاعتبار .

الثَّانِي : إنَّ ليلة المولد ليلة ظهوره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وليلة القدر معطاة له حسبما قدَّمناه ، وما شرف بظهور ذات المشرَّف أشرف ممَّا شَرُف بسبب ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف .

الثَّالِثُ : إنَّ ليلة القدر إحدىٰ ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجود من المواهب والمزايا وهي لا تحصىٰ كثرة ، وما شرف بإحدىٰ خصائص من ثبت له الشَّرف المطلق لا يتنزَّل منزلة المشرف بوجوده ، فظهر أنَّ ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار ، وهو المطلوب .

الرَّابِعُ : إنَّ ليلة القدر شرفت باعتبار ما خُصت به ، وهو منقض بانقضائها إلىٰ مثلها من السَّنة المقبلة علىٰ أرجح من القولين ، وليلة المولد شرفت بمن ظهرت آثاره ، وبهرت أنواره أبداً في كلِّ فرد من أفراد الزَّمان إلىٰ انقضاء الدُّنيا .

الخامِسُ : إنَّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهور النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر علىٰ الأصح المرتضىٰ ، فتكون ليلة المولد أفضل من هذا الوجه ، وهو المطلوب .

السَّادِسُ : الأفضلية عبارة عن ظهور فضل زائد في الأفضل ، والليلتان معاً اشتركتا في الفضل بتنزُّل الملائكة فيهما معاً حسبما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة المولد ، ففضلت من هذا الوجه علىٰ القولين جميعاً في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام .

السَّابع : إنَّ ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصَّلاة والسَّلام وانتقالهم في محلهم من الأعلىٰ إلىٰ الأرض ، وليلة المولد شرفت بوجود صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهوره ، وما شرف بالوجود والظُّهور أشرف ممَّا شرف بالانتقال .

الثَّامِنُ : إنَّ ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها ، فإذا قدرت أهل الأرض كلّهم عاملين فيها ، فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ، ولا يلحقون عمله في لحظة ، وإن كان في غيرها . فتثبت أفضليَّة المولد بهذا الاعتبار .

التَّاسِعُ : شرفت ليلة القدر لكونها موهوبة لأُمة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عناية عليه السَّلام ، وشرفت ليلة المولد بوجود من وهبت ليلة القدر لأمَّته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتناء به ، فكانت أفضل .

العَاشِرُ : ليلة القدر وقع التَّفضيل فيها علىٰ أمَّة محمَّد عليه السَّلام ، وليلة المولد الشَّريف وقع التَّفضيل فيها علىٰ سائر الموجودات ، فهو الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، فقال تعالىٰ : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] ، فعمَّت به النِّعمة علىٰ جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعمّ نفعاً بهذا الاعتبار فكانت الشَّرف ، وهو المطلوب .

الحَادِيْ عَشَر : إنَّ ليلة المولد فضلت علىٰ غيرها من ليالي السَّنة بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّك تقول فيها : ليلة مولد محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتقول في ليلة القدر : ليلة القدر : وهو الشَّرف ، وأمَّا التَّقدير والإضافة إلىٰ ليلة المولد إضافة اختصاص . وهي أفضل وأبلغ من الإضافة إلىٰ مطلق الشَّرف أو

ليلة التَّقدير ، فهي وإن كان التَّقدير فيها من لوازم شرفها ، فاعتباره في ليلة المولد ليلة الشَّرف العام بلا افتراء ، فثبت فضل ليلة المولد ، وهو المطلوب .

الثَّانِي عَشَر : إنَّ ليلة القدر إنَّما يحظي بها العامل فيها ، فمنفعتها قاصرة ، وليلة المولد متعدّية منفعتها . وما كانت منفعتها متعدِّية أفضل من غيرها ، وهو المدعىٰ .

الثَّالِثُ عَشَر : إنَّ ليلة القدر ثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلَّا أنَّه عرض فيها ما عرض من الخلاف في البقاء والرّفع ، وإن ضعف ، وليلة مولده عليه السَّلام شرفها باق لما سنذكره بعد إن شاء الله تعالىٰ ، فكانت أفضل بهذا الاعتبار .

الرَّابِعُ عَشَر : المدعَىٰ إنَّ ليلة المولد أفضل ، ويدلُّ عليه أن تقول : زمن شرف بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإضافته إليه ، واختصَّ بذلك ، فليكن أفضل الأزمنة قياساً علىٰ أفضليَّة البُقعة التي اختصَّت بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولُحِد بين أطباقها علىٰ سائر الأمكنة ، وقد فضلت إجماعاً ، فليكن الزَّمن الذي اختصَّ بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الأزمنة بهذا الاعتبار .

الخَامِسُ عَشَر : إنَّ ليلة القدر فرع ظهوره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والفرع لا يقوىٰ قوَّة الأصل ، ففضلت ليلة المولد علىٰ ليلة القدر بهذا الاعتبار ، وهو المطلوب .

السَّادِسُ عَشَر : إنَّ ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي النُّوراني ما علم الوجود ، ووجوده مقارن لوجوده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يقع ذلك إلَّا فيما وجب فضلها علىٰ غيرها ، وهو المدعىٰ .

السَّابِعُ عَشَر : إنَّ ليلة المولد أظهر الله تعالىٰ فيها أسرار وجوده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي ارتبطت بها السَّعادة الأخرويَّة علىٰ الإطلاق ، واتَّضحت للحقائق ، وتميَّز بها الحق من الباطل ، وظهر ما أظهر الله تعالىٰ في وجود من أنوار السَّعادة وسبيل الرَّشاد ، وافترق به فريق الجنَّة من فريق السَّعير ، وتميَّز وعلا به الدِّين ، وأظلم الكفر وهو الحقير ، إلىٰ غير ذلك من أسرار وجود الله عزَّ وجلَّ في مخلوقاته ، وما هو الموجود من آياته ، ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزَّمان ، فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار ، وهو المطلوب .

الثَّامِنُ عَشَر : وهو تنويع في الاستدلال ، وإن كان معنىٰ ما تقدم ، وهو أن نقول : لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور ، وهي : إمَّا تفضيل الملائكة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو العمل المضاعف أو التَّسوية . وكلّها ممتنع ، أمَّا الأوَّل : فعلىٰ الصَّحيح المرتضىٰ ، وأمَّا الثَّاني والثَّالث

: فباتفاق وبيان الملازمة أنَّ التَّفضيل في الأوَّل حصل بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي الثَّانية إمَّا بنزول الملائكة أو للعمل ...

العِشْرُوْن : أنَّ بعض زمان المولد الشَّريف هو زمان ولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الأزمنة ، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة ، وإذا فضل بعضها علىٰ سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار .

الحَادِي وَالعِشْرُوْن : إنَّ أفضل الأزمنة زمن ولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا شيء من زمان ولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بليلة القدر ، فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر ، وينعكس إلىٰ قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة هذا إبطال لدعوىٰ الخصم إذاً " . انظر : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب (١١/ ٢٧٨-٢٨٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " فلمَّا كانت أيَّام الظَّاهر برقوق (٨٠١هـ) ، عمل المولد النَّبوي بهذا الحوض في أوَّل ليلة جمعة من شهر ربيع الأوَّل في كلِّ عام ، فإذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوض ، وجلس السلطان وعن يمينه شيخ الإسلام سراج الدِّين عمر بن رسلان بن نصر البلقينيّ (٨٠٥هـ) ، ويليه الشَّيخ المعتقد إبراهيم برهان الدِّين بن محمَّد بن بهادر بن أحمد بن رفاعة المغربيّ ، ويليه ولد شيخ الإسلام ، ومن دونه وعن يسار السُّلطان الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن سلامة التوزريّ المغربيّ ، ويليه قضاة القضاة الأربعة ، وشيوخ العلم ، ويجلس الأمراء علىٰ بعد من السُّلطان ، فإذا فرغ القرّاء من قراءة القرآن الكريم ، قام المنشدون واحداً بعد واحد ، وهم يزيدون علىٰ عشرين منشداً ، فيدفع لكلِّ واحد منهم صرَّة فيها أربعمائة درهم فضَّة ، ومن كلِّ أمير من أمراء الدَّولة شقَّة حرير ، فإذا انقضت صلاة المغرب مدَّت أسمطة الأطعمة الفائقة ، فأكلت وحمل ما فيها ، ثمَّ مدَّت أسمطة الحلوىٰ السُّكَّريَّة من الجوارشات والعقائد ونحوها ، فتؤكل وتخطفها الفقهاء ، ثمَّ يكون تكميل إنشاد المنشدين ووعظهم إلىٰ نحو ثلث الليل ، فإذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا ، وأقيم السَّماع بقيَّة الليل ، واستمرَّ ذلك مدَّة أيَّامه ، ثمَّ أيَّام ابنه الملك النَّاصر فرج " . انظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣/ ٣٩٩) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) : " سُئلتُ عن أصل عمل المولد الشَّريف ؟ فأجبت : لم ينقل عن أحد من السَّلف الصَّالح في القرون الثَّلاثة الفاضلة ، وإنَّما حدث بعد ، ثمَّ ما زال أهل الإسلام في سائر الأقطار

والمدن العظام يحتفلون في شهر مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشرف وكرم يعملون الولائم البديعة المشتملة علىٰ الأمور البهجة الرَّفيعة ، ويتصدَّقون في لياليه بأنواع الصَّدقات ، ويُظهرون السُّرور ، ويزيدون في المبرَّات ، بل يعتنون بقراءة مولده الكريم ، وتظهر عليهم من بركاته كلّ فضل عميم بحيث كان ممَّا جُرِّب ، قاله الإمام شمس الدِّين ابن الجزري " . انظر : الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٣/ ١١١٦).

وجاء في "الحاوي للفتاوي" للإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَام حَافِظُ الْعَصْرِ أبو الفضل ابن حجر (٨٥٢هـ) عَنْ عَمَلِ الْمَوْلِدِ ، فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ : أَصْلُ عَمَلِ الْمَوْلِدِ بِدْعَةٌ لَمْ تُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلف الصَّالح مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ ، وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ مَحَاسِنَ وَضِدِّهَا ، فَمَنْ تَحَرَّىٰ فِي عَمَلِهَا الْمَحَاسِنَ وَتَجَنَّبَ ضِدَّهَا كَانَ بِدْعَةً حَسَنَةً وَإِلَّا فَلَا ، قَالَ : وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهَا عَلَىٰ أَصْلٍ ثَابِتٍ وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا : هُوَ يَوْمٌ أَغْرَقَ اللَّهُ فِيهِ فرعون وَنَجَّىٰ مُوسَىٰ فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْراً لِلَّهِ تَعَالَىٰ ، فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِعْلُ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ مِنْ إِسْدَاءِ نِعْمَةٍ أَوْ دَفْعِ نِقْمَةٍ ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ يَحْصُلُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتِّلَاوَةِ ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ بِبُرُوزِ هَذَا النَّبي نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ وَعَلَىٰ هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَحَرَّىٰ الْيَوْمُ بِعَيْنِهِ حَتَّىٰ يُطَابِقَ قصَّة مُوسَىٰ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، وَمَنْ لَمْ يُلَاحِظْ ذَلِكَ لَا يُبَالِي بِعَمَلِ الْمَوْلِدِ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ ، بَلْ تَوَسَّعَ قَوْمٌ فَنَقَلُوهُ إِلَىٰ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَفِيهِ مَا فِيهِ . فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ عَمَلِهِ .

وَأَمَّا مَا يُعْمَلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ فِيهِ عَلَىٰ مَا يُفْهِمُ الشُّكْرَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ التِّلَاوَةِ وَالْإِطْعَامِ وَالصَّدَقَةِ وَإِنْشَادِ شَيْءٍ مِنَ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ وَالزُّهْدِيَّةِ الْمُحَرِّكَةِ لِلْقُلُوبِ إِلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ ، وَأَمَّا مَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ السَّمَاعِ وَاللَّهْوِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ : مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مُبَاحاً بِحَيْثُ يَقْتَضِي السُّرُورَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ لَا بَأْسَ بِإِلْحَاقِهِ بِهِ ، وَمَا كَانَ حَرَاماً أَوْ مَكْرُوهاً فَيُمْنَعُ ، وَكَذَا مَا كَانَ خِلَافَ الْأَوْلَىٰ . انْتَهَىٰ " . انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٩) .

وقال الإمام السُّيوطي : " فَقَدْ وَقَعَ السُّؤَالُ عَنْ عَمَلِ الْمَوْلِدِ النَّبوي فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّل ، مَا حُكْمُهُ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ ؟ وَهَلْ هُوَ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ ؟ وَهَلْ يُثَابُ فَاعِلُهُ أَوْ لَا ؟

الْجَوَابُ : عِنْدِي أَنَّ أَصْلَ عَمَلِ الْمَوْلِدِ الَّذِي هُوَ اجْتِمَاعُ النَّاس وَقِرَاءَةُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ وَرِوَايَةُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا وَقَعَ فِي مَوْلِدِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، ثمَّ يُمَدُّ لَهُمْ سِمَاطٌ

يَأْكُلُونَهُ وَيَنْصَرِفُونَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ - هُوَ مِنَ الْبِدَعِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُثَابُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالاِسْتِبْشَارِ بِمَوْلِدِهِ الشَّرِيف ، وأَوَّل مَنْ أَحْدَثَ فِعْلَ ذَلِكَ صَاحِبُ إِرْبِلَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أَبُو سَعِيدٍ كُوكُبُرِي بْنُ زَيْنِ الدِّين عَلِيِّ بْنِ بَكْتَكِينَ (٥٦٣هـ) ، أَحَدُ الْمُلُوكِ الْأَمْجَادِ وَالْكُبَرَاءِ الْأَجْوَادِ، وَكَانَ لَهُ آثَارٌ حَسَنَةٌ، وَهُوَ الَّذِي عَمَّرَ الْجَامِعَ الْمُظَفَّرِيَّ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ ، قَالَ ابن كثير فِي تَارِيخِهِ : كَانَ يَعْمَلُ الْمَوْلِدَ الشَّرِيف فِي رَبِيعِ الأَوَّل وَيَحْتَفِلُ بِهِ احْتِفَالاً هَائِلاً ، وَكَانَ شَهْماً شُجَاعاً بَطَلاً عَاقِلاً عَالِماً عَادِلاً ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، قَالَ : وَقَدْ صَنَّفَ لَهُ الشَّيخ أَبُو الْخَطَّابِ ابْنُ دِحْيَةَ (٦٣٣هـ) مُجَلَّداً فِي الْمَوْلِدِ النَّبوي سَمَّاهُ (التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ) ، فَأَجَازَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ فِي الْمُلْكِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ وَهُوَ مُحَاصِرٌ لِلْفِرِنْجِ بِمَدِينَةِ عَكَّا سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، مَحْمُودُ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَالَ سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ) فِي مِرْآةِ الزَّمَانِ : حَكَىٰ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ سِمَاطَ المظفر فِي بَعْضِ الْمَوَالِدِ أَنَّهُ عَدَّ فِي ذَلِكَ السِّمَاطِ خَمْسَةَ آلَافِ رَأْسِ غَنَمٍ شَوِيٍّ ، وَعَشَرَةَ آلَافِ دَجَاجَةٍ ، وَمِائَةَ فَرَسٍ ، وَمِائَةَ أَلْفِ زُبْدِيَّةٍ ، وَثَلَاثِينَ أَلْفَ صَحْنِ حَلْوَىٰ ، قَالَ : وَكَانَ يَنْحَصِرُ عِنْدَهُ فِي الْمَوْلِدِ أَعْيَانُ الْعُلَمَاءِ والصُّوفيَّة ، فَيَخْلَعُ عَلَيْهِمْ وَيُطْلِقُ لَهُمْ ، وَيَعْمَلُ لِلصُّوفِيَّةِ سَمَاعاً مِنَ الظُّهْرِ إِلَىٰ الْفَجْرِ ، وَيَرْقُصُ بِنَفْسِهِ مَعَهُمْ ، وَكَانَ يَصْرِفُ عَلَىٰ الْمَوْلِدِ في كلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ لَهُ دَارُ ضِيَافَةٍ لِلْوَافِدِينَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ عَلَىٰ أَيِّ صِفَةٍ ، فَكَانَ يَصْرِفُ عَلَىٰ هَذِهِ الدَّارِ في كلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَسْتَفِكُّ مِنَ الْفِرِنْجِ في كلِّ سَنَةٍ أُسَارَىٰ بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَصْرِفُ عَلَىٰ الْحَرَمَيْنِ وَالْمِيَاهِ بِدَرْبِ الْحِجَازِ في كلِّ سَنَةٍ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، هَذَا كُلُّهُ سِوَىٰ صَدَقَاتِ السِّرِّ ، وَحَكَتْ زَوْجَتُهُ ربيعة خاتون بنت أيوب أُخْتُ الْمَلِكِ الناصر صلاح الدِّين أَنَّ قَمِيصَهُ كَانَ مِنْ كِرْبَاسٍ غَلِيظٍ لَا يُسَاوِي خَمْسَةَ دَرَاهِمَ ، قَالَتْ : فَعَاتَبْتُهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لُبْسِي ثَوْباً بِخَمْسَةٍ وَأَتَصَدَّقُ بِالْبَاقِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَلْبَسَ ثَوْباً مُثَمَّناً وَأَدَعَ الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ .

وَقَالَ ابن خلكان فِي تَرْجَمَةِ الْحَافِظِ أَبِي الْخَطَّابِ بْنِ دِحْيَةَ (٦٣٣هـ) : كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاهِيرِ الْفُضَلَاءِ ، قَدِمَ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَدَخَلَ الشَّامَ وَالْعِرَاقِ وَاجْتَازَ بِإِرْبِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَوَجَدَ مَلِكَهَا الْمُعَظَّمَ مظفر الدِّين بن زين الدِّين يَعْتَنِي بِالْمَوْلِدِ النَّبوي ، فَعَمِلَ لَهُ كِتَابَ التَّنْوِيرِ فِي مَوْلِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ ، وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، فَأَجَازَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، قَالَ : وَقَدْ سَمِعْنَاهُ عَلَىٰ السُّلْطَانِ فِي سِتَّةِ مَجَالِسَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . انْتَهَىٰ .

وَقَدِ ادَّعَىٰ الشَّيخ تاج الدِّين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني (٧٣٤هـ) مِنْ مُتَأَخِّرِي الْمَالِكِيَّةِ أَنَّ عَمَلَ الْمَوْلِدِ بِدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ ، وَأَلَّفَ فِي ذَلِكَ كِتَاباً سَمَّاهُ : (الْمَوْرِدُ فِي الْكَلَامِ عَلَىٰ عَمَلِ الْمَوْلِدِ) ، وَأَنَا أَسُوقُهُ هُنَا بِرُمَّتِهِ وَأَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ حَرْفاً حَرْفاً .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَيَّدَنَا بِالْهِدَايَةِ إِلَىٰ دَعَائِمِ الدِّين وَيَسَّرَ لَنَا اقْتِفَاءَ أَثَرِ السَّلف الصَّالِحِينَ ، حَتَّىٰ امْتَلَأَتْ قُلُوبُنَا بِأَنْوَارِ عِلْمِ الشَّرْعِ وَقَوَاطِعِ الْحَقِّ الْمُبِين ، وَطَهَّرَ سَرَائِرَنَا مِنْ حَدَثِ الْحَوَادِثِ وَالِابْتِدَاعِ فِي الدِّين ، أَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ مِنْ أَنْوَارِ الْيَقِين ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ مَا أَسْدَاهُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِالْحَبْلِ الْمَتِينِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، صلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ تَكَرَّرَ سُؤَالُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُبَارَكِينَ عَنِ الِاجْتِمَاعِ الَّذِي يَعْمَلُهُ بَعْضُ النَّاس فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل ، وَيُسَمُّونَهُ الْمَوْلِدَ ، هَلْ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ أَوْ هُوَ بِدْعَةٌ وَحَدَثٌ فِي الدِّين ؟ وَقَصَدُوا الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ مُبَيَّناً وَالْإِيضَاحَ عَنْهُ مُعَيَّناً ، فَقُلْتُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ : لَا أَعْلَمُ لِهَذَا الْمَوْلِدِ أَصْلاً فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَا يُنْقَلُ عَمَلُهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ هُمُ الْقُدْوَةُ فِي الدِّين الْمُتَمَسِّكُونَ بِآثَارِ الْمُتَقَدِّمِين ، بَلْ هُوَ بِدْعَةٌ أَحْدَثَهَا الْبَطَّالُونَ وَشَهْوَةُ نَفْسٍ اعْتَنَىٰ بِهَا الْأَكَّالُونَ ، بِدَلِيلِ أَنَّا إِذَا أَدَرْنَا عَلَيْهِ الْأَحْكَامَ الْخَمْسَةَ قُلْنَا : إِمَّا أَنْ يَكُونَ وَاجِباً أَوْ مَنْدُوباً أَوْ مُبَاحاً أَوْ مَكْرُوهاً أَوْ مُحَرَّماً ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ إِجْمَاعاً وَلَا مَنْدُوباً ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمَنْدُوبِ مَا طَلَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ غَيْرِ ذَمٍّ عَلَىٰ تَرْكِهِ ، وَهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ الشَّرْعُ وَلَا فَعَلَهُ الصَّحابة وَلَا التَّابِعُونَ الْمُتَدَيِّنُونَ فِيمَا عَلِمْتُ ، وَهَذَا جَوَابِي عَنْهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَىٰ إِنْ عَنْهُ سُئِلْتُ ، وَلَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُبَاحاً ؛ لِأَنَّ الِابْتِدَاعَ فِي الدِّين لَيْسَ مُبَاحاً بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكْرُوهاً أَوْ حَرَاماً ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْكَلَامُ فِيهِ فِي فَصْلَيْنِ ، وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ حَالَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ يَعْمَلَهُ رَجُلٌ مِنْ عَيْنِ مَالِهِ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعِيَالِهِ ، لَا يُجَاوِزُونَ فِي ذَلِكَ الِاجْتِمَاعَ عَلَىٰ أَكْلِ الطَّعَامِ وَلَا يَقْتَرِفُونَ شَيْئاً مِنَ الْآثَامِ ، وَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ بِأَنَّهُ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ وَشَنَاعَةٌ ؛ إِذْ لَمْ يَفْعَلْهُ أَحَدٌ مِنْ مُتَقَدِّمِي أَهْلِ الطَّاعَةِ الَّذِينَ هُمْ فُقَهَاءُ الْإِسْلَام وَعُلَمَاءُ الْأَنَامِ سُرُجُ الْأَزْمِنَةِ وَزَيْنُ الْأَمْكِنَةِ .

وَالثَّانِي : أَنْ تَدْخُلَهُ الْجِنَايَةُ وَتَقْوَىٰ بِهِ الْعِنَايَةُ حَتَّىٰ يُعْطَىٰ أَحَدُهُمُ الشَّيْءَ وَنَفْسُهُ تَتْبَعُهُ وَقَلْبُهُ يُؤْلِمُهُ وَيُوجِعُهُ لِمَا يَجِدُ مِنْ أَلَمِ الْحَيْفِ ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَخْذُ الْمَالِ بِالْحَيَاءِ كَأَخْذِهِ بِالسَّيْفِ لَا سِيَّمَا إِنِ انْضَافَ إِلَىٰ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْغِنَاءِ – مَعَ الْبُطُونِ الْمَلْأَىٰ – بِآلَاتِ الْبَاطِلِ مِنَ الدُّفُوفِ وَالشَّبَّابَاتِ وَاجْتِمَاعِ الرِّجَالِ

مَعَ الشَّبَابِ الْمُرْدِ وَالنِّسَاءِ الْفَاتِنَاتِ ، إِمَّا مُخْتَلِطَاتٍ بِهِنَّ أَوْ مُشْرِفَاتٍ ، وَالرَّقْصِ بِالتَّثَنِّي وَالِانْعِطَافِ وَالِاسْتِغْرَاقِ فِي اللَّهْوِ وَنِسْيَانِ يَوْمِ الْمَخَافِ ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ إِذَا اجْتَمَعْنَ عَلَىٰ انْفِرَادِهِنَّ رَافِعَاتٍ أَصْوَاتَهُنَّ بِالتَّهْنِيكِ وَالتَّطْرِيبِ فِي الْإِنْشَادِ ، وَالْخُرُوجِ فِي التِّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ وَالْأَمْرِ الْمُعْتَادِ غَافِلَاتٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] ، وَهَذَا الَّذِي لَا يَخْتَلِفُ فِي تَحْرِيمِهِ اثْنَانِ ، وَلَا يَسْتَحْسِنُهُ ذَوُو الْمُرُوءَةِ الْفِتْيَانُ ، وإِنَّما يَحْلُو ذَلِكَ لِنُفُوسِ مَوْتَىٰ الْقُلُوبِ وَغَيْرِ الْمُسْتَقِلِّينَ مِنَ الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ ، وَأَزِيدُكَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَا مِنَ الْأُمُورِ الْمُنْكَرَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ ، وَلِلَّهِ دَرُّ شَيْخِنَا القشيري حَيْثُ يَقُولُ فِيمَا أَجَازَنَاهُ :

قَدْ عُرِّفَ الْمُنْكَرُ وَاسْتُنْكِـــرَ ... الْمَعْرُوفُ فِي أَيَّامِنَـــــا الصَّعْبَةْ
وَصَارَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي وَهْدَةٍ ... وَصَارَ أَهْلُ الْجَهْلِ فِي رُتْبَـــهْ
حَادُوا عَنِ الْحَقِّ، فَمَا لِلَّذِي ... سَارُوا بِهِ فِيمَا مَضَىٰ نِسْبَـــهْ
فَقُلْتُ لِلْأَبْرَارِ أَهْلِ التُّقَـــــىٰ ... وَالدِّينِ لَمَّا اشْتَدَّتِ الْكُرْبَــــــهْ
لَا تُنْكِرُوا أَحْوَالَـــــكُمْ قَدْ أَتَتْ ... نَوْبَتُكُمْ فِي زَمَنِ الْغُرْبَــــــــهْ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ (١٥٤هـ) حَيْثُ يَقُولُ : لَا يَزَالُ النَّاس بِخَيْرٍ مَا تُعُجِّبَ مِنَ الْعَجَبِ ، هَذَا مَعَ أَنَّ الشَّهْرَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَبِيعٌ الأَوَّل هُوَ بِعَيْنِهِ الشَّهْرُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ، فَلَيْسَ الْفَرَحُ فِيهِ بِأَوْلَىٰ مِنَ الْحُزْنِ فِيهِ ، وَهَذَا مَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ ، وَمِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ نَرْجُو حُسْنَ الْقَبُولِ .

هَذَا جَمِيعُ مَا أَوْرَدَهُ الفاكهاني فِي كِتَابِهِ الْمَذْكُورِ ، وَأَقُولُ :

أَمَّا قَوْلُهُ : لَا أَعْلَمُ لِهَذَا الْمَوْلِدِ أَصْلاً فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، فَيُقَالُ عَلَيْهِ : نَفْيُ الْعِلْمِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ الْوُجُودِ ، وَقَدِ اسْتَخْرَجَ لَهُ إِمَامُ الْحُفَّاظِ أبو الفضل ابن حجر أَصْلاً مِنَ السُّنَّةِ ، وَاسْتَخْرَجْتُ لَهُ أَنَا أَصْلاً ثَانِياً ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا بَعْدَ هَذَا .

وَقَوْلُهُ : بَلْ هُوَ بِدْعَةٌ أَحْدَثَهَا الْبَطَّالُونَ ، إِلَىٰ قَوْلِهِ : وَلَا الْعُلَمَاءُ الْمُتَدَيِّنُونَ ، يُقَالُ عَلَيْهِ : قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ أَحْدَثَهُ مَلِكٌ عَادِلٌ عَالِمٌ وَقَصَدَ بِهِ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَحَضَرَ عِنْدَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ مِنْهُمْ ، وَارْتَضَاهُ ابن دحية وَصَنَّفَ لَهُ مِنْ أَجْلِهِ كِتَاباً ، فَهَؤُلَاءِ عُلَمَاءُ مُتَدَيِّنُونَ رَضَوْهُ وَأَقَرُّوهُ وَلَمْ يُنْكِرُوهُ ، وَقَوْلُهُ : وَلَا مَنْدُوباً ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمَنْدُوبِ مَا طَلَبَهُ الشَّرْعُ ، يُقَالُ عَلَيْهِ : إِنَّ الطَّلَبَ فِي الْمَنْدُوبِ تَارَةً يَكُونُ بِالنَّصِّ وَتَارَةً يَكُونُ بِالْقِيَاسِ ، وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ ، فَفِيهِ الْقِيَاسُ عَلَىٰ الْأَصْلَيْنِ الْآتِي ذِكْرُهُمَا .

وَقَوْلُهُ : وَلَا جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مُبَاحاً ؛ لِأَنَّ الِابْتِدَاعَ فِي الدِّين لَيْسَ مُبَاحاً بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، كَلَامٌ غَيْرُ مُسَلَّمٍ ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَمْ تَنْحَصِرْ فِي الْحَرَامِ وَالْمَكْرُوهِ ، بَلْ قَدْ تَكُونُ أَيْضاً مُبَاحَةً وَمَنْدُوبَةً وَوَاجِبَةً ، قَالَ النووي (٦٧٦هـ) فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَات : الْبِدْعَةُ فِي الشَّرْعِ هِيَ إِحْدَاثُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إِلَىٰ حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ ، وَقَالَ الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام فِي الْقَوَاعِدِ : الْبِدْعَةُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَىٰ وَاجِبَةٍ وَمُحَرَّمَةٍ وَمَنْدُوبَةٍ وَمَكْرُوهَةٍ وَمُبَاحَةٍ ، قَالَ : وَالطَّرِيقُ فِي ذَلِكَ أَنْ نَعْرِضَ الْبِدْعَةَ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ ، فَإِذَا دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، أَوْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، أَوِ النَّدْبِ فَمَنْدُوبَةٌ ، أَوِ الْمَكْرُوهِ فَمَكْرُوهَةٌ ، أَوِ الْمُبَاحِ فَمُبَاحَةٌ ، وَذَكَرَ لِكُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسَةِ أَمْثِلَةً إِلَىٰ أَنْ قَالَ : وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ : مِنْهَا إِحْدَاثُ الرُّبَطِ وَالْمَدَارِسِ وَكُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الأَوَّل ، وَمِنْهَا التَّرَاوِيحُ وَالْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصوُّف وَفِي الْجَدَلِ ، وَمِنْهَا جَمْعُ الْمَحَافِلِ لِلاسْتِدْلَال فِي الْمَسَائِلِ إِنْ قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، وَرَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي مَنَاقِبِ الشَّافعي عَنِ الشَّافعي قَالَ : الْمُحْدَثَاتُ مِنَ الْأُمُورِ ضَرْبَانِ ، أَحَدُهُمَا : مَا أُحْدِثَ مِمَّا يُخَالِفُ كِتَاباً أَوْ سُنَّةً أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعاً ، فَهَذِهِ الْبِدْعَةُ الضَّلَالَةُ ، والثَّاني : مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ لَا خِلَافَ فِيهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا ، وَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ ، وَقَدْ قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ : " نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ . أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

يَعْنِي أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ لَمْ تَكُنْ ، وَإِذْ كَانَتْ فَلَيْسَ فِيهَا رَدٌّ لِمَا مَضَىٰ . هَذَا آخِرُ كَلَامِ الشَّافعي (انظر : تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢-٢٣) ، فَعُرِفَ بِذَلِكَ مَنْعُ قَوْلِ الشَّيخ تاج الدِّين : وَلَا جَائِزٌ أَنْ تَكُونَ مُبَاحاً ، إِلَىٰ قَوْلِهِ : وَهَذَا الَّذِي وَصَفْنَاهُ بِأَنَّهُ بِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ ، إِلَىٰ آخِرِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقِسْمَ مِمَّا أُحْدِثَ وَلَيْسَ فِيهِ مُخَالَفَةٌ لِكِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا أَثَرٍ وَلَا إِجْمَاعٍ ، فَهِيَ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ كَمَا فِي عِبَارَةِ الشَّافعي ، وَهُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الأَوَّل ، فَإِنَّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ الْخَالِي عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ إِحْسَانٌ ، فَهُوَ مِنَ الْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ كَمَا فِي عِبَارَةِ ابن عبد السَّلام .

وَقَوْلُهُ : والثَّاني ، إِلَىٰ آخِرِهِ هُوَ كَلَامٌ صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ أَنَّ التَّحْرِيمَ فِيهِ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُحَرَّمَةِ الَّتِي ضُمَّتْ إِلَيْهِ لَا مِنْ حَيْثُ الِاجْتِمَاعُ لِإِظْهَارِ شِعَارِ الْمَوْلِدِ ، بَلْ لَوْ وَقَعَ مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي

الاِجْتِمَاعِ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ مَثَلاً لَكَانَتْ قَبِيحَةً شَنِيعَةً ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ ذَمُّ أَصْلِ الاِجْتِمَاعِ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ ، وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْأُمُورِ يَقَعُ فِي لَيَالِي رَمَضَانَ عِنْدَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ لِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ ، فَهَلْ يُتَصَوَّرُ ذَمُّ الاِجْتِمَاعِ لِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي قُرِنَتْ بِهَا ؟ كَلَّا بَلْ نَقُولُ : أَصْلُ الاِجْتِمَاعِ لِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ سُنَّةٌ وَقُرْبَةٌ ، وَمَا ضُمَّ إِلَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ قَبِيحٌ وَشَنِيعٌ ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ : أَصْلُ الاِجْتِمَاعِ لِإِظْهَارِ شِعَارِ الْمَوْلِدِ مَنْدُوبٌ وَقُرْبَةٌ، وَمَا ضُمَّ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَذْمُومٌ وَمَمْنُوعٌ .

وَقَوْلُهُ : مَعَ أَنَّ الشَّهْرَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ، إِلَىٰ آخِرِهِ . جَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ أَوَّلاً : إِنَّ وِلَادَتَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ النِّعَمِ عَلَيْنَا ، وَوَفَاتَهُ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ لَنَا ، وَالشَّرِيعَةُ حَثَّتْ عَلَىٰ إِظْهَارِ شُكْرِ النِّعَمِ وَالصَّبْرِ وَالسُّكُونِ وَالْكَتْمِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْعَقِيقَةِ عِنْدَ الْوِلَادَةِ ، وَهِيَ إِظْهَارُ شُكْرٍ وَفَرَحٍ بِالْمَوْلُودِ ، وَلَمْ يَأْمُرْ عِنْدَ الْمَوْتِ بِذَبْحٍ وَلَا بِغَيْرِهِ بَلْ نَهَىٰ عَنِ النِّيَاحَةِ وَإِظْهَارِ الْجَزَعِ ، فَدَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ أَنَّهُ يَحْسُنُ فِي هَذَا الشَّهْرِ إِظْهَارُ الْفَرَحِ بِوِلَادَتِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ إِظْهَارِ الْحُزْنِ فِيهِ بِوَفَاتِهِ ، وَقَدْ قَالَ ابن رجب (٧٩٥هـ) فِي كِتَابِ اللَّطَائِفِ فِي ذَمِّ الرَّافِضَةِ حَيْثُ اتَّخَذُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَأْتَماً لِأَجْلِ قَتْلِ الحسين : لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ بِاتِّخَاذِ أَيَّامِ مَصَائِبِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَوْتِهِمْ مَأْتَماً ، فَكَيْفَ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُمْ ؟!

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْحَاجِّ (٧٣٧هـ) فِي كِتَابِهِ الْمَدْخَلِ عَلَىٰ عَمَلِ الْمَوْلِدِ ، فَأَتْقَنَ الْكَلَامَ فِيهِ جِدّاً ، وَحَاصِلُهُ مَدْحُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ شِعَارٍ وَشُكْرٍ ، وَذَمِّ مَا احْتَوَىٰ عَلَيْهِ مِنْ مُحَرَّمَاتٍ وَمُنْكَرَاتٍ ، وَأَنَا أَسُوقُ كَلَامَهُ فَصْلاً فَصْلاً ، قَالَ :

(فَصْلٌ فِي الْمَوْلِدِ) وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَحْدَثُوهُ مِنَ الْبِدَعِ مَعَ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْعِبَادَاتِ وَإِظْهَارِ الشَّعَائِرِ مَا يَفْعَلُونَهُ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ الْمَوْلِدِ ، وَقَدِ احْتَوَىٰ ذَلِكَ عَلَىٰ بِدَعٍ وَمُحَرَّمَاتٍ جَمَّةٍ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ : اسْتِعْمَالُهُمُ الْمَغَانِيَ وَمَعَهُمْ آلَاتُ الطَّرَبِ مِنَ الطَّارِ الْمُصَرْصِرِ وَالشَّبَّابَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَعَلُوهُ آلَةً لِلسَّمَاعِ وَمَضَوْا فِي ذَلِكَ عَلَىٰ الْعَوَائِدِ الذَّمِيمَةِ فِي كَوْنِهِمْ يَشْتَغِلُونَ أَكْثَرَ الْأَزْمِنَةِ الَّتِي فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ وَعَظَّمَهَا بِبِدَعٍ وَمُحَرَّمَاتٍ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ السَّمَاعَ فِي غَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِيهِ مَا فِيهِ ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا انْضَمَّ إِلَىٰ فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَفَضَّلَنَا فِيهِ بِهَذَا النَّبِي الْكَرِيمِ ؟ فَآلَةُ الطَّرَبِ وَالسَّمَاعِ أَيُّ نِسْبَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِيهِ بِسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُزَادَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْخَيْرِ شُكْراً لِلْمَوْلَىٰ عَلَىٰ مَا أَوْلَانَا بِهِ مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ ، وَإِنْ كَانَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ شَيْئاً مِنَ الْعِبَادَاتِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِرَحْمَتِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ وَرِفْقِهِ

بِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام كَانَ يَتْرُكُ الْعَمَلَ خَشْيَةَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَىٰ أُمَّتِهِ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِمْ ، لَكِنْ أَشَارَ عَلَيْهِ السَّلام إِلَىٰ فَضِيلَةِ هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ بِقَوْلِهِ لِلسَّائِلِ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ : " ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ " . أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦ برقم ٢٢٥٩٠) ، مسلم (٢/ ٨١٩ برقم ١١٦٢) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٤٧٣ برقم ٨٣٩٩) ، السنن الصغير (٢/ ١١٧ برقم ١٤١٠) ، دلائل النبوة (١/ ٧٢) ، الطيالسي في المسند (١/ ٥١٥ برقم ٦٣٦) ، عبد الرزاق في المصنف (٤/ ٢٩٥ برقم ٧٨٦٥) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ٣٥٣ برقم ١٧٩٧) ، الشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ٣٤٣ برقم ١٢١١) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٢١٤ برقم ٢٧٩٠) ، ابن خزيمة في الصحيح (٣/ ٢٩٨ برقم ٢١١٧) ، أبو عوانة في المستخرج (٢/ ٢٢٩ برقم ٢٩٤٩) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ٤٠٤ برقم ٣٦٤٢) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٥١) ، أبو يعلىٰ الموصلي في المسند (١/ ١٣٣ برقم ١٤٤) .

فَتَشْرِيفُ هَذَا الْيَوْمِ مُتَضَمِّنٌ لِتَشْرِيفِ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْتَرِمَهُ حَقَّ الِاحْتِرَامِ وَنُفَضِّلَهُ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ الْأَشْهُرَ الْفَاضِلَةَ وَهَذَا مِنْهَا ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " أَنَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ " . أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنف ، (١٢/ ١٤ برقم ٣٢٦١٢) ، أحمد بن حنبل في فضائل الصَّحابة (١/ ٣٩٤ برقم ٥٩٩) ، ابن ماجه (٢/ ١٤٤١ برقم ٤٣٠٨) ، ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٣٦٩ برقم ٧٩٣) ، الآجري في الشريعة (٤/ ١٥٩١ برقم ١٠٧٥) ، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٢/ ٦٦٠ برقم ٤١٨٩ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاه) ، " آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي " . أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٧١ برقم ٦٤١٣) .

وَفَضِيلَةُ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ بِمَا خَصَّهَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُفْعَلُ فِيهَا لِمَا قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْأَمْكِنَةَ وَالْأَزْمِنَةَ لَا تَشْرُفُ لِذَاتِهَا ، وإِنَّما يَحْصُلُ لَهَا التَّشْرِيفُ بِمَا خُصَّتْ بِهِ مِنَ الْمَعَانِي ، فَانْظُرْ إِلَىٰ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ هَذَا الشَّهْرَ الشَّريف وَيَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ فِيهِ ، فَعَلَىٰ هَذَا يَنْبَغِي إِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الْكَرِيمُ أَنْ يُكَرَّمَ وَيُعَظَّمَ وَيُحْتَرَمَ الِاحْتِرَامَ اللَّائِقَ بِهِ اتِّبَاعاً لَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَوْنِهِ كَانَ يَخُصُّ الْأَوْقَاتَ الْفَاضِلَةَ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ فِيهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِ ابْنِ عبَّاس : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاس بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ ، فَنَمْتَثِلُ تَعْظِيمَ الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ بِمَا امْتَثَلَهُ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِطَاعَتِنَا .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَدِ الْتَزَمَ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ مَا الْتَزَمَهُ مِمَّا قَدْ عُلِمَ وَلَمْ يَلْتَزِمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَا الْتَزَمَهُ فِي غَيْرِهِ . فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ لِمَا عُلِمَ مِنْ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ أَنَّهُ يُرِيدُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِهِ سِيَّمَا فِيمَا كَانَ يَخُصُّهُ ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلام حَرَّمَ الْمَدِينَةَ مِثْلَ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مكَّة ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَشْرَعْ فِي قَتْلِ صَيْدِهِ وَلَا شَجَرِهِ الْجَزَاءَ تَخْفِيفاً عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَرَحْمَةً بِهِمْ ، فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِهِ وَإِنْ كَانَ فَاضِلاً فِي نَفْسِهِ فَيَتْرُكُهُ لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ ، فَعَلَىٰ هَذَا تَعْظِيمُ هَذَا الشَّهْرِ الشَّريف إِنَّما يَكُونُ بِزِيَادَةِ

الْأَعْمَالِ الزَّاكِيَاتِ فِيهِ وَالصَّدَقَاتِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقُرُبَاتِ ، فَمَنْ عَجز عَنْ ذَلِكَ ، فَأَقَلُّ أَحْوَالِهِ أَنْ يَجْتَنِبَ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ وَيُكْرَهُ لَهُ ؛ تَعْظِيماً لِهَذَا الشَّهْرِ الشَّريف ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَطْلُوباً فِي غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ أَكْثَرُ احْتِرَاماً كَمَا يَتَأَكَّدُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَفِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ، فَيَتْرُكُ الْحَدَثَ فِي الدِّين وَيَجْتَنِبُ مَوَاضِعَ الْبِدَعِ وَمَا لَا يَنْبَغِي ، وَقَدِ ارْتَكَبَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ ضِدَّ هَذَا الْمَعْنَىٰ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّهْرُ الْعَظِيمُ تَسَارَعُوا فِيهِ إِلَىٰ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ بِالدُّفِّ وَالشَّبَّابَةِ وَغَيْرِهِمَا وَيَا لَيْتَهُمْ عَمِلُوا الْمَغَانِيَ لَيْسَ إِلَّا ، بَلْ يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ يَتَأَدَّبُ ، فَيَبْدَأُ الْمَوْلِدَ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ، وَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مَعْرِفَةً بِالتَّهَوُّكِ وَالطُّرُقِ الْمُبْهِجَةِ لِطَرَبِ النُّفُوسِ ، وَهَذَا فِيهِ وُجُوهٌ مِنَ الْمَفَاسِدِ ، ثمَّ إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَىٰ مَا ذُكِرَ ، بَلْ ضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ الْأَمْرِ ، الْخَطَرَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُغَنِّي شَابّاً لَطِيفَ الصُّورَةِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَالْكُسْوَةِ وَالْهَيْئَةِ ، فَيَنْشُدُ التَّغَزُّلَ وَيَتَكَسَّرُ فِي صَوْتِهِ وَحَرَكَاتِهِ ، فَيَفْتِنُ بَعْض مَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، فَتَقَعُ الْفِتْنَةُ فِي الْفَرِيقَيْنِ وَيَثُورُ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا لَا يُحْصَىٰ ، وَقَدْ يَؤُولُ ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ إِلَىٰ فَسَادِ حَالِ الزَّوْجِ وَحَالِ الزَّوْجَةِ ، وَيَحْصُلُ الْفِرَاقُ وَالنَّكَدُ الْعَاجِلُ وَتَشَتُّتُ أَمْرِهِمْ بَعْدَ جَمْعِهِمْ ، وَهَذِهِ الْمَفَاسِدُ مُرَكَّبَةٌ عَلَىٰ فِعْلِ الْمَوْلِدِ إِذَا عُمِلَ بِالسَّمَاعِ ، فَإِنْ خَلَا مِنْهُ وَعَمِلَ طَعَاماً فَقَطْ وَنَوَىٰ بِهِ الْمَوْلِدَ وَدَعَا إِلَيْهِ الْإِخْوَانَ ، وسلَّم مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَهُوَ بِدْعَةٌ بِنَفْسِ نِيَّتِهِ فَقَطْ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي الدِّين وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِ السَّلف الْمَاضِينَ، وَاتِّبَاعُ السَّلف أَوْلَىٰ ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ نَوَىٰ الْمَوْلِدَ ، وَنَحْنُ تَبَعٌ فَيَسَعُنَا مَا وَسِعَهُمْ . انْتَهَىٰ .

وَحَاصِلُ مَا ذَكَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَذُمَّ الْمَوْلِدَ بَلْ ذَمَّ مَا يَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ ، وأوَّلُ كَلَامِهِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخَصَّ هَذَا الشَّهْرُ بِزِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ وَكَثْرَةِ الْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْقُرُبَاتِ ، وَهَذَا هُوَ عَمَلُ الْمَوْلِدِ الَّذِي اسْتَحْسَنَّاهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ سِوَىٰ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ ، وَذَلِكَ خَيْرٌ وَبِرٌّ وَقُرْبَةٌ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ آخِراً : إِنَّهُ بِدْعَةٌ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُنَاقِضاً لِمَا تَقَدَّمَ أَوْ يُحمَلَ عَلَىٰ أَنَّهُ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي صَدْرِ الْكِتَابِ أَوْ يُحمَلَ عَلَىٰ أَنَّ فِعْلَ ذَلِكَ خَيْرٌ ، وَالْبِدْعَةُ مِنْهُ نِيَّةُ الْمَوْلِدِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ : فَهُوَ بِدْعَةٌ بِنَفْسِ نِيَّتِهِ فَقَطْ ، وَبِقَوْلِهِ : وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ نَوَىٰ الْمَوْلِدَ ، فَظَاهِرُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَنْوِيَ بِهِ الْمَوْلِدَ فَقَطْ ، وَلَمْ يَكْرَهْ عَمَلَ الطَّعَامِ وَدُعَاءَ الْإِخْوَانِ إِلَيْهِ ، وَهَذَا إِذَا حُقِّقَ النَّظَرُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ أَوَّلِ كَلَامِهِ ؛ لِأَنَّهُ حَثَّ فِيهِ عَلَىٰ زِيَادَةِ فِعْلِ الْبِرِّ وَمَا ذَكَرَ مَعَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ ؛ إِذْ أَوْجَدَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّريف سيِّد الْمُرْسَلِينَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ نِيَّةِ الْمَوْلِدِ ، فَكَيْفَ يُذَمُّ هَذَا الْقَدْرُ مَعَ الْحَثِّ عَلَيْهِ أَوَّلاً ؟ وَأَمَّا مُجَرَّدُ فِعْلِ الْبِرِّ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ أَصْلاً ، فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُتَصَوَّرُ ، وَلَوْ تُصُوِّرَ

لَمْ يَكُنْ عِبَادَةً وَلَا ثَوَابَ فِيهِ ؛ إِذْ لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا نِيَّةَ هُنَا إِلَّا الشُّكْرُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ وِلَادَةِ هَذَا النَّبِي الْكَرِيمِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الشَّرِيف ، وَهَذَا مَعْنَىٰ نِيَّةِ الْمَوْلِدِ ، فَهِيَ نِيَّةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ بِلَا شَكٍّ ، فَتَأَمَّلْ .

ثُمَّ قَالَ ابن الحاج : وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ الْمَوْلِدَ لَا لِمُجَرَّدِ التَّعْظِيمِ ، وَلَكِنْ لَهُ فِضَّةٌ عِنْدَ النَّاس مُتَفَرِّقَةٌ كَانَ قَدْ أَعْطَاهَا فِي بَعْضِ الْأَفْرَاحِ أَوِ الْمَوَاسِمِ وَيُرِيدُ أَنْ يَسْتَرِدَّهَا ، وَيَسْتَحِي أَنْ يَطْلُبَهَا بِذَاتِهِ ، فَيَعْمَلُ الْمَوْلِدَ حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَباً لِأَخْذِ مَا اجْتَمَعَ لَهُ عِنْدَ النَّاس ، هَذَا فِيهِ وُجُوهٌ مِنَ الْمَفَاسِدِ ، مِنْهَا : أَنَّهُ يَتَّصِفُ بِصِفَةِ النِّفَاقِ ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ خِلَافَ مَا يُبْطِنُ ؛ إِذْ ظَاهِرُ حَالِهِ أَنَّهُ عَمِلَ الْمَوْلِدَ يَبْتَغِي بِهِ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَبَاطِنُهُ أَنَّهُ يَجْمَعُ بِهِ فِضَّةً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ الْمَوْلِدَ لِأَجْلِ جَمْعِ الدَّرَاهِمِ أَوْ طَلَبِ ثَنَاءِ النَّاس عَلَيْهِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ لَهُ ، وَهَذَا أَيْضاً فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا لَا يَخْفَىٰ . انْتَهَىٰ . وَهَذَا أَيْضاً مِنْ نَمَطِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَهُوَ أَنَّ الذَّمَّ فِيهِ إِنَّما حَصَلَ مِنْ عَدَمِ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ لَا مِنْ أَصْلِ عَمَلِ الْمَوْلِدِ .

وَقَدْ سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ حَافِظُ الْعَصْرِ أبو الفضل ابن حجر (٨٥٢هـ) عَنْ عَمَلِ الْمَوْلِدِ ، فَأَجَابَ بِمَا نَصُّهُ : أَصْلُ عَمَلِ الْمَوْلِدِ بِدْعَةٌ لَمْ تُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلف الصَّالح مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ ، وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ قَدِ اشْتَمَلَتْ عَلَىٰ مَحَاسِنَ وَضِدِّهَا ، فَمَنْ تَحَرَّىٰ فِي عَمَلِهَا الْمَحَاسِنَ وَتَجَنَّبَ ضِدَّهَا كَانَ بِدْعَةً حَسَنَةً وَإِلَّا فَلَا ، قَالَ : وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهَا عَلَىٰ أَصْلٍ ثَابِتٍ وَهُوَ مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ أَنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَسَأَلَهُمْ فَقَالُوا : هُوَ يَوْمٌ أَغْرَقَ اللَّهُ فِيهِ فرعون وَنَجَّىٰ مُوسَىٰ فَنَحْنُ نَصُومُهُ شُكْراً لِلَّهِ تَعَالَىٰ ، فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ فِعْلُ الشُّكْرِ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ فِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ مِنْ إِسْدَاءِ نِعْمَةٍ أَوْ دَفْعِ نِقْمَةٍ ، وَيُعَادُ ذَلِكَ فِي نَظِيرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَة ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ يَحْصُلُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَالتِّلَاوَةِ ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ بِبُرُوزِ هَذَا النَّبي نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ وَعَلَىٰ هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَحَرَّىٰ الْيَوْمُ بِعَيْنِهِ حَتَّىٰ يُطَابِقَ قِصَّةَ مُوسَىٰ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، وَمَنْ لَمْ يُلَاحِظْ ذَلِكَ لَا يُبَالِي بِعَمَلِ الْمَوْلِدِ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ ، بَلْ تَوَسَّعَ قَوْمٌ فَنَقَلُوهُ إِلَىٰ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ ، وَفِيهِ مَا فِيهِ . فَهَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَصْلِ عَمَلِهِ .

وَأَمَّا مَا يُعْمَلُ فِيهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ فِيهِ عَلَىٰ مَا يُفْهِمُ الشُّكْرَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ مِنْ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ التِّلَاوَةِ وَالْإِطْعَامِ وَالصَّدَقَةِ وَإِنْشَادِ شَيْءٍ مِنَ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ وَالزُّهْدِيَّةِ الْمُحَرِّكَةِ لِلْقُلُوبِ إِلَىٰ فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ ، وَأَمَّا مَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنَ السَّمَاعِ وَاللَّهْوِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ : مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مُبَاحاً بِحَيْثُ يَقْتَضِي السُّرُورَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ لَا بَأْسَ بِإِلْحَاقِهِ بِهِ ، وَمَا كَانَ حَرَاماً أَوْ مَكْرُوهاً فَيُمْنَعُ ، وَكَذَا مَا كَانَ خِلَافَ الْأَوْلَىٰ . انْتَهَىٰ .

قُلْتُ : وَقَدْ ظَهَرَ لِي تَخْرِيجُهُ عَلَىٰ أَصْلٍ آخَرَ ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ " أَنَّ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَّ عَنْ نَفْسِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ " . أخرجه البزار في المسند (١٣/ ٤٧٨ برقم ٧٢٨١) ، الروياني في المسند (٢/ ٣٨٦ برقم ١٣٧١) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ٧٨) ، الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٩٨ برقم ٩٩٤) ، الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥/ ٢٠٥ برقم ١٨٣٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٥٠٥ برقم ١٩٢٧٣) .

مَعَ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ جَدَّهُ عبد المطلب عَقَّ عَنْهُ فِي سَابعِ وِلَادَتِهِ . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٢/ ٤٤٤ برقم ٣٥٥٢٠) .

وَالْعَقِيقَةُ لَا تُعَادُ مَرَّةً ثَانِيَةً ، فَيُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِظْهَارٌ لِلشُّكْرِ عَلَىٰ إِيجَادِ اللَّهِ إِيَّاهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَتَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي عَلَىٰ نَفْسِهِ لِذَلِكَ ، فَيُسْتَحَبُّ لَنَا أَيْضاً إِظْهَارُ الشُّكْرِ بِمَوْلِدِهِ بِالاِجْتِمَاعِ وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْقُرُبَاتِ ، وَإِظْهَارِ الْمَسَرَّاتِ ، ثمَّ رَأَيْتُ إِمَامَ الْقُرَّاءِ الْحَافِظَ شمس الدِّين ابن الجزري (٨٣٣هـ) قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ " عَرْفُ التَّعْرِيفِ بِالْمَوْلِدِ الشَّرِيف " مَا نَصُّهُ : قَدْ رُؤِيَ أبو لهب بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا حَالُكَ ، فَقَالَ : فِي النَّارِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَفَّفُ عَنِّي كُلَّ لَيْلَةِ اثْنَيْنِ وَأَمُصُّ مِنْ بَيْنِ أُصْبُعَيَّ مَاءً بِقَدْرِ هَذَا - وَأَشَارَ لِرَأْسِ أُصْبُعِهِ - وَأَنَّ ذَلِكَ بِإِعْتَاقِي لثويبة عِنْدَمَا بَشَّرَتْنِي بِوِلَادَةِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ . فَإِذَا كَانَ أبو لهب الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ جُوزِيَ فِي النَّارِ بِفَرَحِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ، فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدِ مِنْ أُمَّةِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لَعَمْرِي إِنَّما يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَقَالَ الْحَافِظُ شمس الدِّين ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ " مَوْرِدُ الصَّادِي فِي مَوْلِدِ الْهَادِي " : قَدْ صَحَّ أَنَّ أبا لهب يُخَفَّفُ عَنْهُ عَذَابُ النَّارِ فِي مِثْلِ يَوْمِ الاِثْنَيْنِ لِإِعْتَاقِهِ ثويبة سُرُوراً بِمِيلَادِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ أَنْشَدَ :

إِذَا كَانَ هَذَا كَافِراً جَاءَ ذَمُّـــــهُ ... وَتَبَّتْ يَدَاهُ فِي الْجَحِيمِ مُخَلَّدَا
أَتَىٰ أَنَّهُ فِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ دَائِمـــاً ... يُخَفَّفُ عَنْهُ لِلسُّرُورِ بِأَحْمــــدَا
فَمَا الظَّنُّ بِالْعَبْدِ الَّذِي طُولَ عُمْرِهِ ... بِأَحْمَدَ مَسْرُوراً وَمَاتَ مُوَحِّــدَا

وَقَالَ الكمال الأدفوي (٧٤٨هـ) فِي " الطَّالِعِ السَّعِيدِ " : حَكَىٰ لَنَا صَاحِبُنَا الْعَدْلُ ناصر الدِّين محمود ابن العماد أَنَّ أبا الطيب محمَّد بن إبراهيم السبتي المالكي نَزِيلَ قُوصَ ، أَحَدَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، كَانَ يَجُوزُ بِالْمَكْتَبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ وُلِدَ النَّبي صلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ: يَا فَقِيهُ ، هَذَا يَوْمُ سُرُورٍ اصْرِفِ

الصِّبْيَانَ ، فَيَصْرِفُنَا ، وَهَذَا مِنْهُ دَلِيلٌ عَلَىٰ تَقْرِيرِهِ وَعَدَمِ إِنْكَارِهِ ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ فَقِيهاً مَالِكِيّاً مُتَفَنِّناً فِي عُلُومٍ ، مُتَوَرِّعاً ، أَخَذَ عَنْهُ أبو حيان وَغَيْرُهُ ، وَمَاتَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

(فَائِدَةٌ) قَالَ ابن الحاج : فَإِنْ قِيلَ : مَا الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام خُصَّ مَوْلِدُهُ الْكَرِيمُ بِشَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل وَيَوْمِ الاِثْنَيْنِ وَلَمْ يَكُنْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وَفِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، وَلَا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَلَا فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَلَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا ؟ فَالْجَوَابُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

الْأَوَّلُ : مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ ، وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ أَنَّ خَلْقَ الْأَقْوَاتِ وَالْأَرْزَاقِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْخَيْرَاتِ الَّتِي يَمْتَدُّ بِهِ بَنُو آدَمَ وَيَحْيَوْنَ وَتَطِيبُ بِهَا نُفُوسُهُمْ .

الثَّانِي : أَنَّ فِي لَفْظَةِ رَبِيعٍ إِشَارَةً وَتَفَاؤُلا حَسَناً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ اشْتِقَاقِهِ ، وَقَدْ قَالَ أبو عبد الرَّحمن الصقلي : لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِن اسْمِهِ نَصِيبٌ .

الثَّالِثُ : أَنَّ فَصْلَ الرَّبِيعِ أَعْدَلُ الْفُصُولِ وَأَحْسَنُهَا ، وَشَرِيعَتُهُ أَعْدَلُ الشَّرَائِعِ وَأَسْمَحُهَا .

الرَّابِعُ : أَنَّ الْحَكِيمَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ بِهِ الزَّمَانَ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ، فَلَوْ وُلِدَ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا لَكَانَ قَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَتَشَرَّفُ بِهَا " . انظر : الحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٢-٢٣١) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العبَّاس ، شهاب الدِّين (٩٢٣هـ) : " فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً ، ليكون أشدّ علة علىٰ من في قلبه مرض وأعيا داء " . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٩٠) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " الباب الثَّالث عشر في أقوال العلماء في عمل المولد الشَّريف واجتماع النَّاس له وما يحمد من ذلك وما يُذم : ... وأوَّل من أحدث ذلك من الملوك صاحب إربل الملك المظفّر أبو سعيد كوكوبري بن زين الدِّين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد ...

قال سبط بن الجوزي - رحمه الله تعالىٰ- في مرآة الزمان : حكىٰ من حضر سماط المظفَّر في بعض المولد أنه عدّ في ذلك السّماط خمسة آلاف رأس غنم شويّ ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف قرص ، ومائة ألف زبديّة أي من طعام ، وثلاثين ألف صحن حلوىٰ ، قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصُّوفيَّة فيخلع عليهم ويطلق لهم . وكان يصرف علىٰ المولد في كلِّ سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة علىٰ أي صفة . فكان يصرف علىٰ هذه الدَّار في كلِّ سنة مائة

ألف دينار ، وكان يفتكّ من الفرنج في كلِّ سنة بمائتي ألف دينار ، وكان يصرف علىٰ الحرمين والمياه بدرب الحجاز في كلِّ سنة ثلاثين ألف دينار ، وهذا كلّه سوىٰ صدقات السرّ .

وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيُّوب أخت الملك النَّاصر صلاح الدِّين أنَّ قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم . قالت : فعاتبته في ذلك فقال : ألبس ثوباً بخمسة دراهم ، وأتصدَّق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثمناً وأدع الفقير والمسكين .

وقد أثنىٰ عليه الأئمَّة ، منهم الحافظ أبو شامة شيخ النَّووي في كتابه : " الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث " ، وقال : مثل هذا الحسن يندب إليه ويشكر فاعله ويثنىٰ عليه .

قال ابن الجوزيّ : لو لم يكن في ذلك إلَّا إرغام الشَّيطان ، وإدعام أهل الإيمان .

وقال العلَّامة ابن ظفر - رحمه الله تعالىٰ - : بل في الدُّرّ المنتظم : وقد عمل المحبُّون للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحاً بمولده الولائم ، فمن ذلك ما عمله بالقاهرة المعزّية من الولائم الكبار الشَّيخ أبو الحسن المعروف بابن قفل قدَّس الله تعالىٰ سرَّه ، شيخ شيخنا أبي عبد الله محمَّد بن النُّعمان ، وعمل ذلك قبل جمال الدِّين العجمي الهمذاني ، وممَّن عمل ذلك علىٰ قدر وسعه يوسف الحجّار بمصر ، وقد رأىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يحرّض يوسف المذكور علىٰ عمل ذلك .

قال : وسمعت يوسف بن علي بن زريق الشَّامي الأصل المصري المولد الحجّار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : رأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام منذ عشرين سنة ، وكان لي أخ في الله تعالىٰ يقال له الشَّيخ أبو بكر الحجَّار ، فرأيت كأنَّني وأبا بكر هذا بين يدي النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالسين ، فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرقها نصفين ، وذكر للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاماً لم أفهمه ، فقال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجيباً له : لولا هذا لكانت هذه في النَّار . ودار إليَّ وقال : لأضربنَّك .

وكان بيده قضيب ، فقلت : لأي شيء يا رسول الله ؟ فقال : حتَّىٰ لا تبطل المولد ولا السُّنن . قال يوسف : فعملته منذ عشرين سنة إلىٰ الآن . قال: وسمعت يوسف المذكور يقول : سمعت أخي أبا بكر الحجّار يقول : سمعت منصوراً النشَّار يقول : رأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام يقول لي : قل له لا يبطله . يعني المولد ما عليك ممَّن أكل وممَّن لم يأكل . قال : وسمعت شيخنا أبا عبد الله بن أبي محمَّد النّعمان يقول : سمعت الشَّيخ أبا موسىٰ الزّرهونيّ يقول : رأيت النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في

النَّوم فذكرت له ما يقوله الفقهاء في عمل الولائم في المولـــد ، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من فرح بنا فرحنا به " .

وقال الشَّيخ الإمام العلَّامة نصير الدِّين المبارك الشَّهير بابن الطبَّاخ في فتوىٰ بخطِّه : إذا أنفق المنفق تلك الليلة ، وجمع جمعاً أطعمهم ما يجوز إطعامه ، وأسمعهم ما يجوز سماعه ، ودفع للمسمع المشوّق للآخرة ملبوساً ، كلّ ذلك سروراً بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجميع ذلك جائز ، ويُثاب فاعله إذا أحسن القصد ، ولا يختصُّ ذلك بالفقراء دون الأغنياء، إلَّا أن يقصد مواساة الأحوج فالفقراء أكثر ثواباً ، نعم إن كان الاجتماع كما يبلغنا عن قرَّاء هذا الزَّمان من أكل الحشيش واجتماع المردان وإبعاد القوَّال إن كان بلحية وإنشاد المشوّقات للشَّهوات الدُّنيويَّة ، وغير ذلك من الخزي ، والعياذ بالله تعالىٰ ، فهذا مجمع آثام .

وقال الشَّيخ الإمام جمال الدِّين بن عبد الرَّحمن بن عبد الملك الشَّهير بالمخلّص الكتَّاني- رحمه الله تعالىٰ- مولد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبجَّل مكرَّم ، قدّس يوم ولادته وشرّف وعظم ، وكان وجوده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبدأ سبب النَّجاة لمن اتبعه وتقليل حظّ جهنم لمن أعدّ لها لفرحه بولادته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتمّت بركاته علىٰ من اهتدىٰ به ، فشابه هذا اليوم يوم الجمعة من حيث أنَّ يوم الجمعة لا تسعَّر فيه جهنَّم ، هكذا ورد عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن المناسب إظهار السُّرور ، وإنفاق الميسور ، وإجابة من دعاه ربّ الوليمة للحضور .

وقال الإمام العلَّامة ظهير الدِّين جعفر التزمنتيّ – رحمه الله تعالىٰ- : هذا الفعل لم يقع في الصَّدر الأوَّل من السَّلف الصَّالح مع تعظيمهم وحبهم له إعظاماً ومحبةً لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ولا ذرّة منه ، وهي بدعة حسنة إذا قصد فاعلها جمع الصَّالحين والصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإطعام الطَّعام للفقراء والمساكين ، وهذا القدر يثاب عليه بهذا الشَّرط في كلِّ وقت ، وأمَّا جمع الرّعاع وعمل السَّماع والرَّقص وخلع الثِّياب علىٰ القوَّال بمروديّته وحسن صوته ، فلا يندب بل يقارب أن يُذمّ ، ولا خير فيما لم يعمله السَّلف الصَّالح ، فقد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا يُصلح آخر هذه الأمَّة إلَّا ما أصلح أوَّلها " .

وقال الشَّيخ نصير الدِّين أيضاً : ليس هذا من السُّنن ، ولكن إذا أنفق في هذا اليوم وأظهر السُّرور فرحاً بدخول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوجود ، واتَّخذ السَّماع الخالي عن اجتماع المردان ، وإنشاد ما يثير نار الشَّهوة من العشقيات والمشوِّقات للشَّهوات الدُّنيويَّة ، كالقدّ ، والخدّ ، والعين ، والحاجب ،

وإنشاد ما يشوِّق إلىٰ الآخرة ويزهد في الدُّنيا فهذا اجتماع حسن يُثاب قاصد ذلك وفاعله عليه ، إلَّا أن سؤال النَّاس ما في أيديهم بذلك فقط بدون ضرورة وحاجة سؤالٌ مكروه ، واجتماع الصُّلحاء فقط ليأكلوا ذلك الطَّعام ويذكروا الله تعالىٰ ويصلُّوا علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضاعف لهم القربات والمثوبات ...

فيستفاد من فعل ذلك شكراً لله تعالىٰ علىٰ ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويُعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلِّ سنة ، والشُّكر لله تعالىٰ يحصل بأنواع العبادات والسُّجود والصِّيام والصَّدقة والتِّلاوة ، وأيّ نعمة أعظم من النِّعمة ببروز هذا النَّبي الكريم نبيّ الرَّحمة في ذلك اليوم ؟

وعلىٰ هذا فينبغي أن يتحرَّىٰ اليوم بعينه حتىٰ يطابق قصَّة موسىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في يوم عاشوراء ، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشَّهر ، بل توسَّع قوم حتىٰ نقلوه إلىٰ أي يوم من السَّنة ، وفيه ما فيه . فهذا ما يتعلَّق بأصل عمل المولد .

وأمَّا ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه علىٰ ما يفهم الشُّكر لله تعالىٰ من نحو ما تقدَّم ذكره من التِّلاوة ،والإطعام ، والصَّدقة ، وإنشاد شيء من المدائح النَّبويَّة والزّهديَّة المحرِّكة للقلوب ، إلىٰ فعل الخيرات والعمل للآخرة . وأمَّا ما يتبع ذلك من السَّماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال ما كان من ذلك مباحاً بحيث يتعيَّن السُّرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به ، ومهما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع ، وكذا ما كان خلافاً للأولىٰ . انتهىٰ .

وقال شيخ القرَّاء الحافظ أبو الخير ابن الجزري رحمه الله تعالىٰ : قد رئي أبو لهب بعد موته في النَّوم فقيل له : ما حالك ؟ فقال : في النَّار إلَّا أنَّه يخفّف عنِّي كلَّ ليلة اثنين وأمصّ من بين إصبعيّ هاتين ماءً بقدر هذا- وأشار لرأسي إصبعيه- وإنَّ ذلك بإعتاقي لثويبة عند ما بشّرتني بولادة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبإرضاعها له . فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمّه جوزي في النَّار لفرحه ليلة مولد محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما حال المسلم الموحّد من أمَّة محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببشره بمولده وبذل ما تصل إليه قدرته في محبَّته ؟ لعمري إنَّما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنَّة النَّعيم .

وذكر نحوه الحافظ شمس الدِّين محمَّد بن ناصر الدِّين الدِّمشقي- رحمه الله تعالىٰ- ثمَّ أنشد :

إذا كان هذا كافرٌ جاء ذمُّـــــه	وتبَّت يداه في الجحيم مخلَّدا
أتىٰ أنَّه في يوم الاثنين دائمـاً	يخفَّف عنه بالسُّرور بأحمدا
فما الظَّنّ بالعبد الذي كان عمره	بأحمد مسروراً ومـــــات موحِّدا

انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١/ ٣٦٢فما بعدها باختصار) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) : " ... وكان السُّلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة يحتفل لليلة مولد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غاية الاحتفال ، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله .

ومن احتفاله له : ما حكاه شيخ شيوخ شيوخنا الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثمَّ التِّلمساني في كتابه : " راح الأرواح فيما قاله المولىٰ أبو حمو من الشِّعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك علىٰ حسب الاقتراح " ، ونصّه : أنَّه كان يقيم ليلة الميلاد النَّبوي – علىٰ صاحبه الصَّلاة والسَّلام – بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر فيها النَّاس خاصَّة وعامَّة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، وبسط موشاة ، ووسائد بالذَّهب مغشاة ، وشمع كالأسطوانات ، وموائد كالهالات ، ومباخر منصوبة كالقباب ، يخالها المبصر تبراً مذاب ، ويفاض علىٰ الجميع أنواع الأطعمة ، كأنَّها أزهار الرَّبيع المنمنمة ، تشتهيها الأنفس وتستلذها النَّواظر ، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر ، رتب النَّاس فيها علىٰ مراتبهم ترتيب احتفال ، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال ، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام ، يخرجون فيها من فن إلىٰ فن ومن أسلوب إلىٰ أسلوب ، ويأتون من ذلك بما تطرب له النُّفوس وترتاح إلىٰ سماعه القلوب ، وبالقرب من السُّلطان رضوان الله تعالىٰ عليه خزانة المنجانة قد زخرفت كأنَّها حلة يمانيَّة ، لها أبواب موجفة علىٰ عدد ساعات الليل .

وقال التنسي المذكور في كتابه المسمَّىٰ بـ : " نظم الدُّر والعقيان في شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان " ، ما نصّه : وكان السُّلطان أبو حمو يقوم بحقِّ ليلة مولد المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم ، يقيم مدعاة يحشر لها الأشراف والسّوقة ، فما شئت من نمارق مصفوفة ، وزرابي مبثوثة ، وشمع كالأسطوانات ، وأعيان الحضرة علىٰ مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملوَّن وبأيديهم مباخر ومرشات ينال كلّ منها بحظِّه ، وخزانة ذات تماثيل لجين محكمة

الصَّنعة ، بأعلاها أيكة تحمل طائراً فرخاه تحت جناحيه ، ويختله فيهما أرقم خارج من كوَّة بجذر الأيكة صاعداً ، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزَّمانيَّة ، يصاقب طرفيها بابان كبيران ، وفوق جميعها دوين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ، ويسامت أوَّل كلّ ساعة بابها المرتج ، فينتقض من البابين الكبيرين عقابان ، بفي كلّ واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن ، وينهش الأرقم أحد الفرخين ، فيصفر له أبوه ، فهناك يفتح باب السَّاعة الذَّاهبة ، وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء ، بيمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوماً ، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة ، والمسمع قائم ينشد أمداح سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيين ومولانا محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً ، والرِّياض نوراً، وقد اشتملت من أنواع محاسن المطاعم على ألوان تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين ، وتلذّ بسماع أسمائها الآذان ، وبشرة مبصرها للقرب منها والتّناول وإن كان ليس بغرثان ، والسُّلطان لم يفارق مجلسه الذي أبتدأ جلوسه فيه ، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع حتى يصلي هنالك صلاة الصُّبح . على هذا الأسلوب تمضي ليلة المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع أيَّام دولته ، أعلى الله تعالى مقامه في عليين ، وشكر له في ذلك صنيعه الجميل آمين .

وما من ليلة مولد مرَّت في أيَّامه إلَّا ونظم فيها قصيداً في مديح مولد المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أوَّل ما يبتدئ المسمع في ذلك الحفل العظيم بإنشاده " . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٦/ ٥١٣-٥١٥) .

وقال الإمام أحمد بن زيني دحلان (١٣٠٤هـ) : " ومن تعظيمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرح بليلة ولادته ، وقراءة المولد ، والقيام عند ذكر ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإطعام الطعام ، وغير ذلك مما يعتاد النَّاس فعله من أنواع البر ، فإنَّ ذلك كلّه من تعظيمه صلَّى الله عليه وسلم... " . انظر : الدرر السنية في الردِّ على الوهَّابيَّة (ص١٩) .

وقال الإمام أحمد بن زيني دحلان أيضاً : " جرت العادة أنَّ النَّاس إذا سمعوا ذكر وضعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقومون تعظيماً له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقد فعل ذلك كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم .

قال الحلبي في السِّيرة : فقد حكى بعضهم أنَّ الإمام السُّبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره ، فأنشد منشده قول الصّرصري في مدحه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

قليلٌ لِمَدْحِ الْمُصْطَفَىٰ الْخَطُّ بِالذَّهَبْ   علىٰ وَرِقٍ مِن كَفِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ
وأَنْ تَنْهَضَ الأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِــــه   قِيَاماً صُفُوفاً أَوْ جُثِيّاً عَلَىٰ الرُّكَــــبْ

فعند ذلك قام الإمام السُّبكي وجميع من بالمجلس ، فحصل أُنسٌ كبير في ذلك المجلس ، وعمل المولد واجتماع النَّاس له كذلك مستحسن " . انظر : السيرة النبوية والآثار المحمَّدية ، (١/ ٤٥) .

وبناء علىٰ ما سبق بيانه ... فيوم ميلاد من جعله الله رحمة للعالمين لا يُمكن تجاهله ، فهو يوم من أيام الله الخالدة ، ومطلوب من الجميع الابتهاج والتَّذكير به وتعظيمه ، قال تعالىٰ : **﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [الأعراف:١٥٧] ... ومن ضرورات تعظيمه صلَّىٰ الله عليه وسلَّم تعظيم اليوم الذي ولد فيه عليه الصَّلاة والسَّلام ...

ومعلوم أنَّ الرَّسُول صلَّىٰ الله عليه وسلَّم كان يحتفل بصيام اليوم الذي ولد فيه ، وصيامه له تعظيم ...وتابعه علىٰ ذلك صحابته الأبرار ...فكيف يعقل أن لا يكون الاحتفال بمولده مشروعاً في العام مرَّة ، والصحابة كانوا يحتفلون بمولده صلَّىٰ الله عليه وسلَّم أُسبوعيَّاً ؟!!

الفَصْلُ الخَامِس

نَمَاذِج لِبَعْضِ المَوَالِدِ

إنَّ النَّاظر المستقرئ يجد أنَّ العديد من العلماء كتبوا في الموالد التي اقتبسوها من الكتاب العزيز والسُّنَّة المُطهَّرة ، منها المنظوم ومنها المنثور ومنها المختصر ... وفي هذا الفصل سنذكر ثلاثة نماذج من الموالد التي كتبها كبار علماء الأمَّة ... ومن ذلك :

مَوْلِدُ المنَاوِي

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البريَّة ، سيِّدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام ، قمر الهداية وكوكب العناية الربَّانيَّة ، مصباح الرَّحمة المرسلة وشمس دين الإسلام ، من تولاه مولاه بالحفظ والحماية والرَّعاية السَّرمديَّة ، وأعلىٰ مقامه فوق كلّ مقام ، وفضَّله علىٰ الأنبياء والمرسلين ذوي المراتب العليَّة ، فكان للأولين مبدءا وللآخرين ختام ، وشرَّف أُمَّته علىٰ الأمم السَّابقة القبليَّة ، فنالت به درجة القرب والسَّعادة والاحترام ، وأنزل تشريفها في محكم الآيات القرآنيَّة ، **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران : ١١٠] ، فما أعذب هذا الكلام . أحمده أن جعلنا من هذه الأُمَّة المخصوصة بهذه المزيَّة ، الفائزة بالوصول إلىٰ دار السَّلام ، وأشكره علىٰ هذه العطيَّة ، وأستعين به وأستهديه علىٰ الدَّوام ، وأتوب إليه من الأوزار والزَّلل والخطيَّة ، وأستغفره من الذُّنوب والآثام ، وأطلب الفوز بقربه والرَّجاء والأمنيَّة ، وأسأله العفو والعافية وحسن الختام ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله القديم في ذاته الأحديَّة ، المنفرد بالإيجاد والإعدام ، شهادة أتخلص بها من النَّزعات الشَّيطانيَّة ، وانتظم بها في سلك قوم مخلصين لهم في العبادة أقدام ، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً الذي فتح الله بمعناه أبواب النَّشأة الوجوديَّة ، وختم بصورته نظام الأنبياء والمرسلين الكرام ، وقد اشتمل اسمه الشَّريف علىٰ أربعة أحرف هجائيَّة ، لكلِّ حرف منها مزيَّة ومقام ، فالميم الأُولىٰ ما من نبيّ ولا رسول إلَّا خلق من نور طلعته البهيَّة ، فهو أصل والكلّ منه فرع بلا شكّ ولا إيهام ، والحاء حمىٰ لمن آمن به واتَّبع ملَّته الحنيفيَّة ، وحاشا من صدَّق برسالته وتمسَّك بسنَّته يضام ، والميم الأخرىٰ مفتاح الرَّحمة يوم العرض علىٰ عالم الأسرار الخفيَّة ، والدَّال دعوة شفاعته لأُمَّته قد خبَّأها بها في علمه العليم العلَّام ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه بكرة وعشيَّة ، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين لا يعتريهما انصرام .

ﷲ ﷲ ﷲ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﷲ ﷲ ﷲ

(أمَّا بعد) فيقول العبد الفقير الرَّاجي من الله الألطاف الخفيَّة ، الطَّالب منه تعالىٰ محو المساوي والآثام ، رأيت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤية حقيقية ، ومن رآه في المنام فقد رآه حقَّاً ، كما روت عليه الأفاضل الأعلام ، رأيته مزملاً في ثياب سندسيَّة ، مربوع القامة أبيض اللون جميل الصُّورة وفصيح الكلام ، كاملاً في ذاته مكملاً في أوصافه الخلقيَّة ، ما خلق الله قبله ولا بعده مثله في الأنام ، عظيم الرَّأس أسود الشَّعر تتيه في محاسنه القلوب الزَّكيَّة ، وتتحيَّر في كمال جماله الأفهام ، قمري الجبين حواجبه نونيَّة ، كحيل الطَّرفين أهدب العينين ظريف القوام ، أبيض الخدَّين مشرباً بالحمرة وجناته ضوئيَّة ، ووجهه كأنه ليلة البدر ليلة التَّمام ، يجري الحسن في خديه كما تجري الشَّمس في مسالكها الفلكيَّة ، كوكبي الأنف يزول من ضيائه الظَّلام ، ياقوتي الشَّفتين مفلج الأسنان إذا تكلَّم خرج النُّور من بين ثناياه اللؤلئيَّة ، واسع الفم سلسبيل الريق جميل الابتسام ، كثُّ اللحية ، شديد الهيبة ، معتدل العنق في صفاء الفضَّة التقيَّة ، وله عينان في ظهره يرىٰ بهما من خلفه كما يرىٰ من في الأمام ، بارز العضدين ،طويل الزّندين ،كريم الكفَّين ، أجود من السُّحب الممطرة الغيميَّة ، سليم الصَّدر ، ممتلئ من الآيات والأحكام ، بطنه علىٰ تقوىٰ الله ، ومعارفه مطويَّة ، وإذا نامت عيناه قلبه لا ينام ، منير السَّاقين ، ظريف الكعبين ، أعقابه سراجيَّة ، وله في الصَّخر غاصت الأقدام .

ﷻﷻﷻ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﷻﷻﷻ

اعلم وفقني الله وإياك بالأعمال الصَّالحة المرضيَّة ، وابرأ قلوبنا من الآلام والأسقام ، ومتعني وإيَّاك بزيارة روضته الشَّريفة النَّبويَّة ، وجعلنا له من جملة الخُدام ، أنَّ نبيَّنا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ذكر في مجلس إلَّا نفحت منه رائحة زكيَّة ، فتبلغ عنان السَّماء ،ويتجلَّىٰ بالرَّحمة والرِّضوان ذو الجلال والإكرام ، فتقول الملائكة إلهنا وسيّدنا ما هذه الرَّائحة المسكيَّة ، فيقول الله سبحانه وتعالىٰ خطاباً للملائكة الكرام ، يا ملائكتي هذا مجلس صُلِّي فيه علىٰ حبيبي محمَّد بن عبد الله خير الخلائق البشريَّة ، الذي خلقته بقدرتي ، وابتدعته بحكمتي ، وأضفته تشريفاً إلىٰ عظمتي واصطفيته من جميع الأنام ، فتنزل الملائكة علىٰ أهل هذا المجلس ، وتحفهم بأجنحتها النُّورانيَّة ، ويستأنسون بهم ويصلون عليهم والصَّلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار علىٰ الدَّوام ، ويؤمِّنون علىٰ دعواتهم ، ويشهدون لهم عند الله بالسَّعادة الأبديَّة ، ثمَّ يرتفعون وهم يذكرونهم بأحسن مقال وأجل مقام ، فيكتبُ الله كتابهم في عليين في الدَّار الجنانيَّة ، ويمنحهم قربه ورضاه ، ويمتعهم فيها بالحور العين الحسان ونعم الإكرام ، فزيِّنوا مجالسنا

بالصَّلاة عليه والتَّسليمات الزكيَّة ، فإنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضر في كلِّ مجلس يُصلىٰ عليه فيه فأكثروا من الصَّلاة عليه والسَّلام .

وقد فرض الله سبحانه وتعالىٰ الصَّلاة عليه والسَّلام في الآية القرآنيَّة ، حيث قال وهو أصدق القائلين في محكم كتابه المفضل علىٰ سائر الكلام ،: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾** [الأحزاب: ٥٦] ، بدأ بنفسه وثنَّىٰ بملائكته القدسيَّة **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب: ٥٦] ، أمرنا بذلك في كلِّ محفل ومقام ، وقد فضلها بعض الفضلاء علىٰ الصَّلاة النفليَّة ، فيا سعادة من أشغل نفسه بها ولازم وردها علىٰ الدَّوام .

﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾

ومن فضائل الصَّلاة عليه أنَّها دلائل الخيرات والبركات والفتوحات السَّنيَّة ، ومهبط الرَّحمات والأفضال والإنعام ، وباب الرباح والفلاح والصَّلاح والعطيَّة ، وكنز النَّجاح وبحر السَّماح لمن لها قد أدام ، ووصلة بين العبد وربّه وسبب لحصول الأرزاق والغنائم الدُّنيويَّة ، وحجاب من الخطوب والكروب والآثام ، وسعادة في الدَّارين ، وتخفف سكرات الموت ، وتحفظ من الأهوال الدُّنيويَّة والأخرويَّة ، وأمان من الفتَّانان ، وطلقة للسان عند سؤال الملكين ، وسراج في القبور من الوحشة والظَّلام ، ويظلل المصلىٰ تحت ظل العرش يوم القيامة ، ويؤتىٰ كتابه بيده اليمينيَّة ، ويحاسب حساباً يسيراً ، وينقلب إلىٰ أهله مسروراً ، يكرم غاية الإكرام ، ويشرب من حوض النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شربة سائغة هنيَّة ، ويرىٰ عند المرور علىٰ الصِّراط نوراً أعظم من البدر التَّمام ، ويُعطىٰ في الجنَّة ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ القلوب البشريَّة ، ويُسقىٰ من الرَّحيق المختوم في دار السَّلام ، فعليك بها أيُّها المحب ، ولازم وردها في أوقات عمرك الدّهريَّة ، لعلك تفوز بدار الدَّوام مع الفائزين الذين **﴿دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ﴾** [يونس: ١٠] .

﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾﴿ﷺ﴾

وفي أوَّل ليلة من ليالي حمله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغلقت أبواب الجحيم ، وفتحت أبواب الجنان الرِّضوانيَّة ، واطلع الحي القيوم ، وتجلىٰ برحمته ورضوانه التَّجلي العام ، واهتز العرش طرباً ، ومال الكرسي عجباً ، وانتشرت الرَّايات الربانيَّة ، وتلألأت الكائنات بالأنوار ، وتنكَّست علىٰ رؤوسها الأصنام ، ونطقت دواب قريش بالمقالات العربيَّة ، وقالت حمل برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورب الكعبة ، فهو إمام الدُّنيا وسراج الأنام ، وفرت وحوش المشارق إلىٰ وحوش المغارب بالبشائر االقوليَّة ، وبشرت

حيتان البحر بعضها بعضاً بظهور مصباح الظَّلام ، ونادي لسان حال الكائنات جاءنا اليسر بعد الشَّدائد العسريَّة ، وظهر إمام العدل والرَّقيب من الحواسد نام ، ولم تجد أُمه في حمله وحماً ، ولا تعباً ، ولا كربيَّة ، ولا ثقلاً ، ولا هزا إلا ولا مس آلام ، وكان بدء حمله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة جمعة من الليالي الرَّجبيَّة ، وانتهاؤه في شهر ربيع الأوَّل ليلة الاثنين الثَّاني عشر من الأيام ، وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في بطن أمه يسبِّح ويقدِّس ذات ربه الوحدانيَّة ، فكـــانت السيِّدة تسمع تسبيحه وتقديسه ، وهو في بطنها ، فسبحوا من لا ينام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

ولمَّا استقرَّ نور محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بطن أُمِّه بشرتها الأنبياء في كلِّ شهر من شهور الحمل بالبشائر الجليلة البهيَّة ، ففي الشَّهر الأوَّل جاءها السيِّد آدم وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بشفيع المذنبين يوم الزّحام ، وفي الشَّهر الثَّاني جاءها شيث وبشرها في منامها بأنَّها حملت بدرة بهجة الأنوار المصطفويَّة ، التي فرع الله منها جميع الأشياء وأتقنها ببدائع الاحكام ، ولمَّا تمَّ لحمله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهران علىٰ أصحِّ الأقاويل الشَّهيريَّة ، تُوفي أبوه عند أخواله وهو راجع إلىٰ الشَّام ، فقالت ملائكة السَّماوات السَّبع الطباقيَّة ، ربنا بقي نبيك يتيماً ، فقال تعالىٰ يا ملائكتي أنا خالقه وحافظة عندما سار أو قام ، وفي الثَّالث جاءها نوح وبشرها في منامها بأنَّها حملت بسفينة العلوم اللدنيَّة ، الذي أعلىٰ عماد الإيمان ومناره أقام ، وفي الشَّهر الرَّابع جاءها الخليل إبراهيم وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت برسول الملَّة السَّمحاء الحنيفيَّة ، الذي جاهد الكفار والمنافقين وأبطل عبادة الأصنام ، وفي الشَّهر الخامس جاءها الذَّبيح إسماعيل وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بأفضل من نطق بالعربيَّة ، الذي شرف الله به زمزم والحطين والرُّكن والمقام ، وفي الشَّهر السَّادس جاءها السيِّد داود وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بمن كانت الجوامد في يده لينة طريَّة ، الذي أحيا الليل بالعبادة حتىٰ تورَّمت منه الأقدام ، وفي الشَّهر السَّابع جاءها السيِّد سليمان وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بعين الأعيان الإنسانيَّة ، الذي أعطاه الله بساط العناية وجرت بين يديه رياح الهداية وأصبحت ملائكة السَّماوات لحضرته من الخدام ، وفي الشَّهر الثَّامن جاءها موسىٰ وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بطور التَّجلِّيات الإلهيَّة ، الذي خاطبه الله من فوق سبع سماوات ، وخفض دون مقامه كل مقام ، وفي الشَّهر التَّاسع جاءها عيسىٰ بن مريم الطَّاهرة العمرانيَّة ، وبشَّرها في منامها بأنَّها حملت بأفضل من حج وصلَّىٰ وصام ، ولما كملت عدَّة أشهر أشرقت الأقطار بالأنوار المحمَّديَّة ، ونشرت له في جوانب الأرض الأعلام ، ولمَّا جاء شهر ربيع الأوَّل الذي فتح الله فيه أبواب

العطيَّة ، وطلعت فيه شموس الإيمان ، وفتحت كنوز الأنعام ، حضرت ليلة مولده المنيرة القمريَّة ، واشتدَّ بآمنة الطَّلق بلا وجع ولا أسقام ، وكانت السيِّدة وحيدة في منزلها ، فدخلت عليها النِّسوة الحوريَّة ، ومعهن آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران فبدأنها بالتَّحيَّة والسَّلام ، وأقبلت حواء في جماعة وجاءت سارة الخليليَّة ، وهنَّ يهنئنها بأحسن تهنئة لأجل اغتنام ، وفتحت أبواب السَّماء ونزلت الملائكة الرُّوحانيَّة ، وأقبل الأمين جبريل في كبكبة من الملائكة وبيده ثلاثة أعلام ، ودقت طبول الأفراح في السَّماوات والأرض ، وعبقت روائح الطِّيب بين العوالم الجبروتيَّة ، وتعطَّر الملأ الأعلىٰ بعنبر لحظات أوقاته العظام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

وتلألأت الكائنات بطوالعه السّعوديَّة ، وافتخرت الخلائق بقدومه والعرب والأعجام ، ورأت أُمُّه نوراً خرج منه أضاء الأرجاء العلويَّة والسفليَّة ، وتدلَّت الكواكب من السَّماوات وأقبل إلي بيت آمنة الغمام ، ورأت من يقول لها ستضعين خير أهل الأرضين والسَّماوات العلويَّة ، فإذا وضعتيه فسمِّيه محمداً ليحمد في الدُّنيا ويوم الزِّحام ، ولم تزل السيِّدة تشاهد من غرائب معجزاته أموراً نورانيَّة ، ومن عجيب آياته ما لا تحيط به العقول والأفهام ، وذلك في ليلة الاثنين من بعد العشاء إلىٰ طلوع اللمعة الفجريَّة ، فأخذها المخاض ووضعته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوراً يتلألأ كالبدر ليلة التَّمام ، ويجب علينا معشر الحاضرين والسَّامعين القيام عند ذكر مولده الشَّريف تعظيماً لقدوم ذاته البهيَّة ، فيا سعادة من وقف تعظيماً له علىٰ الأقدام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهم عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

ولمَّا بدا من بطن أُمه كالشَّمس البهيَّة ، سقط علىٰ يد أُم عبد الرَّحمان ابن عوف أحد البررة الكرام ، فسجد لمولاه علىٰ الأرض وأومأ بطرفه إلىٰ السَّماء العليَّة ، وفي ذلك الرفع إشارة إلىٰ علوِّ قدره والمقام ، ثمَّ عطس فقال الحمد لله بفصيح العربيَّة ، فقالت له الملائكة يرحمك ربّك يا خير الأنام ، ثمَّ غشيته سحابة من النُّور فأخذته الملائكة فغيبته عن أُمه ساعة زمنيَّة ، وطافوا به جميع الكائنات فعرفه أهل السَّموات والأرضين وكلّ منهم في محبته هام ، ثمَّ ردَّته الملائكة إلىٰ أُمه وهو ملفوف في ثياب خضر سندسيَّة ، وملك يقول يا عز الدُّنيا ويا شرف الآخرة من قال بمقالتك وشهد بشهادتك حشر تحت لوائك يوم الزِّحام ، وولد نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظريفاً ، مختوناً ، مسروراً ، مكحول العينين بكحل العناية الربَّانيَّة ، كامل الجمال ، مستوراً بالهيبة والجلال التَّام ،متخلِّقاً بأخلاق الأنبياء من فصاحة وفطانة

وسخاوة نديَّة ، وقوَّة وشجاعة وعفَّة وسماحة وحسن قوام ، وقيل ختنه جده عبد المطلب يوم سابع ميلاده ، وسمَّاه محمَّداً ، وصنع وليمة وبذل فيها همَّته الجهديَّة ، فسئل عن ذلك فقال رجوت أن يحمد في السَّموات والأرض ، وقد حقَّق الله رجاءه وما رام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

وظهرت ليلة مولده أمور غريبة عجيبيَّة ، تعظيماً لقدومه ، وإجلالاً لجنابه ، وإكراماً له أي إكرام ، منها تزيَّنت السَّموات وحفظت من القواعد السَّمعيَّة ، فمن استرق السَّمع بعد ذلك أتبعه شهاب مبين بالرَّمي والرَّجم الإيلام ، ولما ولد عيسىٰ بن مريم حجبت الشَّياطين عن ثلاث سموات تعظيماً لجلالته الرُّوحيَّة ، وحجبت عن الجميع لمَّا ولد نبينا علىٰ ممرِّ الدُّهور والأعوام ، وتلألأت الكائنات بالأنوار ، وتدلَّت الكواكب من الجوانب الأفقيَّة ، وأفل طالع الكفر ،ولاح فجر الإسلام ، وتزيَّنت الجنان بأجمل زينة وأحلىٰ مزيَّة ، وافتخرت الولدان ، وتبخترت الحور المقصورات في الخيام ، وانصدع إيوان كسرىٰ ، وسقطت شرافته المبنيَّة ، وظهر دين الحق ، وبطلت عبادة الأصنام ، وخمدت النِّيران التي كانت تعبدها الجاهليَّة ، وكان لها علىٰ الصَّحيح لم تخمد ألف عام ، وغاضت بحيرة ساوه ، وقد عرفت بالأماكن الفارسيَّة ، وفاض ماء وادي سماوه ، وهي مفازة في جبال وآكام ، وكان مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكان يعرف بسوق الليل بالأباطح المكيَّة ، بالبلد الحرام المشرف بدعوة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام ، وعند مسقط رأسه تنفح إلىٰ الآن رائحة عنبريَّة ، فيا سعادة من حيَّاه بالتَّقبيل ، وعظَّمه بالالتئام ، وألبست الشَّمس يوم ولادته أنواراً عظيمة ضحويَّة . وازداد القمر نوراً علىٰ نوره ، وغاب حندس الظّلام ، ووضعت الحوامل ذكوراً ، تعظيماً لقدوم ذاته المحمَّديَّة ، واخضرت الأرض ، وأثمرت الأشجار ، وجاء الرّغد من كل جانب ، وفاض طوفان الخير ، وتلاطمت أمواج بحور الأنعام ، وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في المهد يناغي القمر ، ويتحرَّك مهده بتحريك الملائكة الرُّوحانيَّة ، وحديثه مع القمر لأجل تسليته عن البكاء ، ونزول دموعه السّجام ، وأوَّل من أرضعه ثوبية بعد أمه آمنة الوهبيَّة ، وأعتقها سيدها لما بشَّرته بولادته ، فجوزي بتخفيف العذاب عنه كلّ ليلة اثنين علىٰ الدَّوام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

وأمَّا ما كان عليه من كمالاته وأخلاقه الحميدة الزَّكيَّة ، كما رأيته مسطَّراً عن العلماء الأعلام ، فكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محفوفاً بالهداية ، محروساً بالعناية ، محفوظاً من كلِّ أذيَّة ، مشهور الفضائل مذكوراً في المحافل ، مرفوعاً لواء عزه منشور الأعلام ، عارفاً بربِّه ، متوكلاً عليه في حوائجه الكليَّة ، صادقاً في

أقواله ، مخلصاً في أفعاله ، قائماً بالعبادة لربه حق القيام ، زاهداً في دنياه ، راغباً في الدَّار الأخرويَّة ، ساعياً في مصالح أهله ، واصلاً للأرحام ، عظيم القناعة إذا اشتدَّ به سلطان الجوع تكفيه اللقمة الطّعاميَّة ، ماشياً مع الأرامل ، قاضياً حوائج الأيتام ، عفواً عمن أساءه ، صفوحاً عمَّن ظلمه ، رؤوفاً بأمته ، تأخذه عليهم شفقته القلبيَّة ، مجيباً للإيماء ، صابراً على البلاء والخطوب العظام ، عفيف النَّفس لا يسأل أحداً من خلق الله حاجة من حوائجة الضّروريَّة ، دائم الحمد والشُّكر إن وجد شيئاً أكله ، وإن لم يجد شيئاً نوى الصِّيام ، خافض الجناح للفقراء والمساكين والجماعة الصّحابيَّة ، هيِّن الجانب ليس بفظٍّ ، ولا غليظ ، ولا مختال ، ولا نمَّام ، ماشياً خلف أصحابه ، قائلاً خلوا ظهري للملائكة الرّحمانيَّة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ولا ينطق في مجلسه إلَّا بصدق الكلام ، عاصباً من الجوع بالحجر أمعاءه الإحشائيَّة ، وبين يده مفاتيح خزائن الأرض بما فيها من الأنعام ، وراودته الجبال أن تكون له ذهباً فلم ترض نفسه الأبيَّة ، بل رضي حالته التي هو بها عليه الصَّلاة والسَّلام ، كـــــامل الآداب إذا مشي في أماكن المدينة البهيَّة ، مشدوداً بالمئزر ، مرخياً على وجهه اللثام .

﷽﷽﷽ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﷽﷽﷽

وأمَّا فضائله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مفارقته الحياة الدُّنيويَّة ، فهي كثيرة جلَّت على أن تحصرها الأقلام ، ولكن نورد نبذة منها تبركاً بذكر مفاخره العطريَّة ، ورجاء أن ننتظم في سلك محبِّيه عليه الصَّلاة والسَّلام ، فنقول قد روي أنه حين ينفخ إسرافيل في الصُّور نفخة القيام ، يرسل الله جبريل وميكائيل بالحلة والبراق إلى حضرته المحمديَّة ، فيقفان عند قبره الشَّريف ، وينادي جبريل يا طه السَّلام ، فينتبه المصطفى صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من روضته ينفض التُّراب عن رأسه الشَّريف فيصافحة جبريل ويبدؤه ميكائيل بالتَّحيَّة ، فيقول يا جبريل بشرني فيقول يا محمَّد قد تزيَّنت لقدومك الجنان الفردوسيَّة ، وتبخترت للقائك الحور والولدان العظام ، فيقول لست عن هذا أسأل أين أمَّتي يا جبريل فيقول يا محمَّد ما انشقَّت الأرض عن أحد قبلك من الخلائق القبليَّة والبعديَّة ، بل أنت أوَّل من ظهر ، وأوَّل من يشفع ، وأوَّل من يقرع باب الجنَّة يا بدر التَّمام ، ثمَّ يجمع الله الأوَّلين والآخرين في صعيد ، وتحيط بهم صفوف الملائكة السَّماويَّة ، فيتجلي المولى للمؤمنين بحلي رحمة ، وللكافرين تجلي غضب وانتقام ، فيتقدَّم المصطفى ، ويخر ساجداً تحت العرش ، وهو يحمد ربه بمحامد سنيَّة ، ويقول في سجوده أُمَّتي أُمَّتي سلمها ونجها يا ذا الجلال والإكرام ، فينادى يا محمَّد ارفع رأسك ، وسل تعطى ، واشفع تشفع يا كامل المزيَّة ، فيشفع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فصل القضاء ، فتنصرف الكفَّار إلى النَّار ، والمسلمون إلى دار السَّلام ، فيقول

الله مرحباً بعبادي وزوَّاري ، قد أعطيتكم يا عبادي أوفر عطيَّة ، أنتم ضيوفي وجيراني وخيرتي من خلقي ، أبحتكم رضاي ، وأسكنتكم دار السَّلام ، فيسكنون قصوراً مشرفة عليَّة ، ويأكلون ويشربون ويتنعَّمون بغاية الإنعام ، ويتفكَّهون ، ويلبسون ثياباً خضراً سندسيَّة ، متَّكئين فيها علىٰ الأرائك ، لا يرون فيها شمساً ، ولا زمهريراً ، ولا نصباً ، ولا لغوباً ، ولا لوم لوام ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق جواهرها نقيَّة ، يسقون فيها من رحيق مختوم ختامه مسك ، فيا نعم الشَّراب ويا حسن الختام ، هذا ونسأل الله تعالىٰ أن يختم لنا ولكم ولوالدينا ولوالديكم ولسائر المسلمين بخاتمه السَّعادة الأبديَّة ، ويسكننا جواره في دار السَّلام .

﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾ اللهمَّ عطِّر قبره بالتَّعظيم والتَّحيَّة ، واغفر لنا ذنوبنا والآثام ﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾﴿ﷲ﴾

اللهمَّ يا عالم الأسرار الخفيَّة ، يامن أحاط علمه بالليالي والأيام ، يا من السَّماء بقدرته مبنيَّة ، يا من لا يغفل أبداً ولا ينام ، يا من الأرض بحكمته مدحيَّة ، يا من لا يفتقر لمخلوق بل بنفسه القديمة قام ، يا من حوائج خلقه عنده مقضيَّة ، يا من لا يخيب من قَصَده بل يعطيه فوق ما رام ، يا من افتقرت الخلائق إلىٰ ذاته الأحديَّة ، وهو سبحانه وتعالىٰ عزيز ومن استعاذ بعزِّه لا يُضام ، يا من تفرَّد بالإيجاد والمنن والعطيَّة ، وشمل إحسانه جميع الأنام ، نسألك بأنوار ذاتك القدسيَّة ، التي بها كل حادث استقام ، ونتوسَّل إليك بنور ذات نبيِّك المصطفويَّة ، الذي استضاءت به قلوب المؤمنين وزال عنها الظَّلام ، وبآله وأصحابه ذوي النُّفوس الذَّكيَّة ، ونجوم دينه الأئمَّة الأعلام ، أن تعمَّنا برحمتك وبركاتك الربَّانيَّة ، وتغمسنا في بحار اللطف والإنعام ، وتدفع عنَّا كلَّ همٍّ وغمٍّ وكربة وبليَّة ، وتكفينا شرَّ الذُّل والإهانة ، وتكسونا جلابيب المعزّة والاعتصام ، وتوفِّقنا لصالح الأعمال الخالصة المقبولة المرضيَّة ، وتنجينا من الإساءة والخزي والانتقام ، وتعفو عمَّا أحاط به علمك من كل خطيَّة ، وتمحو عنا الذنوب والآثام ، وتسترنا جميعاً في هذه الدُّنيا الدنيَّة ، ولا تفضحنا يوم خلقك في يوم تزل فيه الأقدام ، وتتولي قبض أرواحنا بيد قدرتك الربَّانيَّة ، وتجعلنا عند الموت ناطقين بشهادة الإسلام ، وترزقنا عند سؤال الملكين الجواب يا مبلغ الأمنيَّة ، وتؤنسنا في قبورنا من الوحشيَّة والضِّيق والظَّلام ، وتلطف بنا في بعثنا ونشورنا وتحشرنا في زمرة صاحب المقامات العليَّة ، وتدخلنا في شفاعته وتوردنا حوضه وتعمّنا عند الصِّراط المستقيم بالنُّور السَّني التَّام ، وترزقنا جوار نبيّنا في جنان النَّعيم الدّيمويَّة ، وتبلّغنا النَّظر إلىٰ وجهك الكريم في دار المقام ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ من تفرَّعت جميع الكائنات من دُرر محاسنه البهيَّة ، وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام صلاة وسلاماً نبلغ بهما حسن المواهب اللدنيَّة ، وتنتظم بهما في سلك أهل طاعتك أحسن انتظام ، ونجلس

بهما على بساط القرب لمشاهدة أنوارك الذَّاتيَّة ، ونحوز بهما النَّظر إلى بهاء جمالك ، والحمد لله على ذلك في الافتتاح والاختتام " .

﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾

المَوْلِدُ المُسَمَّى (فَرَائِدُ المَوَاهِبِ اللَدُنِّيَّةِ فِي مَوْلِدِ خَيْرِ البَرِيَّةِ) لِلعَارِفِ بِاللهِ الشَّيْخ مُصْطَفَى نَجَا اليَشْرُطِي الشَّاذُلي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أفتتح الكلام باسمِ اللهِ المتَّصفِ بالصِّفاتِ الأقدسيَّة ، مقتدياً بالكتابِ الكريم فإنَّه صراطُ النَّجاحِ والنَّجاه . وأحمدُه سبحانه وتعالىٰ حمداً يوافي نعَمَهُ الوفيَّة ، ويكافئ مزيدَهُ الوافرَ مثلما يحبُّهُ ويرضاه .

وأُصلِّي وأسلِّمُ على سيِّدنا محمَّد خيرِ البريَّة ، وعلى آله وأصحابه والتَّابعين المهتدين بهداه .

وبعدُ : فهذهِ فرائدُ من خزائنِ المواهبِ اللدنيَّة ، في شرَفِ مولدِ من تحلَّى جِيْدُ هذا الوجودِ بحُلاه . وهو أشرفُ الخلقِ الذي جاء بكلمةِ الحقِّ الحقيقيَّة ، وفاهَ بالصِّدقِ فطوبى لمن اقتدى به واقتفاه . حاملُ لواءِ الحمدِ في الحشر ، صاحبُ الشَّفاعةِ العظمى ، حين يلجأ النَّاس إليه فلا يجدون لها سواه . خاتمُ النَّبيين والمرسلين المؤيدُ بالمعجزات الإلهيَّة ، أحمدُ الحامدين والمحمودين حبيبُ الله تعالى ومصطفاه . النَّبي الأمِّيُّ المختارُ من خيرِ أسرةٍ قُرشيَّة ، التقيُّ النَّقيُّ المخلِصُ لله في عبادتِه وتقواه . البشيرُ النَّذيرُ الدَّاعي إلى الله بإذنه ، السِّراجُ المنيرُ الذي قبس الشَّرقُ والغربُ من ضوءِ سناه . النَّاصرُ لله بإظهارِ دينِه والإقرارِ له بالوحدانيَّة ، المنصورُ في الدُّنيا والآخرة بظهورِ مزيَّتِه وصِدقِ دعواه .

صاحبُ الوسيلة والفضيلة المنزهُّ عن النَّقائصِ البشريَّة ، الأمينُ المأمونُ على ما أسرَّهُ اللهُ إليه وأوحاه . السيِّد المتواضعُ المتحقِّقُ بأعلى رُتبِ العبوديَّة ، الحريصُ على هدايةِ عبادِ مولاه لشغفِهِ بحبِ مولاه . محمَّد بنُ عبد الله بنِ عبدِ المطَّلبِ سيِّد القبائلِ العربيَّة ، المنتسبُ لمعَدّ بنِ عدنانَ سليلِ إسماعيلَ بنِ خليلِ الله . الذي أثنى اللهُ تعالى عليه في الكتبِ السَّماويَّة ، ومدح الذين معه بقوله : **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ﴾** [الفتح : ٢٩] . الذي قال في كتبِهِ لأهلِ الكتابِ وقيصرِ الدَّولةِ الرُّومانيَّة : **﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾** [آل عمران : ٦٤] .

الذي أعلى اللهُ على السَّبعِ الطِّباقِ رُقيَّه ، حتى انتهى إلى سدرةِ المنتهى ورأى من آيات ربه ما رءاه . الذي لولاه ما اهتدينا لأقوَمِ الطُّرقِ السَّويَّة ، ولولاه لما عرفنا اللهَ تعالى وعبَدْناه . الذي اقتدى بهدى

الأنبياءِ الكرامِ وأحيىٰ سننهم السَّنيَّة ، وجاهدَ في سبيلِ الله لإعلاءِ كلمة الله . فهو منزَّهٌ عن طلبِ الملك وقصدِ المنفعةِ الشَّخصيَّة ، فما قصدَ في جهادِهِ إلَّا اللهَ وما عبدَ إلا إيَّاه . صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ما تُـلِيَتْ سيرتـهُ النَّبويَّة ، وأنعش ذكرُهُ الطيِّبُ كلَّ قلبٍ يشتاقـهُ ويهواه .

فصل : في ولادة النَّبي صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم

وُلدَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة ونشأ في أُمَّةٍ أُميَّة ، صادقَ القولِ صالحَ العمل فريداً في محاسنِه ومزاياه . شبَّ شريفاً عفيفاً متحلِّياً بالصِّفاتِ الكماليَّة ، مطبوعاً علىٰ الخيرِ موحِّداً وقومُه مشركون بالله . وكان يعبدُ اللهَ تعالىٰ علىٰ ملَّة إبراهيمَ الحنيفيَّة ، وبالتَّفكُّرِ في خلق السَّموات والأرض وبهذا يعرفُ العبدُ مولاه . ولهذا كان يحبُّ العُزلـــةَ والانفرادَ ويكرهُ عملَ الجاهليَّة ، ويتمنَّىٰ نجاة العالمِ من الشَّر الذي تولَّاه .

أدبٌ إلهيٌ به امتازَ أُمِّيٌّ عربيٌّ لم يتربَّ بمدرسةٍ علميَّة ، وفاق العالمين معَ يُتمٍ فـقَـدَ فيه أُمَّه وأباه . تولَّىٰ اللهُ تعالىٰ تربيتـه وطهَّرَه من دنس الوثنيَّة ، فما عظَّـمَ وثناً للجاهليَّة ، ولا صنماً عبَدَ من دون الله . هكذا كان في عهدِ شبابِه متمتعاً بكمالِ الحريَّة ، مستقلاً ومستقيماً وهكذا كان في عهدِ صِباه . ولمَّا بلغ أربعين سنةً جاءه جبريلُ بوحي ربِ البريَّة ، قال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١] ، وأخبره أنه نبيُ الله .

ثمَّ أمره اللهُ بإنذارِ قومِه فقامَ بهمَّةٍ عليَّة ، وقال : يا أيها النَّاس قولوا لا إله إلَّا الله .

وقال : اعبدوا اللهَ وحدَه لتفوزوا بالسَّعادةِ الأبديَّة ، وقال : اتركوا ما يقول آباؤكم ، فعادَوهُ أشدَ المعاداة .

وأغرَوا به سفهاءَهم فقذفوه بالحجارةِ وواجهوهُ بالأَذيَّة ، وتجاوزوا الحدَّ في ظلمِ كلِ مَن آمنَ به ووالاه . ثمَّ أجمعوا علىٰ قتله ليطفئوا نورَ شريعتِه الإلهيَّة ، فأبىٰ اللهُ إلَّا أن يتمَّ نورَه ويحفظَ عليه ما أولاه . وأمرَهُ بالخروج من مكَّة فهاجر إلىٰ المدينة البهيَّة ، وأقامَ فيها موفورَ الكرامةِ إلىٰ أن حضرَته الوفاة .

قامَ وحدَه ودعا إلىٰ الله وليس له عصبيَّةٌ دينيَّة ، ولا مالٌ ولا جندٌ وإنَّما أُيِّدَ بجندِ مولاه .

وتلا القرءانَ فبهرَ العربَ الفصحاءَ بآياتِه الربَّانيَّة ، وتحدَّىٰ به البُلغاءَ فعجزوا عن الإتيانِ بمِثلِ مبناهُ ومعناه . ولوِ استطاعوا أن يأتوا بمثلِهِ ويدحضوا حُجَجَهُ القويَّة ، لما اختاروا قتالَ مَن لقبوه بالأمينِ لإحسانِه وحُسناه . جهِلَ قومُه عليه فأغضىٰ حِلماً والحِلمُ فيه سجيَّة ، وجفـوَهُ والجذعُ حنّ إليه حين مفارقتـهُ إيَّاه . وعرفهُ الأحبارُ فأنكروه وكيف لا يكون رسولَ الله ونبيَّه ، وبه بشـرَّ الإنجيلُ وصرّحَ بجلالةِ قدرِهِ الزَّبورُ والتَّوراة ؟! .

صلَّىٰ الله تعالىٰ وسلَّم علىٰ ذاته المقدَّسة النقيَّة ، وزادَ فضلـَهُ وعُلاه وأعزَّ دينـَهُ القويمَ وقوَّاه .

فصل : في قدومه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم إلىٰ المدينة المنوَّرة

ولـمَّا قدِم المدينةَ المنورةَ عليه أفضلُ صلاةٍ وتحيَّة ، تلقـَّاهُ الأنصارَ فرحين بقدومِه وأكرموا مثواه . ثمَّ تتابعَ نزولُ الوحيِ عليه بالآياتِ القرآنيَّة ، ونال ما كان يرجوه من صلاحِ العالمِ ويتمنَّاه . وآخىٰ بين المهاجرين والأنصارِ فيا لها من أخوَّةٍ دينيَّة ، ويا لها من عصبيَّةٍ بها بلغ المؤمنون به من العزِ أسماه . ودخل النَّاس في دين الله أفواجاً من كل قبيلةٍ عربيَّة ، ونصروه فنـُصِروا وما النَّصرُ إلَّا من عندِ الله . وبعد أن أدَّىٰ رسالةَ ربِّه فارق الدُّنيا الدنيَّة ، وقد خـُيِّرَ فاختار الآخرةَ حبَّاً بلقاءِ مولاه . ثمَّ بعد وفاته قام أصحابُه بنشر دعوتِه الإسلاميَّة ، ودعَوا إلىٰ العملِ بالشَّرعِ الذي شرعَه اللهُ وارتضاه . واعتصَموا بحبلِ الله ففتحوا البلادَ وساسوا العبادَ بسياسةٍ شرعيَّة ، حُفِظَت بها الحقوقُ وما حُفظت إلَّا بشرعِ رسول الله .

سيِّد الخلقِ الذي جاء بأجلّ مكارمِ الأخلاق النَّبويَّة ، وكان خـُلـُقـُـهُ القرءانَ فما تأدَّب إلَّا بآدابه ووصاياه . فيا أيُّها النَّاس كلكم راعٍ وكلُ راعٍ مسؤولٌ عن الرعيَّة ، فأدّبوا أولادَكم بالآدابِ الصَّحيحةِ وهي آداب كتابِ الله .

وعلـّموهم ما يجب علىٰ المكلَّفين من الأمورِ الدينيَّة ، فالسعيدُ في الدُّنيا والآخرةِ مَن عمِلَ لدينِه ودنياه . واعلموا أنَّ نبيَنا صلَّىٰ اللهُ تعالىٰ عليه وسلَّم علىٰ ذاتِه الزَّكيَّة ، كان إذا غضِب لا يغضبُ لنفسِه وإنَّما يغضبُ لله .

وكان راغباً في الآخرةِ مُعرِضاً عن الدُّنيا بالكليَّة ، صادعاً بأمر اللهِ عزَّ وجلَّ آمراً بالعدلِ والمساواة . ناهياً عن الفحشاءِ والمنكر وكلِّ ما يضرُّ بالهيئةِ الاجتماعيَّة ، أوِ النَّفسِ أوِ المالِ أوِ العقلِ الذي زيّن اللهُ به الإنسانَ وحَـلاه .

وكان يجيبُ دعوةَ الحرِ والعبدِ ويقبلُ الهديَّة ، ويُكرِمُ الفقراءَ والمساكينَ ويكافئُ من أهداه . وكان يأمرُ بإكرامِ الأيتامِ والإحسانِ إليهم بالعطيَّة ، ويَحُضُّ علىٰ الصِّدقِ والعفافِ وصِلةِ الأرحامِ والصَّلاة . وكان يبدأُ من لقيَهُ بالمصافحةِ بعد التَّحيَّة ، ويجودُ بالكثيرِ فكم باتَ طاوياً وكم جاد بما ملكت يداه . وكان أعظمَ مَهيبٍ في النُّفوسِ لِما فيه مِن الصِّفاتِ الجلاليَّة ، وكان سوِيَّ الخـَلقِ جميلَ الصُّورةِ فسبحانَ من خلقـَهُ وسوّاه .

صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليه وعلىٰ أسرتِهِ الهاشميَّة ، وأصحابِهِ الذين بايعوه علىٰ التَّوحيد الخالصِ لله

فصل : في بشائر مولده صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم .

وبالجملةِ : فهو صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم الذي هذّبَ النَّاس بأقوالِهِ وأفعالِهِ الرَّضيَّة ، وأخرجَ النَّاس من ظلمات الجهلِ بما أملاهُ من العلمِ وأبداه .

وعلَّمَ النَّاس أَنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ لا تصِحُ إلَّا بالنيَّة ، فقال : " إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ وإنَّما لكلِ امرئٍ ما نواه " . وقال في إرشادِ النَّاس إلىٰ أفضلِ الأعمالِ الخيريَّة : " خيرُكم مَن لم يترك دنياهُ لآخرته ولا آخرته لدنياه " . وقال : " ليس منَّا مَن دعا إلىٰ عصبيَّة " ، وقال : " لا فضلَ لعربيٍ علىٰ أعجميٍ إلَّا بتقواه " .

وفي ليلةِ مولدِ هذا النَّبي الكريمِ خمدَتْ نيرانُ المعابدِ الفارسيَّة ، وتزلزلَ إيوانُ كسرىٰ فتداعىٰ وهوت شُرُفاتُ مبناه . إيذاناً بأنَّ دولةَ الشِّرك تزولُ بزوالِ الدَّولةِ الكِسرَوِيَّة ، وظهورِ دولةِ التَّوحيد أَبَّدَ اللهُ بناءها وأعلاه . ورأت أمُّهُ ذلك النُّورَ الذي أضاءت له القصورُ الشَّاميَّة ، إشارةً إلىٰ أَنَّ الإسلامَ يتولَّىٰ الشَّامَ ويغلِبُ مَن عاندَهُ وعاداه .

ولمَّا حمَلَـتْ به كانت قريشٌ في جدْبٍ عمَّ الأرجاءَ الحجازيَّة ، فأخصَبَتِ الأرضُ وغدا النَّاس بأرغدِ عيشٍ وأهناه . ثمَّ أقبلَ شهرُ ربيعٍ الأوَّل بطوالعِهِ السَّعديَّة ، ، وبدا هلالـهُ في سماءِ الوجودِ فبَهَرَ الوجودَ سناه .

ولمَّا تمَّ لآمنةَ مِن حملِها تسعةُ أشهرٍ قمرية ، ولدَتْ أكملَ الخلقِ خاتمَ أنبياءِ الله .(وهنا القيام).

وُلِدَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتمِداً علىٰ يديه رافعاً رأسَه إلىٰ السَّماء العليَّة ، وفي ذلك إشارةٌ إلىٰ أنَّه يعلو ولا يُسامىٰ في علاه . وكيف يُسامىٰ واللهُ أرسله رحمةً للعالمين بالكليَّة ، وخصَّه من الفضائلِ والتَّكريمِ بما لم يكن لسواه .

فنحمَدُكَ أجلَّ الحمدِ علىٰ ما أنعمتَ يا ربَّ البريَّة ، ونـثْـني أكملَ الثَّناءِ علىٰ ذاتِكَ المنزَّهةِ عن النَّظائرِ والأشباه . ونسألك أن تنوِّرَ قلوبَنا بمعرفتِك وتجمّلَـنا بالأعمالِ المَرضيَّة ، وترزقَـنا حبَّكَ وحبَّ مَن أحبَّكَ وتوفقَـنا لما تحبُهُ وترضاه . ربَّنا ظلمنا أنفسَنا فاعفُ عنا وعافِنا من كلِّ بليَّة ، وارحمنا يا مَن وسِعَتْ رحمتـهُ مَن أطاعه وعصاه . وأغننا بفضلِك عمَّن سواك يا باسطَ اليدينِ بالعطيَّة ، وأنِلنا يا أكرمَ الأكرمين ما نرجوهُ مِن رضاكَ ونتمنَّاه .

وزد في شرفِ نبيِّنا وبارك عليه بصلاةٍ سرمديَّة ، وسلام يتوالىٰ ويدومُ إلىٰ أن يبلغَ الدَّهرُ منتهاه .

﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾ ﴿الله﴾

المَوْلِدِ النَّبَوِيّ الشَّريْف لِلشَّيْخِ الفَقِيْهِ الفَاضِلِ سَيّدِي جَعْفَر البَرْزَنْجِي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

أَبتدِئُ الإملاء باسم الذَّاتِ العليَّة ، مُستدِرًّا فَيضَ البركات على ما أَنالهُ وأَولاَه ، وأُثنِّي بحَمدٍ مَوارِدهُ سَائِغةٌ هَنيَّة ، مُمتَطِياً من الشُّكر الجميل مَطَايَاه ، وأُصلِّي وأُسلِّم على النُّورِ الموصُوفِ بالتَّقدُّم والأَوَّلِيَّة ، المُنْتقِلِ في الغُرَرِ الكريمة والجِبَاه ، وأَسْتَمْنِحُ الله تعالى رِضْوَاناً يَخُصُّ العِتْرَةَ الطَّاهرةَ النَّبويَّة ، ويَعُمُّ الصَّحابة والأتباع ومن وَالاه ، وأستَجديهِ هِدَايةً لِسُلُوكِ السُّبلِ الوَاضِحةِ الجليَّةِ ، وَحِفظاً من الغَوايةِ في خِطَطِ الخَطَأِ وخُطَاه ، وأنشُرُ من قصَّة المولِدِ النَّبوي بُروداً حِسَاناً عَبقَريَّة ، نَاظِماً من النَّسب الشَّريف عِقداً تُحلَّى المسامِعُ بِحُلاه ، وأستعين بحول الله وقُوتهِ القويَّةِ ، فإنَّه لا حول ولا قُوَّةَ إلَّا بالله .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلَّم وبارك عليه

فأقول : هو سيِّدنا محمَّد بن عبد الله بن عبد المطَّلب واسمه شيبة الحمدِ حُمِدَتْ خصالُه السَّنِيَّة ، ابن هاشم واسمه عمرو ، ابن عبد مناف واسمه المغيرة الذي ينتمي الإرتقاء لِعَلْيَاه . ابن قصي واسمه مُجَمِّع ، سُمِّيَ بِقُصَيٍّ لِتَقاصِيهِ في بلاد قُضَاعة القصيَّة ، إلى أن أَعادهُ الله تعالى إلى الحَرَمِ المُحتَرمِ فَحمى حِمَاه . ابن حكيم ، ابن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فهرٍ واسمه قُريْش ، وإليه تُنسَبُ البُطُون القُرَشيَّة ، وما فوقه كِنَانيٌّ كما جَنحَ إليه الكَثيرُ وارتضاه . ابن مالك بن النَّضرِ بن كِنَانة بن خُزَيمة بن مُدرِكَة بن إلياس ، وهو أوَّل من أهدى البُدْنَ إلى الرِّحَاب الحَرميَّة ، وسُمِعَ في صُلبِهِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكَرَ الله تعالى ولبَّاه . ابن مُضَرَ ابن نِزَار بن مَعَد بن عدنان ، وهذا سِلْكٌ نظَمت فَرَائِدهُ بَنانُ السُّنَّة السَّنيَّة ، وَرَفْعهُ إلى الخليل إبراهيم عليه السَّلام أَمسَكَ عنه الشَّارعُ وأباه . وعدنان بلا رَيبٍ عند ذوي العُلومِ النِّسبيَّة ، إلى الذبيح إسماعيل نسبتُهُ ومُنتَماه . فأَعظِم به من عقْدٍ تألَّقَت كواكبُهُ الدُّريَّة ، كيف لا والسَّيِّدُ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِطَتُهُ المُنْتقاة . ولله درُّ القائل :

نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلاَ بِحُلاَهُ قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ
حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

، وأَكْرِمْ بهِ من نَسَبٍ طَهَّرهُ الله من سِفَاحِ الجاهليَّة ، أورَدَ الزَّينُ العراقيُّ وارِدَهُ في (مَورِدِهِ الهَنيِّ) ورَواه .

حَفِظَ الإلهُ كَرامَةً لمُحمدٍ آباءَه الأمجادَ صوْناً لاسمِهِ
تَركوا السّفاحَ فلم يُصبهم عارُهُ من آدم وإلىٰ أبيه وأمِّهِ

سَرَاةٌ سَرَىٰ نُورُ النُّبوَّة في أسارير غُرَرِهِم البهيَّة ، وبَدَا بَدْرُهُ في جَبِين جدِّه عبد المطَّلب وابنه عبد الله .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ولمَّا أراد الله تَعالَىٰ إبرازَ حَقِيقتِهِ المُحمدِيَّة ، وإظهَارهُ جسماً وروُحاً بصُورتهِ ومعناه . نَقلهُ إلىٰ مقرِّه من صَدَفَةِ آمنة الزُّهريَّة ، وخصَّها القريب المُجيبُ بأن تكون أُمَّاً لِمُصطفَاه . ونُوديَ في السَّموات والأرض بحملها لأنوارِهِ الذَّاتيَّة ، وصَبَا كُلُّ صَبِّ لِهُبُوبِ نَسيم صَباه . وكُسيت الأرض بعد طُول جَدْبِها من النَّبات حُللاً سُنْدُسيَّة ، وَأَينعتِ الثِّمار وأدنىٰ الشَّجر للجاني جَنَاه . ونَطَقت بحَملِهِ كُلُّ دَابَّةٍ لقريْشٍ بِفصَاحِ الألسُنِ العربيَّة ، وخرَّت الأسِرَّة والأصنام علىٰ الوُجُوهِ والأفواه . وتباشرت وُحُوشُ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ ودَوابُّها البحريَّة ، واحتست العوالم من السُّرور كأس حُمَيَّاه . وبَشَّرت الجنُّ بإظلالِ زَمَنهِ وَانْتُهِكت الكَهانَةُ ورَهبَتِ الرَّهبانيَّة ، ولَهجَ بِخَبَرِهِ كُلُّ حَبرٍ خَبيرٍ وفي حُلىٰ حُسنهِ تَاه . وَأُوتِيَت أُمُّه في المنام فقيل لها إنَّك حَمَلتِ بسيّد العالمين خير البريَّة ، وسمِّيهِ إذا وَضَعتهِ مُحَمّداً ، فإنَّه سَتُحمد عُقْبَاهُ .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ولمَّا تمَّ لِحَمْلِهِ شَهران علىٰ مشهورِ الأقوال المرويَّة ، تُوفِّي بالمدينة المنوَّرة أبوه عبد الله . وكان قد اجتَاز بأخواله بني

عَـــدِيٍّ مِــن الـطــَّـائِـفـةِ الـنـَّجَّـاريـة ، ومـكـــثَ فـيـهـم شـهــراً سَــقِـيــمـاً يُـعَـانـُـونَ سُــقــمــهُ و شَــكــوَاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتـَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلَّم وبارك عليه

و لـمَّـا تـمَّ مـن حَـمـلِـهِ عـلـىٰ الـرَّاجـح تِـسعـةُ أشهـرٍ قـمـريـَّة ، وآن لـلـزمـان أن يَـنـجـلـيَ عـنـه صَـدَاه . حَـضَــرَ أمَّـهُ لـيـلـة مَـولِـدِهِ آسِـيـةُ ومَـريـمُ فـي نِـسـوَةٍ مـن الـحَـظِـيـرةِ الـقـُدسـيَّة ، وأخـذهـا الـمَـخـاضُ فـوَلَـدَتـْه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نـُوراً يـتـلألأُ سَـنـَاه .

(محلّ القيام)

فَقُمْ أَيُّهَا الرَّاجِي لِنَيْلِ شَفَاعَـةٍ ... قِيَامَ مُحِبٍّ صَـــادِقِ القَوْلِ وَالأَدَبْ

قَلِيلٌ لِمَدْحِ المُصْطَفَىٰ الخَطُّ بِالذَّهَبْ ... عَلَىٰ فِضَّةٍ مِنْ خَطِّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ

وَأَنْ تَنْهَضَ اَلأَشْرَافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ... قِيَاماً صُفُوفاً أَوْ جُثِيّاً عَلَـىٰ الرُّكَبْ

أَمَّا اللهُ تَعْظِماً لَهُ كَتَبَ اسْمُـهُ ... عَلَىٰ عَرْشِهِ يَــــا رُتْبَةً سَمَتِ الرُّتَبْ

أَبَـانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ ... يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْـــــــهُ وَمُخْتَتَمِ

بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلاَمِ إِنَّ لَنَـــــا ... مِنَ العِنَايَـــةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

تَبَاشَرَتِ الأَمْلاَكُ حِيـنَ ظُهُورِهِ ... وَفَاحَتْ بِهِ الأَرْجَـــاءُ شَرْقاً وَمَغْرِبَا

وَنَادَىٰ لِسَانُ الكَوْنِ طُرّاً بِأَسْرِهِ ... فَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالحَبِيبِ وَمَرْحَبَـــا

مَرْحَباً يَا مَرْحَباً بِالحَبِيبِ المُصْطَفَىٰ ... مَرْحَباً يَا مَرْحَباً بِالحَبِيبِ المُقْتَفَىٰ

مَرْحَباً يَا مَرْحَباً يَا نُورَ العَيْـــنِ ... مَرْحَباً يَا مَرْحَباً مَرْحَباً جَدَّ الحُسَيْنِ

مَرْحَباً يَا مَرْحَباً يَا أَمَانَ الخَـــائِفِينَ ... الأَمَانَ الأمانَ الأَمَانَ يَا رَسُولَ اللهِ

الأَمَانَ الأَمَانَ الأَمَـــانَ يَا حَبِيبَ اللهِ

(هنا الجلوس)

ووُلِدَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضـعـاً يَـدَيـهِ عـلـىٰ الأرض ، رَافِعاً رَأسـهُ إلـىٰ الـسَّـمـاءِ الـعـلـيَّـة ، مُـومِـيـاً بـذلـك الـرَّفـع إلـىٰ سُـؤدُدِه وعُـلاه . ومُشـيـراً إلـىٰ رِفـعَـةِ قـَدْرِهِ عـلـىٰ سَـائِرِ الـبَـريَّة ، وأنـَّه الـحَـبِـيـبُ الـذي حَـسُـنَـتْ طِـبَـاعـهُ وَسَـجَـايـاه .

ومُحياً كالشَّمـسِ منكَ مُضِيءٌ ... أسـفـرت عـنـه لـيـلـةٌ غَـرَّاءُ

ليلـةُ المـولـد الـذي كـان ... للدِّيـنِ سُـرورٌ بـيـومـه وازدهـاءُ

يـوم نالـت بوضعـه ابنة وهـــبٍ فخَارٍ ما لم تنلـه النسـاءُ
وأتـت قـومهـا بأفضـل مـمـَّا حملت قبـلُ مـريـم العـذراءُ
مَـولـدٌ كان منه في طالـع الكفـ ـرِ وبـالٌ عـلـيـهـم ووبـــاءُ
وتوالـت بُشرىٰ الهواتـف أن قـد وُلِـدَ المـصطفـىٰ وحَـقَّ الهنـــــــاءُ

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ودَعَـتْ أمُّـه عـبدَ الـمـطَّـلب وهـو يَـطـُوفُ بـهَاتِـيـكَ الـبَـنِـيـة ، فـأَقْبَـلَ مُـسرعـاً ونـَظَـرَ إلـيـه وَبـلـغَ مـن الـسُّـرور مُـنَـاه . وَأدخـلـهُ الـكـعـبـة الـغـرَّاء وقـام يـدعـو بـخـُلـوص الـنـيَّـة ، وَيـشـكُـرُ الـلـه تـعَـالـىٰ عـلـىٰ مـا مَـنَّ بـه عـلـيـه وأعـطـاه . وُلِدَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نـظـيـفـاً مَـخـتـُونـاً مَـقْـطُـوعَ الـسُّـرَّةِ بـيَـدِ الـقُدْرة الإلـهـيَّة ، طَـيِـبـاً دَهِـيـنـاً مَـكْـحـولـةً بـكُـحْـلِ الـعـنـايـة عـيـنـاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

وظـَهَـرَ عِـنـد ولادَتِـهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خـَوارِقُ وغـَرائِبُ غـيـبـيَّـة ، إِرْهـاصـاً لِـنـبُـوتِـه وإعـلامـاً بأنَّـه مُـخـتـارُ الـلـه تـعَـالـىٰ ومُـجـتـبـاه . فـَزِيـدَت الـسَّـمـاء حِفـظـاً وَرُدَّ عـنـهـا الـمَـرَدَةُ وذوُو الـنـُّفـوسِ الـشَّـيـطـانـيَّـة ، ورجَـمَـت نـُجـوم الـنـيِّـرات كُـلَّ رَجـيـمٍ فـي حَـالِ مَـرقـاه . وتـدلَّـت إلـيـه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنـجُـم الـزَّهـريَّـة ، واسـتـنـارت بـنـورهـا وِهَـادُ الـحَـرَمِ ورُبـاهِ . وخَـرَجَ مـعـه نـورٌ أضـاءت لـه قـُصُـور الـشَّـام الـقـيـصـريَّـة ، فـرآهـا مَـنْ بـطَـاحُ مكَّة دَارُه ومَـغْـنـاه . وانـصـدَعَ الإيـوان بـالـمـدائـن الـكـسـرويَّـة ، الـذي رَفـَعَ أَنـُوشَـرَوَانَ سَـمْـكَـهُ وسَـوَّاه . وسـقـط أربـعَ عـشـرة مـن شـُرُفـاتـهِ الـعُـلـويَّـة ، وكُـسِـرَ سرير الملـكُ كِسْـرىٰ لِـهَـولِ مـا أَصَـابَـه وعَـراه . وخـمـدَت الـنـيـران الـمَـعْـبُـودَةُ بـالـمَـمَـالِـك الـفـارسـيَّـة ، لِـطُـلُـوعِ بَـدْرِهِ الـمُـنـيـرِ وَإشـراقِ مُـحـيـاه . وغـَـاضَـت بُـحـيـرة سَـاوةَ وكـانـت بـيـن هَـمَـذان وقـُمٍّ مـن الـبـلاد الـعـجـمـيَّـة ، وجـفـَّت إذ كـفَّ واكِفُ مَـوجـهَـا الـثـَّجَّـاج يـنـابـيـع هَـاتِـيـكَ الـمـيـاه . وفـاضَ وادي سَـمَـاوةَ وهـي مَـفـَازةٌ فـي فـلاةٍ وبـرِّيَّـة ، لـم يـكـن بـهـا مِـنْ قـبـلُ مـا يَـنْـقـَعُ لـلـظـمـآن الـلَّـهَـاة . وكـان مَـوْلِدُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـالـمـوضـع الـمـعـروف بـالـعِـرَاصِ الـمكـيَّـة ، والـبَـلَـدُ الحرام الـذي لا يُـعْـضـَدُ شـَجـرُه ولا يُـخْـتـَلـىٰ خـَلاه . واخـتـُلِـفَ فـي عـام وِلادتـه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفـي شَـهـرِهـا وفـي يَـومِـهـا عـلـىٰ أقـوالٍ لـلـعـلـمـاء مـرويَّـة ، والـراجـح أنـَّهـا قـُبـيـلَ فـجـر يـوم

الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأوَّل من عام الفيل الذي صَدَّهُ الله تعالىٰ عن الحَرَمِ وحَماه .

🕮 عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه 🕮

وأرضعته أُمُّهُ أياماً ثمَّ أَرْضَعَتْه ثُويبة الأسلميَّة ، التي أَعتقَها أبو لهب حين وَافته عند ميلاده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُشْراه . فأرضعته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ابنها مَسْرُوحٍ وأبي سَلَمَة وهي به حَفِيَّة ، وأَرضَعَت قبلَه حمزة الذي حُمِدَ في نُصرةِ الدِّين سُراه . وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ إليها من المدينة بِصِلَةٍ وكِسوةٍ هي بها حَرِيَّة ، إلىٰ أن أَوردَ هيكلها رائدُ المَنونِ الضَّريحَ وَوَاراه . قيل علىٰ دِينِ قَومِها الفِئَةِ الجاهليَّة ، وقيل : أسلمت أَثْبَتَ الخِلافَ ابن مَنده وحَكاه . ثمَّ أرضعته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفتاةُ حَليمةُ السَّعديَّة ، وكان قد ردَّ كُلٌّ من القومِ ثديَها لِفَقرِهَا وأَباه . فأَخصبَ عَيشُها بعد المَحْلِ قبلَ العَشية ، ودَرَّ ثَدْيُها بِدُرٍّ دَرِّ أَلْبنها اليمين منها وأَلبَن الآخر أخاه . وأَصبَحت بعد الهُزَالِ والفقر والهُزال غنيَّة ، وسَمِنت الشَّارِف لديها والشِّياه . وانْجَابَ عن جانبها كلُّ مُلِمَّةٍ ورَزِيَّة ، وطرَّز السَّعد بُرْدَ عيشها الهنيِّ ووَشَّاه .

🕮 عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه 🕮

وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِبُّ في اليوم شبَابَ الصَّبيِّ في الشهر بعنَايةٍ رَبّانية ، فقام علىٰ قَدَميهِ في ثلاثٍ ومَشىٰ في خمسٍ ، وقَوِيَتْ في تِسْعٍ من الشهور بفصيح النُّطقِ قُواه . وشقَّ المَلكَانِ صدره الشَّريف لديها وأخرجا منه علقةً دمويَّة ، وأَزَالا منه حظَّ الشيطان وبالثلج غسلاه . وَملآهُ حِكمةَ ومَعَانِيَ إيمانيَّة ، ثمَّ خَاطَاهُ و بخاتم النُّبوَّة ختَماه . ووَزَناه فرجح بألفٍ من أمَّته أمّةِ الخيريَّة ، ونشأ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أكمل الأوصاف من حال صِبَاه . ثمَّ ردَّته إلىٰ أمِّهِ وهي به غيْرُ سَخِيَّة ، حَذراً من أن يُصَاب بمُصَاب حادثٍ تخشاه . وَوَفدتْ عليه حَليمةُ في أَيَّام خديجة السَّيدة الرَّضيَّة ، فَحَباها من حَبائِه الوافر بحِباه . وقَدِمَت عليه يوم حُنَين فقام إليها وأخَذتهُ الأريحيَّة ، وَبَسَطَ لها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رِدَائِه الشَّريف بِساط بِرِّه ونَداه

. والصحيح أنَّها أسلمت مع زوجها والبَنِينَ والذرِّية ، وقد عدَّهُما في الصَّحابة جَمْعٌ من ثِقَات الرُّواة

📖 عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه 📖

ولمَّا بلغ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعَ سِنينَ تُوُفِّيَت أمّه الأمينة الرّضية ، محبُوَّة بعناية مَنِ اختاره واجْتَبَاه . أخرج أبو نعيم في دلائل النبوّة مِنْ طريق الزُهْرِيّ عن أُمِّ سماحةَ بنت أبي دَهْمٍ عن أمِّها قالت شَهِدتُ آمنة في علّتها التي ماتتْ فيها ومحمّدُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلام عند رأسها فنظرتْ إلىٰ وجهه ثمَّ قالتْ : " بارك الله فيك من غلام .. يا ابن الذي من حَوْمَةِ الحِمَام .. نجَا بِعوْنِ الملِك المِنْعَام .. فُدِيَ غداة الضرب بالسهام .. بمائة مِن إبلٍ سُوَّام .. إنْ صَحَّ ما أبصرْتُ في المنام .. فأنت مبعوث إلىٰ الأنام .. من عند ذي الجلال والإكرام ، ثمَّ قالت : كلّ حيٍّ ميّتٌ ، وكلّ جديدٍ بَالٍ ، وكلّ كثير يفنىٰ ، وأنا ميّتة وذِكْرِي باقٍ ، وقد تركتُ خيراً ، وولدتُ طُهراً " ، ثمَّ ماتتْ ، فكُنّا نسمع نَوْحَ الجنّ عليها فحفظنا من ذلك :

نبكي الفتاة البرّة الأمينة ... زوجةَ عبد الله والقرينة

وصاحب المنبر بالمدينة ... ذات الجمال العَفَّةِ الرزينة

أمّ نبيّ الله ذي السكينه ... صارت لدىٰ حفرتها رهينة

ثمَّ حَمَلتهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاضنته أمُّ أيمن الحبشيَّة ، التي زوَّجها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ من زيد بن حارثة مولاه . وَأَدخلتهُ علىٰ عبد المطلب فضمَّه إليه وَرَقَّ له وأعلىٰ رُقيّه ، وقال إنَّ لإبني هذا لشأناً عظيماً فَبَخٍ بَخٍ لمن وقَّره وَوَالاه . ولم تَشْكُ في صِباه جُوعاً ولا عطشاً قطُّ نَفَسُه الأبيَّة ، وكثيراً ما غَدا فَاغْتَذىٰ بماء زمزم فأشبعه وأرواه . ولمَّا أُنيخَت بفناء جدِّه عبد المطلب مَطَايا المَنِيَّة ، كفَلَهُ عمُّه أبو طالب شقيق أبيه عبد الله . فقام بِكفالَتهِ بِعَزمٍ قَويٍّ وَ هِمَّةٍ وحَميَّة ، وقدَّمهُ عَلىٰ النَّفس والبَنِينَ وربَّاه .

📖 عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه 📖

ولمَّا بَلغَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتي عشرة سَنة رَحَلَ به عمّه أبو طالب إلىٰ البلاد الشَّاميَّة ، وعَرفَهُ الرَّاهب بَحِيرَا بما حَازَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وَصْفِ النبوَّة وحَواه . وقال إنّي أَرَاهُ سيِّد العالمين ورسولَ الله ونبيَّه ، قد سَجَدَ له الشَّجر والحَجَرُ ولا

يَسْجُدان إلاَّ لِنَبيٍّ أوَّاه . وإنَّا لَنَجِدُ نعتَهُ في الكُتُب القديمة السَّماويَّة ، وبين كتفيه خَاتَمُ النُّبوَّة قد عَمَّه النُّور وعلاه . وأَمَرَ عمَّه بردِّه إلىٰ مكَّة تخوُّفاً عليه من أَهل دِينِ اليهوديَّة ، فرجع به ولم يُجاوز من الشَّام المقدَّس بُصْرَاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ولمَّا بلغ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وعشرين سنة سافر إلىٰ بُصرىٰ في تجارةٍ لخديجة الفتيَّة ، ومعه غُلاَمُها مَيْسرةُ يَخْدِمهُ وَيقُومُ بما عَناه . ونزل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرةٍ لدىٰ صومَعةِ نَسْطُورا راهب النَّصرانيَّة ، فَعَرَفهُ إذ مَالَ إليه ظِلُّها الوَارِفُ وآواه . وقال ما نَزَل تحت هذه الشَّجرة قطُّ إلاَّ نَبيٌّ ذو صِفَاتٍ نَقِيَّةٍ ، ورسولٌ قد خَصَّه الله تَعالىٰ بالفضائل وحَبَاه . ثمَّ قال لِميسَرة أَفِي عينيه حُمرةٌ استظهاراً للعلامة الخَفَيَّة ، فأجابه بنعم فَحَقَّ لديه ما ظَنَّهُ وتوخَّاه . وقال لميسرة لا تفارِقْهُ وكُنْ معه بصدق عزمٍ وحُسْن طويّة ، فإنّه ممّن أكرمه الله تعالىٰ بالنبوّة واجتباه . ثمَّ عاد إلىٰ مكَّة فرَأَتْهُ خديجة مُقبلاً وهي بين نِسوَةٍ في عِلِّية ، وملكان علىٰ رأسهِ الشَّريف من ضَحِّ الشَّمس قد أظلاَّه . وأخبرها مَيسرةُ بأنَّه رَأىٰ ذلك في السَّفرِ كُلِّهِ وبما قاله الرَّاهبُ وَأودَعَهُ إليه من الوصيَّة ، وضَاعف الله في تلك التِّجارة رِبحَها ونَمَّاه . فبَانَ لخديجة بما رأت وسمعت أنَّه رسول الله إلىٰ البَريَّة ، فَخَطَبَتْهُ لنفسها الزَّكيَّة لتشمَّ من الإيمان به طِيب رَيَّاه . فأَخبَرَ أَعمامهُ بما دَعتهُ إليه هذه البَرَّةُ التَّقيَّة ، فرَغِبُوا فيها لِفَضْلٍ ودِينٍ وجَمالٍ و حَسبٍ كُلٌّ من القَومِ يَهوَاه . وخَطَبَ أبو طالب وأثنىٰ عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن حَمِدَ الله تَعالىٰ بمحامِدَ سنيَّة ، وقال وهُو والله بَعْدُ له نَبأٌ عظيمٌ يُحمَدُ فيه سُرَاه . فزوَّجها منه عليه الصَّلاة والسَّلام أبُوها وقيل عمُّها وقيل أخوها لسابق سعادتها الأزليَّة ، وأَوْلَدَها كُلَّ أولادِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلاَّ الذي باسم الخليل سَمَّاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ولمَّا بلغ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وثلاثين سنة بَنَت قُرَيشٌ الكعبة لانصِداعهَا بالسُّيول الأبطحيَّة ، وتَنَازَعُوا في رَفع الحجر الأسود فكلٌّ أراد رَفعَهُ ورجاه . وعظُمَ القِيلُ والقَالُ وتحالفُوا علىٰ القِتَال وقَوِيَتْ العصبيَّة ، ثمَّ تداعوا

إلىٰ الإنصاف وفوَّضوا الأمر إلىٰ ذِي رَأيٍ صَائِبٍ وأنَاة . فحَكَم بتحكيم أوَّل دَاخلٍ من باب السَّدنة الشَّيبيَّة ، فكان النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوَّل دَاخلٍ فقالوا هذا الأمين وكلُّنا نقْبلهُ ونرْضاه . فأخبروه بأنهم رَضُوه أن يكون صَاحِبَ الحُكْم في هذا المُلِمِّ وَوَليّه ، فوضع الحجر في ثَوبٍ ثمَّ أَمَر أَن تَرفَعهُ القبائل جميعاً إلىٰ مُرتَقاه . فرَفعُوهُ إلىٰ مَقرِّهِ من رُكنِ هاتيك البَنِيَّة ، ووضعه صلَّىٰ الله عليه و سلّم بيده الشريفة في موضعه الآن و بَنَاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلَّم وبارك عليه

ولمَّا كَمُل له صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعون سَنةً علىٰ أوفق الأقوال لذوي العَالِميَّة ، بَعثَه الله تَعالىٰ للعالمين بشيراً ونذيراً فعَمّهم برُحْمَاه . وَبُدِئَ إلىٰ تمام ستة أشهر بالرؤيا الصادقة الجليَّة ، فكان لا يَرىٰ رُؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ صُبحٍ ضَاء سَناه . وإنَّما ابتُدِئَ بالرؤيا تمريناً للقُوىٰ البشرية ، لئلا يَفجَأَهُ المَلَكُ بصَريحِ النُّبوةِ فلا تَقْواه قُوَاه . وَحُبِّبَ إليه الخَلاءُ فكان يَتعَبَّدُ بحراءٍ الليالي العدَدِيَّة ، إلىٰ أن أتاهُ فيه صَرِيحُ الحقِّ ووَافَاه . وذلك يوم الاثنين لسبعَ عشرةَ خلت من شهر الليلة القَدرِيَّة ، وثَمَّ أقوالٌ لسبعٍ أو لأربع وعشرين منه أو لثمانٍ من مولده الذي بدا فيه بَدرُ مُحَيّاه . فقال له اقرأ فقال ما أنا بقَارئ فغَطَّهُ غطةً قَويّةً ، ثمَّ قال له اقرأ فقال ما أنا بقَارئ فغَطَّهُ ثانية حتىٰ بلغ منه الجَهد وغَطَّاه . ثمَّ قال له اقرأ فقال ما أنا بقَارئ فغَطَّه ثالثةً ليتوجَّه إلىٰ ما سَيُلْقىٰ إليه بجَمْعيه ، وَيُقَابلهُ بجدٍّ واجتهادٍ ويتلقَّاه . ثمَّ فتَرَ الوحي ثلاث سنين أو ثلاثين شهراً ليشتاق إلىٰ انتشاق هَاتِيكَ النَّفَحَاتِ الشَّذيَّة ، ثمَّ أُنْزِلت عليه يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر وَجاءهُ جبْريلُ بها ونَادَاه . فكان لنبوَّته في تقدُّم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ شَاهِدٌ علىٰ أنَّ لها السابقيَّة ، والتَّقدُّم علىٰ رسالته بالبشارة و النَّذارَةِ لمن دَعاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلَّم وبارك عليه

وأوَّلُ من آمن به من الرِّجال أبو بكرٍ صَاحبُ الغَار والصِّدِّيقيَّة ، ومن الصِّبيان عَليٌّ ومن النِّساء خديجة التي ثبَّت الله تَعالىٰ بها قلبهُ وَوَقَاه . ومن الموالي زيد ابن حارثة ومن الأرقَّاء : بِلاَلٌ الذي عَذبه في الله أُميَّة ، وأَولاَهُ مَولاهُ أبو بكر من العِتْقِ

مـا أولاه . ثمَّ أَسـلَـمَ عُـثـمـان وسَـعـدٌ وسَـعـيـدٌ وطَـلـحـة وابـن عَـوفٍ وابـن الـعمَّـة صَـفِـيَّـة ، وغـيـرهـم مـمّـن أنْـهـلَـهُ الـصـدِّيـق رَحِـيـق الـتَّـصـديـق وَسَـقـاه . ومـا زَالـت عِـبـادتـهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصـحـابـه مَـخْـفِـيَّـة ، حـتَّـىٰ أُنـزِلَ عـلـيـه : فَـاصْـدَعْ بِـمـا تُـؤْمَـرُ فَـجَـهَـرَ بِـدُعـاء الـخَلْـقِ إلـىٰ الـلـه . ولـم يَـبْـعُـدْ مـنـه قَـومـهُ حـتَّـىٰ عَـابَ آلـهـتـهـم وأَمَـرَ بِـرَفـضِ مـا سِـوىٰ الـوحـدانـيَّـة ، فـتَـجَـرَّؤُوا عـلـىٰ مُـبَـارزَتِـهِ بـالـعَـدَاوةِ وأذاه . واشـتـدَّ عـلـىٰ الـمـسـلـمـيـن الـبَـلاءُ فـهـاجـروا فـي سـنـة خـمـسٍ إلـىٰ الـنَّـاحـيـة الـنَّـجـاشـيَّـة ، وَحَـدَبَ عـلـيـه عـمُّـه أبـو طـالـب فـهَـابَـهُ كُـلٌّ مـن الـقَـومِ وتَـحـامَـاه . وفُـرِضَ عـلـيـه قـيـام بـعـض الـسَّـاعـات الـلـيـلـيَّـة ، ثمَّ نُـسِـخَ بـقـولـه تـعـالـىٰ : **﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [المزمل : ٢٠] . وفُـرِضَ عـلـيـه ركـعـتـانِ بـالـغَـداةِ وركـعـتـانِ بـالـعَـشِيَّـة ، ثمَّ نُـسِـخ بـإيـجـاب الـصَّـلـوات الـخَـمْـسِ فـي لـيـلـةِ مَـسْـراه . ومـات أبـو طـالـب فـي نـصـف شـوَّال مـن عـاشـر الـبـعـثـة وَعَـظُـمـت بـمـوتـه الـرَّزيـَّة ، وَ تَـلَـتـهُ خـديـجـة بـعـد ثـلاثٍ وشـدَّ الـبـلاء عـلـىٰ الـمـسـلـمـيـن وَثِـيـقَ عُـراه . وأوقَـعَـتْ قُـرَيـشٌ بـه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُـلَّ أذيـَّة ، وأَمَّ الـطـائـف يَـدْعُـو ثـقِـيـفـاً فـلـم يُـحْـسِـنـوا بالإجَـابـةِ قِـرَاه . وأَغْـروا بـه الـسُّـفـهـاء والـعَـبـيـد فـسبُّـوهُ بـألـسُـنٍ بَـذيـَّة ، وَرَمَـوَهُ بـالـحـجـارة حـتَّـىٰ خُـضِّـبـت بـالـدِّمـاء نَـعْـلاه . ثمَّ عـاد إلـىٰ مكَّة حَـزيـنـاً فَـسَـألـهُ مَـلَـكُ الـجِـبَـال فـي إهـلاك أهـلـهـا ذوي الـعَـصَـبـيَّـة ، فـقـال « إنِّـي أرجـو أن يُـخـرج الـلـه مـن أصـلابـهـم مـن يَـتَـوَلَّاه »

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ثـمَّ أُسـريَ بـروحِـه وجَـسـدهِ يَـقـظـةً مـن الـمـسـجـد الـحـرام إلـىٰ الـمـسـجـد الأقـصـىٰ ورِحَـابـهِ الـقُـدسـيَّـة ، وعُـرِجَ بـه إلـىٰ الـسَّـمـوات فـرأىٰ آدم فـي الأُولـىٰ وقـد جَـلـلَّـهُ الـوَقَـارُ وعـلاه . ورَأىٰ فـي الـثَّـانـيـة عـيـسـىٰ ابـن الـبَـتُـولِ الـبـرَّةِ الـنَّـقـيَّـة ، وابـن خَـالـتِـهِ يَـحـيـىٰ الـذي أُوتـيَ الـحُـكْـمَ فـي حَـالِ صِـبـاه . ورأىٰ فـي الـثَّـالـثـة يـوسـف الـصِّـدِّيـق بـصـورتـه الـجـمـالـيَّـة ، وفـي الـرَّابـعـة إدريـس الـذي رَفـع الـلـه مـكـانـهُ وأعـلاه . وفـي الـخـامـسـة هـارون الـمُـحَـبَّـبَ فـي

الأُمَّـةِ الإسـرائـيـلـيـَّة ، وفـي الـسَّـادسـة مُـوسـىٰ الـذي كـلَّـمـهُ الـلـه ونـاَجَـاه . وفـي الـسَّـابـعـة إبـراهـيـم الـذي جـاء رَبـَّهُ بـسَـلامـةِ الـقـلـب والـطَّـويـَّة ، وحَـفِـظَـه مـن نـار الـنَّـمـرُوذِ وعَـافـاه . ثمَّ عُـرِجَ بـهِ إلـىٰ سِـدْرَةِ الـمُـنْـتَـهـىٰ إلـىٰ أن سَـمِـعَ صَـرِيـفَ الأقْـلامِ بـالأمـور الـمَـقْـضِـيـَّة ، إلـىٰ مَـقَـامِ الـمُـكـافَـحَـةِ الـذي قـرَّبـهُ الـلـه فـيـه وأدنـاه . وأَمـاطَ لَـهُ حُـجُـبَ الأنْـوارِ الـجَلالِـيـَّة ، وأَرَاهُ بـعَـيْـنَـيْ رَأسِـهِ مـن حَـضْـرَةِ الـرُّبـُوبـيـَّة ما أَرَاه . وبَـسَـطَ له بـسَـاطَ الإجـلال فـي الـمجَـالـي الـذاتـيـَّة ، وفـرَضَ عَـلـيه وعـلـىٰ أُمَّـتِـهِ خَـمـسـيـنَ صـلاة . ثمَّ انـهَـلَّ سَـحَـابُ الـفَـضْـلِ فـرُدَّتْ إلـىٰ خَـمْـسٍ عَـمـلـيـَّة ، ولـهـا أَجْـرُ الـخَـمـسـيـن كـمَا شَـاءهُ فـي الأزَلِ وقَـضَـاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ثـمَّ عَـادَ فـي لـيْـلَـتـه بالمواهب اللدنيَّة ، وصَـدَّقـهُ الـصِّـدِّيـق وكُـلُّ ذِي عَـقْـلٍ بمسراه .

فَصِفِ اللَيْلَةَ التي كان	للمختار فيها علىٰ البراق استواء
وترَقَّىٰ به إلىٰ قاب قوسيْن	وتلك السيادة القعساء
رُتَبٌ تسقط الأمانيّ حسرىٰ	دونها ما وراءهنّ وراء

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

ثـم نادىٰ بأنّه رَسُـولُ الـلـه فـي الأيـام الـموسِـمـيـَّة ، فـآمَـنَ بـه سِـتَّـةٌ مِـن الأنْـصـارِ اخْـتَـصَّـهُـمُ الـلـه بـرِضَـاه . وحَـجَّ مِـنْـهـمْ فـي الـقَـابـلِ إثـنـا عَـشَـرَ رَجُـلاً وبـايـعُـوهُ بَـيـعـةً حَـفـيَّـة ، ثمَّ انْـصَـرَفُـوا وظَـهَـرَ الإسـلامُ بـالـمَـديـنـةِ فـكـانـت مَـعْـقِـلَـه ومَـأواه . وقَـدِمَ عـلـيـهِ فـي الـثـالـثـة سَـبْـعـونَ أو وخـمـسـة أو وثـلاثـة وامـرأتـانِ مـنَ الـقَـبـائـلِ الأوسِـيـَّةِ والـخَـزرجِـيـَّة ، فـبـايَـعُـوهُ وأمَّـرَ عـلـيـهـم إثـنـا عـشَـرَ نـقـيـبـاً جَـحـاجـحَـةٍ سَـراة . وهـاجَـرَ إلـيـهـم مـنْ مكَّة ذوُو الـمـلـَّة الإسـلامـيـَّة ، وفـارَقـوا الأَوْطـان رَغْـبَـةً فـيـمـا أُعِـدَّ لـمـن هـجَـرَ الـكُـفْـرَ ونَـاوَاه . وخـافـت قُـرَيْـشٌ أن يَـلْـحَـقَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـأصْـحَـابـهِ عـلـىٰ الـفَـوْريـَّة ، فـأْتَـمَـروا بـقَـتْـلِـهِ فـحـفـظَـهُ الـلـه مـن كـيْـدِهـم ونـجَّـاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

وأُذِنَ لـه فـي الـهـجـرةِ فَـراقَـبَـهُ الـمُـشْـرِكـون لِـيُـورِدُوهُ بـزَعْـمِـهـم حِـيـاضَ الـمَـنِـيَّـة ، فَـخَـرَجَ عـلـيـهـم ونَـثَـرَ عـلـىٰ رُؤُوسِـهـم الـتُّـرابَ وحَـثَـاهُ . وأَمَّ غـارَ ثـوْرٍ فـازَ الـصِّـدِّيـقُ بـالـمَـعِـيَّـة ، وأقـامـا ثـلاثـاً تَـحْـمـي الـحَـمـائِـمُ والـعـنـاكِـبُ حِـمَـاه . ثمَّ خـرَجَـا مـنـهُ لـيـلـة

الاثْـنَـيـن وهـوَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـلـىٰ خـَيْـرِ مَـطِـيَّـة ، وتـعـرَّضَ لـه سُـرَاقـة فـابـتـهَـلَ فـيـه إلـىٰ الـلـه ودَعـاه . فـَسـاخـَـتْ قـَوائـمُ يَـعْـبُـوبِـه فـي الأَرْضِ الـصُّـلـبِـيَّـةِ ، وسَـألـهُ الأمـانَ فـَـمَـنـَـحَـهُ إيَّـاه .

🕮 **عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه** 🕮

ومَـرَّ بـقُـدَيْـدٍ عـلـىٰ أمِّ مَـعْـبَـدٍ الـخُـزاعِـيَّـة ، وأراد ابـتـيـاع لـبـنٍ أو لَـحـمٍ مـنـهـا فـلـم يـكـن خِـبـاؤُهـَـا لـشـيءٍ مـن ذلـك حَـواه . فـنـظـرَ إلـىٰ شـاةٍ فـي الـبـيـت قـد خـَلـَّفَـهـا الـجَـهْـدُ عـن الـرَّعـيَّـة ، فـاسْـتـأذنـهـا فـي حَـلْـبِـهـا فـأذِنـَتْ وقـالـَتْ لـو كـان بـهـا حَـلـَبٌ لأصَـبْـنـاه . فـَمَـسَـحَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضـرْعَها ودعـَا الـلـه مَـوْلاه ووَلِـيّـه ، فـَدَرَّتْ وحَـلـَبَ وسَـقـىٰ كـُلاًّ مـن الـقَـوْمِ وأرْواه . ثمَّ حَـلـَبَ ومَـلأَ الإنـاءَ وغـادرهُ لـَدَيـهـا آيـةً جَـلِـيَّـة ، وجـاءَ أبـو مَـعْـبَـدٍ ورأىٰ الـلـبـنَ فـَذهـَبَ بـه الـعَـجَـبُ إلـىٰ أقـصـاه . وقـالَ أنـَّىٰ لـَكِ هـذا ولا حَـلـُوبَ فـي الـبـيـتِ تـَبـَضُّ بـقَـطـْرَةٍ لـَبـنـيـَّة ، فـقـالـت مَـرَّ بـنـا رَجُـلٌ مُـبـارَكٌ كـَذا وكـذا جُـثـْمـانـُهُ ومَـعْـنـاه . فـَقـال لـَهـا هـذا صـاحِـبُ قـُرَيْـش وأَقـْسَـمَ بـكـلِّ إلـهِـيـَّة ، بـأنـَّهُ لـَو رَآهُ لآمَـنَ بـه واتـَّبـَعَـهُ وأدنـَاه

🕮 **عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه** 🕮

وقـَدِمَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الـمَدِيـنـَةَ يَـوْمَ الاثـنـيـن ثـانـي عَـشـَر رَبـيـع الأوَّل وأشْـرَقـَتْ بـه أرْجـاؤُهـا الـزَّكِـيـَّة ، وتـَلـَقـَّاهُ الأنـْصــــار ونـَزَل بـِقـُبـَاء وأسَّـسَ مَـسْـجِـدَهـا عـلـىٰ تـَقـْواه .

هـذا هو المختـار والبـدر الـذي — كـلّ البـدور خضعـن تحت هلالـه
هـذا الذي قد خُطّ في العرش اسمـه — بنعـوتـه وصفـاتـه وجـلالـه
هـذا الذي سفـر اللثــام فأطرقـت — مُقَـل القلـوب مهابـة لجمـالـــه

🕮 **عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه** 🕮

هذا وقد خصّ الله تعالىٰ هاتيك الذات الشريفة المحمّديَّة ، بشمائل تتشنّف من سماعها الآذان ، وتتعطّر بذكرها الأفواه .

فـتـنـزّهَ فـي ذاتـه وصفاتـــه — استماعـاً إن عزّ منها اجتـلاء
وامـلإ السمع من محـــاســن — يمليهـا عليـك الإنشـاد والإمـلاء

🕮 **عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه** 🕮

وكـان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكْـمـلَ النَّاس خـَـلْـقـاً وخـُـلـُـقـاً ذا ذاتٍ وصِـفـاتٍ سَـنـيـَّة ، مَـرْبُـوعَ الـقـامَـةِ أَبْـيَـضَ الـلَـوْنِ مُـشْـرَباً بـحُـمْـرَةٍ واسِـعَ الـعَـيْـنـيْـنِ أَكْـحَـلـَـهُـمـا أَهْـدَبَ الأشْـفـارِ قَـدْ مُـنِـحَ الـزَّجَـجَ حـاجِـبـاه . مُـفـلَـَّجَ الأَسْـنـانِ ضليع الـفَـمِ حَسَـنـَـهُ واسِـعَ الـجَـبـيـنِ ذا جَـبْـهَـةٍ هِـلالِـيـَّة ، سَـهْـلَ الـخـدَّيْـنِ يُـرىٰ فـي أَنْـفِـهِ بَـعْـضُ احْـديْـدابٍ حَسَـنَ الـعِـرْنـيْـنِ أَقْـنـاهُ . بَـعِـيـدَ مـا بَـيْـنَ الـمَـنْـكَـبَـيْـنِ سَـبْـطَ الـكَـتِـفَـيْـنِ ضَـخْـمَ الـكَـرادِيـس قـلـيـلَ لـحـمِ الـعَـقِـب كَـثَّ الـلِّـحْـيَـة عَـظِـيْـمَ الـرَّأْسِ شَـعْـرهُ إلـىٰ الـشَّـحْـمـةِ الأُذنـيـَّة ، وبَـيـنَ كَـتِـفـيْـهِ خَـاتَـمُ الـنُّـبُـوَّةِ قـد عـمَّـه الـنُّـورُ وعـلاه . وعَـرَقُـهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كـالـلُّـؤلُـؤ وعَـرْفُـهُ أطْـيَـبُ مـن الـنَّـفَـحـاتِ الـمِـسْـكـيـَّة ، ويَـتَـكَـفَّـأُ فـي مِـشـيَـتِـهِ كـأَنَّـمـا يَـنْـحَـطُّ مـن صَـبـبٍ ارتـقـاه . وكـانَ يُـصَـافِـحُ الـمُـصـافِـحُ بِـيَـدِهِ فـيَـجِـدُ مـنـهـا سـائـرَ الـيـوم رَائِـحـةً عَـبْـهَـريـَّة ، ويَـضَـعُـهـا عـلـىٰ رأسِ الـصَـبـيِّ فـيُـعْـرفُ مَـسُّـهُ لـه مـن بـيـن الـصِّـبْـيـة ويُـدْراه . يَـتَـلألأُ وَجْـهـهُ الشَّريف تـلألـؤَ الـقـمـرَ فـي الـلَّـيـلـةِ الـبـدريـَّة ، يـقـول نَـاعِـتُـهُ لـم أرَ قـبـلـهُ ولا بَـعـدَه مِـثـلـهُ ولا بَـشَـرٌ يَـراه .

منـزّهٌ عن شريـكٍ فـي محاسنـه   فجوهـر الحسـن فيه غير منقسم

ولم يُفتتن به كيوسف لغلبة الجلال علىٰ صورته الجمالية ، فلم يستطع أحد أن يمعن النظر في مرآه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

و كـان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَـديـدَ الـحـيـاءِ والـتَّـواضُـع ، يَـخْـصِـفُ نَـعـلـُـه ، ويَـرْقـعُ ثَـوبـه ، ويَـحـلِـبُ شـاتَـهُ ، ويـسـيـرُ فـي خِـدمَـةِ أَهـلـهِ بـسِـيـرَةٍ سَـرِيـَّة ، ويُـحـبُّ الـمـسـاكـيـن ، ويـجـلـسُ مـعـهـُم ، وَيـعـودُ مَـرضـاهُـم ، ويُـشَـيِّـعُ جَـنـائـزَهُـم ، ولا يُـحـقـِّـرُ فـقـيـراً دَقـعـهُ الـفـقْـرُ وأشْـواه . ويـقْـبـلُ الـمَـعْـذِرَةِ ، ولا يُـقَـابـلُ أحـداً بـمـا يـكـرهُ ، ويـمـشـي مـع الأرمـلـةِ وذوي الـعُـبُـوديـَّة ، ولا يَـهـابُ الـمُـلـُوكَ ، ويـغـضـبُ لـلـه ويَـرضـىٰ لِـرِضَـاه . ويَـمـشي خَـلـفَ أصـحـابـه ويـقـول " خَـلـُّـوا ظَـهـري لـلـمـلائـكـةِ الـرُّوحـانـيـَّة " ، ويَـركـبُ الـبـعـيـرَ ، والـفَـرسَ ، والـبـغـلـةَ ، وَالحِـمـار الذي بـعـضُ الـمُـلـُوكِ إلـيـه أهـداه . ويَـعْـصِـبُ عـلـىٰ بـطـنِـهِ الـحـجـرَ مـن الـجُـوع وقـد أُوتِـيَ مَـفـاتـيـحَ الـخَـزائـنِ الأرضـيـَّة ، وراوَدَتْـهُ الـجِـبَـالُ بـأن تـكـون لـه ذهـبـاً فَـأبـاه . وكـان صلَّىٰ الـلـه عـلـيـه و سلّـم يُـقِـلُّ الـلَّـغـوَ ، وَيـبـدأ مـن لَـقـيـهُ بـالـسـلام ، وَيُـطـيـلُ الصَّلاة ، ويُـقـصِّـرُ الـخـُـطَـبَ الـجُـمَـعِـيـَّة ، ويـتـألَّـفُ أهـلَ الـشَّـرفِ ،

ويُكـْرِمُ أهـل الـفَـضْـلِ ، ويَـمـزحُ و لا يـقـول إلاَّ حـقـَّـاً يـحِبُّه الـلـه تـعـالـىٰ ويَـرضـاه . وهـا هـنـا وَقـَفَ بِـنَـا جَـوادُ الـمَـقـَالِ عـن الاطِّـرادِ فـي الـحَـلْـبـةِ الـبـيـانـيـَّـة ، وبَـلـَغَ ظـاعِـنُ الإمـلاءِ فـي فَـدافِـدِ الإيـضـاحِ مُـنْـتَـهـاه .

عطِّر اللهمَّ قَبْرَهُ الكَريم بعَرْفٍ شذِيٍّ مِن صَلاَةٍ وتَسلِيم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه

الـلَّـهُـمَّ يـا بـاسِـط الـيـديـن بـالـعَـطِـيـَّـة ، يـا مـن إذا رُفِـعـتْ إلـيه أكـُفُّ الـعَـبـدِ كـَفـاه . يـا مـن تَـنَـزَّه فـي ذاتِه وصِـفـاتِـه الأحَـدِيـَّـة ، عـن أن يـكـون لـه فـيـهـا نـظـائِـرُ وأشْـبـاه . يـا مـن تـفَـرَّدَ بـالبَـقـاءِ و الـقِـدَمِ والأزَلِـيـَّـة ، يـا مـن لا يُـرَجَّـىٰ غَـيْـرُهُ ، ولا يُـعَـوَّلُ عـلـىٰ سِـواه . يـا مـن اسـتَـنـدَ الأنـامُ إلـىٰ قـُدرَتِـه الـقَـيُّـومِـيـَّـة ، وأرشَـدَ بـِـفـضْـلـه مـن اسـتَـرْشَـدَهُ واسـتَـهـداهُ . نَـسْـألـكَ بِـأنـوارِكَ الـقـُدْسِـيـَّـة ، الـتـي أزاحَـتْ مـن ظـُلـُمـاتِ الـشـَّـكِّ دُجـاه . ونَـتَـوَسَّـلُ إلـيـكَ بشَـرَفِ الـذاتِ الـمُـحَـمَّـدِيـَّـة ، ومـن هـو آخِـرُ الأنـبـيـاءِ بـصُـورَتِـه وأوَّلـُهُـم بـمَـعْـنـاه . وبـآلِـه كـَواكِـبُ أمْـنِ الـبَـرِيـَّـة ، وسـفـيـنـَـةِ الـسَّـلامَـةِ والـنَّـجـاةِ . وبـأصْـحـابـه أُولِـي الـهِـدايَـةِ والأفْـضَـلِـيـَّـة ، الـذيـنَ بَـذلـوا نـُفـوسَـهـُـمْ لـلـه يـبْـتَـغـُـونَ فـَضْـلاً مـن الـلـه . وبِـحَـمَـلـَـةِ شَـرِيـعَـتِـهِ أُولـي الـمَـنـاقِـبِ والـخـُصـوصِـيـَّـة ، الـذيـن اسْـتَـبْـشَـروا بـنـعْـمَـةٍ وفضل مـن الـلـه . أن تـُوَفـِّـقَـنـا فـي الأقـْـوالِ والأعْـمـالِ لإخْـلاصِ الـنـِّـيـَّـة ، وتـُـنـجِـح لِـكـُـلِّ مـن الـحـاضِـريـنَ مَـطْـلـَبَـهُ ومُـنـاه . وتـُـخَـلـِّـصَـنـا مـن أَسْـرِ الـشَّـهَـواتِ والأدْواءِ الـقَـلْـبـيـَّـة ، وتـُـحَـقـِّـقَ لـنَـا مـن الآمـال مـا بِــكَ ظـَنـَنـَّـاهُ . وتـَـكـْـفـيـنـا كـُـلَّ مُـدْلـَهـِـمَّـةٍ وبَـلِـيـَّـة ، ولا تـجْـعَـلـْـنـا مِـمَّـنْ أهْـواهُ هَـواه . وتـَـسْـتـُـرَ لـكـُـلٍّ مِـنـَّـا حَـصْـرَه وعَـجْـزَهُ وعَـيَّـهُ ، وتـُـسَـهـِّـلَ لـنـا مـن صـالِـح الأعْـمـالِ مـا عَـزَّ ذراه . وتـُـدني لـنـا مـن حُـسْـنِ الـيَـقـيـنِ قـُطـُـوفـاً دانِـيَـةً جَـنِـيـَّـة ، وتَـمْـحُـو عَـنـَّـا كـُـلَّ ذنْـبٍ جَـنـَيْـنـاه . وتَـعُـمَّ جَـمْـعَـنـا هـذا مـن خَـزائِـنِ مِـنَـحِـكَ الـسَّـنِـيـَّـة ، بِـرَحْـمَـةٍ ومَـغْـفِـرَةٍ وتـُـديـمَ عَـمَّـنْ سِـواكَ غِـنـاه . اللهمَّ إنـّـك جـعـلْـتَ لـكـلّ سـائـل مـقـامـا ومـزيّـة ، ولـكـلّ راجٍ مـا أمّـلـه ورجـاه . وقـد سـألـنـاك راجـيـن مـواهـبـك اللـدنـيّـة ، فـحـقّـق لـنـا مـا مـنـك رجـونـاه . اللهمَّ آمِـنِ الـرَّوعـاتِ وأَصْـلِـح الـرُّعـاةَ والـرَّعِـيَّـة ، وأعْـظِـمِ الأجْـرَ لِـمـن جَـعَـلَ هـذا الـخَـيْـر فـي هـذا الـيَـوْمَ وأجْـراه . اللهمَّ اجْـعَـلْ هَـذِهِ الـبَـلـْـدَةَ وسـائـرَ بِـلادِ الـمُـسـلِـمـيـن آمِـنـَـةً رَخِـيَّـة ، واسْـقِـنـا غَـيْـثـاً يَـعُـمُّ انْـسِـيـابُ سَـيْـبِـهِ الـسَّـبْـسَـبَ ورُبـاه . واغْـفِـرْ لِـنـاسِـخْ هـذهِ الـبُـرُودِ الـمُـحَـبَّـرة الـمَـوْلـديَّـة ، جَـعْـفَـرِ مـن إلـىٰ

بَرْزَنْجَ نِسْبَتَهُ ومُنْتَماه . وحَقِّقْ له الفَوْزَ بِقُرْبِكَ والرَّجاءَ والأُمنيَّة ، واجْعَلْ مَعَ المقَرَّبين مَقيلَهُ وسُكناه . واسْتُرْ له عَيْبه وعَجْزَهُ وحَصْره وعيَّه ، ولِكاتِبها وقارِئها ومن أَصَاغ سَمعه إليه وأَصْغَاه . اللهمَّ وانصر سلطاننا وعساكره المحمّديَّة ، واكتب على بنود جنوده نصرٌ مِنَ الله . واجعلْه اللهمَّ المجدّد لأمر دين هذه الأمّة الخيريَّة ، وأيِّدْهُ بلا حول ولا قوّة إلاّ بالله . وصَلِّ وسلِّم وبارك على أوَّل قابلٍ للتَّجلي من الحَقِيقَةِ الكُليَّة ، وعلى آله وصَحْبِهِ ومن نَصَرَهُ ووالاه . ما شُنِّفتْ الآذانُ مِن وَصفِهِ الدُّرِّي بأقْراطٍ جَوْهَرِيَّة ، وتَحَلَّتْ صُدُورُ المَحافِل المُنِيفَةِ بِعُقُودِ حُلاه .

اللهمّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد الفاتح لِمَا أُغلِقَ ، والخاتم لِمَا سَبَقَ ، ناصر الحقّ بالحقّ ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقّ قدره ومقداره العظيم .

سُبحان ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُون ، وسَلامٌ على المُرْسَلينَ ، والحَمدُ لله ربِّ العالمين .

الفَصْلُ السَّادِسُ

۞ الشُّبُهَاتُ المُثَارَةُ حَوْلَ الاحْتِفَالَ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ والرَّد عَلَيْهَا ۞

أثار الوهَّابيُّون شبهات عديدة حول الاحتفال بميلاد خير البريَّة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهي موجودة في أحكامهم العديدة التي حكموا فيها علىٰ الاحتفال بالمولد الشَّريف ... ولذلك لا بدَّ في البداية من ذكر بعض فتاويهم في هذا الباب ثمَّ نعمد بعدها إلىٰ ذكر ما تضمَّنه كلامهم من شبهات ، ونختم بالرَّدِّ عليها ... وسنقتصر هنا علىٰ مجموعة من فتاوىٰ ابن باز ، لأنَّ كلامه هو لسان حال الجميع ... وجميع الفتاوىٰ المذكورة منقولة من كتابه : " فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب " ...

۞۞۞ س : ما رأيكم في الاحتفال بمولد النَّبي الشَّريف ، ولقد تكرَّر في قول النَّاس : إنَّ بعض العلماء أجازوه ، ويقومون به أفيدونا عن هذا جزاكم الله خيراً ؟

ج : الاحتفال بالمولد ليس له أصل !!! لكونه من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، ومشهور أنَّ أوَّل من أحدثه الطائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ، وهم حكَّام المغرب ومصر في المائة الرَّابعة والخامسة ، أحدثوه في المائة الرَّابعة باسم علي والحسن والحسين وفاطمة واسم النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واسم حاكمهم ثمَّ انتشر بعدهم ، ولم يكن هذا في القرون المفضَّلة ، ولا في عهد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلهذا ذكر المحقِّقون من أهل العلم أنَّه بدعة لقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، ولقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، يعني : فهو مردودٌ ، ولا عبرة بمن يفعلونه اليوم وكثرتهم !!! لأنَّهم توارثوا هذا عن أسلافهم !!! والقاعدة التي درج عليها العامَّة والكفرة !!! قبل النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله سبحانه : ﴿**إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف : ٢٣] ، فليس في اتِّباع الآباء حجَّة ، إذا كان عملهم ليس علىٰ أساس متين ليس علىٰ دليل ، كما أنَّ أعمال الكفَّار ليست حجَّة ، ولهذا أنكر الله عليهم ذلك ، وأمرهم باتِّباع النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يجعل لهم عذراً في اتباع أسلافهم ، بل عابهم علىٰ ذلك ، فأنت أيُّها المؤمن كذلك ليس لك أن تتَّبع أباك ولا جدَّك، ولا أهل بلدك إلَّا فيما شرعه الله، أمَّا ما نهىٰ الله عنه فليس لك أن تتَّبعهم ولو كثروا ، فلو أنَّ أهل بلدك صاروا يشربون الخمر ، فليس لك أن تفعله معهم ، ولو كانوا يزنون كذلك، ولو كانوا يعقُّون والديهم ، ليس لك أن تفعل مثلهم ، فهكذا إذا فعلوا البدع ليس لك أن تتبعهم ، بل تدعو لهم بالهداية ، تنصحهم وتوجّههم إلىٰ الخير ، ولا تفعل معهم ما حرَّم

الله من البدعة ، كما أنَّك لا يجوز لك أن تفعل معهم الزِّنىٰ ، أو الخمر أو العقوق أو الرِّبا ، أو ما أشبه ذلك ". انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٥٦-٥٧) .

وقد تضمَّن كلام ابن باز السَّابق شُبهاً عديدة ، منها :

١ .أنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، وأنَّ أوَّل من أحدثه الطَّائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ...

٢ .أنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن في القرون المفضَّلة ، ولا في عهد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلهذا ذكر المحقِّقون من أهل العلم أنَّه بدعة لقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ "

٣.أنَّه لا عبرة بمن يفعلونه اليوم وكثرتهم !!! لأنَّهم توارثوا هذا عن أسلافهم ...

وللرَّدِّ علىٰ ما قال نقول :

أمَّا زعمه بأنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة ، فشنشنة نعرفها من أخزم ... ونردُّ عليه بـ :

أمَّا البدعة في الشَّرع ، فقد تباينت أقوال العلماء في تعريفها ، فمنهم من حصرها بالحادث المذموم ... ومنهم من أطلق البدعة علىٰ كلِّ مستحدث من الأشياء ، سواء كان ممدوحاً أو مذموماً ، وسواء كان من العبادات أو العادات ، فمن الفريق الأوَّل : الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) ، الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) ، الإمام ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ، الإمام ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، الإمام أبو شامة (٦٦٥هـ) ، الإمام السُّبكي (٧٥٦هـ) ، الإمام العز بن عبد السَّلام (٦٦٠هـ) ، الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) ، الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) ، الإمام التَّفتازاني (٧٩٢هـ) ، الإمام ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) ، الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، الإمام العيني (٨٥٥هـ) ، الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) ، وغيرهم كثير ...انظر بالترتيب : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٧٦) ، تلبيس إبليس (ص١٦) ، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦) ، الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث (ص٢٢-٢٣) ، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٣/ ٤١٨) ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٠٤) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣/ ٢٢) ، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ٧٧) ، شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٢٧١) ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم (٢/ ١٢٨) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٥٣) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١١/ ١٢٦) .

ومن الفريق الثَّاني : الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ، الإمام الشَّاطبي (٧٩٠هـ) ، الإمام ابن الوزير (٨٤٠هـ) ، الإمام محمَّد صديق خان (١٣٥٧هـ) ، وغيرهم . انظر بالترتيب : اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٦٣) ، الاعْتِصَام (١/ ٥٢ فما بعدها) ، إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات إلىٰ المذهب الحق من أصول التَّوحيد (ص١٠٧ ، ٢٢٣) ، الدِّين الخالص (٣/ ٢٠) .

ولعلَّ من أفضل التَّعريفات التي عرَّف بها العلماء البدعة ، ما عرفها به الإمام الغزالي (٥٠٥هـ) ، قال : " ... فكم من محدث حسن ، كما قيل في إقامة الجماعات في التَّراويح إنَّها من محدثات عمر رضي الله عنه ، وأنَّها بدعة حسنة ، إنَّما البدعة المذمومة ما يصادم السُّنَّة القديمة أو يكاد يفضي إلىٰ تغييرها " . انظر : إحياء علوم الدِّين (١/ ٢٧٦) .

" فليس كُلُّ مَا أُبْدِعَ مَنْهِيّاً ، بَلِ الْمَنْهِيُّ بِدْعَةٌ تُضَادُّ سُنَّةً ثَابِتَةً وَتَرْفَعُ أَمْراً مِنَ الشَّرْعِ مع بقاء علَّته ، بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب ". انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٣).

وعلىٰ ذلك ، فإنَّ البدعة تنقسم إلىٰ قسمين : بدعة حسنة ، وهي ما وافق الشَّرع ، وبدعة سيِّئة ، وهي ما خالف الشَّرع ... وقد فهم العلماء هذا التَّقسيم للبدعة من قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " . أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٠ برقم ٢٦٨٦٠) ، مسلم (٣/ ١٣٤٣) ، ابن ماجه (١/ ٧ برقم ١٤) ، ابن حبَّان في الصحيح (١/ ٢٠٨ برقم ٢٦) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٤٠٢ برقم ٤٥٣٤) ، الشهاب القضاعي في المسند (١/ ٢٣١ برقم ٣٥٩) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٢٥٢ برقم ٢٠٥٣٦) ، السنن الصغير (٤/ ١٣١ برقم ٣٢٥٣) .

والحديث نصٌّ صريح في أنَّ العمل لا يكون مردوداً إلَّا إذا كان علىٰ خلاف الشَّريعة ، أمَّا إذا كان موافقاً للشَّريعة فليس مردوداً ، بل هو من الشَّريعة ، بدليل قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا ، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ " . أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٤ برقم ١٠١٧ ، واللفظ له) ، الطيالسي في المسند (٢/ ٥٥ برقم ٧٠٥) ، ابن الجعد في المسند (ص٨٩ برقم ٥١٦) ، ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١٠٩ برقم ٩٨٩٦) ، أحمد في المسند (٤/ ٣٥٧ برقم ١٩٣٦٩) ، البزار في المسند (٧/ ٣٦٦ برقم ٢٩٦٣) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٣/ ٦٠ برقم ٢٣٤٦) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢٢٣ برقم ٢٤٣) ، ابن حبَّان في الصحيح (٨/ ١٠١ برقم ٣٣٠٨) ، الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٢٨ برقم ٢٣٧٢) ، المعجم الأوسط (٨/ ٣٨٤ برقم ٨٩٤٦) ، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٥٥ برقم ٣) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٢٩٣ برقم ٧٧٤١) ، السنن الصغير (٢/ ٦٨ برقم ١٢٤٧) ، الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد علىٰ مذهب السَّلف وأصحاب الحديث (ص٢٣٠) ، شعب الإيمان (٥/ ٢٦ برقم ٣٠٤٨) ، البغوي في شرح السنة (٦/ ١٦٠ برقم ١٦٦١) ، أبو عوانة في المسند (١/ ١٤٢ برقم ٤٨٨) .

وبناء على ذلك قال الإمام الشَّافعي (٢٠٤هـ) : " " اَلْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ بِدْعَةٌ مَحْمُودَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَذْمُومَةٌ . فَمَا وَافَقَ السُّنَّةَ فَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَمَا خَالَفَ السُّنَّةَ فَهُوَ مَذْمُومٌ ". انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) .

وقال الإمام ابن العربي (٥٤٣هـ) : " اعلموا علَّمكم الله أنَّ المُحْدث على قسمين : مُحدث ليس له أصل إلَّا الشَّهوة والعمل بمقتضى الإرادة ، فهذا باطل قطعاً ، ومُحْدث يحمل النَّظير على النَّظير ، فهذه سُنَّة الخلفاء والأئمَّة الفضلاء ، وليس المُحْدث والبدعة مذموماً للفظ مُحْدث وبدعة ، ولا لمعناها ، فقد قال الله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء : ٢] ، وقال عمر : " نعمت البدعة هذه " (أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

إنَّما يذمُّ من البدعة ما خالف السُّنَّة ، ويُذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة " . انظر : عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١/ ١٤٩) .

وقال الإمام ابن الأثير (٦٠٦هـ) : " اَلْبِدْعَةُ بِدْعَتَان : بِدْعَةُ هُدًى ، وَبِدْعَةُ ضَلَالٍ ، فَمَا كَانَ فِي خِلَافِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَا كَانَ وَاقِعاً تَحْتَ عُموم مَا نَدب اللَّهُ إِلَيْهِ وحَضَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ فَهُوَ فِي حَيِّزِ الْمَدْحِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ مَوْجُودٌ كنَوْعٍ مِنَ الجُود وَالسَّخَاءِ وفعْل الْمَعْرُوفِ فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمَحْمُودَةِ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي خِلَافِ مَا وَردَ الشَّرْعُ بِهِ ؛ لِأَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَعل لَهُ فِي ذَلِكَ ثَوَاباً " . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٠٦) .

والغريب في هذا المقام أن نجد الإمام ابن تيمية قسَّم البدعة إلى قسمين : بدعة حسنة مستحبَّة ، وهي التي وافقت الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع ، وبدعة سيِّئة مذمومة ، وهي التي خالفت كتاباً أو سُنَّةً أو إجماعاً وأثراً عن بعض أصحاب رسول اللّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذه بدعة ضلالةٍ ...

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) في " قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة" (ص٢٨) : " وَكُلُّ بِدْعَةٍ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً فَهِيَ بِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ ، وَهِيَ ضَلَالَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْ قَالَ فِي بَعْضِ الْبِدَعِ إنَّهَا بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ إذَا قَامَ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ ، فَأَمَّا مَا لَيْسَ بِمُسْتَحَبٍّ وَلَا وَاجِبٍ فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إنَّهَا مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إلَى اللَّهِ" .

وقال الإمام ابن تيمية في "مجموع الفتاوىٰ" (٢٠/ ١٦٣) : " ... وَمِنْ هُنَا يُعْرَفُ ضَلَالُ مَنْ ابْتَدَعَ طَرِيقًا أَوْ اعْتِقَادًا زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتِمُّ إلَّا بِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الرَّسُول لَمْ يَذْكُرْهُ ، وَمَا خَالَفَ النُّصُوصَ فَهُوَ بِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ خَالَفَهَا فَقَدْ لَا يُسَمَّىٰ بِدْعَةً قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ: بِدْعَةٌ خَالَفَتْ كِتَابًا وَسُنَّةً وَإِجْمَاعًا وَأَثَرًا عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذِهِ بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ . وَبِدْعَةٌ لَمْ تُخَالِفْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً لِقَوْلِ عُمَرَ: نِعْمَتْ الْبِدْعَةُ هَذِهِ" أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

هَذَا الْكَلَامُ أَوْ نَحْوُهُ رَوَاهُ البيهقي بِإِسْنَادِهِ الصَّحِيحِ فِي الْمَدْخَلِ" .

وقال الإمام ابن تيمية في " مجموع الفتاوىٰ " (٢٧/ ١٥٢) : " ... إذَا الْبِدْعَةُ الْحَسَنَةُ - عِنْدَ مَنْ يُقَسِّمُ الْبِدَعَ إلَىٰ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ - لَا بُدَّ أَنْ يَسْتَحِبَّهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يُقْتَدَىٰ بِهِمْ ، وَيَقُومُ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِهَا ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَقُولُ: الْبِدْعَةُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَذْمُومَةٌ لِقَوْلِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" ، وَيَقُولُ قَوْلُ عُمَرَ فِي التَّرَاوِيحِ: " نِعْمَتْ الْبِدْعَةُ هَذِهِ " إنَّمَا أَسْمَاهَا بِدْعَةً: بِاعْتِبَارِ وَضْعِ اللُّغَةِ. فَالْبِدْعَةُ فِي الشَّرْعِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ مَا لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ عَلَىٰ اسْتِحْبَابِهِ " .

وقال الإمام ابن تيمية في " الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان" (١/ ١٦٢) : " قال الشَّافعي : البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السُّنَّة فهو محمود ، وما خالفها فهو مذموم . أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشَّافعي ، وجاء عن الشَّافعي أيضاً ما أخرجه البيهقي في مناقبه ، قال : " المحدثات ضربان : ما أحدث يخالف كتاباً أو سنَّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلال ، وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة " انتهىٰ . وقسَّم بعض العلماء البدعة إلىٰ الأحكام الخمسة وهو واضح " .

وقال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) في " اقتضاء الصِّراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" (ص٢٩٧) : " فتعظيم المولد ، واتِّخاذه موسماً ، قد يفعله بعض النَّاس ، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده ، وتعظيمه لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما قدَّمته لك أنَّه يحسن من بعض النَّاس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد " .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) في " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم" (٢/ ١٢٧) : " وَالْمُرَادُ بِالْبِدْعَةِ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي الشَّرِيعَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَأَمَّا مَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الشَّرْعِ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ شَرْعاً ، وَإِنْ كَانَ بِدْعَةً لُغَةً " .

وقال الإمام بدر الدِّين العينىٰ (٨٥٥هـ) في " عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (١١/ ١٢٦) : " والبدعة فِي الأَصْل إِحْدَاث أَمر لم يكن فِي زمن رَسُول الله ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ الْبِدْعَة علىٰ نَوْعَيْنِ : إِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستحسن فِي الشَّرْع فَهِيَ بِدعَة حَسَنَة ، وَإِن كَانَت مِمَّا ينْدَرج تَحت مستقبح فِي الشَّرْع فَهِيَ بِدعَة مستقبحة " .

وذهب بعض العلماء إلىٰ تقسيم البدعة إلىٰ الأحكام الخمسة : وهي الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام .

قال الإمام أبو محمَّد عز الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدِّمشقي، الملقَّب بسلطان العلماء (٦٦٠هـ) في " قواعد الأحكام في مصالح الأنام" (٢/ ٢٠٤-٢٠٥) : " الْبِدْعَةُ فِعْلُ مَا لَمْ يُعْهَدْ فِي عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. وَهِيَ مُنْقَسِمَةٌ إلَىٰ : بِدْعَةٌ وَاجِبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَنْدُوبَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مَكْرُوهَةٌ ، وَبِدْعَةٌ مُبَاحَةٌ ، وَالطَّرِيقُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ أَنْ تُعْرَضَ الْبِدْعَةُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ : فَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْإِيجَابِ فَهِيَ وَاجِبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ التَّحْرِيمِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَنْدُوبِ فَهِيَ مَنْدُوبَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمَكْرُوهِ فَهِيَ مَكْرُوهَةٌ ، وَإِنْ دَخَلَتْ فِي قَوَاعِدِ الْمُبَاحِ فَهِيَ مُبَاحَةٌ ، وَلِلْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ أَمْثِلَةٌ .

أَحَدُهَا : الِاشْتِغَالُ بِعِلْمِ النَّحْوِ الَّذِي يُفْهَمُ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ - صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ وَاجِبٌ وَلَا يَتَأَتَّىٰ حِفْظُهَا إلَّا بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ .

الْمِثَالُ الثَّانِي : حِفْظُ غَرِيبِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ اللُّغَةِ .

الْمِثَالُ الثَّالِثُ : تَدْوِينُ أُصُولِ الْفِقْهِ .

الْمِثَالُ الرَّابِعُ : الْكَلَامُ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنْ السَّقِيمِ ، وَقَدْ دَلَّتْ قَوَاعِدُ الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ أَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ فَرْضُ كِفَايَةٍ فِيمَا زَادَ عَلَىٰ الْقَدْرِ الْمُتَعَيِّنِ ، وَلَا يَتَأَتَّىٰ حِفْظُ الشَّرِيعَةِ إلَّا بِمَا ذَكَرْنَاهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : مَذْهَبُ الْقَدَرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْجَبْرِيَّةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُرْجِئَةِ ، وَمِنْهَا مَذْهَبُ الْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَنْدُوبَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : إِحْدَاثُ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ الْقَنَاطِرِ ، وَمِنْهَا كُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الْعَصْرِ الأَوَّلِ ، وَمِنْهَا : صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ التَّصوُّف ، وَمِنْهَا الْكَلَامُ فِي الْجَدَلِ فِي جَمْعِ الْمَحَافِلِ لِلاسْتِدْلَالِ عَلَى الْمَسَائِلِ إِذَا قُصِدَ بِذَلِكَ وَجْهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وَلِلْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : زَخْرَفَةُ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنْهَا تَزْوِيقُ الْمَصَاحِفِ ، وَأَمَّا تَلْحِينُ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ تَتَغَيَّرُ أَلْفَاظُهُ عَنْ الْوَضْعِ الْعَرَبِيِّ ، فَالْأَصَحُّ أَنَّهُ مِنْ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَةِ .

وَلِلْبِدَعِ الْمُبَاحَةِ أَمْثِلَةٌ ، مِنْهَا : الْمُصَافَحَةُ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ ، وَمِنْهَا التَّوَسُّعُ فِي اللَّذِيذِ مِنْ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ ، وَلُبْسِ الطَّيَالِسَةِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ . وَقَدْ يُخْتَلَفُ فِي بَعْضِ ذَلِكَ ، فَيَجْعَلُهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ الْبِدَعِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَيَجْعَلُهُ آخَرُونَ مِنْ السُّنَنِ الْمَفْعُولَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَمَا بَعْدَهُ ، وَذَلِكَ كَالِاسْتِعَاذَةِ فِي الصَّلاة وَالْبَسْمَلَةِ " .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) في " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج" (٦/ ١٥٤-١٥٥) في كلامه على قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " : " هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ ، وَالْمُرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُحَرَّمَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ .

فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ وَشِبْهُ ذَلِكَ وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ وَبِنَاءُ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَمِنَ الْمُبَاحِ التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ وَقَدْ أَوْضَحْتُ الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التَّرَاوِيحِ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامّاً مَخْصُوصاً قَوْلُهُ كُلُّ بِدْعَةٍ مُؤَكَّداً بِكُلِّ بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ " .

وقال الإمام النَّووي أيضاً في كلامه على قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا " : " فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ . وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ : فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ، فَتَتَابَعَ النَّاس ، وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ ، وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ :

الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ ، وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ . وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ الْبِدَعَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٌ " . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٠٤) .

وقال الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) : " والبدعة كلّ شيء عمل على غير مثال سابق ، وهي خمسة أقسام : واجبة ، ومندوبة ، ومحرَّمة ، ومكروهة ، ومباحة ، وحديث : " كلُّ بدعة ضلالة " من العام المخصوص ". انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " وَالْبِدْعَةُ أَصْلُهَا مَا أُحدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَتُطْلَقُ فِي الشَّرْعِ فِي مُقَابِلِ السُّنَّةِ ، فَتَكُونُ مَذْمُومَةً . وَالتَّحْقِيقُ : أَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَحْسِنٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ حَسَنَة ، وَأَن كَانَت مِمَّا تَنْدَرِجُ تَحْتَ مُسْتَقْبَحٍ فِي الشَّرْعِ ، فَهِيَ مُسْتَقْبَحَةٌ ، وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ ، وَقَدْ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ ... " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤/ ٢٥٣) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) في شرحه لقول عمر : " نَعِمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ " : " ... فَسَمَّاهَا بِدعَةً لِأَنَّهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمْ يَسُنَّ الِاجْتِمَاعَ لَهَا ، وَلَا كَانَتْ فِي زَمَانِ الصِّدِّيقِ . وَهُوَ لُغَةً مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ، وَتُطْلَقُ شَرْعاً عَلَىٰ مُقَابِلِ السُّنَّةِ وَهِيَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ثُمَّ تَنْقَسِمُ إِلَىٰ الْأَحْكَامِ الْخَمْسَةِ " . انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/ ٤١٨) .

وقال الإمام الصَّنعاني (١١٨٢هـ) : " الْبِدْعَةُ لُغَةً مَا عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَا عُمِلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ شَرْعِيَّةٌ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ : كَحِفْظِ الْعُلُومِ بِالتَّدْوِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْمَلَاحِدَةِ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ .

وَمَنْدُوبَةٌ : كَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ . وَمُبَاحَةٌ : كَالتَّوْسِعَةِ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَفَاخِرِ الثِّيَابِ .

وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ : وَهُمَا ظَاهِرَانِ . فَقَوْلُهُ : كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ عَامٌّ مَخْصُوصٌ " . انظر : سبل السَّلام (١/ ٤٠٢)

قال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) : " (قَوْلُهُ أَيْ صَاحِبُ بِدْعَةٍ) أَيْ : مُحَرَّمَةٍ ، وَإِلَّا فَقَدْ تَكُونُ وَاجِبَةً ، كَنَصْبِ الْأَدِلَّةِ لِلرَّدِّ عَلَىٰ أَهْلِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ ، وَتَعَلُّمِ النَّحْوِ الْمُفْهِمِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْدُوبَةً كَإِحْدَاثِ نَحْوِ

رِبَاطٍ وَمَدْرَسَةٍ وَكُلِّ إحْسَانٍ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدْرِ الأوَّل ، وَمَكْرُوهَةٍ كَزَخْرَفَةِ الْمَسَــاجِدِ . وَمُبَاحَةٍ كَالتَّوَسُّعِ بِلَذِيذِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالثِّيَابِ " . انظر : رد المحتار على الدر المختار (١/ ٥٦٠) .

وبناء على تعريف العلماء للبدعة ، يتبيَّن لنا أنَّهم فهموا أنَّ البدعة المذمومة هي ما أُحدث على غير مثال سابق ممَّا يضادّ الدِّين ، أمَّا ما كان موافقاً للأصول فلا يُعتبر بدعة ... قال الإمام الخطَّابي (٣٨٨هـ) : " وقوله : " كلُّ محدثة بدعة " ، فإنَّ هذا خاصّ في بعض الأمور دون بعض ، وكل شيء أُحدث على غير أصل من أصول الدِّين وعلى غير عياره وقياسه . وأمَّا ما كان منها مبنيَّاً على قواعد الأصول ومردودٌ إليها ، فليس ببدعة ، ولا ضلالة ، والله أعلم " . انظر : معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود (٤/ ٣٠١) .

وممَّا يدلُّ على البدعة الحسنة : قوله تعالى : **﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾** [الحديد : ٢٧] ، " قال أبو أُمامة الباهلي وغيره : معنى الآية : لم نكتبها عليهم ولم يبتدعوها إلَّا ابتغاء رضوان الله ، فعاتبهم الله بتركها .

قال الحارث : وهذا أولى التَّفسيرين بالحقِّ ، يريد قول أبي أمامة ، قال : وعليه أكثر العلماء ، وقال الحارث : فذمهم الله عليه بترك رعاية ما ابتدعوا ، فكيف بمن ضيع رعاية ما وجب الله عليه ... ثمَّ قال : **﴿فَآتَيْنَا الذين آمَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾** [الحديد : ٢٧] ، أي : فأعطينا الذين آمنوا بالله ورسوله من هؤلاء الذين ابتدعوا الرَّهبانيَّة ثوابهم على فعلهم " . انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه ، وجمل من فنون علومه (١١/ ٧٣٣٥-٧٣٣٦)

وقال الإمام القرطبي (٦٧١هـ) في " الجامع لأحكام القرآن" (١٧/ ٢٦٤) : " قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَرَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها مَا كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ﴾** الْآيَةَ. يَقُولُ: ابْتَدَعَهَا هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ **﴿فَما رَعَوْها﴾** الْمُتَأَخِّرُونَ **﴿حَقَّ رِعايَتِها﴾** **﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾** يَعْنِي الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا أَوَّلًا وَرَعَوْهَا **﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾** يَعْنِي الْمُتَأَخِّرِينَ" .

وقال الإمام ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) : " ومعنى **﴿ابْتَدَعُوْهَا﴾** ، أي : أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم ، وإعراب رهبانيَّة معطوف على رأفة ورحمة ، أي : جعل الله في قلوبهم الرَّأفة والرَّحمة والرَّهبانيَّة ، وابتدعوها صفة للرَّهبانيَّة ، والجعل هنا بمعنى الخلق .. **﴿مَا كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللَّهِ﴾** كتبنا هنا بمعنى : فرضنا وشرعنا ، وفي هذا قولان : أحدهما : أنَّ الاستثناء منقطع ، والمعنى : ما

كتبنا عليهم الرَّهبانيَّة ، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ، ابتغاء رضوان الله ، والآخر : أنَّ الاستئناف متصل ، والمعنىٰ : كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله ، والأوَّل أرجح ، لقوله : ﴿ابتَدَعُوْهَا﴾ ، ولقراءة عبد الله بن مسعود : ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها ، أي : لم يدوموا عليها ، ولم يحافظوا علىٰ الوفاء بها ، يعني : أنَّ جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم . والضَّمير في ﴿رَعَوْهَا﴾ للذين ابتدعوا الرَّهبانيَّة ، وكان يجب عليهم إتمامها ، وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالىٰ عليهم ، لأنَّ من دخل في شيء من النَّوافل يجب عليه إتمامه " . انظر : التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣٤٩) .

هذا مع العلم أنَّ السَّلف الصَّالح ابتدعوا العديد من الأمور ... ومن البدع الحسنة الممدوحة التي أحدثها المسلمون بعد انتقال الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرَّفيق الأعلىٰ :

أَوَّلاً : نَقْطُ المُصْحَف :

فمن المعلوم أنَّ المصاحف كُتبت بلا نقط ، وأنَّ أوَّل من نقط المصحف أحد التَّابعين ، واسمه : يحيىٰ بن يعمر (٣١٦هـ) ، فقد روىٰ ابن أبي داود السّجستاني في كتاب المصاحف بسنده إلىٰ هارون بن موسىٰ ، قَالَ : " أَوَّل مَنْ نَقَّطَ الْمَصَاحِفَ يَحْيَىٰ بْنُ يَعْمُرَ " . انظر : كتاب المصاحف (ص٣٢٤) .

ثَانِيَاً : إِحْدَاثُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيْل خُبَيْبِ بِنْ عَدِي رَكْعَتَيْن عِنْدَمَا قُدِّمَ لِلقَتْلِ :

فقد روىٰ البخاري وغيره بسندهم إلىٰ أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : " قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْناً ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ ، فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِالْهَدَأَةِ ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ ومكَّة ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ ، يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو لِحْيَانَ ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيباً مِنْ مِئَتَي رَجُلٍ ، كُلُّهُمْ رَامٍ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، حَتَّىٰ وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْراً تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَؤُوا إِلَىٰ فَدْفَدٍ ، وَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ ، فَقَالُوا لَهُمْ : انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ ، وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَداً . قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ : أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لاَ أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللهمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا عَاصِماً فِي سَبْعَةٍ ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ ، وَابْنُ دَثِنَةَ ، وَرَجُلٌ آخَرُ ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ ، وَاللَّهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ إِنَّ فِي هَؤُلاَءِ لأُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَىٰ ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَىٰ ، فَقَتَلُوهُ ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ خُبَيْباً بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ

مَنَافٍ ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيراً ، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَىٰ يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ ، فَأَخَذَ ابْناً لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ ، قَالَتْ فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ وَالْمُوسَىٰ بِيَدِهِ ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ : تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ . وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ : إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْباً ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ : ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ، فَتَرَكُوهُ ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثمَّ قَالَ : لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا ، اللهمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَـــهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَـــالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْراً ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ فَأَخْبَرَ النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبُعِثَ عَلَىٰ عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ ، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئاً " .

أخرجه البخاري (٤/ ٨٣ برقم ٣٠٤٥) ، أحمد في المسند (٢/ ٣١٠ برقم ٨٠٨٢) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٨/ ١٢٣ برقم ٨٧٨٨) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٥/ ٥١٢ برقم ٧٠٣٩) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٢١ برقم ٤١٩١) ، عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٣٥٣ برقم ٩٧٣٠) .

ثَالِثاً : جَمْعُ عُمَر بن الخَطَّابِ المُصَلِّيْنَ فِيْ صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ فِي جَمَاعَة :

فقد روىٰ البخاري وغيره بسندهم عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ عَبْدٍ القَارِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَىٰ المَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاس أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَىٰ لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلاَءِ عَلَىٰ قَارِئٍ وَاحِدٍ ، لَكَانَ أَمْثَلَ ، ثمَّ عَزَمَ ، فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، ثمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَىٰ ، والنَّاس يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : نِعْمَ البِدْعَةُ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ ، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ النَّاس يَقُومُونَ أَوَّلَهُ " . أخرجه البخاري (٣/ ٤٥ برقم ٢٠١٠) ، مالك في الموطأ (٢/ ١٥٨ برقم ٣٧٨) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٦٩٥ برقم ٤٢٧٥) ، شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩ برقم ٩٩٠) .

قال الإمام الكرماني (٧٨٦هـ) : " وإنَّما دعاها بدعة ، لأنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسنَّها ، ولا كانت في زمن أبي بكر ، ورغَّب فيها بقوله : " نعم " ليدلَّ على فضلها ، ولئلَّا يمنع هذا اللقب من فعلها . ويقال : نعم كلمة تجمع المحاسن كلَّها ، وبئس كلمة تجمع المساوئ كلّها ... ". انظر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٩/ ١٥٤) .

رَابِعاً : زِيَادَةُ عُثْمَان بن عَفَّان الأذَانَ الثَّالِثَ يَوْمَ الجُمُعَة :

فقد روىٰ البخاري بسنده عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : " كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الإِمَامُ عَلَىٰ المِنْبَرِ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَثُرَ النَّاس زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَىٰ الزَّوْرَاءِ " ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : " الزَّوْرَاءُ : مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ " . أخرجه البخاري (٢/ ٨ برقم ٩١٢) .

وروىٰ البخاري بسنده عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ " أَنَّ الَّذِي زَادَ التَّأْذِينَ الثَّالِثَ يَوْمَ الجُمُعَةِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ كَثُرَ أَهْلُ المَدِينَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّنٌ غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الإِمَامُ " ، يَعْنِي عَلَىٰ المِنْبَرِ " . أخرجه البخاري (٢/ ٨ برقم ٩١٣) .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " فِي رِوَايَةِ أَبِي عَامِرٍ عَن بن أبي ذِئْب عِنْد بن خُزَيْمَةَ كَانَ ابْتِدَاءُ النِّدَاءِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَهُ فِي رِوَايَةِ وَكِيع عَن بن أَبِي ذِئْبٍ : كَانَ الْأَذَانُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعمر أذانين يَوْم الْجُمُعَة . قَالَ بن خُزَيْمَةَ : قَوْلُهُ : " أَذَانَيْنِ يُرِيدُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ " ، يَعْنِي : تَغْلِيباً أَوْ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِعْلَامِ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَبْوَابِ الْأَذَانِ . قَوْلُهُ : " إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ " ، فِي رِوَايَةِ أَبِي عَامِرٍ الْمَذْكُورَةِ ، إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ وَإِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاة ، وَكَذَا للبيهقي من طَرِيق بن أبي فديك عَن بن أَبِي ذِئْبٍ ، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ الْمَاجِشُونِ الْآتِيَةِ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَلَفْظُهُ : وَكَانَ التَّأْذِينُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ يَجْلِسُ الْإِمَامُ ، يَعْنِي : عَلَىٰ الْمِنْبَرِ . وَأَخْرَجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنِ الْمَاجِشُونِ بِدُونِ قَوْله يَعْنِي وللنسائي من رِوَايَةُ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِ عَنِ الزُّهْرِيِّ كَانَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُ إِذَا جَلَسَ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ فَإِذَا نَزَلَ أَقَامَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ فِي مُرْسَلِ مَكْحُولٍ قَرِيباً . قَالَ الْمُهَلَّبُ : الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ الْأَذَانِ فِي هَذَا الْمَحَلِّ لِيَعْرِفَ النَّاس بِجُلُوسِ الْإِمَام عَلَىٰ الْمِنْبَرِ فَيُنْصِتُونَ لَهُ إِذَا خَطَبَ ، كَذَا قَالَ ، وَفِيهِ نظر ، فَإِن فِي سِيَاق بن إِسْحَاقَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : أَنَّ بِلَالاً كَانَ يُؤَذِّنُ عَلَىٰ بَاب الْمَسْجِد ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ لِمُطْلَقِ الْإِعْلَامِ لَا لِخُصُوصِ الْإِنْصَاتِ ، نَعَمْ لَمَّا زِيدَ الْأَذَانُ الأوَّل كَانَ لِلْإِعْلَامِ ، وَكَانَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيِ الْخَطِيبِ لِلْإِنْصَاتِ .

قَوْلُهُ : فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ ، أَيْ : خَلِيفَةً . قَوْلُهُ : وَكَثُرَ النَّاس ، أَيْ : بِالْمَدِينَةِ ، وَصَرَّحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْمَاجِشُونِ ، وَظَاهِرُهُ أَنَّ عُثْمَانَ أَمَرَ بِذَلِكَ فِي ابْتِدَاءِ خِلَافَتِهِ ، لَكِنْ فِي رِوَايَةِ أَبِي ضَمْرَةَ عَنْ يُونُسَ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرَجِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بَعْدَ مُضِيِّ مُدَّةٍ مِنْ خِلَافَتِهِ . قَوْلُهُ : زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ فِي رِوَايَة وَكِيع عَن بن أَبِي ذِئْبٍ ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِالْأَذَانِ الأَوَّلِ ، وَنَحْوُهُ لِلشَّافِعِيِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا ، لِأَنَّهُ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مَزِيداً يُسَمَّىٰ ثَالِثاً وَبِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ جُعِلَ مُقَدَّماً عَلَىٰ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ يُسَمَّىٰ أَوَّلاً ، وَلَفْظُ رِوَايَةِ عَقِيلٍ الْآتِيَةِ بَعْدَ بَابَيْنِ أَنَّ التَّأْذِينَ بِالثَّانِي أَمَرَ بِهِ عُثْمَانُ ، وَتَسْمِيَتُهُ ثَانِياً أَيْضاً مُتَوَجِّهٌ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْأَذَانِ الْحَقِيقِيِّ لَا الْإِقَامَةِ ... " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٣٩٣) .

خَامِسَاً : جَمْعُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم لِلقُرْآنِ العَظِيْمِ فِي مُصْحَفٍ وَاحِد :

فقد روىٰ البخاري بسنده عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ : إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ لِعُمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ عُمَرُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَىٰ عُمَرُ ، قَالَ زَيْدٌ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ : كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ، قَالَ : هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّىٰ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، حَتَّىٰ وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ، **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾** [التوبة : ١٢٨] ، حَتَّىٰ خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ ، ثمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " . أخرجه البخاري (٦/ ١٨٣ برقم ٤٩٨٦) .

فالخير العميم الذي حدث بجمع القرآن العظيم كان بإشارة من فاروق الأُمَّة عمر رضي الله عنه ، بعد أن استحرَّ القتل بالقرَّاء ، أشار به علىٰ خليفة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبي بكر ، وعندما استغرب

أبو بكر أن يفعل فعلاً لم يفعله رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واصل عمر في الحثِّ علىٰ جمع القرآن حتىٰ شرح الله تعالىٰ صدر أبي بكر لهذا العمل الجليل النَّبيل ... ثمَّ إن عمر رضي الله عنه وصف ما أشار به علىٰ أبي بكر بأنَّه خير ، وخيريَّته منسجمة تماماً مع قول الله تعالىٰ : **﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الحج : ٧٧] .

سَادِسَاً : أَخْذُ الأُجْرَةِ عَلَى الرُّقْيَةِ :

روىٰ الترمذي بسنده عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فَنَزَلْنَا بِقَوْمٍ ، فَسَأَلْنَاهُمُ القِرَىٰ فَلَمْ يَقْرُونَا ، فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْقِي مِنَ العَقْرَبِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ أَنَا ، وَلَكِنْ لاَ أَرْقِيهِ حَتَّىٰ تُعْطُونَا غَنَماً ، قَالُوا : فَإِنَّا نُعْطِيكُمْ ثَلاَثِينَ شَاةً ، فَقَبِلْنَا فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ : الحَمْدُ لِلَّهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَبَرَأَ وَقَبَضْنَا الغَنَمَ ، قَالَ : فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ فَقُلْنَا : لاَ تَعْجَلُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ ، قَالَ : وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ اقْبِضُوا الغَنَمَ وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ " . أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٦ برقم ٢٠٦٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَأَبُو نَضْرَةَ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ قُطَعَةَ وَرَخَّصَ الشَّافعي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَأْخُذَ عَلَىٰ تَعْلِيمِ القُرْآنِ أَجْراً ، وَيَرَىٰ لَهُ أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَىٰ ذَلِكَ ، وَاحْتَجَّ بِهَذَا الحَدِيثِ وَرَوَىٰ شُعْبَةُ ، وَأَبُو عَوَانَةَ ، وَهِشَام ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنِ النَّبي صلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

فأبو سعيد الخدري رضي الله عنه اجتهد ، وأقرَّه الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ اجتهاده ، مع أنَّه لم يسمعه قبلُ من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإنَّما اعتمد بعد الله تعالىٰ علىٰ فهمه الذي أعطاه الله إيَّاه ، وقد جاء في الصَّحيح عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ؟ قَالَ : لاَ ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . قَالَ : قُلْتُ : فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ: العَقْلُ ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ ، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ " . أخرجه البخاري (١/ ٣٣ برقم ١١١) .

والفهم الصَّحيح المستقيم لا يتعلَّق بزمان دون زمان ، كما أنَّه لا يتعلَّق بفرد دون فرد ...

سَابِعَاً : تَعَدُّدُ الجُمُعَةِ فِي البَلَدِ الوَاحِد : ...

ثَامِنَاً : صَلاَةُ العِيْدِ فِي المَسَاجِد : ...

تَاسِعَاً : اسْتِعْمَالُ السُّبْحَة : ...

أمَّا عن زعم ابن باز بأنَّ الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع التي أحدثها النَّاس في القرن الرَّابع وما بعده ، وأنَّ أوَّل من أحدثه الطَّائفة المشهورة الذين يقال لهم الفاطميُّون ...

فمجرَّد كلام ، اعتدنا عليه من مثل ابن باز ، لأنَّ الأحاديث الشَّريفة ذكرت أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أوَّل من احتفل بمولده ، فقد روي أنَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئل عن صوم يوم الاثنين ، فقال : " ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ " . أخرجه مسلم (٢/ ٨١٩ برقم ١١٦٢) .

والحديث الشَّريف يُشير إلىٰ أنَّ صيامه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليوم الاثنين كان من أجل ولادته فيه ، وعليه فالصَّوم فيه هو من أجل شكر الله تعالىٰ علىٰ مننه ونعمائه التي من أعظمها ولادة خاتم أنبيائه ورسله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهل يصنعُ المحتفلون بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير ألوان عديدة من الشُّكر لله تعالىٰ علىٰ ما مَنَّ به من مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك اليوم العظيم ؟!!! مع العلم أنَّ الاحتفال بمولده قد يأخذ أشكالاً عديدة ، فقد يكون الاحتفال بالصَّوم شكراً لله تعالىٰ علىٰ نعمة الإسلام التي انبلج فجرها بولادة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ، وقد يكون بالاجتماع علىٰ محبَّته بذكر شمائله وخصائصه والاستماع إلىٰ سيرته ، وقد يكون بإطعام الطَّعام ، وكذا بأيِّ وسيلة فيها تحبيب النَّاس وترغيبهم بالإسلام والسَّير علىٰ هدي وسنن خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام ...

قال الإمام محمَّد بن علوي المالكي : " إنَّ أوَّل المحتفلين بالمولد هو صاحب المولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما جاء في الحديث الصَّحيح الذي رواه مسلم : لمَّا سئل عن صيام يوم الأثنين ، قال : " ذاك يوم وُلدتُّ فيه " ، فهذا أصحّ وأصرح نصٍّ في مشروعيَّة الاحتفـــال بالمولد النَّبوي الشَّريف . ولا يلتفت لقـــول من قال : أنَّ أوَّل من احتفل به الفاطميُّون ، لأنَّ هذا إمَّا جهل وإمَّا تعامي عن الحقِّ " . انظر : حول الاحتفال بذكرىٰ المولد النَّبوي الشَّريف (ص١٦) .

ثمَّ إن عشرات بل مئات من الكتب أُلِّفت في المولد النَّبوي الشَّريف ، كدليل علىٰ أنَّ الأُمة تستحبُّ وتُجيز الاحتفاء والاحتفال والفرح والسُّرور بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يُخالف في ذلك إلَّا من جعلوا السَّلف شمَّاعة علَّقوا عليها مصائبهم وطامَّاتهم ... ومن تلك المؤلَّفات :

١. الإبريز الدَّاني في مولد سيِّدنا محمَّد العدناني : الشَّيخ محمَّد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي (١٣١٥هـ) .

٢. إثبات المحسنات في تلاوة مولد سيِّد السَّادات : محمَّد فوزي بن عبد الله الرُّومي الشَّهير بمفتي أدرنة (١٣١٨هـ) .

٣. الاحتفال بالمولد النَّبوي : الدكتور محمَّد سعيد رمضان البوطي .

٤. الاحتفال بالمولد النَّبوي بين المؤيِّدين والمعارضين : عبد الله الحسيني المكِّي الهاشمي .

٥. ارتشاف الطَّرب في مولد سيِّد العجم والعرب : محمَّد بن أحمد بن علي ، ابن جابر الهواري (٧٨٠هـ) .

٦. إسعاف الرَّاغبين بمولد سيِّد المرسلين : عبد الصَّمد بن التّهامي بن المدني جلون نزيل طنجة (١٩٣٣م) .

٧. إسعاف ذوي الوفا بمولد النَّبي المصطفىٰ : محمَّد بن محمَّد ، الغربي الخلوتي (١١٩١هـ) .

٨. أشرف الأنام في مولد مصباح الظَّلام : عبد الوهَّاب بن علي بن عبد الكافي ، السُّبكي (٧٧١هـ) .

٩. اقتناص الشَّوارد من موارد الموارد في شرح مولد ابن حجر الهيتمي : محمَّد بن محمَّد المنصوري الشَّافعي الشَّهير بالخياط .

١٠. أكمل الدُّر المنظَّم في مولد النَّبي المعظَّم : أبو العبَّاس بن أحمد (٦٧٧هـ) .

١١. الأنوار ومفتاح السُّرور والأفكار في مولد النَّبي المختار : أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري

١٢. بشائر الأخبار في مولد المختار صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد ماضي أبو العزائم .

١٣. بغية العوام في شرح مولد سيِّد الأنام : الشَّيخ محمَّد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي (١٣١٥هـ)

١٤. بغية العوام في شرح مولد سيِّد الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام لابن الجوزي : محمَّد نوير بن عمر بن عربي بن علي النَّووي أبو عبد المعطي الجاوي الفقيه (١٣١٥هـ) .

١٥. بلوغ المأمول في الاحتفاء والاحتفال بمولد الرَّسُول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : عيسىٰ بن عبدالله بن مانع الحميري .

١٦. بلوغ القصد والمرام بقراءة مولد خير الأنام : محمَّد بن محمَّد الحجوجي (١٩٥٠م) .

١٧. بلوغ المرام لبيان ألفاظ مولد سيِّد الأنام ، وهو شرح علىٰ مولد الشَّيخ أحمد بن قاسم المالكي الشَّهير بالحريري : أبو الفوز أحمد المرزوقي المالكي ابن محمَّد رمضان الحسيني .

١٨. بهجه السَّامعين والنَّاظرين بمولد سيِّد الأولين والآخرين : نجم الدِّين محمَّد بن أحمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٩. البيان النَّبوي عن فضل الاحتفال بمولد النَّبي : الدكتور محمود أحمد الزِّين .

٢٠. البيان والتَّعريف في ذكرىٰ المولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد بن علوي المالكي الحسني .

٢١. تاريخ الاحتفال بالمولد النَّبوي : حسن السندوبي .

٢٢. تأليف به مولد خير الأنام : إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد ، الرِّياحي (١٢٦٦هـ) .

٢٣. تأنيس أرباب الصَّفا في مولد المصطفىٰ : السيِّد علي بن إبراهيم بن محمَّد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصَّنعاني الأديب الزَّيدي (١٢٣٦هـ) .

٢٤. التَّجلِّيات الحقيَّة في مولد خير البريَّة : محمَّد بن ناصر الدِّين الأداوي (١٢٤٠هـ) .

٢٥. تحرير الكلام في القيام عن ذكر مولد سيِّد الأنام : أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي شهاب الدِّين المكِّي الشَّافعي (٨٩٩هـ) .

٢٦. تحفة الأخبار في مولد المختار : الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) .

٢٧. تحفة البشر علىٰ مولد ابن حجر : الشَّيخ إبراهيم ابن محمَّد الباجوري الشَّافعي المصري (١٢٧٦هـ) .

٢٨. تحفة العاشقين وهديَّة المعشوقين في شرح تحفة المؤمنين في مولد النَّبي الأمين صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد راسم بن علىٰ رضا بن سليمان الحنفي المولوي (١٣١٦هـ) .

٢٩. تحفه الأسماع لمولد أحسن الخلق والطِّباع : محمود حمزه الحسيني (١٣٠٥هـ) .

٣٠. تحفه البشر علىٰ مولد ابن حجر : إبراهيم بن محمَّد بن احمد الباجوري (١٢٧٧هـ) .

٣١. تحفه ذوي العرفان في مولد سيِّد ولد عدنان : عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني النابلسي (١١٤٣هـ)

٣٢. تذكرة أهل الخير في المولد النَّبوي : محمَّد شاكر بن علي بن حسن ، السالمي العقَّاد (١٢٠٢هـ)

٣٣. ترويح الفؤاد بمولد خير العباد : عبدالسَّلام بن إبراهيم بن إبراهيم ، اللقَّاني (١٠٧٨هـ) .

٣٤. التَّعريف بالمولد الشَّريف : الحافظ شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد الجزري (٨٣٣هـ) .

٣٥. تقرير البيلي علىٰ المولد النَّبوي لابن حجر : أحمد بن موسىٰ بن أحمد ، البيلي (١٢١٣هـ) .

٣٦. تقريرات علىٰ بهجة السَّامعين (مختصر المولد النَّبوي للمدابغي) : عبد الرَّحمن بن محمَّد ، النّحراوي الأجهوري المقري (١٢١٠هـ) .

٣٧. تقييدات علىٰ مولد المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حاشيه الشنَّاوي علىٰ مختصر المولد النَّبوي للمدابغي) : علي بن عبدالقدوس ، الشنَّاوي .

٣٨. تكمله الدُّر المنظم في مولد النَّبي المعظم : محمَّد بن أحمد بن محمَّد العزفي (توفي بعد ٧٦٢هـ) .

٣٩. تنوير العقول في أحاديث مولد الرَّسُول : الشَّيخ العارف بالله محمَّد بن مصطفىٰ بن أحمد الحسيني البرزنجي الشَّافعي القادري الشَّهير بمعروف (١٢٥٤هـ) .

٤٠. التَّنوير في مولد السِّراج المنير ، أبو الخطَّاب عمر بن الحسن المعروف بابن دِحية الكلبي (٦٣٣هـ) .

٤١. جامع الآثار في مولد النَّبي المختار : ابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

٤٢ . الجامع المختار في مولد المختار : محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

٤٣ . الجمع الزَّاهر المنير في ذكر مولد البشير النَّذير : محمَّد بن نصوح الأسكداري الخلوتي من أحفاد الشَّيخ شعبان القسطموني (١١٣٠هـ) .

٤٤. الجواهر السَّنيَّة في مولد خير البريَّة ، أو حاشية الشّنواني علىٰ مولد المدابغي : محمَّد بن علي بن منصور ، الشّنواني (١٢٣٣هـ) .

٤٥. حاشية علىٰ مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن حجر والغيطي والهدهدي : محمَّد بن عبادة بن بري الصُّوفي المالكي المعروف بالعدوي (١١٩٣هـ) .

٤٦. حاشية علىٰ مولد النَّبي للمدابغي : عبد الرَّحمن بن محمَّد النّحراوي المصري الشَّهير بالمقري (١٢١٠هـ) .

٤٧. حاشيه أبي النَّصر علىٰ المولد النَّبوي للمدابغي : أبي النَّصر عبدالرَّحمن ، الشَّافعي .

٤٨. حاشيه السّجاعي علىٰ مختصر المولد النَّبوي للمدابغي من المولد النَّبوي للغيطي : أحمد بن أحمد بن محمَّد ، السّجاعي (١١٩٧هـ) .

٤٩. حاشيه الطَّرابلسي علىٰ المولد النَّبوي للمدابغي : مصطفىٰ بن قاسم بن عبدالله ، الطّرابلسي (ت بعد ١٢١٤هـ) .

٥٠. حاشيه حجازي العدوي علىٰ المولد النَّبوي لابن حجر : حجازي بن عبداللطيف العدوي (ت بعد ١٢١١هـ) .

٥١. حاشيه سويدان الدّمليجي علىٰ مولد ابن حجر : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدّمليجي (١٢٣٤هـ) .

٥٢. حاشيه علىٰ مولد البشير النَّذير للدَّردير ، إبراهيم بن محمَّد بن احمد الباجوري (١٢٧٧هـ) .

٥٣. حاشيه محمَّد الامير الصَّغير علىٰ مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للدَّردير، أو التُّحفه السَّنيَّة في الكلام علىٰ مولد خير البريَّة :ـ محمَّد بن محمَّد بن محمَّد، الأمير الصَّغير (ت بعد ١٢٥٣هـ).

٥٤. حاشيه محمَّد الخضري علىٰ مولد محمَّد البهائي، أو التُّرياق المسلسل في مولد النَّبي المرسل : محمَّد بن مصطفىٰ بن حسن، الخضري (١٢٨٧هـ).

٥٥. حاشيه محمَّد قش الغرقي علىٰ المولد النَّبوي لابن حجر : محمَّد بن يوسف بن إبراهيم، محمَّد قش الزَّكي (١٢٣٢هـ).

٥٦. الحجج الدَّامغة والبراهين السَّاطعة في جواز الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف : الشَّيخ حامد أحمد بابكر.

٥٧. حجَّة المنذرين علىٰ تنطُّع المنكرين : أحمد بن عبد الواحد بن المواز (١٩٢٢م)، ردَّ بها علىٰ من نهىٰ عن القيام لولادة الرَّسُول عليه السَّلام.

٥٨. حسن المقصد في عمل المولد : الحافظ جلال الدِّين السُّيوطي (٩١١هـ).

٥٩. حصول الفرج وحلول الفرح في مولد من أنزل عليه ألم نشرح : السيِّد محمود بن عبد المحسن الحسيني القادري الأشعري الشَّافعي مدني الأصل الدِّمشقي المعروف بابن الموقع (١٣٢١هـ).

٦٠. حول الاحتفال بالمولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد بن السيِّد علوي بن السيِّد عبَّاس المالكي الحسني (١٤٢٥هـ).

٦١. خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام : عبد الله بن الشَّيخ أبو بكر بن سالم.

٦٢. خلاصة الكلام في مولد المصطفىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام : رضوان العدل بيبرس.

٦٣. الخيرات الحسان، أو بستان الأزهار في مولد المختار : محمود بن عبَّاس بن سليمان، الشّهرزوري العبدلاني (١١٧٣هـ).

٦٤. الدُّر الثَّمين في مولد سيِّد الأوَّلين والآخرين : محمَّد بن حسن بن محمَّد، السّمنودي المنير (١١٩٩هـ).

٦٥. الدُّر المنظَّم شرح الكنز المطلسم في مولد النَّبي المعظَّم : أبو شاكر عبد الله شلبي.

٦٦. الدُّر المنظَّم في المولد النَّبوي : محمَّد بن عثمان اللؤلؤي (٨٦٧هـ).

٦٧. الدُّر المنظَّم في بيان حكم مولد النَّبي الأعظم : محمَّد عبد الحق بن شاه محمَّد بن يار (١٣٣٣هـ)

٦٨. الدُّر المنظَّم في مولد النَّبي الأعظم : أبو العبَّاس أحمد ابن معد بن عيسىٰ الاقليشىٰ الأندلسي (٥٥٠هـ)

٦٩. الدُّر النظيم في مولد النَّبي الكريم : الإمام سيف الدِّين أبىٰ جعفر عمر بن أَيُّوب بن عمر الحميرىٰ التركماني الدِّمشقي الحنفي المحدِّث المعروف بابن طغرو بك .

٧٠. الدُّرَّة السَّنيَّة في مولد خير البريَّة : خليل بن كيكلدي أبو سعيد الدِّمشقي الشَّافعي مدرِّس الصَّلاحيَّة بالقدس (٧٦١هـ) .

٧١. ربيع العشَّاق في ذكر مولد صاحب البراق : عبد الرَّحمن بن أحمد الزَّيلعي الصُّومالي .

٧٢. ربيع القلوب في مولد النَّبي المحبوب : العربي بن عبد الله التّهامي الوزاني الحسلي الرّباطي (١١٩٢٠هـ)

٧٣. ردٌّ علىٰ إنكار القيام عند ذكر المولد النَّبوي : محمَّد بن أحمد الزموري الرَّافعي (١٣٦٠هـ) .

٧٤. رسالة في المولد النَّبوي : أحمد المحضار (١٣٠٤هـ) .

٧٥. رسالة في المولد النَّبوي : محمَّد الجونفوري (١٠٨٣هـ) .

٧٦. رساله في استحسان المولد النَّبوي : أبو بكر بن أبي القاسم بن أحمد ، ابن الأهدل (١٠٣٥هـ) .

٧٧. رساله في السِّيرة ومولد النَّبي : محمَّد بن أحمد بن علي ، ابن جابر الهواري (٧٨٠هـ) .

٧٨. الرَّوائح الزَّكيَّة في مولد خير البريَّة : الشَّيخ عبدالله الحبشي الهرري .

٧٩. الزَّهر الفائق في مولد أشرف الخلائق : أحمد بن محمَّد بن علي ، السّحيمي القلعاوي (١١٧٧هـ)

٨٠. زين الفرح بميلاد النَّبي : محمد بن سليمان بن سعد ، الكافيجي (٨٧٩هـ) .

٨١. دُرر البحار في مولد المختار : أحمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الكريم ، ابن مكيَّة (٩٠٧هـ) .

٨٢. السَّانحات الأحمديَّة والنَّفثات الرّوعيَّة في مولد خير البريَّة : محمَّد بن عبد الكبير الكتَّاني .

٨٣. السّجع الرَّائق في مولد الحبيب الفائق : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، ابن زيد (٨٧٠هـ) .

٨٤. سرور الأبرار في مولد النَّبي المختار صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الفتاح بن عبد القادر بن صالح الدِّمشقي أبو الفتح الخطيب الشَّافعي (١٣٠٥هـ) .

٨٥. سمط جوهر في المولد النَّبوي : أحمد علي (١٣٠٠هـ) .

٨٦. الشَّاهد المنجي للمولد البرزنجي : نظم الشَّيخ عبدالله محمَّد صالح الخزرجي .

٨٧. شرح المولد النَّبوي : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدّمليجي (١٢٣٤هـ) .

٨٨. شرح على مولد النجم الغيطي : علي بن عبد القادر النبتيني ثمَّ المصري الحنفي (١٠٦١هـ) .

٨٩. شرح قصَّة المولد النَّبوي ، أو بلوغ المرام ببيان ألفاظ مولد سيِّد الأنام : أبو الفوز أحمد بن محمَّد بن رمضان الحسيني المرزوقي (ت بعد ١٢٨١هـ) .

٩٠. شرح مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو شرح المنشليلي على المولد النَّبوي للمدابغي : علي بن عبدالرزَّاق المنشليلي (ت بعد ١٢١٠هـ) .

٩١. شروق الأنوار في المولد المختار : عبدالفتاح بن محمَّد بن عبدالله الخطيب (١٢٩٣هـ) .

٩٢. ضوء الظَّلام في مدح الأنام ، أحمد العياشي (١٣٦٣هـ) .

٩٣. طل الغمامة في مولد سيِّد تهامة الغرناطي : أحمد بن علي بن سعيد الغرناطي الأندلسي الغرناطي المالكي (٦٧٣هـ) .

٩٤. العذب الشَّهي المورد في تعظيم شهر المولد : محمَّد الحسن بن أحمد الخديم .

٩٥. عرف التَّعريف بالمولد الشَّريف : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) .

٩٦. العطيَّة المحمديَّة في قصَّة خير البريَّة : أحمد بن أحمد النجاري الدّمياطي الحفناوي .

٩٧. عقد الجوهر في مولد صاحب الحوض والكوثر : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ)

٩٨. العلم الأحمدي في المولد المحمَّدي : شهاب الدِّين أحمد بن أحمد إسماعيل الحلواني الخليجي (١٣٠٨هـ) .

٩٩. عنوان إحراز المزيَّة في مولد النَّبي خير البريَّة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبو هاشم محمَّد شريف النّوري

١٠٠. عنوان الشَّريف بالمولد الشَّريف : علي بن ناصر بن محمَّد ، الحجازي (توفي بعد ٩١٥هـ) .

١٠١. فتح العليم الستار المنجي على قصه المولد للعلَّامة البرزنجي (١١٧٧هـ) : عبدالله بن علي بن يوسف ، الفارسي (ت بعد ١٢٦٢هـ) .

١٠٢. فتح اللطيف شرح نظم المولد الشَّريف ، وهو شرح على مولد البرزنجي : مصطفى بن محمَّد العفيفي الشَّافعي .

١٠٣. فتح الله حسبي وكفى في مولد المصطفى : العلَّامة إبراهيم بن علي بن إبرهيم الشَّافعي المقدسي (٨٨٧هـ) .

١٠٤. فتح الله في مولد خير خلق الله : فتح الله البناني المغربي الشَّاذلي .

١٠٥. الفخر العلوي في المولد النَّبوي : محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان الحافظ شمس الدِّين أبو الخير السَّخاوي المصري الشَّافعي (٩٠٢هـ) .

١٠٦. الفرائد السَّنيَّة في مولد خير البريَّة : مصطفىٰ بن محيي الدِّين بن مصطفىٰ نجا (١٣٥٠هـ) .

١٠٧. فرائد المواهب اللدنيَّة في مولد خير البريَّة : مصطفىٰ نجا اليشرطي الشَّاذلي .

١٠٨. في ذكرىٰ المولد النَّبوي الشَّريف " ولسوف يعطيك ربُّك فترضىٰ " : علي بن عبدالله الضمبري .

١٠٩. فيض الأنوار في ذكرىٰ مولد النَّبي المختار : حسن محمَّد عبد الله شدَّاد عمر باعمر .

١١٠. قصَّة المولد : محمَّد بن عبد الله بن عمر تلو (١٢٨٢هـ) .

١١١. قصَّة المولد النَّبوي : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ) .

١١٢. قصَّة المولد النَّبوي : عبد الرَّحمن بن عبد المنعم بن أحمد الجرجاوي الخيَّاط (١٢٠٠هـ) .

١١٣. قصَّة المولد النَّبوي : محمَّد يحيىٰ بن محمَّد المختار بن عبدالله الولاتي الشَّنقيطي (١٣٣٠هـ)

١١٤. قصَّة المولد النَّبوي الشَّريف : حسن فهمي أحمد (١٣٣٠هـ) .

١١٥. قصيده المولد النَّبوي : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، الدَّردير (١٢٠١هـ) .

١١٦. القول التَّمام عند ذكر ولادته عليه السَّلام : إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم ، الحلبي (٩٥٦هـ) .

١١٧. القول الجلي في الرَّد علىٰ منكر المولد النَّبوي : أبو هاشم السيِّد الشَّريف .

١١٨. القول المنجي علىٰ مولد البرزنجي : أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عُليش (١٢٩٩هـ)

١١٩. كتاب : مجموع لطيف أنسي في صيغ المولد النَّبوي القدسي (نثراً ونظماً) : مجموعة من العلماء .

١٢٠. كتاب : مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عمر بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن علي بن محمَّد بن أحمد باعلوي الحضرمي .

١٢١. الكلام السَّني المصفَّىٰ في مولد المصطفىٰ : عبد الله حلمي بن محمَّد بن يوسف ابن عبد المنان الرُّومي الحنفي المقري المحدِّث المعروف بيوسف زاده شيخ القرَّاء (١١٦٧هـ) .

١٢٢. كمال الفرح والسُّرور بمولد مظهر النُّور : أحمد بن العيَّاشي (١٣٦٣هـ) .

١٢٣. الكنوز الوهبيَّة علىٰ مولد خير البريَّة : إبراهيم بن سويلم بن موسىٰ الطلياوي .

١٢٤ . الكواكب الدُّريَّة في مولد خير البريَّة : أبو بكر بن محمَّد بن أبي بكر الحبيشي الأصل الحلبي المنشأ والوفاة تقي الدِّين الشَّافعي (٩٣٠هـ) .

١٢٥ . الكوكب الأنور على عقد الجوهر في مولد النَّبي الأزهر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين ابن محمَّد البرزنجي الحسيني مفتي الشَّافعية بالمدينة المنوَّرة (١٣١٧هـ) .

١٢٦ . الكوكب المنير في مولد البشير النَّذير : محمَّد أسعد بن محمَّد أرسلان بن حسن الجركسي (١٣١٥هـ)

١٢٧ . اللآلئ الزَّاهرات والفصوص الفائقات في ذكر مولد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ـ محمَّد بن محمَّد مجدوب ، الفقي (ت بعد ١٠١٢هـ) .

١٢٨ . اللآلي السَّنيَّة في مشروعيَّة مولد خير البريَّة : عثمان حِدك الصُّومالي .

١٢٩ . لسان الرُّتبة الأحديَّة في مولد الحضرة المحمديَّة : محمود بن مصطفى أبي الشَّامات (١٣٤١هـ)

١٣٠ . اللفظ الجميل في مولد النَّبي الجليل : محمَّد بن فخر الدِّين عثمان اللؤلؤي شمس الدِّين أبو القاسم الدِّمشقي الكتبي الحنبلي (٨٦٧هـ) .

١٣١ . اللفظ الرَّائق في مولد خير الخلائق : محمَّد بن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

١٣٢ . اللؤلؤ النَّظيم في مولد الرَّسُول الكريم :ـ جابر بن أحمد رزق .

مجموع مبارك في المولد الشَّريف : عبد الرَّحمن بن علي الرّبيعي .

١٣٣ . مختصر النَّجم الثَّاقب في مولد الحاشر العاقب : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ) .

١٣٤ . مختصر شرح مولد السيِّد الأهدل : إبراهيم خليل ، الزَّبيدي .

١٣٥ . مختصر مولد البرزنجي : مصطفى بن هاشم ، الأصيل (١٢٧٩هـ) .

١٣٦ . مَشرُوعِيَّةُ الاحْتِفَالِ بِمِيْلَادِ خَيْرِ البَرِيَّةِ والرَّدُ عَلَى الوَهَّابِيَّة ، الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي الحاتمي الأشعري .

١٣٧ . مطالع الأنوار في مولد النَّبي المختار صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن الدّمليجي الضَّرير المصري الشَّاذلي النَّحوي الشَّافعي المعروف بسويدان (١٢٣٤هـ) .

١٣٨ . مظهر الكمالات في مولد سيِّد الكائنات : سلامه الرَّاضي .

١٣٩ . مفاهيم يجب أن تصحَّح : محمَّد علوي المالكي الحسني .

١٤٠ . من مظاهر الاحتفاء بالنَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دراسة سيرته وصفته وشمائله : محيي الدِّين حسين يوسف الإسنوي .

١٤١ . مناسك الحجز المنتقىٰ من سير مولد النَّبي المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن مسعود بن محمَّد سعيد الدِّين الكازروني (٧٥٨هـ) .

١٤٢ . المنتخب المصفَّىٰ في أخبار مولد المصطفىٰ : محيي الدِّين عبد القادر بن شيخ ابن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروسي أبو بكر اليمني الحضرمي ثمَّ الهندي (١٠٣٨هـ) .

١٤٣ . المنظر البهي في مطلع مولد النَّبي – وما يتبعه من أعمال المولد وحكم القيام عن ذكر مولده – : الشَّيخ محمَّد الهجرسي .

١٤٤ . منظومة في مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إبراهيم بن السيِّد علي الطَّرابلسي الحنفي المعروف بالأحدب الطَّرابلسي ، نزيل بيروت (١٣٠٨هـ) .

١٤٥ . منظومة في مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مصطفىٰ بن إسماعيل شرحي الأزميري (١٢٢٨هـ)

.

١٤٦ . المنهج الأعدل بشرح مولد الأهدل ، إبراهيم بن أحمد بن الأمير العدناني .

١٤٧ . المنهل العذب القرير في مولد الهادي البشير النذير صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : علي بن سليمان بن أحمد بن محمَّد المرداوي علاء الدِّين أبو الحسن المقدسي شيخ الحنابلة بدمشق (٨٨٥هـ) .

١٤٨ . المنىٰ والسُّؤل في مولد الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عمر بن عربي نووي الجاوي (١٣١٦هـ) .

١٤٩ . الموارد الهنيَّة في مولد خير البريَّة : السّمهودي الحسني .

١٥٠ . المورد الأهنىٰ في المولد الأسنىٰ : عائشة بنت يوسف بن أحمد ، الباعونيَّة (٩٢٢هـ) .

١٥١ . المورد الرَّوي في المولد النَّبوي : علي بن سلطان قارئ الحنفي (١٠١٤هـ) .

١٥٢ . المورد الروي في المولد النَّبوي : الخطيب الشَّربيني (١٠١٤هـ) .

١٥٣ . المورد الصَّادي في مولد الهادي : محمَّد ن أبي بكر عبد الله بن محمَّد الحافظ شمس الدِّين القيس الشَّافعي الشَّهير بابن ناصر الدِّين الدِّمشقي (٨٤٢هـ) .

١٥٤ . مورد الصَّفا في مولد المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم: محمَّد علي بن محمَّد علان بن إبراهيم بن محمَّد بن علَّان بن عبد الملك بن علي بن مباركشاه البكري الصدِّيقي المكِّي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) .

١٥٥ . مورد الظمآن لشرح مولد سيِّد ولد عدنان ، ابن قدور المغربي محمَّد اليزمي الإسكندري المكنىٰ الأبيض . وهو شرح علىٰ مديح شيخه أحمد الدَّردير .

١٥٦ . المورد العذب المعين في مولد سيِّد الخلق أجمعين : محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد ابن أبي بكر العطَّار الجزائري (٧٠٧هـ) .

١٥٧ . المورد الهني في المولد السَّني : الإمام الكبير أبو الفضل الحافظ عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن الشَّهير بالحافظ العراقي (٨٠٦هـ) .

١٥٨ . مورد هني لمولد سني : عبدالهادي بن رضوان بن محمَّد الأبياري (١٣٠٥هـ) .

١٥٩ . مولد إنسان الكمال : السيِّد محمَّد بن السيِّد المختار الشَّنجيطي .

١٦٠ . مولد البشير النَّذير السِّراج المنير : أبو الوفاء الحسني .

١٦١ . المولد : محمَّد أبي الوفا الصيَّادي ، الحلبي.

١٦٢ . مولد الشرفان في مدح سيِّد ولد عدنان : أويس أحمد بن محمَّد البراوي القادري الصُّومالي .

١٦٣ . المولد الشَّريف : محمَّد سعيد بن محمَّد بن أحمد ، السمَّان (١١٧٢هـ) .

١٦٤ . المولد العثماني المسمَّىٰ الأسرار الربَّانيَّة : محمَّد عثمان الميرغني .

١٦٥ . المولد الفريد في الحرف السَّعيد : محمَّد بن علي ، الأنصاري .

١٦٦ . مولد المصطفىٰ العدناني : عطيَّة بن إبراهيم الشَّيباني .

١٦٧ . المولد النَّبوي الشَّريف : أحمد بن محمَّد فتحا العلمي الفاسي المراكشي .

١٦٨ . المولد النَّبوي : محمَّد المغربي (١٢٤٠هـ) .

١٦٩ . المولد النَّبوي : محمَّد بن جعفر الكتَّاني (١٣٤٥هـ) .

١٧٠ . المولد النَّبوي : أبو محمَّد عبد الرَّحمن بن علي الديبع الشَّيباني وجيه الدِّين الشَّافعي (٩٤٤هـ)

١٧١ . المولد النَّبوي : بقي بن مخلد بن يزيد ، الأندلسي (٢٧٦هـ) ، (مخطوط في المكتبة المحموديَّة)

١٧٢ . المولد النَّبوي : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك ، القشيري (٤٦٥هـ) .

١٧٣ . المولد النَّبوي : محمَّد الجندي (١٢٦٤هـ) .

١٧٤ . المولد النَّبوي : محمَّد العايدي .

١٧٥. المولد النَّبوي : محمَّد بن علي بن محمَّد ، ابن عربي (٦٣٨هـ) .

١٧٦. المولد النَّبوي : نجم الدِّين محمَّد بن أحمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٧٧. المولد النَّبوي ، الحافظ عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التَّفسير ، وقد طبع بتحقيق صلاح الدِّين المنجد .

١٧٨. المولد النَّبوي ، أو المولد الأكبر في أصل وجود خير البشر، مختصر المولد النَّبوي ، أحمد بن محمَّد بن علي ، ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) .

١٧٩. المولد النَّبوي الشَّريف الشَّيخ محمَّد نجا مفتي بيروت سابقاً .

١٨٠. المولد النَّبوي الشَّريف : محمَّد سعيد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الباني الدِّمشقي (١٣٥١هـ) .

١٨١. المولد النَّبوي بين المانعين و المجيزين : عبد الله الحسني المكِّي الهاشمي .

١٨٢. المولد النَّبوي بين كونه عبادة أو شعيرة إسلاميَّة : الدكتور أحمد محمَّد نور سيف .

١٨٣. مولد النَّبي : إبراهيم بن محمَّد بن محمَّد ، الرَّشيدي الجارم (ت بعد ١٢٧١هـ) .

١٨٤. مولد النَّبي : أحمد بن محمَّد بن أحمد ، الدردير (١٢٠١هـ) .

١٨٥. مولد النَّبي : حمد الله بن خير الدِّين ، الرومي (٩٦٣هـ) .

١٨٦. مولد النَّبي : علاء الدِّين بن مشرف ، المارديني .

١٨٧. مولد النَّبي :ـ محمَّد بن أحمد بن علي ، الأندلسي (١٠٠٤هـ) .

١٨٨. مولد النَّبي : محمَّد بن علي بن عبدالواحد ، ابن الزَّملكاني (٧٢٧هـ) .

١٨٩. مولد النَّبي : محمَّد بن عمر بن واقد الواقدي (٢٠٧هـ) .

١٩٠. مولد النَّبي : محمَّد بن قاسم بن محمَّد القادري الهاشمي (١٣٣١هـ) .

١٩١. مولد النَّبي : نورالدين علي ، الميقاتي (١١٩٢هـ) .

١٩٢. مولد النَّبي ، أو إظهار السُّرور بمولد النَّبي المسرور : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، البديري (١١٤٠هـ)

١٩٣. مولد النَّبي ، أو المنهل العذب الهني في مولد النَّبي القرشي المدني : محمَّد بن عبدالكريم، السمَّان الخلوتي (١١٨٩هـ) .

١٩٤. مولد النَّبي الأمين : نجم الدِّين محمَّد بن احمد بن علي الغيطي (٩٨١هـ) .

١٩٥ . مولد النَّبي الكريـــم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبدالكريم بن أحمد بن علوان الشَّراباتي (١١٧٨هـ)
.

١٩٦ . مولد النَّبي المسمَّىٰ بالأسرار الربَّانيَّة والشَّهير بالمولد العثماني : السيِّد محمَّد عثمان الميرغني (الختم) بن السيِّد محمَّد أبىٰ بكر بن السيِّد عبد الله الملقَّب بالمحجوب (١٢٦٨هـ) .

١٩٧ . مولد النَّبي أو المولد الجليل حسن الشَّكل الجميل : عبد الله بن محمَّد المناوي الأحمدي الشَّاذلي .

١٩٨ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أبو المحاسن السيِّد محمَّد بن خليل بن إبراهيم بن محمَّد بن علي بن محمَّد الطَّرابلسي (١٣٠٥هـ) .

١٩٩ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن عثمان الدِّيار بكري الآمدي الحنفي الشَّاعر (١١٧٤هـ)

٢٠٠ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن قاسم النجَّاري ، الحريري .

٢٠١ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أحمد بن محمَّد بن عارف شمس الدِّين أبو الثَّناء الزّيلي الرُّومي السِّيواسي الحنفي الصُّوفي (١٠٠٦هـ) .

٢٠٢ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد بن حسين المدني الشَّريف العلوي الحنفي الشَّهير بالجفري (١١٨٦هـ) .

٢٠٣ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السيِّد محمَّد بن خليل الطَّرابلسي المعروف بالقاوقجىٰ .

٢٠٤ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الشَّيخ عبد الكريم الأدرنة وي الخلوتي (٩٦٥هـ) .

٢٠٥ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جادالله بن عبدالله الغوراوي التكروري .

٢٠٦ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حسن بن علي بن أحمد ، المدابغي (١١٧٠هـ) .

٢٠٧ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سليمان بن عبد الرَّحمن بن صالح الرُّومي (١١٥١هـ) .

٢٠٨ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سليمان بن عوض باشا بن محمود البروسوي الحنفي ، كان إماماً في دائرة السُّلطان بايزيد العثماني (توفي في حدود سنة ٧٨٠هـ) .

٢٠٩ . مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد القادر نجيب الدِّين ابن الشَّيخ عز الدِّين أحمد المعروف بأشرف زاده البرسوي الحنفي المتخلص بسري شيخ زاوية القادريَّة بأزنيق (١٢٠٢هـ) .

٢١٠. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عبد الله بن محمَّد الكاشغري النَّقشبندي الزَّاهدي نزيل قسطنطينية (١١٧٤هـ) .

٢١١. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد الحازروتي .

٢١٢. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر عبد الله بن مالك بن عباد التعزي نسباً والزندي بلداً أبو عبد الله المالكي الصُّوفي الشَّهير بابن عبَّاد (٧٩٢هـ) .

٢١٣. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن أحمد ، الخطيب الشَّربيني (٩٧٧هـ) .

٢١٤. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن أحمد بن سعيد بن مسعود جمال الدِّين أبو عبد الله المكي الشَّهير بابن عقيلة الملقَّب بالظَّاهر (١١٥٠هـ) .

٢١٥. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن السيِّد محمَّد بن عبد الله الحسيني التَّبريزي عفيف الدِّين الشَّافعي نزيل المدينة المنوَّرة (٨٥٥هـ) .

٢١٦. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عبد القادر بن محمَّد صالح الخطيب أبو الفرج الدِّمشقي الشَّافعي المنعوت بهبة الله (١٣١١هـ) .

٢١٧. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن محمَّد ، الأزهري .

٢١٨. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ملا عرب الواعظ (٩٣٨هـ) .

٢١٩. مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المعروف بمولد البرزنجي : زين العابدين جعفر بن حسن بن عبد الكريم الشَّهير بالمظلوم ابن السيِّد محمَّد المدني بن عبد الرَّسُول البرزنجي الشَّافعي .

٢٢٠. مولد النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام : سليمان جلبي (٨٢٥هـ) .

٢٢١. مولد الهادي الرَّسُول :أحمد الخضر الحلبي .

٢٢٢. مولد سيِّد الأوَّلين والآخرين : محمَّد بن محمَّد بن عمر بن مبارك الحضرمي بحرق (٩٣٠هـ) .

٢٢٣. مولد محمَّد نبي العرب وشمائله : مصطفىٰ بن عثمان (ت نحو ١١١٤هـ) .

٢٢٤. مولد هني ومجلس سني : محمَّد البوريني (ت بعد ١٣٢٦هـ) .

٢٢٥.النَّظم البديع في مولد الشَّفيع : يوسف بن إسماعيل النَّبهاني .

٢٢٦. نظم الدُّرر في مدح سيِّد البشر صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد ابن أبي بكر العطار الجزائري (٧٠٧هـ) .

٢٢٧. نظم المولد البرزنجي: زين العابدين بن محمَّد الهادي البرزنجي .

٢٢٨. نظم المولد الشَّريف : حسين بن غنيم السمَّان الأزهري .

٢٢٩. نظم المولد النَّبوي ، محمَّد بن الفقيه (٨٤٢هـ) .

٢٣٠. نظم مولد الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي (١١٧٧هـ)

٢٣١. نظم مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسيِّد جعفر البرزنجي : السيِّد علي بن حسن البرزنجي المدني الشَّافعي (توفي في أواخر القرن الثَّاني عشر) .

٢٣٢. النِّعمة الكبرىٰ في مولد سيِّد الأنام : ابن حجر الهيتمي .

٢٣٣. النَّفح المعنوي في المولد النَّبوي : محمَّد التافلاتي (١١٩١هـ) .

٢٣٤. النَّفحات العنبريَّة في مولد سيِّد البريَّة :ـ محمَّد علي بن محمَّد علَّان بن ابراهيم البكري الصدِّيقي (١٠٥٧هـ) .

٢٣٥. النَّفحة العنبريَّة في مولد خير البريَّة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : محمَّد بن يعقوب بن محمَّد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز آبادي مجد الدِّين أبو طاهر الشِّيرازي (٨١٧هـ) .

٢٣٦. نور الأبصار في بيان مولد النَّبي المختار : عبد الله بن علي بن عبد الرَّحمن سويدان الدّمليجي (١٢٣٤هـ) .

٢٣٧. الهدي التَّام في موارد المولد النَّبوي وما اعتيد فيه من القيام : محمَّد علي بن حسين بن ابراهيم المالكي (١٣٦٧هـ) .

٢٣٨. الورد المنحول في مولد الرَّسُول : مصطفىٰ بن كمال الدِّين بن علي ، البكري (١١٦٢هـ) .

٢٣٩. اليمن والإسعاد بمولد خير العباد : جعفر بن إدريس الحسني ، الكتَّاني (١٣٢٣هـ) ...

فهل هؤلاء وغيرهم كثير ... مبتدعة يا أتباع قرن الشَّيطان ؟!!! هل الحافظ ابن حجر والنَّووي والهيتمي وغيرهم من جهابيذ العلم وأساطينه مبتدعة ؟ ... ولا غرو ، فقد سبق لهم أن أخرجوا الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره من أساطين وجهابيذ العلم من أهل السُّنَّة والجماعة ...

قال إمامهم محمَّد بن صالح العثيمين – وهو من أبرز دعاة الوهَّابيَّة – عندما قيل له : " سؤال : النَّووي وابن حجر ، نجعلهما من غير أهل السُّنَّة والجماعة ؟

قال العثيمين : فيما يذهبان إليه في الأسماء والصِّفات ، ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ...

سؤال : بالإطلاق ليسوا من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ قال العثيمين : لا نُطلق " ، انتهىٰ بحروفه . انظر كتاب " لقاء الباب المفتوح " (ص/ ٤٢) .

وينصُّ سفر الحوالي على أنَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني كان متذبذباً في عقيدته ، فيقول : " ، ولو قيل : أنَّ الحافظ – رحمه الله – كان متذبذباً في عقيدته لكان ذلك أقرب إلى الصَّواب ، كما يدلُّ عليه شرحه لكتاب التَّوحيد . انظر: منهج الاشاعرة في العقيدة (ص٢٨) .

تنبيه : قامت الأيدي العابثة بشطب هذه الفقرة من نسخة " منهج الأشاعرة في العقيدة " الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... (الإصدار السَّادس) ، وهذه خيانة علمية مكشوفة ، وبالتَّالي نحكم بسقوط الأمانة العلميَّة عمَّن يُشرفون على المكتبة الشَّاملة ، فليتنبَّه ...

وقال عالمهم : عبد المحسن البدر : " ومن العلماء الذين مَضوا وعندهم خللٌ في مسائل من العقيدة ، ولا يستغني العلماء وطلبة العلم عن علمهم ، بل إنَّ مؤلَّفاتهم من المراجع المهمَّة للمشتغلين في العلم ، الأئمَّة : البيهقي والنَّووي وابن حجر العسقلاني . انظر : رفقاً أهل السنة بأهل السنة (ص٣٢-٣٣) .

واتَّهمت اللجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء !!! الإمام النَّووي بأنَّ عنده أغلاط في العقيدة ، فلا يُقتدى به ... فقد جاء في فتاويها :

س١٢ : بالنِّسبة للإمام النَّووي بعض الإخوة يقول : إنَّه أشعري في الأسماء والصِّفات فهل يصحُّ هذا ؟!! وما الدَّليل ؟!! وهل يصحُّ التَّكلُّم في حقِّ العلماء بهذه الصُّورة ؟!! ومنهم من قال : إنَّ له كتاباً يُسمَّى : " بستان العارفين " ، وهو صوفيٌّ فيه ، فهل يصحُّ هذا الكلام ؟

ج١٢ : له أغلاط !!! في الصِّفات سلك فيها مسلك المؤولين وأخطأ في ذلك فلا يقتدى به في ذلك ، بل الواجب التَّمسُّك بقول أهل السُّنَّة : وهو إثبات الأسماء والصِّفات الواردة في الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة المطهَّرة ، والإيمان بذلك على الوجه اللائق بالله جل وعلا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ عملاً بقوله سبحانه : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى:١١] ، وما جاء في معناها من الآيات ، وبالله التَّوفيق ، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد ، وآله وصحبه وسلَّم . انظر : فتاوى اللجنة الدائمة – المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، (٣/ ٢٢١-٢٢٢) .

وفي حديثه عن الإمامين : النَّووي ، وابن حجر االعسقلاني ، قال ابن عثيمين مجيباً على سؤال : " السَّائل : – كمثال – نجعل النَّووي وابن حجر من غير أهل السُّنَّة والجماعة ؟ الشَّيخ : فيما يذهبان إليه في الأسماء والصِّفات ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة .

السَّائل : بالإطلاق ليسا من أهل السُّنَّة والجماعة ؟ الشَّيخ : لا نطلق ، ولهذا أنا قلت لك : إنَّ من خالف السَّلف في صفات الله لا يعطى الاسم المطلق بأنه من أهل السُّنَّة والجماعة ، بل يقيد يقال : هو

من أهل السُّنَّة والجماعـــة في طريقته الفقهيَّة مثلاً ، أما في طريقته البدعيَّة فليس من أهل السُّنَّة والجماعة . انظر : : لقاء الباب المفتوح (٨/ ٢٩) .

وصنَّف المدعو : عبد الله سعدي الغامدي العبدلي كتاباً سمَّاه : " الأخطاء الأساسيَّة في العقيدة وتوحيد الألوهيَّة من فتح الباري بشرح صحيح البخاري " ، تأليف : أحمد بن حجر العسقلاني ، فيا للعجب ....

وهذا عالمهم : سفر حوالي لا يعتبر الأشاعرة من أهل السنَّة . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة ، (ص٢٢) .

وهذا الشَّيخ ابن عثيمين يُخرج الأشاعرة والماتريديَّة من عموم الأمَّة ، مع العلم أنَّهم يمثِّلون السَّواد الأعظم من علماء الأمَّة ، فقد قال في شرحه للواسطيَّة : " علم من كلام المؤلِّف – رحمه الله – أنَّه لا يُدخل فيهم من خالفهم في طريقتهم ، فالأشاعرة – مثلاً – والماتريديَّة ، لا يعدون من أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ، لأنَّهم مخالفون لما كان عليه النَّبي ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ حقيقتها ، ولهذا يخطئ من يقول : أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ثلاثة : سلفيُّون ، وأشعريُّون ، وماتريدون ، فهذا خطأ ، نقول : كيف يمكن الجميع أهل السُّنَّة وهم مختلفون ؟! فماذا بعد الحق إلَّا الضَّلال؟! وكيف يكونون أهل السُّنَّة وكلُّ واحد يردُّ علىٰ الأخر ؟! هذا لا يمكن ، إلا إذا أمكن الجمع بين الضدَّين !!! فنعم !!!وإلَّا فلا شكَّ أنَّ أحدهم وحده هو صاحب السُّنَّة ، فمن هو؟ الأشعريَّة أم الماتريديَّة أم السَّلفيَّة ؟ نقول : من وافق السُّنَّة ، فهو صاحب السُّنَّة ومن خالفها فهو ليس بصاحبها ، فنحن نقول : السَّلف هم أهل السُّنَّة والجماعة ، ولا يصدق الوصف علىٰ غيرهم أبداً !!! والكلمات تعتبر معانيها لننظر كيف نسمِّي من خالف السُّنَّة أهل السُّنَّة ؟ لا يمكن ، وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة : أنَّهم مجتمعون ؟ فأين الاجتماع ؟ فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقداً حتَّىٰ المتأخِّر إلىٰ يوم القيامة إذا كان علىٰ طريقة النَّبي ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه فإنَّه سلفي " . انظر : هامش شرح الواسطية ، الهراس (ص٦٥ – ٦٦) .

وكفَّر أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب ، الأشاعرة ، وأنَّهم لا يعرفون معنىٰ الشَّهادتين. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، (١/ ٣٦٤) ، (١/ ٣٢٤) ، (١/ ٣٢٠) ، (١/ ٣١٢) .

وقال المدعو : عمر بن محمود أبو عمر : " ... ولأهميَّة هذه الرُّدود علىٰ المذاهب الدَّخيلة التي تزيَّت بزيِّ الإسلام وعقيدته ، فإنَّنا نقتصر علىٰ الإجابة بالأدلَّة النَّقليَّة النَّصيَّة ، وبأقوال أهل العلم الموثَّقين المقبولين بإجماع أهل الأمَّة " . انظر : الرد الأثري علىٰ البيجوري ، عمر بن محمود ، (ص١٢) .

ويختم ابن عثيمين كتابه : " القواعد المثلىٰ " بالحكم علىٰ مذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أهل الحقِّ بالبُطلان ، فيقول :

الخَاتمة :

إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التَّأويل في باب الصِّفات ، ومن المعلوم أنَّ الأشاعرة من أهل التَّأويل لأكثر الصِّفات ، فكيف يكون مذهبهم باطلاً ، وقد قيل إنَّهم يمثِّلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟.

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري ؟ .

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنَّصيحة لله ولكتابه ولرسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم ؟ .

قلنا : الجواب عن السُّؤال الأوَّل : أنَّنا لا نسلِّم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدْر بالنِّسبة لسائر فرق المسلمين ، فإنَّ هذه دعوىٰ تحتاج إلىٰ إثبات عن طريق الإحصاء الدَّقيق .

ثمَّ لو سلمنا **!!!** أنَّهم بهذا القدْر أو أكثر فإنَّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ **!!!** لأنَّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر **!!!**

ثمَّ نقول : إنَّ إجماع المسلمين قديماً ثابت علىٰ خلاف ما كان عليه أهل التَّأويل ، فإنَّ السَّلف الصَّالح من صدر هذه الأمَّة ، وهم الصَّحابة الذين هم خير القرون والتَّابعون لهم بإحسان وأئمَّة الهدىٰ من بعدهم ، كانوا مجمعين علىٰ إثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصِّفات ، وإجراء النُّصوص علىٰ ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

وهم خير القرون بنص الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وإجماعهم حجَّة ملزمة ، لأنَّه مقتضىٰ الكتاب والسنَّة ، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرَّابعة من قواعد نصوص الصِّفات .

والجواب عن السُّؤال الثَّاني : أنَّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمَّة المسلمين لا يدَّعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدِّين إلَّا حين عرفوا قدر أنفسهم ، ونزَّلوها منزلتها ، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسُّنَّة ما استحقُّوا به أن يكونوا أئمَّة ، قال الله تعالىٰ : **﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾** [السجدة : ٢٤] ، وقال عن إبراهيم : **﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً﴾** [النحل : ١٢٠] .

ثمَّ إنَّ هؤلاء المتأخِّرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه ، وذلك أنَّ أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة :

المرحلة الأولىٰ : مرحلة الاعتزال .

اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً ، يقرِّره ، ويناظر عليه ، ثمَّ رجع عنه ، وصرَّح بتضليل المعتزلة ، وبالغ في الرَّد عليه .

المرحلة الثَّانية : مرحلة بين الاعتزال المحض والسُّنَّة المحضة .

سلك فيها طريق أبي محمَّد عبد الله بن سعيد بن كلَّاب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٧١) من المجلد السَّادس عشر من " مجموع الفتاوىٰ " لابن قاسم : " والأشعري وأمثاله برزخ بين السَّلف والجهميَّة ، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً ، ومن هؤلاء أصولاً عقليَّة ظنُّوها صحيحة ، وهي فاسدة " .

انظر : القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ ، محمَّد بن صالح بن محمَّد العثيمين (ص٧٩-٨١) .

وفي حديثه عن أقسام التَّوحيد !!! اتَّهم المدعو : صالح الفوزان الأشاعرة بأنَّهم يجحدون توحيد الأسماء والصِّفات ، فقال :

والقسم الثَّاني : - وهو توحيد الألوهيَّة - جحده أكثر الخلق ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بالدَّعوة إليه ، وقد جحده المشركون قديما وحديثاً ، وجحودهم له يتمثل بعبادة الأشجار ، والأحجار ، والأصنام ، والقبور ، والأضرحة ، وعبادة مشايخ الصُّوفيَّة باعتقاد النَّفع والخير فيهم من دون الله - عزَّ وجلَّ - ممَّن ينتسبون إلىٰ الإسلام زوراً وبهتاناً .

والقسم الثَّالث : وهو توحيد الأسماء والصِّفات ، ويعني إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من صفات الكمال ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النَّقص ، علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ : ١١] .

وهذا القسم قد جحده الجهميَّة وتلاميذهم من المعتزلة والأشاعرة ، وهو في الحقيقة داخل في توحيد الرُّبوبيَّة ، لكن لما كثر منكروه وروَّجوا الشُّبه حوله ؛ أفرد البحث ، وجعل قسما مستقلاً ، وألفت فيه المؤلَّفات الكثيرة ؛ فألَّف الإمام أحمد ردَّه المشهور علىٰ الجهميَّة ، وألف ابنه عبد الله كتاب (السُّنَّة) ، وألَّف عبد العزيز الكناني كتاب (الحيدة) في الرَّدِّ علىٰ بشر المريسي ، وألَّف أبو عبد الله المروزي كتاب (السُّنَّة) ، وألَّف عثمان بن سعيد كتاب (الرَّد علىٰ بشر المريسي) ، وألَّف إمام الأئمَّة محمَّد بن خزيمة

كتاب (التَّوحيد) ، وألف غير هؤلاء كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم الرُّدود علىٰ هؤلاء ومن جاء بعدهم وسار علىٰ نهجهم ؛ فلله الحمد والمنَّة علىٰ بيان الحقّ ودحض الباطل " . انظر : الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد والرد علىٰ أهل الشِّرك والإلحاد (ص١٤٢) .

وجاء في " الدُّرر السَّنيَّة " :

" وهذه الطَّائفة التي تنتسب إلىٰ أبي الحسن الأشعري وصفوا ربَّ العالمين بصفات المعدوم والجماد ؛ فلقد أعظموا الفرية علىٰ الله ، وخالفوا أهل الحقّ من السَّلف والأئمة وأتباعهم ؛ وخالفوا من ينتسبون إليه ، فإنَّ أبا الحسن الأشعري ، صرَّح في كتابه الإبانة ، والمقالات ، بإثبات الصِّفات ؛ فهذه الطَّائفة المنحرفة عن الحقِّ !!! قد تجرَّدت شياطينهم لصدِّ النَّاس عن سبيل الله ، فجحدوا توحيد الله في الإلهيَّة ، وأجازوا الشِّرك !!! الذي لا يغفره الله ، فجوَّزوا أن يعبد غيره من دونه ، وجحدوا توحيد صفاته بالتَّعطيل .

فالأئمَّة من أهل السُّنَّة وأتباعهم لهم المصنَّفات المعروفة في الرَّدِّ علىٰ هذه الطَّائفة الكافرة !!! المعاندة ، كشفوا فيها كلَّ شبهة لهم ، وبيَّنوا فيها الحق الذي دلَّ عليه كتاب الله وسُنَّة رسوله ، وما عليه سلف الأمَّة وأئمَّتها من كلِّ إمام رواية ودراية " . انظر : الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢١٠-٢١١) .

وجاء في مجموع رسائل ابن عثيمين :

" سئل فضيلة الشَّيخ : عما يتعلمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلاميَّة من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو " الإيمان بأسماء الله – تعالىٰ – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل " . وهل تقسيم أهل السُّنَّة إلىٰ قسمين : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، ومدرسة الأشاعرة والماتريديَّة تقسيم صحيح ؟ وما موقف المسلم من العلماء المؤولين ؟

فأجاب بقوله : لا شكَّ أنَّ ما يتعلَّمه الطَّلبة في المدارس من أنَّ مذهب أهل السُّنَّة هو : (الإيمان بأسماء الله – تعالىٰ – ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل) ، هو المطابق للواقع بالنِّسبة لمذهب أهل السُّنَّة ، كما تشهد بذلك كتبهم المطوَّلة والمختصرة ، وهو الحقّ الموافق لما جاء في الكتاب والسُّنَّة ، وأقوال السَّلف ، وهو مقتضىٰ النَّظر الصَّحيح ، والعقل الصَّريح ، ولسنا بصدد سرد أفراد الأدلَّة في ذلك ، لعدم طلبه في السُّؤال ، وإنَّما نجيب علىٰ ما طلب وهو تقسيم أهل السُّنَّة إلىٰ طائفتين في مدرستين :

إحداهما : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، المانعين لصرف النُّصوص عن ظواهرها .

الثَّانية : مدرسة الأشاعرة والماتريديَّة ، الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته .

فنقول : من المعلوم أنَّ بين هاتين المدرستين اختلافاً بينا في المنهاج فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، فالمدرسة الأولى يقرِّر معلموها وجوب إبقاء النُّصوص على ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته ، مع نفي ما يجب نفيه عن الله – تعالى –، من التَّمثيل أو التَّكييف ، والمدرسة الثَّانية يقرِّر معلِّموها وجوب صرف النُّصوص عن ظواهرها فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته .

وهذان المنهاجان متغايران تماماً ، ويظهر تغايرهما بالمثال التَّالي :

قال الله تعالى : **﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾** [المائدة : ٦٤] . وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أبى أن يسجد لآدم بأمر الله : **﴿يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** [ص : ٧٥] . فقد اختلف معلمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالى لنفسه .

فقال أهل المدرسة الأولى : يجب إبقاء معناهما على ظاهره ، وإثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، على وجه يليق به .

وقال أهل المدرسة الثَّانية : يجب صرف معناهما عن ظاهره ، ويحرم إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، ثمَّ اختلفوا في المراد بهما هل هو القوَّة ، أو النِّعمة .

وبهذا المثال يتبيَّن أنَّ منهاجي أهل المدرستين مختلفان متغايران ، ولا يمكن بعد هذا التَّغاير أن يجتمعا في وصف واحد ، هو " أهل السُّنَّة " . إذن فلا بدَّ أن يختص وصف أهل السُّنَّة بأحدهما دون الآخر ، فلنحكم بينهما بالعدل ، ولنعرضهما على ميزان القسط وهو كتاب الله تعالى ، وسُنَّة رسوله ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكلام الصَّحابة ، والتَّابعين لهم بإحسان من سلف الأمة وأئمَّتها . وليس في هذا الميزان ما يدل بأي وجه من وجوه الدلالة ، المطابقة ، أو التضمن ، أو الالتزام صريحاً أو إشارة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الثَّانية ، بل في هذا الميزان ما يدلُّ دلالة صريحة ، أو ظاهرة ، أو إشارية على ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولى ، وعلى هذا فيتعيَّن أن يكون وصف أهل السُّنَّة خاصَّاً بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثَّانية ؛ لأنَّ الحكم بمشاركتهم إيَّاهم جور ، وجمع بين الضدَّين ، والجور ممتنع شرعاً ، والجمع بين الضدَّين ممتنع عقلاً " . انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (١/ ١١٥-١١٧) .

وجاء في مجموع فتاوى ابن باز :

" مذهب الأشاعرة هل هو حقٌّ أم ضلال ؟

ذكر أنَّ الخلافات في العقيدة ضيِّقة وقال : (الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا إلىٰ فتاوىٰ ابن تيمية واقرءوا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري حتىٰ نفهم أنَّ هؤلاء جهلة).

والجواب أن يقال : لا شكَّ أنَّه ضلَّ بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة ، كالمعتزلة ، والجهميَّة ، والرَّافضة ، والقدريَّة وغيرهم ، وأيضاً الأشاعرة ضلُّوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسُّنَّة وما عليه خيار هذه الأمَّة من أئمَّة الهدىٰ من الصَّحابة رضي الله عنهم والتَّابعين لهم بإحسان والأئمَّة المهتدين فيما تأوَّلوه من أسماء الله وصفاته علىٰ غير تأويله ، وأبو الحسن الأشعري – رحمه الله – ليس من الأشاعرة . وإن انتسبوا إليه لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السُّنَّة ، فمدح الأئمَّة له ليس مدحاً لمذهب الأشاعرة .

ولا يصحُّ أن يرمىٰ من اعترض علىٰ الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السُّنَّة بالجهل ، لأنَّ حقيقة الجهل هو القول علىٰ الله بغير علم ، أمَّا من أخذ بالكتاب والسُّنَّة وقواعد الشَّرع المعتبرة وسار علىٰ طريق سلف الأمَّة وأنكر علىٰ من تأوَّل أسماء الله وصفاته أو شيئاً منها علىٰ غير تأويلها فإنَّه لا يرمىٰ بالجهل "

. انظر : مجموع فتاوىٰ العلَّامة عبد العزيز بن باز (٣/ ٥٣) .

وهذا دكتورهم : سفر حوالي ، يُخرج الأشاعرة من أهل السُّنَّة والجماعة ، وفي ذلك يقول : " إِنَّ مصطلح أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُطلق وَيُرَاد بِهِ مَعْنيانِ :

أ. الْمَعْنىٰ الْأَعَمّ : وَهُوَ مَا يُقَابل الشِّيعَة ، فَيُقَال : " المنتسبون لِلْإِسْلَام قِسْمَانِ : أهل السُّنَّة والشِّيعة " ، مِثْلَمَا عنون شيخ الْإِسْلَام كِتَابه فِي الرَّدِّ علىٰ الرَّافضي "منهاج السُّنَّة " ، وَفِيه بيَّن هذَيْن الْمَعْنيين ، وَصرَّح أَنَّ مَا ذهبت إِلَيْهِ الطَّوائف المبتدعة من أهل السُّنَّة بِالْمَعْنَىٰ الْأَخص . وَهَذَا الْمَعْنىٰ يدْخل فِيهِ كلُّ من سوىٰ الشِّيعَة كالأشاعرة ، لاسيَّما والأشاعرة فِيمَا يتَعَلَّق بموضوع الصَّحابة وَالْخُلَفَاء متَّفقون مَعَ أهل السُّنَّة ، وهي نقطة الِاتِّفَاق المنهجيَّة الوحيدة ، كَمَا سَيَأْتِي .

ب. الْمَعْنىٰ الْأَخص : وَهُوَ مَا يُقَابل المبتدعة وَأهل الْأَهْوَاء ، وَهُوَ الْأَكْثَر اسْتِعْمَالاً ، وَعَلِيهِ كتب الْجرْح وَالتَّعْدِيل ، فَإِذا قَالُوا عَن الرَّجل أَنَّه صَاحب سُنَّة أَو كَانَ سُنيَّاً أومن أهل السُّنَّة وَنَحْوهَا ، فَالْمُرَاد أَنَّه لَيْسَ من إِحْدَىٰ الطَّوائف البدعيَّة ، كالخوارج ، والمعتزلة ، والشِّيعة ، وَلَيْسَ صَاحب كَلَام وَهوىٰ .

وَهَذَا الْمَعْنىٰ لَا يدْخل فِيهِ الأشاعرة أبداً ، بل هم خارجون عَنهُ ، وَقد نَصَّ الإِمَام أَحْمد وَابْن الْمَدِينِيّ علىٰ أَنَّ من خَاضَ فِي شَيْء من علم الْكَلَام لَا يعْتَبر من أهل السُّنَّة ، وَإِن أَصَاب بِكَلَامِهِ السُّنَّة حَتَّىٰ يدع الجدل وَيسلم للنُّصوص ، فَلم يشترطوا مُوَافقَة السُّنَّة فَحسب بل التَّلقِّي والاستمداد مِنْهَا ، فَمن تلقَّىٰ

من السُّنَّة فَهُوَ من أَهلهَا وَإِن أَخطَأ ، وَمن تلقَّىٰ من غَيرهَا فقد أَخطَأ ، وَإِن وافقها فِي النَّتِيجة . والأشاعرة – كَمَا سترىٰ – تلقوا وَاسْتَمَدُّوا من غير السُّنَّة ، وَلم يوافقوها فِي النَّتائج !!! فَكيف يكون من أَهلهَا " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص١٥-١٧) .

وقال سفر حوالي : " ... قد أوضحنا فِيمَا سبق أَنَّ أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة والأشاعرة فرقتان مُخْتَلِفَتَانِ ، وَهَذَا يسْتَلْزم تَحْدِيد أَيّهمَا الْفرْقَة النَّاجِية ؟ " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص٧١)

وأضاف قائلاً : " بل نَحن نَزِيدكُمْ إيضاحاً ، فَنَقُول :

إِنَّ هَذِه العقائد الَّتِي أدخلتموها فِي الْإِسْلَام وجعلتموها عقيدة الْفرْقَة النَّاجِية بزعمكم ، هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فلاسفة اليونان !!! ومشركو الصَّابئة !!! وزنادقة أهل الْكتاب !!!

لَكِن ورثهَا عَنْهُم الجهم بن صَفْوَان وَبشر المريسي وَابْن كلَّاب ، وَأَنْتُم ورثتموها عَن هَؤُلَاءِ ، فَهِيَ من تَركَة الفلاسفة والابتداع وَلَيْسَت من مِيرَاث النُّبُوَّة وَالْكتاب .

وَمن أوضح الْأَدِلَّة علىٰ ذَلِك أَنَّا مَا نزال حَتَّىٰ الْيَوْم نردُّ عَلَيْكُم بِمَا أَلّفه أَئِمَّة السُّنَّة الْأَوَّلونَ من كتب فِي الرُّدود علىٰ " الْجَهْمِية " كتبوها قبل ظُهُور مذهبكم بِزَمَان ، وَمِنْهُم الإِمَام أَحْمد ، وَالْبُخَارِيّ ، وَأَبُو دَاوُد ، والدَّارمي ، وَابْن أبي حَاتِم ...

فَدلَّ هَذَا علىٰ أَنَّ سلفكم أُولَئِكَ الثَّلَاثَة وأشباههم مَعَ مَا زدتم عَلَيْهِم وركبتم من كَلَامهم من بدع جَدِيدَة " . انظر : منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب علىٰ مقالات الصابوني (ص٦٩) .

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نورٌ علىٰ الدَّرب : " س : نسألكم عن مولد النَّبي الأعظم محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هل هو بدعة ، وإنِّي سمعت في بعض البلدان ومن بعض العلماء يقولون : إنَّها بدعة حسنة ، والله أعلم . وفَّقكم الله ؟

ج: الاحتفال بالموالد ممَّا حدث في القرون المتأخِّرة بعد القرون المفضَّلة بعد القرن الأوَّل والثَّاني والثَّالث ، وهو من البدع التي أحدثها بعض النَّاس استحساناً وظناً منهم أنَّها طيِّبة ، والصَّحيح والحقّ الذي عليه المحقِّقون من أهل العلم أنَّها بدعة ، الاحتفالات بالموالد كلّها بدعة ، ومن جملة ذلك الاحتفال بالمولد النَّبوي ، ولماذا ؟ لأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ولا خلفاؤه الرَّاشدون ولا القرون المفضَّلة كلّها لم تفعل هذا الشَّيء ، فالخير في اتباعهم لا في ما أحدثه النَّاس بعدهم ، وقد ثبت عنه عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه قال : " إيَّاكم ومحدثات الأمور " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " وشرّ

الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، أي : مردود . فالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَّح الأمر ، وبيَّن أنَّ الحوادث في الدِّين منكرة ، وأنَّه ليس لأحد أن يُحدث في الدِّين ما لم يأذن الله ، وذمَّ الله سبحانه هذا بقوله تعالىٰ : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورىٰ : ٢١] ، والاحتفال أمرٌ مُحدث لم يأذن به الله ولا رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، والصَّحابة أفضل النَّاس بعد الأنبياء وأحبّ النَّاس للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسرع النَّاس إلىٰ كلِّ خير ، ولم يفعلوا هذا لا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، ولا بقيَّة العشرة ، ولا بقية الصَّحابة ، وهكذا التَّابعون ما فعلوا هذا ، وإنَّما حدث من بعض الشِّيعة الفاطميِّين في مصر في المائة الرَّابعة ، كما ذكر هذا بعض المؤرِّخين ، ثمَّ حدث في المائة السَّادسة في آخرها وفي أوَّل السَّابعة ، علىٰ يد من ظنَّ أنَّ هذا طيِّب ففعل ذلك ، والحقُّ أنَّه بدعة ، لأنَّها عبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالىٰ ، والرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلَّغ البلاغ المبين ولم يكتم شيئاً ممَّا شرعه الله بل بلَّغ كلَّ ما شرعه الله وما أمر به ، وقال الله سبحانه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، فالله قد أكمل الدِّين وأتمَّه وليس في ذلك الدِّين الذي أكمله الله الاحتفال بالموالد ، فعلم بهذا أنَّه بدعة منكرة لا حسنة وليس في الدِّين بدعة حسنة ، فكلُّ البدع ضلالة كلّها منكرة ، النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام يقول : " كلُّ بدعة ضلالة " ، فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يقول : إنَّ في البدع شيئاً حسناً ، والرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إنَّ كلّ بدعة ضلالة " ؛ لأنَّ هذه مناقضة ومحادَّة للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد ثبت عنه أنه قال : " كلُّ بدعة ضلالة " ، فلا يجوز لنا أن نقول خلاف قوله عليه الصَّلاة والسَّلام ، وما يظنُّ النَّاس أنَّه بدعة وقد جاء به الشَّرع فهو ليس بدعة ، مثل : كتابة المصاحف ، مثل التَّراويح ليست بدعة كلّ هذه مشروعة ، فتسميته بدعة لا أصل لذلك ، وأمَّا ما يُروىٰ عن عمر أنَّه قال في التَّراويح : " نعمت البدعة " . أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

فالمراد بهذا أنَّها بدعة في اللغة ، ليست من جهة الدِّين ، ثمَّ قول عمر لا يناقض ما قاله الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يخالفه ، وقول الرَّسُول مقدَّم عليه ، عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ بدعة ضلالة " ، وقال : " وإيَّاكم ومحدثات الأمور " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في خطبة الجمعة : " أمَّا بعد ، فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، هذا حكمه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، رواه مسلم في الصَّحيح ، فلا يجوز لمسلم أن يخالف ما شرع الله ، ولا أن يعاند ما جاء به رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام ، بل يجب عليه الخضوع لشرع الله ، والكفّ عمَّا نهىٰ الله عنه من البدع والمعاصي ، نسأل الله للجميع الهداية " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٥٨-٦٠) .

وكلام ابن باز السَّابق تضمَّن غير ما جاء في النَّصِّ الأوَّل :

١ . أنَّه استشهد لما ذهب إليه بقول الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إيَّاكم ومُحدثات الأمور " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " وشر الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة " ، وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، أي : مردود

٢ . أنَّه جعل الاحتفال بميلاد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدعة ، لأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضَّلة كلُّها لم تفعل هذا الشَّيء ...

٣ . أنَّه يعترف بأنَّ الاحتفال بمولد سيِّدنا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البدع التي أحدثها بعض النَّاس استحساناً وظناً منهم أنَّها طيِّبة ... وأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضَّلة كلّها لم تفعل هذا الشَّيء ، وأنَّ ما يظنُّ النَّاس أنَّه بدعة وقد جاء به الشَّرع فهو ليس بدعة ، مثل : كتابة المصاحف ، مثل التَّراويح ليست بدعة كلّ هذه مشروعة ، فتسميته بدعة لا أصل لذلك ، وأمَّا ما يروىٰ عن عمر أنَّه قال في التَّراويح : " نعمت البدعة " ، فالمراد بهذا أنَّها بدعة في اللغة ، ليست من جهة الدِّين ...

وللرَّدِّ علىٰ شبهات ابن باز السَّابقة ، نقول :

أمَّا عن استشهاده بقول الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وإيَّاكم ومُحدثات الأمور " فاستشهاد في غير محلِّه ، لأنَّ المراد من الحديث : ما أُحدث من الأمور التي لا ترجع إلىٰ أصل شرعي أو دليل شرعي ، فهو من العامِّ الذي أُريد به الخاصّ ، قال الإمام سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين (٧١٦هـ) في شرحه للحديث : " ... أي : اتَّقوها واحذروا الأخذ بها فإنَّها بدعة ،

والمراد ما أحدث من الأمور غير راجع إلىٰ أصل ، أو دليل شرعي ، وإلَّا فسنَّة الخلفاء الرَّاشدين من محدثات الأمور ، وقد أمرنا باتِّباعها وسوَّاها بسنَّته في وجوب الاقتداء بها ، وما ذلك إلَّا لرجوعها إلىٰ أصل شرعي ، واعتمادها علىٰ دليل مرعي ، فإذاً قوله : " إيَّاكم ومحدثات الأمور " عامٌّ أريد به الخاص "

. انظر : التعيين في شرح الأربعين (ص٢١٦) .

وأمَّا عن استشهاده بقول الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ... فقد ردَّ علىٰ هذا الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) ، فقال : " هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ ، وَالْمُرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هِيَ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، وَمَنْدُوبَةٌ ، وَمُحَرَّمَةٌ ، وَمَكْرُوهَةٌ ، وَمُبَاحَةٌ ، فَمِنَ الْوَاجِبَةِ : نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَىٰ الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ ، وَشِبْهُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ : تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ ، وَبِنَاءُ الْمَدَارِسِ وَالرُّبُطِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنَ الْمُبَاحِ : التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ . وَقَدْ أَوْضَحْتُ الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي " تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ " ، فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ ، وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ . وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التَّرَاوِيحِ : " نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ " .

أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١١٤ برقم ٣) ، ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧١٣) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في مختصر قيام الليل (ص٢١٧) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٣) ، البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٥٤٩ برقم ٢٩٩٩) ، فضائل الأوقات (ص٢٦٦ برقم ١٢١) ، السنن الصغير (١/ ٢٩٤ برقم ٨١٦) ، البغوي في شرح السنة (٤/ ١١٩) .

وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامّاً مَخْصُوصاً قَوْلُهُ : " كُلُّ بِدْعَةٍ " مُؤَكَّداً بِكُلِّ ، بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٦/ ١٥٤-١٥٥) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٧٢٨هـ) : " والمحدثات بِفَتْحِ الدَّالِّ : جَمْعُ مُحْدَثَةٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا : مَا أُحْدِثَ وَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ ، وَيُسَمَّىٰ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ : بِدْعَةً ، وَمَا كَانَ لَهُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ ، فَلَيْسَ بِبِدْعَةٍ ، فَالْبِدْعَةُ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ مَذْمُومَةٌ بِخِلَافِ اللُّغَةِ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ يُسَمَّىٰ بِدْعَةً سَوَاءٌ كَانَ مَحْمُوداً أَوْ مَذْمُوماً ، وَكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمُحْدَثَةِ وَفِي الْأَمْرِ الْمُحْدَثِ الَّذِي وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " ، كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ وَمَضَىٰ بَيَانُ ذَلِكَ قَرِيباً فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ الْمُشَارِ إِلَيْهِ : " وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَفِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ : " وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " ، وَهُوَ حَدِيثٌ أَوَّلُهُ : " وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً " ، فَذَكَرَهُ ، وَفِيهِ هَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وَصَححهُ بن ماجة وبن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَعْنَىٰ قَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ . قَالَ الشَّافعي : الْبِدْعَةُ بِدْعَتَانِ : مَحْمُودَةٌ ، وَمَذْمُومَةٌ ، فَمَا وَافَقَ السُّنَّةَ ، فَهُوَ مَحْمُودٌ ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَذْمُومٌ . أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْجُنَيْدِ عَنِ الشَّافعي . وَجَاءَ عَنِ الشَّافعي أَيْضاً مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ ، قَالَ : الْمُحْدَثَاتُ ضَرْبَانِ : مَا أُحْدِثُ يُخَالِفُ كِتَاباً أَوْ سُنَّةً أَوْ أَثَراً أَوْ إِجْمَاعاً ، فَهَذِهِ بِدْعَةُ الضَّلَالِ ، وَمَا أُحْدِثُ مِنَ الْخَيْرِ لَا يُخَالِفُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٥٢) .

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) : " وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ يَعْنِي الْمُحْدَثَاتِ الَّتِي لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ أَصْلٌ يَشْهَدُ لَهَا بِالصِّحَّةِ وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْبِدَعِ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ". انظر : حاشية السندي علىٰ سنن النسائي (٣/ ١٨٨-١٨٩) .

وقال الإمام القسطلاني (٩٢٣هـ) : " وشرّ الأمور مُحْدَثَاتها " بضم الميم وسكون الحاء وفتح الدَّال المخفَّفة المهملتين جمع محدثة ، والمراد بها البدع والضَّلالات من الأفعال والأقوال ، والبدعة كلُّ شيء عمل علىٰ غير مثال سابق ، وفي الشَّرع : إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإن كان له أصل يدلُّ عليه الشَّرع فليس ببدعة . قال إمامنا الشَّافعي – رحمه الله – : البدعة بدعتان : محمودة ومذمومة ، فما وافق السُّنّة فهو محمود ، وما خالفها فهو مذموم . وأخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشَّافعي . وعند البيهقي في مناقب الشَّافعي : أنَّه قال المحدثات ضربان : ما أُحدث مخالفاً كتاباً أو سُنّة أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه بدعة الضَّلالة ، وما أُحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك ، فهذه محدثة غير مذمومة " . انظر : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٠١) .

وقال الإمام علي بن سلطان القاري (١٠١٤هـ) : " قَالَ فِي " الْأَزْهَارِ "، أَيْ : كُلُّ بِدْعَةٍ سَيِّئَةٍ ضَلَالَةٌ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا " . وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ الْقُرْآنَ ، وَكَتَبَهُ زِيدٌ فِي الْمُصْحَفِ ، وَجُدِّدَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . قَالَ النَّوَوِيُّ : الْبِدْعَةُ كُلُّ شَيْءٍ عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ ، وَفِي الشَّرْعِ إِحْدَاثُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَوْلُهُ : " كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " عَامٌ مَخْصُوصٌ . قَالَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين بْنُ عَبْدِ السَّلام فِي آخِرِ كِتَابِ " الْقَوَاعِدِ " : الْبِدْعَةُ إِمَّا وَاجِبَةٌ كَتَعَلُّمِ النَّحْوِ لِفَهْمِ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَكَتَدْوِينِ أُصُولِ الْفِقْهِ ، وَالْكَلَامِ فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَإِمَّا مُحَرَّمَةٌ كَمَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ ، وَالْقَدَرِيَّةِ ، وَالْمُرْجِئَةِ ، وَالْمُجَسِّمَةِ ، وَالرَّدُّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مِنَ الْبِدَعِ الْوَاجِبَةِ ، لِأَنَّ حِفْظَ الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذِهِ الْبِدَعِ فَرْضُ كِفَايَةٍ ، وَإِمَّا مَنْدُوبَةٌ كَإِحْدَاثِ الرُّبُطِ وَالْمَدَارِسِ ، وَكُلُّ إِحْسَانٍ لَمْ يُعْهَدْ فِي الصَّدْرِ الأَوَّلِ ، وَكَالتَّرَاوِيحِ أَيْ بِالْجَمَاعَةِ الْعَامَّةِ وَالْكَلَامُ فِي دَقَائِقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَإِمَّا مَكْرُوهَةٌ كَزَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَزْوِيقِ الْمَصَاحِفِ يَعْنِي عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَأَمَّا عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ فَمُبَاحٌ ، إِمَّا مُبَاحَةٌ كَالْمُصَافَحَةِ عَقِيبَ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ أَيْ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ أَيْضاً ، وَإِلَّا فَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ مَكْرُوهٌ ، وَالتَّوَسُّعُ فِي لَذَائِذِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ ، وَالْمَسَاكِنِ ، وَتَوْسِيعِ الْأَكْمَامِ ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي كَرَاهَةِ بَعْضِ ذَلِكَ أَيْ كَمَا قَدَّمْنَا . قَالَ الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا أُحْدِثَ مِمَّا يُخَالِفُ الْكِتَابَ أَوِ السُّنَّةَ أَوِ الْأَثَرَ أَوِ الْإِجْمَاعَ فَهُوَ ضَلَالَةٌ ، وَمَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ مِمَّا لَا يُخَالِفُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِمَذْمُوم ، وَقَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – فِي قِيَامِ رَمَضَانَ : نِعْمَتُ الْبِدْعَةُ . هَذَا هُوَ آخِرُ كَلَامِ الشَّيخ فِي " تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ " وَاللُّغَاتِ . وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ : مَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٣-٢٢٤) .

وقال الإمام الصَّنعاني (١١٨٢هـ) : " وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا " الْمُرَادُ بِالْمُحْدَثَاتِ : مَا لَمْ يَكُنْ ثَابِتاً بِشَرْعٍ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا مِنْ رَسُولِهِ " وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ " . الْبِدْعَةُ لُغَةً : مَا عُمِلَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : مَا عُمِلَ مِنْ دُونِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ شَرْعِيَّةٌ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ .

وَقَدْ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ : وَاجِبَةٌ ، كَحِفْظِ الْعُلُومِ بِالتَّدْوِينِ ، وَالرَّدِّ عَلَىٰ الْمَلَاحِدَةِ بِإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ . وَمَنْدُوبَةٌ : كَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ . وَمُبَاحَةٌ : كَالتَّوْسِعَةِ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ ، وَفَاخِرِ الثِّيَابِ . وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ : وَهُمَا ظَاهِرَانِ . فَقَوْلُهُ : " كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ عَامٌّ مَخْصُوصٌ " . انظر : سبل السَّلام (١/ ٤٠٢) .

وأمَّا عن استشهاده ببدعيَّة الاحتفال بمولد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبب أنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله ، ولا أصحابه ، ولا خلفاؤه الرَّاشدون ، ولا القرون المفضَّلة كلُّها لم تفعل هذا الشَّيء ، بمعنىٰ أنَّ الرَّسُول ومعه السَّلف الصَّالح تركوا الاحتفال بالمولد ، وتركهم له يعني تحريمه ...

فقد ردَّ هذه الشبهة الإمام أبو الفضل عبد الله محمَّد الصدِّيقي الغُماري في رسالته : " حسن التَّفهُّم والدَّرْك لمسألة التَّرك " ، وبيَّن أنَّ ترك النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشَّيء لا يدلُّ علىٰ تحريمه ، فقال : " ما هو التَّرك ؟ نقصد بالتَّرك الذي ألفنا هذه الرِّسالة لبيانه : أن يترك النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً لم

يفعله أو يتركه السَّلف الصَّالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنَّهي عن ذلك المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته .

وقد أكثر الاستدلال به كثير من المتأخِّرين على تحريم أشياء أو ذمها ، وأفرط في استعماله بعض المتنطِّعين المتزمِّتين ، ورأيت ابن تيمية استدلَّ به واعتمده في مواضع سيأتي الكلام عليها بحول الله .

أَنْوَاعُ التَّرْك :

إذا ترك النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً فيحتمل وجوهاً غير التَّحريم :

١ .أن يكون تركه عادة : قُدم إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضبٌّ مشويٌّ فمدَّ يده الشَّريفة ليأكل منه ، فقيل : إنَّه ضبٌّ ، فأمسك عنه ، فسئل : أحرام هو ؟ فقال : لا ، ولكنَّه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه . أخرجه مالك في الموطأ ، (٥/ ١٤٠٩ برقم ٣٥٥٠) ، أحمد في المسند (٤/ ٨٨ برقم ١٦٩٣٧) ، الدارمي (٢/ ١٢٨٢ برقم ٢٠٦٠) ، البخاري (٧/ ٧١ برقم ٥٣٩١) ، مسلم(٣/ ١٥٤٣ برقم ١٩٤٥) ، أبو داود (٣/ ٣٥٣ برقم ٣٧٩٤) ، النسائي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٤٧٨ برقم ٤٨٠٩) ، السنن الصغرىٰ (٧/ ١٩٧ برقم ٤٣١٦) ، أبو عوانة في المستخرج (٥/ ٣٨ برقم ٧٧٠٠) ، الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨/ ٣٣٤ برقم ٣٢٨٥) ، ابن حبَّان في الصحيح (١٢/ ٦٩ برقم ٥٢٦٣) ، الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٠٧ برقم ٣٨١٦) ، مسند الشاميين (٣/ ١٢ برقم ١٧٠٤) ، البغوي في شرح السنة (١١/ ٢٣٧ برقم ٢٧٩٩) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٥٤٢ برقم ١٩٤١٢) ، السنن الصغير للبيهقي (٤/ ٦٢ برقم ٣٠٦٧) .

والحديث في الصَّحيحين ، وهو يدلُّ علىٰ أمرين :

أحدهما : أنَّ تركه للشَّيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدلُّ علىٰ تحريمه .

والآخر : أنَّ استقذار الشَّيء لا يدلُّ علىٰ تحريمه أيضاً .

٢- أن يكون تركه نسياناً ، سها صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصَّلاة فترك منها شيئاً ، فسئل : هل حدث في الصَّلاة شيء ؟ فقال : " إنَّما أنا بشر أنسىٰ كما تنسون ، فإذا نسيت فذكِّروني " . أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩ برقم ٣٦٠٢) ، مسلم (١/ ٤٠٠ برقم ٥٧٢) ، البزار في المسند (٤/ ٢٩٧ برقم ١٤٧٣) ، أبو عوانة في المستخرج (١/ ٥١٥ برقم ١٩٢٧) ، ابن حبَّان في الصحيح (٦/ ٣٨١ برقم ٢٦٥٦) ، الدارقطني في السنن (٢/ ٢٠٩ برقم ١٤٠٨) ، ابن بشران في الأمالي (١/ ٤٠٥ برقم ٩٣٩) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢/ ٤٧٤ برقم ٣٨١٨) .

٣- أن يكون تركه مخافة أن يفرض علىٰ أمَّته ، كتركه صلاة التَّرَاويح حين اجتمع الصَّحابة ليصلُّوها معه .

٤- أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه ، ولم يخطر علىٰ باله . كان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب الجمعة إلىٰ جذع نخلة ولم يفكر في عمل كرسي يقوم عليه ساعة الخطبة ، فلمَّا اقترح عليه عمل منبر يخطب عليه

وافق وأقرَّه لأنَّه أبلغ في الإسماع . واقترح الصَّحابة أن يبنوا له دكَّة من طين يجلس عليها ليعرفه الوافد الغريب ، فوافقهم ولم يفكِّر فيها من قبل نفسه .

٥- أن يكون تركه لدخوله في عموم ءايات أو أحاديث ، كتركه صلاة الضُّحىٰ ، وكثيراً من المندوبات ، لأنَّها مشمولة لقول الله تعالىٰ : **﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الحج : ٧٧] ، وأمثال ذلك كثيرة .

٦- أن يكون تركه خشية تغير قلوب الصَّحابة أو بعضهم . قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة : " لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثمَّ لبنيته علىٰ أساس إبراهيم عليه السَّلام ، فإن قريشاً استقصرت بناءه " وهو في الصَّحيحين . أخرجه البخاري ، (٢/ ١٤٦ برقم ١٥٨٥) .

فترك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقض البيت وإعادة بنائه حفظاً لقلوب أصحابه القريبي العهد بالإسلام من أهل مكَّة . ويحتمل تركه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوهاً أخرىٰ تُعلم من تتبع كتب السُّنَّة . ولم يأت في حديث ولا أثر تصريح بأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك شيئاً لأنَّه حرام .

التَّرْكُ لَا يَدُلُّ عَلَى التَّحْرِيْم :

قرَّرت في كتاب : " الرَّدُّ المحكم المتين " أنَّ ترك الشَّيء لا يدلُّ علىٰ تحريمه ، وهذا نصُّ ما ذكرته هناك :

والتَّرك وحده إن لم يصحبه نصٌّ علىٰ أنَّ المتروك محظور لا يكون حجَّة في ذلك ، بل غايته أن يفيد أنَّ ترك ذلك الفعل مشروع . وإما أنَّ ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً ، فهذا لا يُستفاد من التَّرك وحده ، وإنَّما يُستفاد من دليل يدلُّ عليه . ثمَّ وجدت الإمام أبا سعيد بن لبّ ذكر هذه القاعدة أيضاً ، فإنَّه قال في الرَّدِّ علىٰ من كره الدُّعاء عقب الصَّلاة : غاية ما يُستند إليه منكر الدُّعاء أدبار الصَّلوات أنَّ التزامه علىٰ ذلك الوجه لم يكن من عمل السَّلف ، وعلىٰ تقدير صحَّة هذا النقل ، فالتَّرك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلَّا جواز التَّرك وانتفاء الحرج فيه ، وأمَّا تحريم أو لصوق كراهية بالمتروك فلا ، ولا سيَّما فيما له أصل جملي متقرِّر من الشَّرع كالدُّعاء .

وفي [المحلَّىٰ] [ج:٢ ص:٢٥٤] ذكر ابن حزم احتجاج المالكيَّة والحنفيَّة علىٰ كراهية صلاة ركعتين قبل المغرب بقول إبراهيم النَّخعي : أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان كانوا لا يصلُّونها ، وردَّ عليهم بقوله : لو صحَّ لما كانت فيه حجَّة ، لأنَّه ليس فيهم أنَّهم رضي الله عنهم نهوا عنهما .

قال أيضاً : وذكروا عن ابن عمر أنَّه قال : ما رأيت أحداً يصلِّيهما . وردَّ عليه بقوله : وأيضاً فليس في هذا لو صحَّ نهىٰ عنهما ، ونحن لا ننكر ترك التطوُّع ما لم ينه عنه .

وقال أيضاً في [المحلىٰ] [ج٢ ص٢٧١] في الكلام عن ركعتين بعد العصر : وأمَّا حديث عليّ ، فلا حجَّة فيه أصلاً ، لأنَّه ليس فيه إلَّا إخباره بما علم من أنَّه لم ير رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّاهما ، وليس في هذا نهي عنهما ولا كراهة لهما ، فما صام عليه السَّلام قط شهراً كاملاً غير رمضان وليس هذا بموجب كراهية صوم شهر كامل تطوُّعاً اهـ. فهذه نصوص صريحة في أنَّ التَّرك لا يفيد كراهة فضلاً عن الحرمة .

وقد أنكر بعض المتنطِّعين هذه القاعدة ونفىٰ أن تكون من علم الأصول ، فدلَّ بإنكاره علىٰ جهل عريض ، وعقل مريض . وها أنذا أُبيِّن أدلتها في الوجوه الآتية :

أَحَدُهَا : أنَّ الذي يدلُّ علىٰ التَّحريم ثلاثة أشياء :

[١] النَّهي ، نحو : **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾** [الإسراء : ٣٢] ، **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾** [البقرة : ١٨٨]

[٢] لفظ التَّحريم ، نحو : **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾** [المائدة : ٣] .

[٣] ذمُّ الفعل أو التَّوعُّد عليه بالعقاب ، نحو : " مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا " . أخرجه الترمذي (٢/ ٥٩٧ برقم ١٣١٥) ، ابن منده في الإيمان (٢/ ٦١٦ برقم ٥٥١) .

والتَّرك ليس واحداً من هذه الثَّلاثة ، فلا يقتضي التَّحريم .

ثَانِيْهِمَا : أنَّ الله تعالىٰ قال : **﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر : ٧] ، ولم يقل : وما تركه فانتهوا ، فالتَّرك لا يفيد التَّحريم .

ثَالِثُهَا : قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه " . أخرجه البخاري (٩/ ٩٤ برقم ٧٢٨٨ ، واللفظ له) ، مسلم (٢/ ٩٧٥ برقم ١٣٣٧) .

ولم يقل : وما تركته فاجتنبوه . فكيف دلَّ التَّرك علىٰ التَّحريم ؟

رَابِعُهَا : أنَّ الأصوليِّين عرَّفوا السُّنَّة بأنَّها : قول الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفعله وتقريره ، ولم يقولوا : وتركه ، لأنَّه ليس بدليل .

خَامِسُهَا: تقدَّم أنَّ الحكم خطاب الله ، وذكر الأصوليُّون أنَّ الذي يدلُّ عليه قرءان أو سنَّة أو إجماع أو قياس ، والتَّرك ليس واحداً منها فلا يكون دليلاً .

سَادِسُهَا : تقدَّم أنَّ التَّرك يحتمل أنواعاً غير التَّحريم ، والقاعدة الأصوليَّة أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال ، بل سبق أنَّه لم يرد أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك شيئاً لأنَّه حرام ، وهذا وحده كاف لبطلان الاستدلال به .

سَابِعُهَا : أنَّ التَّرك أص ،ل لأنَّه عدم فعل ، والعدم هو الأصل والفعل طارئ والأصل لا يدلُّ علىٰ شيء لغة ولا شرعاً ، فلا يقتضي التَّرك تحريماً .

أقوالٌ غير محرَّرة :

قال ابن السَّمعاني : إذا ترك الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً وجب علينا متابعته فيه ، واستدلَّ بأنَّ الصَّحابة حيت رأوا النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمسك يده عن الضَّب توقَّفوا وسألوه عنه .

قلت : لكن جوابه بأنَّه ليس بحرام – كما سبق – يدلُّ علىٰ أنَّ تركه لا يقتضي التَّحريم . فلا حجَّة له في الحديث ، بل الحجَّة فيه عليه .

وسبق أنَّ التَّرك يحتمل أنواعاً من الوجوه ، فكيف تجب متابعته في أمر محتمل لأن يكون عادة أو سهواً أو غير ذلك ممَّا تقدَّم ؟!

كلام ابن تيمية :

سئل عمَّن يزور القبور ويستنجد بالمقبور ، في مرض به أو بفرسه أو بعيره ، ويطلب إزالة الذي بهم أو نحو ذلك ؟

فأجاب بجواب مطوَّل ، وكان ممَّا جاء فيه قوله : " ولم يفعل هذا أحد من الصَّحابة والتَّابعين ولا أمر به أحد من الأئمَّة " ، يعني أنَّهم لم يسألوا الدُّعاء من النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته كما كانوا يسألونه في حال حياته .

وقلت في الرَّدِّ عليه : وأنت خبير بأنَّ هذا لا يصحُّ دليلاً لما يدَّعيه ، وذلك لوجوه :

أحدها : أنَّ عدم فعل الصَّحابة لذلك يحتمل أن يكون أمراً اتِّفاقياً ، أي : اتَّفق أنَّهم لم يطلبوا لم يطلبوا الدُّعاء منه بعد وفاته . ويحتمل أن يكون ذلك عندهم غير جائز ، أو يكون جائزاً وغيره أفضل منه فتركوه إلىٰ الأفضل... ويحتمل غير ذلك من الاحتمالات...والقاعدة أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال ، انتهىٰ المراد منه .

قلت : ويؤيِّد أنَّهم لم يتركوه لعدم جوازه أنَّ بلال بن الحارث المزني الصَّحابي ذهب عام الرَّمادة إلىٰ القبر النَّبوي ، وقال : " يا رسول الله استسق لأمَّتك ، فأتاه في المنام ، وقال له : " اذهب إلىٰ عمر وأخبره أنَّكم مُسقون ، وقل له : عليك الكيِّس الكيِّس " . فأخبر عمر فبكىٰ ، وقال : " اللهمَّ ما ءالوا إلَّا ما عجزت عنه " . أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٥٦ برقم ٣٢٠٠٢) ، البيهقي في دلائل النبوة (٧/ ٤٧) .

ولم يعنِّفه علىٰ ما فعل ، ولو كان غير جائز عندهم لعنَّفه عمر .

ذكر حديث صحيح لا يردُّ قولنا :

قال البخاري في صحيحه : " باب الاقتداء بأفعال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، وروىٰ فيه عن ابن عمر ، قال : اتَّخذ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتماً من ذهب فاتَّخذ النَّاس خواتيم من ذهب . فقال : إنِّي اتَّخذت خاتماً من ذهب " . فنبذه ، وقال : " إنِّي لن ألبسه أبداً " ، فنبذ النَّاس خواتيمهم . أخرجه البخاري (٩/ ٩٦ برقم ٧٢٩٨) .

قال الحافظ ابن حجر في " فتح الباري شرح صحيح البخاري" (١٣/ ٢٧٥) : " اقتصر علىٰ هذا المثال لاشتماله علىٰ تأَسِّيهم به في الفعل والتَّرك " .

قلت : في تعبيره في التَّرك تجوُّز ، لأنَّ النَّبذ فعل ، فهم تأسَّوا به في الفعل ، والتَّرك ناشئ عنه .

وكذلك لما خلع نعله في الصَّلاة ، وخلع النَّاس نعالهم ، تأسَّوا به في خلع النَّعل ، وهو فعل نتيجته التَّرك

وليس هذا محلّ بحثنا كما هو ظاهر .

وأيضاً ، فإنَّنا لا ننكر اتباعه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلِّ ما يصدر عنه ، بل نرىٰ فيه الفوز والسَّعادة لكن ما لم يفعله كالاحتفال بالمولد النَّبوي وليلة المعراج ، لا نقول إنَّه حرام ، لأنَّه افتراء علىٰ الله ، إذ التَّرك لا يقتضي التَّحريم .

وكذلك ترك السَّلف لشيء - أي عدم فعلهم له - لا يدلُّ علىٰ أنَّه محظور . قال الإمام الشَّافعي : " كلّ ما له مستند من الشَّرع ، فليس ببدعة ، ولو لم يعمل به السَّلف " . لأنَّ تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت ، أو لما هو أفضل منه أو لعلَّه لم يبلغ جميعهم علم به .

ماذا يقتضي التَّرك ؟

بيَّنَّا فيما سبق أنَّ التَّرك لا يقتضي تحريماً ، وإنَّما يقتضي جواز المتروك ، ولهذا المعنىٰ أورده العلماء في كتب الحديث . فروىٰ أبو داود والنسائي عن جابر رضي الله عنه قال : " كان ءاخر الأمرين من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك الوضوء ممَّا غيَّرت النَّار " . أخرجه أبو داود (١/ ٤٩ برقم ١٩٢) ، النسائي في السنن الصغرىٰ (١/ ١٠٧ برقم ١٨٢) .

وأورده تحت ترجمة : ترك الوضوء ممَّا مسَّت النَّار .

والاستدلال به في هذا المعنىٰ واضح ، لأنَّه لو كان الوضوء ممَّا طبخ بالنَّار واجباً ما تركه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحيث تركه دلَّ علىٰ أنَّه غير واجب .

قال الإمام عبد الوهَّاب التِّلمساني في مفتاح الوصول : " ويلحق في الفعل بالدِّلالة ، التَّرك . فإنَّه كما يستدلُّ بفعله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ عدم التَّحريم ، يستدلُّ بتركه علىٰ عدم الوجوب . وهذا كاحتجاج أصحابنا علىٰ عدم وجوب الوضوء ممَّا مسَّت النَّار به " .

روي أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل كتف شاة ثمَّ صلَّىٰ ولم يتوضَّأ ، وكاحتجاجهم علىٰ أنَّ الحجامة لا تنقض الوضوء ، بما روىٰ أنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجم ولم يتوضَّأ وصلَّىٰ . انظر : مفتاح الوصول (ص: ٩٣) طبعة مكتبة الخانجي .

ومن هنا نشأت القاعدة الأصوليَّة : جائز التَّرك ليس بواجب .

إزالة اشتباه :

قسَّم العلماء ترك النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيء ما ، علىٰ نوعين : نوع لم يجد ما يقتضيه في عهده ثمَّ حدث له مقتض بعده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهذا جائز علىٰ الأصل .

وقسم تركه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع وجود المقتضىٰ لفعله في عهده ، وهذا التَّرك يقتضي منع المتروك ، لأنَّه لو كان فيه مصلحة شرعيَّة لفعله النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فحيث لم يفعله دلَّ علىٰ أنَّه لا يجوز .

ومثَّل ابن تيمية في ذلك بالأذان لصلاة العيدين الذي أحدثه بعض الأمراء ، وقال في تقريره : فمثل هذا الفعل تركه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع وجود ما يعتقد مقتضياً له ممَّا يمكن أن يستدلّ به من ابتدعه ، لكونه ذكر الله ودعاء للخلق إلىٰ عبادة الله وبالقياس علىٰ أذان الجمعة .

فلمَّا أمر الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأذان للجمعة ، وصلَّىٰ العيدين بلا أذان ولا إقامة ، دلَّ تركه علىٰ أنَّ ترك الأذان هو السُّنَّة ، فليس لأحد أن يزيد في ذلك... إلخ كلامه .

وذهب إلىٰ هذا أيضاً الشَّاطبي ، وابن حجر الهيثمي ، وغيرهما ، وقد اشتبهت عليهم هذه المسألة بمسألة السُّكوت في مقام البيان .

صحيح أنَّ الأذان في العيدين بدعة غير مشروعة ، لا لأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركه ، ولكن لأنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن في الحديث ما يعمل في العيدين ولم يذكر الأذان ، فدلَّ سكوته علىٰ أنَّه غير مشروع .

والقاعدة : أنَّ السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر .

وإلىٰ هذه القاعدة تشير الأحاديث التي نهت عن السُّؤال ساعة البيان .

رویٰ البزّار عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلالٌ، وَمَا حَرَّمَهُ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ عَافِيَتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَنْسَىٰ شَيْئًا، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾** [مريم:٦٤] . أخرجه البزار في المسند (١٠/ ٢٦ برقم ٤٠٨) ، الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٢٠٩ برقم ٢١٠٢) ، الدارقطني في السنن (٣/ ٥٩ برقم ٢٠٦٦)، الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ، (٢/ ٤٤٢ برقم ٣٤٧٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاه) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٢١ برقم ١٩٧٢٤) .

قال البزّار إسناده صالح ، وصحّحه الحاكم .

ورویٰ الدّارقطني عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها ، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ". أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢١ برقم ٥٨٩) ، المعجم الأوسط (٧/ ٢٦٥ برقم ٧٤٦١) ، المعجم الصغير (٢/ ٢٤٩ برقم ١١١١) ، مسند الشاميين (٤/ ٣٣٨ برقم ٣٤٩٢) ، الدارقطني في السنن (٥/ ٣٢٥ برقم ٤٣٩٦) ، أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١٧) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤٥ برقم ٢٠١٢) ، ابن عساكر في معجم الشيوخ (٢/ ٩٦٥ برقم ١٢٣٢) ، البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٠/ ٢١ برقم ١٩٧٢٥) ، ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (١/ ٤٠٧ برقم ٣١٤) .

في هذين الحديثين إشارة واضحة إلىٰ القاعدة المذكورة . وهي غير التَّرك الذي هو محلُّ بحثنا في هذه الرِّسالة ، فخلط إحداهما بالأخرىٰ ممَّا لا ينبغي . ولذا بيَّنت الفرق بينهما حتىٰ لا يشتبها علىٰ أحد . وهذه فائدة لا توجد إلَّا في هذه الرِّســـالة ، والحمد لله .

تتميم :

قال عبد الله بن المبارك : أخبرنا سلام بن أبي مطيع عن ابن أبي دخيلة عن أبيه قال : كنت عند ابن عمر فقال : " نهىٰ رسول الله عن الزَّبيب والتَّمر يعني أن يخلطا " .

فقال لي رجل من خلفي ما قال ؟ فقلت : " حرَّم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّمر والزَّبيب " ، فقال عبد الله بن عمر : " كذبت " ! فقلت : " ألم تقل نهىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ؟ فهو حرام " ، فقال : " أنت تشهد بذلك ؟ " قال سلام كأنَّه يقول : ما نهىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أدب

قلت : انظر إلىٰ ابن عمر – وهو من فقهاء الصَّحابة – كذَّب الذي فسَّر نهىٰ بلفظ حرَّم ، وإن كان النَّهي يفيد التَّحريم . لكن ليس صريحاً فيه بل يفيد الكراهة أيضاً ، وهي المراد بقول سلام : فهو أدب . ومعنىٰ

كلام ابن عمر : أنَّ المسلم لا يجوز له أن يتجرَّأ علىٰ الحكم بالتَّحريم إلَّا بدليل صريح من الكتاب أو السُّنَّة ، وعلىٰ هذا درج الصَّحابة والتَّابعون والأئمَّة .

قال إبراهيم النَّخعي وهو تابعي : كانوا يكرهون أشياء لا يحرِّمونها ، وكذلك كان مالك والشَّافعي وأحمد كانوا يتوقّون وقف إطلاق لفظ الحرام علىٰ ما لم يتيقَّن تحريمه لنوع شبهة فيه ، أو اختلاف أو نحو ذلك ، بل أحدهم يقول : أكره كذا ، لا يزيد علىٰ ذلك .

ويقول الإمام الشَّافعي تارة : أخشىٰ أن يكون حراماً ، ولا يجزم بالتَّحريم ، يخاف أحدهم إذا جزم بالتَّحريم أن يشمله قول الله تعالىٰ : **﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾** [النحل : ١١٦] .

فما لهؤلاء المتزمِّتين اليوم يجزمون بتحريم أشياء مع المبالغة في ذمِّها بلا دليل إلَّا دعواهم أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها ، وهذا لا يفيد تحريماً ولا كراهة ، فهم داخلون في عموم الآية المذكورة

نَمَاذِجُ مِنَ التَّرْك :

هذه نماذج لأشياء لم يفعلها النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١. الاحتفال بالمولد النَّبوي .

٢. الاحتفال بليلة المعراج .

٣. إحياء ليلة النِّصف من شعبان .

٤. تشييع الجنازة بالذِّكر .

٥. قراءة القرءان علىٰ الميِّت في الدَّار .

٦. قراءة القرءان عليه في القبر قبل الدَّفن وبعده .

٧. صلاة التَّراويح أكثر من ثمان ركعات .

فمن حرَّم هذه الأشياء ونحوها بدعوىٰ أنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعلها فاتل عليه قول الله تعالىٰ : **﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾** [يونس : ٥٩] .

لا يقال : وإباحة هذه الأشياء ونحوها داخلة في عموم الآية لأنَّا نقول : ما لم يرد نهي عنه يفيد تحريمه أو كراهيته ، فالأصل فيه الإباحة لقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما سكت عنه فهو عفو ، أي : مباح "

. انظر : حسن التفهُّم والدَّرك لمسألة التَّرك (ص١٣٨ فما بعدها) . . .

❁❁❁ وجاء في فتاوىٰ " نور علىٰ الدَّرب" (٣/ ٦١-٦٢) : " س : هل يجوز الاحتفال بالمولد النَّبوي ، نرجو منكم التَّوجيه ؟

ج : لقد سبق منَّا جوابات كثيرة في هذا البرنامج وفي غيره ، وكتبنا في هذا كتابات كثيرة ، فهذا الاحتفال بالمولد بدعة ، الاحتفال بالمولد بدعة عند أهل العلم ، عند أهل التَّحقيق بدعة الاحتفال بمولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره ، فلا يجوز الاحتفال بالموالد ، لا بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بغيره من الأنبياء والأخيار ، فما يفعله النَّاس بمولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو البدوي أو الشَّيخ عبد القادر أو الحسن أو الحسين أو غيرهم كله بدعة لا يجوز .

والواجب التَّرضِّي عنهم ، واتِّباع طريقهم الطيِّب ، والإكثار من الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واتِّباع سبيله ، والحثّ علىٰ سنَّته ، وتعليم دينه ، والقيام بحقِّه من طاعة أمره وترك نهيه ، والسَّير علىٰ منهاجه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الواجب علىٰ المؤمن ، قال تعالىٰ : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾** [آل عمران : ٣١] ، ما قال: فاتَّخذوا مولداً لي احتفلوا بي قال : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران : ٣١] . فعلامة المحبَّة اتِّباعه وطاعة أوامره وترك نواهيه ، أمَّا إقامة الموالد والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فهذا لا يجوز ، بل هو من وسائل الشِّرك !!! كثير من هؤلاء الذين يتَّخذون الموالد يقعون في الشِّرك في دعاء النَّبي والاستغاثة به ، وبعضهم يقع في بدعة التَّوسُّل بجاهه وبحقِّه ، وهذا لا يجوز . أمَّا التَّوسُّل بمحبَّته والإيمان به لا بأس ، اللهمَّ إنِّي أسألك بمحبَّة نبيِّك والإيمان بنبيِّك أن تغفر لي ، هذا لا بأس به ، أمَّا التَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي هذا بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع . والتَّوسُّل بمحبَّته والإيمان به والسَّير علىٰ منهاجه ، هذا توسُّل شرعي ، فالمقصود أنَّ الاحتفال بالموالد من البدع سواء كان ذلك بمولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بمولد غيره من الأنبياء أو الصَّالحين أو الصَّحابة أو غيرهم كلّه من البدع ، وهكذا الاحتفال بليلة النِّصف من شعبان أو بليلة تسع وعشرين من رجب يسمُّونها ليلة الإسراء والمعراج ، هذه بدعة أو الاحتفال بأوَّل ليلة من رجب أوَّل ليلة جمعة من رجب يسمُّونها صلاة الرَّغائب بدعة ، المقصود أنَّ الاحتفال بما لم يشرعه الله ، يتقرَّب به إلىٰ الله ، هذا من البدع ، ما فعله النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أصدق النَّاس وأنصح النَّاس ، علَّم الأمَّة كلّ خير ، ودعاها إلىٰ كلِّ خير ، ولم يحتفل بمولده في حياته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مكث في المدينة عشر سنين ، وهو رئيس المؤمنين وأميرهم ، ليس له معارض ، ولم يحتفل بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، ثمَّ الصِّدِّيق بعده ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ثمَّ علي ثمَّ الخلفاء بعدهم ، ما احتفلوا بالمولد ، ولو

كان خيراً لسبقونا إليه ، فجميع القرون المفضَّلة لم يحدثوا الموالد ، إنَّما أحدثها الرَّافضة الفاطميُّون في القرن الرَّابع ثمَّ تابعهم بعض المسلمين جهلاً منهم وعدم بصيرة " .

وقد تضمَّن كلام ابن باز في الفتوىٰ السَّابقة ما يلي :

١. أنَّ الكثير من هؤلاء المحتفلين بالموالد يقعون في الشِّرك !!! في دعاء النَّبي والاستغاثة به ، وبعضهم يقع في بدعة التَّوسُّل بجاهه وبحقِّه !!! وهذا لا يجوز . فالتَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي هذا بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع ...

٢. أنَّ الاحتفال بميلاد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبميلاد غيره من الأنبياء ، وكذا بميلاد بعض الصَّالحين بدعة ... والواجب الترضِّي عنهم ، واتِّباع طريقهم الطيِّب ، والإكثار من الصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واتِّباع سبيله ، والحثّ علىٰ سنته ، وتعليم دينه ، والقيام بحقِّه من طاعة أمره وترك نهيه ، والسَّير علىٰ منهاجه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا هو الواجب علىٰ المؤمن ...

وللرَّدِّ علىٰ ابن باز في هذه المسألة ، نقول :

أمَّا عن زعمه بأنَّ التَّوسُّل بجاه النَّبي أو بحقِّ النَّبي بأنَّه بدعة ليس عليه دليل ، بل هو من البدع ... فكلامه هو البدعة ، وهو الباطل ، لأنَّ التَّوسُّل بجاه الرَّسُول أمرٌ ثابت لا مطعن فيه ، سار عليه السَّلف والخلف علىٰ حدٍّ سواء ، وهو وغيره من المتمسلفة في كلامهم عن التَّوسُّل ومنعه ، مقلِّدون لابن تيمية وجدّهم وكبيرهم الذي علَّمهم : محمَّد بن عبد الوهَّاب اللذَيْنِ لا يحيد عن كلامهما مدَّعو السَّلفيَّة ... وهو أمرٌ اضطرني لبحث المسألة ، وقد أفضىٰ البحث إلىٰ ولادة سفرٍ جديد ضخم سمَّيته : " إِتْحَافُ العَالَمِيْن بِمَشْرُوْعِيَّةِ التَّوسُّل بِالأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِيْن " ، ولكون كلام المتمسلفة في هذه المسألة كثير في كلامهم ، أحببت أن أنقل بعضاً ممَّا ذكرته من أقوال أهل العلم في التَّوسُّل ضمن الحقب الزَّمانيَّة المختلفة ...

قال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السَّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) في " فتوح الشَّام" (١/ ٩٤) : " وقال أبو سبرة ابراهيم بن عبد العزيز بن أبي قيس ، قلت : وهذا تصحيف ، والصَّواب : أَبُو سبرة بْن أبي رهم بْن عبد العزىٰ بْن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري ، وتوفي أَبُو سبرة فِي خلافة عُثْمَان بْن عفان . انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٦٦) ، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٧/ ١٤١) .

وكان من السَّابقين والمتقدِّمين بإيمانهم في الإسلام وصاحب الهجرتين جميعاً ، قال : شهدتُ قتال الحبشة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وشهدت المشاهد مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر ، وفي أحد ، وفي حنين ، وقلت : إنِّي لا أشهد مثلها ، فلمَّا قُبض رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنتُ عليه ولم أستطع أن أُقيم بالمدينة بعد فقْده ، فقدمت مكَّة ، فأقمتُ بها ، فعوتبتُ في منامي من التَّخلُّف عن الجهاد ، فخرجتُ إلىٰ الشَّام ، وشهدتُ أجنادين والشَّام وسريَّة خالد خلف توما وهربيس ، وشهدت سريَّة عبد الله بن جعفر ، وكنت معه علىٰ دير أبي القدس ... فألجأ إلىٰ الله تعالىٰ أَمْره ، وفوَّضَ إلىٰ صاحب السَّماء شأنه ، ورفع يده إلىٰ السَّماء ، وقال في دعائه : يا من خلق خلقه ، وأبلىٰ بعضهم ببعض ، وجعل ذلك محنة لهم ، أسألك بجاه محمَّد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا ما جعلت لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً " .

وقال في " فتوح الشَّام (١/ ٩٤) أيضاً : " ... فأرسل الكتاب لعمر رضي الله عنه ، فقرأه علىٰ المسلمين ، واستشارهم في الأمر ، فقال علي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين مُر صاحبك أن يصير إلىٰ بيت المقدس ، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها ، فهو خير الرَّأي وأكبره ، وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه إلىٰ قيساريَّة ، فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالىٰ ، كذا أخبرني رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : صدقت يا أبا الحسن ، فكتب إليه : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم من عبد الله عمر بن الخطَّاب إلىٰ عامله بالشَّام أبي عبيدة ، أمَّا بعد : فإنِّي أحمد الله الذي لا إله إلَّا هو ، وأصلِّي علىٰ نبيِّه ، وقد ورد عليَّ كتابك ، وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجَّه إليها ، وقد أشار ابن عم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّير إلىٰ بيت المقدس ، فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يفتحها علىٰ يديك ، والسَّلام عليك ، ثمَّ طوىٰ الكتاب ودفعه إلىٰ عرفجة ، وأمره أن يعجِّل بالمسير فسار حتىٰ قدم علىٰ أبي عبيدة ، فوجده علىٰ الجابية ، فدفع الكتاب إليه ، فقرأ علىٰ المسلمين ، ففرحوا بمسيرهم إلىٰ بيت المقدس ، فعندها دعا أبو عبيدة بخالد بن الوليد ، وعقد له راية ، وضم إليه خمسة آلاف فارس من خيل الزَّحف ، وسرَّحه إلىٰ بيت المقدس ثمَّ دعا بيزيد بن أبي سفيان ، وعقد له راية علىٰ خمسة آلاف ، وأمره أن يلحق بخالد إلىٰ بيت المقدس ، وقال له : يا ابن أبي سفيان ما علمتك إلَّا ناصحاً ، فإذا أشرفت علىٰ بلد إيلياء ، فارفعوا أصواتكم بالتَّهليل والتَّكبير ، واسألوا الله بجاه نبيِّه ومن سكنها من الأنبياء والصَّالحين ، أن يسهِّل فتحها علىٰ أيدي المسلمين ... " .

والواقدي هنا ينقل التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه نبيِّه ومن سكن بيت المقدس من الأنبياء والصَّالحين أن يسهِّل فتحها علىٰ أيدي المسلمين عن الصَّحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح ...

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن واقد السّهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبد الله ، الواقدي (٢٠٧هـ) : " ... ثمَّ أنَّ المغيرة رضي الله عنه دخل إلىٰ خيمته ، ولبس درعه ، وشدَّ وسطه بمنطقته ، وهي من الادم ، وفيها خنجران : واحد عن اليمين ، وواحد عن الشِّمال ، وتقلَّد بسيف من جوهر ، واعتقل برمح أسمر ، وركب جواده الأدهم ، وأخذ كل واحد منهم عبده راكباً علىٰ بغلة ، وودَّعهم ، فالتفت الأمير عياض – عياض بن غانم الأشعري (٢٠هـ) – ، وقال للمغيرة : اعرف يا أبا شعبة ما تكلَّم به هذا الملعون ، فما عرفتك إلَّا مفلح الحجَّة ، فادعه إلىٰ الإسلام ، وما فرض عليه من الصَّلاة ، والزَّكاة ، والصِّيام ، والحجّ ، والجهاد ، وما أبيح من الحلال ، وما حرم من الحرام ، فإن أبىٰ فالجزية في كلِّ عام ، فإن أبىٰ فالقتال بحد الحسام ، ونرجو النَّصر من الملك الديَّان بجاه محمَّد خير الأنام " . انظر : فتوح الشام (١/ ٢٢٠)

فالواقدي هنا ينقل التَّوسُّل بجاه محمَّد خير الأنام عن الصَّحابي الجليل عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شدَّاد ، أبو سعد الفهري ، وهو ممن بايع بيعة الرِّضوان ، واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجرَّاح ، لما احتضر ، علىٰ الشَّام . وكان خيِّراً صالحاً زاهداً سخيَّاً . وهو الذي افتتح الجزيرة صُلحاً . أقرَّه عمر علىٰ الشَّام ، فعاش بعد نحواً من عامين . وقيل : عاش ستِّين سنة ، ومات في سنة عشرين بالشَّام .
قال ابن سعد : شهد الحديبية ، وكان أحد الأمراء الخمسة يوم اليرموك " . انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٤)

وقال الإمام عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) في (مختصر في الطِّب) العلاج بالأغذية والأعشاب في بلاد المغرب" (ص١٢١) : " ... لَا إِلَه إِلَّا هُوَ ربّ الْأَوَّلين والآخرين ، وَسَلام علىٰ عباده الَّذين اصْطفىٰ ، توسَّلنا إِلَيْك يَا الله بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفىٰ وَأَصْحَــــابه الْخُلَفَاء أَن يرزقنا تَوْبَة وَحسن الْوَفَاء وَالْهِدَايَة " .

وهذا أحد أعيان السَّلف : عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي ، يتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الْمُصْطَفىٰ وَأَصْحَابه الْخُلَفَاء أَن يرزقه تَوْبَة ، وَحسن الْوَفَاء ، وَالْهِدَايَة ...

وجاء في "العلل ومعرفة الرِّجال" (٢/ ٤٩٢) للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) : " سَأَلته عَن الرجل يمس مِنْبَر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويتبرَّك بمسِّه ويقبِّله ، وَيفْعل بالقبر مثل ذَلِك أَو نَحْو هَذَا ، يُرِيد بذلك التَّقَرُّب إِلَىٰ الله جلَّ وَعزَّ ، فَقَالَ : لَا بَأْس بذلك " .

وقال أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) كما قال ابنه عبد الله رواية عنه : " سَمِعت أبي يَقُول : حججْت خمس حجج ، مِنْهَا ثِنْتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثَة مَاشِياً اَوْ ثِنْتَيْنِ مَاشِياً وَثَلَاثَة رَاكِباً ، فضللت الطَّرِيق فِي حجَّة وَكنت مَاشِياً ، فَجعلت أقول : يَا عباد الله دلّونا على الطَّرِيق ، فَلم أزل أقول ذَلِك حَتَّى وَقعت الطَّرِيق اَوْ كَمَا قَالَ أبي " . انظر : مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله (ص٢٤٥) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) : " قَالَ ابن عُيَيْنَة : رجلَانِ صالحان يُستسقى بهما : بن عجلَان ، وَيزِيد بن يزِيد بن جَابر " . انظر : العلل ومعرفة الرجال (ص١٦٣) ، (ص٣٧٤) .

فالنُّصوص السَّابقة تنقل التَّوسُّل عن الإمام أحمد بن حنبل ، هذا الإمام الجليل الذي غلا فيه متمسلفة هذا الزَّمان وكذا أسلافهم من المشبِّهة والمجسِّمة ، ونسبوا إليه أُموراً لم يقلها ، حتى صوَّروا ما قاله وما نسبوه إليه على أنَّه هو الإسلام ، مع أنَّه في الحقيقة أقلّ رتبة ممَّن سبقه من العلماء كـأبي حنيفة ، ومالك ، والشَّافعي ، وغيرهم ، ولعلَّ الفتنة التي تعرَّض لها هي السَّبب الرَّئيس في اشتهاره ، مع أنَّه كان مع أحمد في الفتنة غير واحد من العلماء الحفَّاظ ، وقد قضى بعضهم تحت التَّعذيب ...

ولا شكَّ في أنَّ من جاد بنفسه من أجل معتقده أفضل من غيره . ومن العلماء الذين امتحنوا في مسألة خلق القرآن : الإمام الحافظ أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسَّاني (٢١٨هـ) ، الإمام محمَّد بن نوح العجلي (٢١٨هـ) ، الإمام الحافظ أبو نعيم الفضل بن دكين المُلائي (٢١٩هـ) ، الإمام الحافظ أبو عثمان عفَّان بن مسلم البصري (٢٢٠هـ) ، الإمام الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي (٢٢٩هـ) ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي (٢٣١هـ) ، الإمام الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحي المصري البويطي (٢٣١هـ) ، الإمام أبو عبد الرَّحمن عبد الله بن محمَّد الأذرمي (توفي ما بين ٢٤١هـ-٢٥٠هـ) ...

فالإمام أحمد بريء كلّ البراءة ممَّا نسب إليه غُلاة الحنابلة الذين غلوا فيه تماماً كغلوِّ الرَّافضة في أئمَّتهم ...

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق بن العبَّاس المكي الفاكهي (٢٧٢هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ محمَّد بْنِ عُبَيْدِ بْنِ سُفْيَانَ الْأُمَوِيُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبَانَ الْعَامِرِيِّ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (١٠٥هـ) ، قَالَ : " لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَباً ، كُنَّا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ (٧٣هـ) ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ (٧٣هـ) ، وَمُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ (٣هـ) ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، فَقَالَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ فَرَغُوا مِنْ حَدِيثِهِمْ : لِيَقُمْ رَجُلٌ رَجُلٌ فَلْيَأْخُذْ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَلْيَسْأَلِ اللهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِي مِنْ

سَعَتِهِ ، قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ؛ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْهِجْرَةِ ، فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهمَّ إِنَّكَ عَظِيمٌ تُرْجَى لِكُلِّ عَظِيمٍ ، أَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَحُرْمَةِ عَرْشِكَ ، وَحُرْمَةِ بَيْتِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْحِجَازَ وَيُسَلَّمُ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا مُصْعَبُ بْنَ الزُّبَيْرِ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَقَالَ : اللهمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ كُلُّ شَيْءٍ ، أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوَلِّيَنِي الْعِرَاقَ وَتُزَوِّجَنِي سَكِينَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ ، وَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ فَقَامَ فَأَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ، فَقَالَ : اللهمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبَّ الْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَعْدَ الْقَفْرِ ، أَسْأَلُكَ بِمَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الْمُطِيعُونَ لِأَمْرِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحُرْمَةِ وَجْهِكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِكَ !!! أَنْ لَا تُمِيتَنِي حَتَّى تُوَلِّيَنِي شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا ، وَلَا يُنَازِعَنِي أَحَدٌ إِلَّا أُتِيتُ بِرَأْسِهِ ، ثمَّ جَاءَ حَتَّى جَلَسَ ، فَقَالُوا : قُمْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ فَقَامَ حَتَّى أَخَذَ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ ثمَّ قَالَ : اللهمَّ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي مِنَ الدُّنيا حَتَّى تُوجِبَ لِيَ الْجَنَّةَ ، قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَمَا ذَهَبَتْ عَيْنَايَ مِنَ الدُّنيا حَتَّى رَأَيْتُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْ أُعْطِيَ مَا سَأَلَ ، وَبُشِّرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ ، وَرُئِيَتْ لَهُ " . انظر : أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه (١/ ١٤٠)

فالرِّواية تدلُّ على أنَّ الله تعالى استجاب لتوسُّلاتهم ، مع أنَّهم توسَّلوا بحُرْمَةِ بَيْتِه تعالى ، وَبِحَقِّ الطَّائِفِينَ حَوْلَ بَيْتِه ... والمتوسِّلون قطعاً هم ممَّن عاش فترة السَّلف الصَّالح ...

وقال الإمام الفاكهي (٢٧٢هـ) : "حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ الْحَكَمِ ، قَالَ : ثنا محمَّد بْنُ جُعْشُمٍ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ ، قَالَ : إِنَّ عَبْدَ الرَّحمن بْنَ طَارِقِ بْنِ عَلْقَمَةَ ، أَخْبَرَهُ عَنْ أُمِّهِ " أَنَّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَاءَ مَكَاناً مِنْ دَارِ يَعْلَى – نَسِيَهُ عُبَيْدُ اللهِ – اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ فَدَعَا " وَكُنْتُ أَنَا أَنْصَرِفُ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ كَثِيرٍ ، حَتَّى إِذَا جِئْنَا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَدَعَا ، وَقَالَ : بَلَغَنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ نَبِيٌّ " . انظر : أخبار مكَّة في قديم الدهر وحديثه (٣/ ٢٥٦) .

وقال الإمام ابن قتيبة الدِّينوري (٢٧٦هـ) : " ... أعادها الله تعالى للإسلام بجاه النَّبي عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " . انظر : أدب الكاتب (ص١) .

والإمام ابن قتيبة الدَّينوري هو من علماء السَّلف الصَّالح ، وهو هنا توسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقال الإمام ابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ ، سَمِعْتُ عَنَ كَثِيرِ بْنِ محمَّد بْنِ كَثِيرِ بْنِ رِفَاعَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بِكَ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ الدُّبَيْلَةُ ، فَتَحَوَّلَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : اللَّهُ ، اللَّهُ ، رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ، اللهمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا محمَّد ، إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ وَرَبِّي أَنْ يَرْحَمَنِي مِمَّا بِي رَحْمَةً يُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثمَّ دَعَا إِلَىٰ ابْنِ أَبْجَرَ ، فَجَسَّ بَطْنَهُ ، فَقَالَ : بَرَأْتَ ، مَا بِكَ عِلَّةٌ " . انظر : مجموعة وَسائل ابن أبي الدُّنيا كتاب مجابي الدعوة (١/ ٨٥) .

فالإمام الحافظ ابن أبي الدُّنيا ينقل هنا توسُّل الرَّجل وتوجّهه إلىٰ الله تعالىٰ بِنَبِيِّه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقرّاً غير معترضٍ ولا مُنكرٍ ...

قال الإمام ابن تيمية (٧٢٨هـ) : " فَهَذَا الدُّعاء وَنَحْوُهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ دَعَا بِهِ السَّلف ، وَنُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعاء " . انظر : مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٦٤)

فابن تيمية يعترف بأنَّه نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مَنْسَكِ المروذي التَّوسُّل بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعاء ، ولذلك فإنَّ من منع التَّوسُّل إلىٰ الله بالأنبياء ، ليس علىٰ منهج أحمد ، وهذه مدعاة للمتمسلفة كي يُراجعوا أنفسهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل التي خالفوا فيها أحمد وغيره من أساطين العلم ...

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) : " حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ، نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُقْرِئُ ، نَا الْأَصْمَعِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ وَهُوَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ غَزَا بِلادَ الرُّومِ ، فَمَاتَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَقُبِرَ مَعَ سُورِ الْمَدِينَةِ وَبُنِيَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الرُّومُ ، فَقَالُوا : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ! قَدْ كَانَ لَكُمُ اللَّيْلَةَ شَأْنٌ . فَقَالُوا : مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَاللهِ لَئِنْ نُبِشَ لا ضُرِبَ بِنَاقُوسٍ فِي بِلادِ الْعَرَبِ . قَالَ : وَكَانَ الرُّومُ إِذَا أَمْحَلُوا كَشَفُوا عَنْ قَبْرِهِ ؛ فَأُمْطِرُوا " . انظر : المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٨٩) ، وانظر : بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٠٣٨) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١٢) .

والرِّواية صريحة في توسُّل الكفرة وتبرُّكهم بقبر الصَّحابي الجليل : أَبي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ المدفون علىٰ أسوار القسطنطينية ... فإذا كان الله تعالىٰ قَبِلَ توسُّل الكفرة بقبر أبي أَيُّوب ، فما بالك بالمؤمنين الموحِّدين الذين يتوسَّلون إلىٰ الله تعالىٰ بجاه الصَّالحين مع إيمانهم المطلق بأنَّ المتوسَّل به لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، وأنَّ الله تعالىٰ هو النَّافع الضَّار ...

وقال الإمام محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، في ترجمة علي بن موسىٰ الرِّضا (٢٠٣هـ) : " ... وقبره بسناباذ خَارج النوقان مَشْهُور يُزار بِجنب قبر الرَّشيد قد زرته مرَاراً كَثِيرَة وَمَا حلت بِي شدَّة فِي وَقت مقَامي بطوس فزرت قبر عَليّ بن مُوسَىٰ الرِّضَا صلوَات الله علىٰ جده وَعَلِيهِ ودعوت الله إِزَالَتهَا عَنىٰ إِلَّا أستجيب لي ، وزالت عَنىٰ تِلْكَ الشدَّة ، وَهَذَا شَيْء جربته مرَاراً فَوَجَدته كَذَلِك . أماتنا الله علىٰ محبَّة المصطفي وَأهل بَيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " . انظر : الثقات (٨/ ٤٥٧) .

وهذا الإمام ابن حبَّان ينقل توسُّله بقبر الإمام علي بن موسىٰ الرِّضا (٢٠٣هـ) ، ويشهد أنه مَا حلت بِهِ شدَّةٌ فِي وَقت مقَامه بطوس ، فزاره ودعا الله إِزَالَتهَا عَنه إِلَّا أستجاب الله له ، وزالت عَنه تِلْكَ الشدَّة ، وَهَذَا شَيْء جرَّبه مرَاراً ، فَوَجَده كَذَلِك ...

وقال الإمام ابن حبَّان : " أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَىٰ محمَّد بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : سَمِعْتُ محمَّد بْنَ إِسْحَاقَ ، يُحَدِّثُ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ (٥٤هـ) يُصَلِّي عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ ، فَقَالَ : تُصَلِّي إِلَىٰ قَبْرِهِ ؟ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ ، فَقَالَ لَهُ قَوْلاً قَبِيحاً ، ثمَّ أَدْبَرَ ، فَانْصَرَفَ أُسَامَةُ ، فَقَالَ : يَا مَرْوَانُ إِنَّكَ آذَيْتَنِي ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَإِنَّكَ فَاحِشٌ مُتَفَحِّشٌ " . انظر : الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمَّد ابن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي ، (١٢/ ٥٠٦-٥٠٧ برقم ٥٦٩٤) . قال الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبَّان : " إسناده حسن ، رجال ثقات رجال الشيخين غير محمَّد بن إسحاق ، فقد روىٰ له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وأصحاب السنن، وهو صدوق . وأخرجه الطبراني في " الكبير " (٤٠٥) من طريق علي بن المديني ، عن وهب بن جرير ، لهذا الإسناد . ولفظه : رأيت أسامة بن زيد عند حجرة عائشة يدعو ، فجاء مروان فأسمعه كلاماً ، فقال أسامة : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " إن اللهَ عَزَّ وجَلَّ يُبغض الفاحش البذيء " . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ وقال : رجاله ثقات . وأخرج المرفوع منه الطبراني في " الكبير " (٣٩٩) و (٤٠٤) ، وفي " الأوسط " (٣٣٠) ، والخطيب في " تاريخ بغداد " ١٣/ ١٨٨ من طريقين عن عثمان بن حكيم ، عن محمَّد بن أفلح مولىٰ أبي أيوب ، عن أسامة ، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٠٢ عن حسين بن محمَّد ، عن أبي معشر ،

عن سليم مولىٰ ليث ، عن أسامة . أبو معشر ضعيف ، وسليم مولىٰ ليث لا يعرف . وأورده الهيثمي في " المجمع " ٨/ ٦٤ ، وقال : رواه أحمد والطبراني في " الكبير " و" الأوسط " بأسانيد ، وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات .

فابن حبَّان وغيره من رواة السُّنَّة هنا ينقلون بسند حسن علىٰ ما قاله الأرنؤوط في تخريجه للأثر تحرِّي الصَّحابي الجليل أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ (٥٤هـ) للصلاة عند قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرُّكاً به ...

وقال الإمام أبو الليث السَّمرقندي (٣٧٣هـ) : " ... أحسن الله عاقبتها بمحمَّد وآله " . انظر : بحر العلوم (٣/ ٦١٣) .

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) : " وَبِاللَّهِ أستعين ، وَعَلِيهِ أتوكل ، وعَلىٰ نبيه أُصَلِّي ، وَبِه أتوسَّل ، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه الْعلي الْعَظِيم " . انظر : التعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف (ص٢١) .

وقال الإمام الدَّارقطني (٣٨٥هـ) : " وأمَّا ذو النُّور ، فهو عبد الرَّحمن بن رَبيعة الباهلي (٣٢هـ) استعمله عُمَر علىٰ الباب والأبواب وقتال التُّرك وقتل بِبَلَنْجَر في خلافة عُثْمان في سنة تسع من إمارة عُثْمان ، وكان أمير الجيش والأتراك يستسقون بجسده إلىٰ اليوم ، وجعلوه في سفط ، هو أخو سلمان بن ربيعة الباهلي (٣٠هـ) الذي يَرْوي عن عُمَر بن الخطاب حديثاً رواه عنه أبو وَائِل ، وكان سلمان قاضي الكوفة " . انظر : المؤتَلِف والمختَلِف (٢/ ١٠٠٠) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٠) ، وانظر : الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٢٥٨) .

وقال الإمام أبو حيَّان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) : " قال أبو العيناء : حدَّثني حجاج بن نصير ، قال : سمعت إبراهيم بن عبد الله بن حسن (١٤٥هـ) في يوم عيد يخطب ، فقال : اللهمَّ إن هذا يوم أنت ذاكر فيه آباء بأبناء بآباء ، فاذكرنا عندك بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : البصائر والذخائر (٤/ ٢٠) .

والأثر يحمل توسُّل إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (١٤٥هـ) ، بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وقال الإمام أبو الطيِّب نايف بن صلاح بن علي المنصوري في ترجمة إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق ، الأستاذ الإمام ، الإِسْفَرايِيني (٤١٨هـ) : " ... والنَّاس يتبرَّكون ويزورونه ، وتُستجاب عنده الدَّعوات " . انظر : السَّلسَبِيلُ النَّقِي في تَرَاجِمِ شيُوخ البَيهَقِيّ (١/ ١٧٧) .

وقال الإمام منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبىٰ (٤٢١هـ) : " قَالَ إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن حسن : وجدت جَمِيع مَا يطْلب الْعباد من جسيم الْخَيْر عِنْد الله فِي ثَلَاث : فِي الْمنطق وَالنَّظَر وَالسُّكُوت ؛ فَكلّ

منطقٍ لَيْسَ فِيهِ ذكرٌ فَهُوَ لَغْو ، وكل سكوتٍ لَيْسَ فِيهِ تفكرٌ فَهُوَ سهوٌ ، وكل نظر لَيْسَ فِيهِ عِبْرَة فَهُوَ غفلةٌ . فطوبىٰ لمن كَانَ مَنْطِقه ذكراً ، وَنَظره عبراً ، وسكوته تفكراً ، ووسعه بَيته، وَبكىٰ علىٰ خطيئته ، وسلَّم الْمُسلمُونَ مِنْهُ . وَقَالَ فِي خطبَته يَوْم الْفطر : اللهمَّ إِنَّك ذاكرٌ الْيَوْم آبَاءَنَا بأبنائهم وَأَبْنَاءَنَا بآبائهم ؛ فاذكرنا عنْدك بمحمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَا حَافظ الْآبَاء فِي الْأَبْنَاء احفظ ذُرِّيَّة نبيك . قَالَ : فَبكىٰ النَّاس بكاء شَدِيداً " . انظر : نثر الدر في المحاضرات (١/ ٢٥٩) .

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) : " حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُعَدَّلُ الْأَصْبَهَانِيُّ بنَيْسَابُورَ ، ثنا أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ وَمَوْلِدُهُ بأَصْبَهَانَ ، ثنا أَبُو الصَّلْتِ عَبْدُ السَّلام بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ الرِّضَا (٢٠٣هـ) ، وَدَخَلَ نَيْسَابُورَ رَاكِباً بَغْلَةً شَهْبَاءَ أَوْ بَغْلاً أَشْهَبَ ، الشَّكُّ مِنْ أَبِي الصَّلْتِ ، فَعَدَا فِي طَلَبِهِ عُلَمَاءُ الْبَلَدِ يَاسِينُ بْنُ النَّضْرِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ ، وَيَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَتَعَلَّقُوا بِلِجَامِهِ فِي الْمُرَبَّعِ ، فَقَالُوا : بِحَقِّ آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ ، حَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِيكَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي الْعَدْلُ الصَّالح مُوسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ مُوسَىٰ : حَدَّثَنِي أَبِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ محمَّد ، حَدَّثَنِي أَبِي أَبُو جَعْفَرٍ بِاقِرُ الْعِلْمِ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ سيِّد الْعَابِدِينَ ، حَدَّثَنِي أَبِي سيِّد أَهْلِ الْجَنَّةِ الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنِي أَبِي سيِّد الْعَرَبِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : إِنْ قَرَأْتَ هَذَا الْإِسْنَادَ عَلَىٰ مَجْنُونٍ بُرِئَ مِنْ جُنُونِهِ ، وَمَا عَيْبُ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا جَوْدَةُ إِسْنَادِهِ " . انظر : تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان) (١/ ١٧٤) ، وانظر : التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٤٨٢) .

والأثر يحمل توسُّل كل من : ياسين بْن النَّضْر ، القاضي أَبُو سعَيد النَّيسابوري (توفي ما بين ٢٥١ه-٢٦٠هـ) ، وأَحْمد بن حَرْب بن محمَّد الطَّائِي الْموصِلِي (٢٦٣هـ) ، يحيىٰ بْن يحيىٰ أَبُو زكريَّا النَّيسابُوري الحنظلي التَّميمي (٢٢٦هـ) بِحَقِّ آبَاء الإمام عَلِيِّ بْنِ مُوسَىٰ الرِّضَا الطَّاهِرِينَ ...

وقال الإمام الأصبهاني : " أُمُّ حَرَامَ بِنْتُ مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّةُ خَالَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، كَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِ الْبَحْرِ ، وَمَاتَتْ بِالشَّامِ ، وَقُبِرَتْ بِقُبْرُسَ ، وَقَصَتْهَا بَغْلَتُهَا فَمَاتَتْ ، وَأَهْلُ الشَّامِ يَسْتَسْقُونَ بِهَا ، يَقُولُونَ : قَبْرُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، قِيلَ : اسْمُهَا الرُّمَيْصَاءُ ، وَقِيلَ : الْغُمَيْصَاءُ أَيْضاً " . انظر : معرفة الصَّحابة (٦/ ٣٤٧٩) ، وانظر أيضاً : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٣٤٠) .

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني : " حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللهِ ، ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ الطُّوسِيُّ ، ثَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَبْدِيُّ ، ثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، ثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، ثَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : اسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِحِمْصَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ الْجُمَحِيُّ ، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حِمْصَ ، قَالَ : يَا أَهْلَ حِمْصَ ، كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ ؟ فَشَكَوْهُ إِلَيْهِ – وَكَانَ يُقَالُ لِأَهْلِ حِمْصَ : الْكُوَيْفَةُ الصُّغْرَىٰ لِشِكَايَتِهِمُ الْعُمَّالَ – قَالُوا : نَشْكُو أَرْبَعاً : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ يَتَعَالَىٰ النَّهَارُ ، قَالَ : أَعْظِمْ بِهَا ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحداً بِلَيْلٍ ، قَالَ : وَعَظِيمَةٌ ، قَالَ: وَمَاذَا ؟ قَالُوا : وَلَهُ يَوْمٌ فِي الشَّهْرِ لَا يَخْرُجُ فِيهِ إِلَيْنَا ، قَالَ : عَظِيمَةٌ ، قَالَ : وَمَاذَا ؟ قَالُوا : يَغْنَظُ الْغُنْظَةَ بَيْنَ الْأَيَّامِ – يَعْنِي تَأْخُذُهُ مَوْتَةٌ – قَالَ : فَجَمَعَ عُمَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَقَالَ : اللهمَّ لَا تُقْبِلْ رَأْيِي فِيهِ الْيَوْمَ ، مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّىٰ يَتَعَالَىٰ النَّهَارُ ، قَالَ : وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَكْرَهُ ذِكْرَهُ ، لَيْسَ لِأَهْلِي خَادِمٌ فَأَعْجِنُ عَجِينِي ثمَّ أَجْلِسُ حَتَّىٰ يَخْتَمِرَ ثمَّ أَخْبِزُ خُبْزِي ، ثمَّ أَتَوَضَّأُ ثمَّ أَخْرَجُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا تَشْكُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : لَا يُجِيبُ أَحَداً مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِيكَ بِشَوْكَةٍ ، ثمَّ نَادَىٰ : يَا محمَّد ، فَمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَتَرْكِي نُصْرَتَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وَأَنَا مُشْرِكٌ لَا أُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَغْفِرُ لِي بِذَلِكَ الذَّنْبِ أَبداً ، قَالَ : فَتُصِيبُنِي تِلْكَ الْغِنْظَةُ ... " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٤٦) .

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، في ترجمة شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ (١٩٤هـ) : " قَالَ عَلِيُّ بْنُ محمَّد بْنِ شَقِيقٍ : كَانَ لِجَدِّي ثَلَاثُمِائَةِ قَرْيَةٍ يَوْمَ قُتِلَ بِوَاشَكَرْدٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفَنٌ يُكَفَّنُ فِيهِ ، قَدَّمَهُ كُلُّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَثِيَابُهُ وَسَيْفُهُ إِلَىٰ السَّاعَةِ مُعَلَّقٌ ، يَتَبَرَّكُونَ بِهِ " . انظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٥٩) .

والرِّواية ذكرها الإمام البيهقي (٤٥٨هـ) في الشُّعَب ، قال : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهُ ، بِبَغْدَادَ ، نا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ، يَقُولُ : " حَجَجْتُ خَمْسَ حِجَجٍ ، اثْنَتَيْنِ رَاكِباً ، وَثَلَاثَ مَاشِياً ، أَوْ ثَلَاثَ رَاكِباً ، وَاثْنَتَيْنِ مَاشِياً ، فَضَلَلْتُ الطَّرِيقَ فِي حجَّة ، وَكُنْتُ مَاشِياً فَجَعَلْتُ أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللهِ ، دُلُّونِي عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، قَالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَفْتُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " . انظر : شعب الإيمان (١٠/ ١٤١) ، وانظر : تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٨).

وقال الإمام الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) : " ... ومقبرة باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل . وعند المصلىٰ المرسوم بصلاة العيد كان قبره يعرف بقبر النُّذور، يقال: إنَّ المدفون فيه رجل من ولد

عَلِيّ بْن أَبِي طالب رضي الله عنه يتبرَّك النَّاس بزيارته ، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته " . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٢٤٥-٢٤٦) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو محمَّد الْحَسَن بْن الحسين بْن محمَّد بْن رامين الإستراباذي ، قَال : أَخبرنا أَحْمَد بْن جعفر بْن حمدان القطيعي ، قَالَ : سمعت الْحَسَن بْن إِبْرَاهِيمَ أبا عَلِيّ الخلال ، يقول : ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ مُوسَىٰ بْن جعفر ، فتوسَّلت به إلَّا سهَّل الله تعالىٰ لي ما أحبّ " . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٢) ، وانظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٩/ ٨٩) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي : " أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد الرَّحمن إسماعيل بْن أَحْمَد الحيري الضَّرير ، قَالَ : أَخبرنا أَبُو عَبْد الرَّحمن محمَّد بْن الحسين السّلمي ، بنيسابور ، قَالَ : سمعت أبا بكر الرَّازي ، يقول : سمعت عَبْد الله بْن مُوسَىٰ الطّلحي ، يقول : سمعت أَحْمَد بْن العبَّاس ، يقول : خرجت من بغداد ، فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة ، فقال لي : من أين خرجت؟ قلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد ، خفت أن يخسف بأهلها . فقال : ارجع ولا تخف ، فإنَّ فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن لهم من جميع البلايا . قلت : من هم ؟ قَالَ : ثمَّ الإمام أَحْمَد بْن حَنْبَل (٢٤١هـ) ، ومعروف الكرخي (٢٠٠هـ) ، وبشر الحافي (٢٢٧هـ) ، ومنصور بْن عمار (٢٢٥هـ) . فرجعت وزرت القبور ، ولم أخرج تلك السَّنة " . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٣) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي : " أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْد الله الحسين بْن عَلِيّ بْن محمَّد الصيمري ، قَالَ : أَخبرنا عُمَر بْن إِبْرَاهِيمَ المقرئ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مكرم بْن أَحْمَد ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَر بْن إسحاق بْن إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن ميمون ، قَالَ : سمعت الشَّافعي (٢٠٤هـ) ، يقول : إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة (١٥٠هـ) ، وأجيء إِلَىٰ قبره في كلِّ يوم ، يَعْنِي زائراً ، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين ، وجئت إِلَىٰ قبره وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده ، فما تبعد عنِّي حتىٰ تقضىٰ " . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ،، وانظر : مناقب أبي حنيفة (ص٤٥٣)

وقال الإمام الخطيب البغدادي : "َخْبَرَنِي أَبُو إسحاق إِبْرَاهِيم بْن عُمَر البرمكي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الفضل عبيد الله بْن عَبْد الرَّحمن بْن محمَّد الزُّهري ، قَالَ : سمعت أَبِي يقول : قبر معروف الكرخي (٢٠٠هـ) مجرَّب لقضاء الحوائج ، ويقال : إنَّه من قرأ عنده مائة مرَّة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وسأل الله تعالىٰ ما يريد ، قضىٰ الله له حاجته" . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) ، طبقات الأولياء (ص٢٨١) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي : " حَدَّثَنِي أَبُو عَبْد الله محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْدِ اللَّهِ الصوري ، قَالَ : سمعت أبا الحسين محمَّد بْن أَحْمَد بْن جميع ، يقول : سمعت أبا عَبْد الله ابْن المحاملي ، يقول : أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهمومٌ إلَّا فرَّج الله همَّه " . انظر : تاريخ بغداد (١/ ٤٤٥) .

وقال الإمام الخطيب البغدادي : " أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا محمَّد بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدَوَيْهِ النَّيْسَابُورِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ محمَّد الْمُذَكِّرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْفَقِيهُ الرَّازِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ محمَّد بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، قَالَ : كُنْتُ وَاقِفاً عَلَىٰ رَأْسِ أَبِي وَعِنْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ محمَّد بْنِ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ ، وَأَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ ، فَقَالَ أَبِي : لِيُحَدِّثَنِي كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِحَدِيثٍ ؛ فَقَالَ : أَبُو الصلت حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُوسَىٰ الرِّضَا ، وَكَانَ وَاللَّهِ رِضاً كَمَا سُمِّيَ ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَىٰ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ محمَّد ، عَنْ أَبِيهِ محمَّد بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الإيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ " .
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَا هَذَا الإِسْنَادُ ؟! فَقَالَ لَهُ أَبِي : هَذَا سُعُوطُ الْمَجَانِينِ ، وَإِذَا سَعَطَ بِهِ الْمَجْنُونُ بَرَأَ " .
انظر : تاريخ بغداد (٣/ ٤٢١) .

وقال الإمام ابن عبد البرّ القرطبي (٤٦٣هـ) : " ... وقبر أبي أيُّوب قرب سورها معلوم إلىٰ اليوم معظم يستسقون به فيسقون " . انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٢٦) ، وانظر : أسد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ١٢١) ، وانظر : معرفة الصَّحابة (٢/ ٩٣٣) .

وقال الإمام أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) : " ... ودعوت الله تَعَالَىٰ أَن يوفِّقني لطاعته ، وَأَن يغْفر ذَنبي ، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهدي عباده جَمِيعاً لما يرضاه ، وَيغْفر لَهُم ذنوبهم ، بِحَق محمَّد وَآله الطَّاهرين " . انظر : سفر نامه (ص٦٠)

وقال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانىٰ (٥٠٢هـ) : " غفر اللَّه لكاتبه ، ونفع به صاحبه ، وألهمه لما فيه ، واستعمله بما يرضيه ، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " . انظر : الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة (ص٢٠٠) .

وقال الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) : " كتاب أسرار الحجّ : ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السَّلام ، وزيارة قبور الصَّحابة والتَّابعين ، وسائر العلماء والأولياء ، وكلّ من يُتبرَّك بمشاهدته في حياته يُتبرَّك بزيارته بعد وفاته . ويجوز شدُّ الرِّحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تشدُّ الرِّحال إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الحرام

، والمسجد الأقصىٰ " ، لأنَّ ذلك في المساجد ، فإنَّها متماثلة بعد هذه المساجد . وإلَّا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل ، وإن كان يتفاوت في الدَّرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله" . انظر : إحياء علوم الدِّين (٢/ ٢٤٧) .

وقال الإمام أمين الدَّولة محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطَّرابلسي (المتوفىٰ: بعد ٥١٥هـ) : " نسأل الله توفيقاً لما أغرب عن ذلك المقام ، وأعفىٰ من ذلك الغرام ، ونتوجَّه إليه بمحمَّد وآله عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام . هذا كلام الوزير رحمه " . انظر : المجموع اللفيف (ص٢٩) .

وقال الإمام أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) : " فقدْ مدَدْنا إلَيْكَ يدَ المسْألَةِ ، وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ ، واستَنْزَلْنا كرَمَك الجَمّ ، وفضْلَكَ الذي عمّ ، بضَراعَةِ الطّلَبِ ، وبِضاعَةِ الأمَلِ ، بالتّوسّلِ بمحمَّد سيِّد البشَرِ ، والشّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ ، الذي ختَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ ، وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ ". انظر : مقامات الحريري (ص١٢) .

وقال الإمام أبو الحسين ابن أبي يعلىٰ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، في ترجمة علي بْن محمَّد بْن بشار أَبُو الحسن الزَّاهد العارف : " ... وتوفِّي لسبع خلون من شهر ربيع الأوَّل سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، ودفن بالعقبة قريباً من النّجمي ، وقبره الآن ظاهر يتبرَّك النَّاس بزيارته " . انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) .

وقال الإمام القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلىٰ ، محمَّد بن محمَّد في ترجمة أَبُو جَعْفَر عبد الخالق بْن عيسىٰ بْن أَحْمَد بن محمَّد بْنِ عِيسَىٰ بْن أَحْمَد بْن موسىٰ بْن محمَّد بن إبراهيم بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن معبد بْن العبَّاس بْن عبد المطَّلب (٤٧٠هـ) : " وحفر لَهُ بجنب قبر إمامنا أَحْمَد ، فدفن فِيهِ وأخذ النَّاس من تراب قبره الكثير تبركاً به .ولزم النَّاس قبره ليلاً ونهاراً مدَّة طويلة ويقرأون ختمات ويكثرون الدُّعاء . ولقد بلغني أنَّه ختم عَلَىٰ قبره فِي مدَّة شهور ألوف ختمات ، وكثرت المنامات من الصَّالحين بالرُّؤىٰ الصَّالحة لَهُ ... " . انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤١) .

وفي كلامه عن فتح أذربيجان ، قال الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) : " ... افتتحها ، يعني : أذربيجان البراء بن عازب ، فهي مختلطة منها عنوة ومنها صلح ، ويقال : افتتحها سلمان بن ربيعة الباهلي في زمن عثمان ، ويقال : بل الوليد افتتحها ثمَّ بعث الوليد من فور ذلك سلمان بن ربيعة ، فمات ببلنجر ، فقبره اليوم يستسقون به .

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، أنا رشأ بن نظيف ، أنا أبو محمَّد المصري ، نا أحمد بن مروان ، نا أبو بكر بن أبي الدُّنيا ، نا ابن سعد ، نا محمَّد بن عمر الأسلمي ، نا أبو بكر بن أبي سبرة ، عن الفضيل بن

أبي عبد الله بن دينار الأسلمي أنَّ سلمان بن ربيعة الباهلي غزا بلاد الترك في خلافة عثمان بن عفان ، فقتل بالانجر ، فجعل أهل تلك الناحية عظامه في تابوت ، فإذا احتبس عنهم القطر أخرجوه فاستسقوا به ، وقال في ذلك ابن جمانة الباهلي الشَّاعر :

إنَّ لنا قبرين قبر بالانجر وقبراً بأعلىٰ الصِّين يا لك من قبر
فهذا الذي بالصِّين عمَّت فتوحه وهذا الذي بالتُّرك يسقىٰ به القطر

القبر الذي بالصِّين قبر قتيبة بن مسلم " . انظر : تاريخ دمشق (٢١/ ٤٧٤) .

وقال الإمام ابن عساكر (٥٧١هـ) : " أخبرني أبو المظفَّر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أنا أبو عبد الرَّحمن محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن موسىٰ قراءة عليه ، قال : سمعت محمَّد بن عبد الله بن شاذان ، يقول : سمعت أبا القاسم بن صدقة ، يقول : سمعت علي بن عبد العزيز الطلحي ، يقول : قال لي الرَّبيع : إنَّ الشَّافعي خرج إلىٰ مصر وأنا معه ، فقال لي : يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن حنبل وائتني بالجواب ، قال الرَّبيع : فدخلت بغداد ومعي الكتاب ، فلقيت أحمد بن حنبل صلاة الصُّبح فصلَّيت معه الفجر ، فلمَّا انفتل من المحراب سلّمت إليه الكتاب ، وقلت له : هذا كتاب أخيك الشَّافعي من مصر ، فقال : أحمد نظرت فيه ، قلت : لا ، فكسر أبو عبد الله الختم وقرأ الكتاب وتغرغرت عيناه بالدُّموع ، فقلت : إيش فيه يا أبا عبد الله ، قال : يذكر أنَّه رأىٰ النَّبي ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النَّوم ، فقال له : اكتب إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، واقرأ عليه منِّي السَّلام ، وقل : إنَّك ستُمتحن وتُدعىٰ إلىٰ خلق القرآن فلا تجبهم فسيرفع الله لك علماً إلىٰ يوم القيامة ، قال الرَّبيع : فقلت : البشارة فخلع أحمد قميصيه الذي يلي جلده ودفعه إليَّ فأخذته وخرجت إلىٰ مصر ، وأخذت جواب الكتاب ، فسلَّمته إلىٰ الشَّافعي ، فقال لي الشَّافعي : يا ربيع إيش الذي دفع إليك ، قلت : القميص الذي يلي جلده ، قال الشَّافعي : ليس نفجعك به ولكن بله وادفع إليَّ الماء حتىٰ أشركك فيه " . انظر : تاريخ دمشق (٥/ ٣١١) .

وفي حديثه عن أم حرام بنت ملحان الأنصاريَّة ، قال الإمام ابن عساكر : " أُمّ حرام بنت ملحان الأنصاريَّة خالة أنس بن مالك ، كانت تحت عبادة بن الصَّامت ، وخرجت معه في بعض غزوات البحر ، وماتت بالشَّام ، وقُبرت بقبرس ، وَقَصَتهَا بغلتها فماتت ، وأهل الشَّام يستسقون بها ، يقولون : قبر المرأة الصَّالحة " . انظر : تاريخ دمشق (٧٠/ ٢١٧) .

وقال الإمام ابن عساكر : " حكىٰ لي أبو المغيث منقذ بن مرشد الكناني ، قال : كنت عند والدي رحمه الله تعالىٰ وهو ينسخ مصحفاً ، ونحن نتذاكر خروج الرُّوم ، فرفع المصحف ، وقال : اللهمَّ بحقِّ من أنزلته عليه ، إن قضيت بخروج الرُّوم فخذ روحي ولا أراهم ، فمات يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان سنة إحدىٰ وثلاثين وخمسمائة بشيزر ، ودفن في داره ، وخرجت الرُّوم ونزلوا علىٰ شيزر في نصف شعبان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، فحاصروها أربعة وعشرين يوماً ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيقاً ، ثمَّ رحلوا عنها يوم السَّبت تاسع شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ، والله تعالىٰ أعلم " . انظر : تاريخ دمشق (٥٧/ ٢١٩) ، وانظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (١١/ ٥٥٦) .

وقال الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، في ترجمة نصر بن الحسن بن أبي القاسم بن أبي حاتم بن الأشعث التَّنكتي الشَّاشي : " أخبرنا القاضي الشَّهيد أبو عبد الله محمَّد بن أحمد رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : قرأت علىٰ أبي علىٰ حسين بن محمَّد الغسَّاني ، قال : أخبرني أبو الحسن طاهر بن مفوز والمعافري ، قال : أنا أبو الفتح وأبو الليث نصر بن الحسن التّنكتي المقيم بسمرقند قدم عليهم بلنسية عام أربعة وستِّين وأربع مائة . قال : قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام ، قال : فاستسقىٰ النَّاس مراراً فلم يُسقوا . قال : فأتىٰ رجل من الصَّالحين معروف بالصَّلاح مشهور به إلىٰ قاضي سمرقند ، فقال له : إني قد رأيت رأياً أعرضه عليك . قال : وما هو ؟ قال : أرىٰ أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلىٰ قبر الإمام محمَّد بن إسماعيل البخاري رحمه الله وقبره بخرتنك وتستسقوا عنده فعسىٰ الله أن يسقينا ، قال : فقال القاضي نعم ما رأيت . فخرج القاضي وخرج النَّاس معه واستسقىٰ القاضي بالنَّاس ، وبكىٰ النَّاس عند القبر وتشفعوا بصاحبه ، فأرسل الله السَّماء بماءٍ عظيم غزير أقام النَّاس من أجله بخرتنك سبعة أيام أو نحوها لا يستطيع أحد الوصول إلىٰ سمرقند من كثرة المطر وغزارته ، وبين خرتنك وسمرقند ثلاثة أميال أو نحوها " . انظر : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس (١/ ٦٠٣) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٦٩) .

وقال الإمام عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) : " ... وَيسْتَحب لَك رَحِمك الله أَن تقصد بميتك قُبُور الصَّالِحين ، ومدافن أهل الْخَيْر ، فتدفنه مَعَهم ، وتنزله بإزائهم ، وتسكنه فِي جوارهم ، تبركاً بهم ، وتوسُّلاً

إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ بقربهم ، وَأَن تجتنب بِهِ قُبُور من سواهُم مِمَّن يخَاف التأذي بمجاورته ، والتَّألم بمشاهدته ... " . انظر : العاقبة في ذكر الموت (١/ ٢١٩-٢٢٠) .

وقال الإمام جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) : " ... فَالْوَاجِب علينا ان نستغيث بمراحم الْعَزِيز الرَّحِيم ، ونستشفع إِلَيْهِ بجاه نبيه الْكَرِيم الَّذِي أذن لَهُ فِي إِخْرَاج النَّاس من الظُّلُمَات إِلَى النُّور " . انظر : التذكرة في الوعظ (ص١٦٢) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " اللهمَّ إنَّا نتوسَّل إليك بالخليل في منزلته ، والحبيب في رتبته ، وكلّ مخلص في طاعته ، أن تغفر لكلٍّ منا زلَّته ، يا كريم برحمتك يا أرحم الرَّاحمين " . انظر : التبصرة لابن الجوزي (١/ ١٢٤) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " أنبأنا يحيىٰ بن الحسن ، قال : أنبأنا محمَّد بن الحسين ، قال : أخبرنا أبو الحسن علىٰ بن محمَّد الحِنائي ، قال : أخبرنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد ، قال : أخبرنا أبو بكر محمَّد بن عيسىٰ ، قال : حدَّثنا العبَّاس ، قال : وحدَّثني اللَّكّاف ، قال : حدَّثني عبد الله بن موسىٰ – وكان من أهل السُّنَّة – قال : خرجتُ أنا وأبي في لَيلة مُظلمة نزور أحمد ، فاشتدَّت الظّلمة ، فقال أبي : يا بُني ، تعال حتىٰ نتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهذا العبد الصَّالح حَتىٰ يُضيءَ لنا الطَّريق ، فإنِّي مُنذ ثلاثين سَنة ما توسَّلتُ به إلَّا قُضيت حاجَتي ، فدعا أبىٰ وأمَّنْتُ أنا علىٰ دُعائه ، فأضاءّت السَّماء كأنها ليلة مُقمرة حتىٰ وَصلنا إليه " . انظر : مناقب الإمام أحمد (ص٤٠٠) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " ... وكثر ضجيجي من مرضي ، وعجزت عن طلب نفسي ، فلجأت إلىٰ قبور الصَّالحين ، وتوسَّلت في صلاحي ... " . انظر : صيد الخاطر ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي ، (ص٩٣) ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م .

قلت : وعلىٰ الدَّوام ... يأبىٰ مدَّعو السَّلفيَّة إلَّا العبث بكتب أهل العلم بالتَّزوير والتَّحوير والتَّبديل والتَّغيير ... وهنا حرَّفوا قول الإمام ابن الجوزي (قبور الصَّالحين) لتصبح بعبثهم وكذبهم (قبول الصَّالحين) ، وذلك في كتاب صيد الخاطر الموجود في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، مع أنَّ التَّحريف الذي أوقعوه وأحدثوه لا يستقيم معه النَّص ... ولم أستطع الحصول علىٰ نسخة دار القلم التي نقلت عنها من المكتبة الشَّاملة ، ولذلك لا أدري : هل وقع التَّحريف والتَّزييف في طبعة دار القلم أم كان

من المشرفين على المكتبة الشَّاملة ، وهذا ما أعتقدهُ وأَميلُ إليه ، فإلى الله تعالى المشتكى . انظر النصَّ غير المحرَّف في كتاب : صيد الخاطر لابن الجوزي(ص٧٩) ، المكتبة العلمية ، بيروت .

وقال الإمام ابن الجوزي : " لم يزل ذكر نَبينَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منشوراً وَهُوَ فِي طي الْعَدَم ، توسَّل بِهِ آدم وَأخذ لَهُ مِيثَـــاق الْأَنبِيَـــاء على تَصْدِيقه " . انظر : المدهش (ص١٤١) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [يوسف : ٦٦] ، أي : أعطَوْه العهد ، وفيه قولان : أحدهما : أنهم حلفوا له بحقّ محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنزلته من ربِّه ، قاله الضَّحَّاك (١٠٢هـ) عن ابن عبَّاس (٦٨هـ) " . انظر : زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٥٥) .

وقال الإمام ابن الجوزي : " أخبرنَا عبد الوهَّاب الْحَافِظُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حَمَدُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا محمَّد بْنُ عبد الله ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الطوسي ، قَالَ : حدثنَا محمَّد بن عبد الكريم ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ، قَالَ : قَالَ : سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ جُذَيْمٍ : شَهِدْتُ مَصْرَعَ خُبَيْبٍ وَقَدْ بَضَعَتْ قُرَيْشٌ لَحْمَهُ ثمَّ حَمَلُوهُ عَلَى جَذْعَةٍ ، فَقَالُوا : أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً مَكَانَكَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي وَأَنَّ مُحَمَّداً شِيك بِشَوْكَةٍ ثمَّ نَادَى يَا محمَّد " . انظر : الثبات عند الممات (ص١٢٤) ، وانظر : صفة الصفوة (١/ ٢٣٧) ، (١/ ٢٥٧) ، وانظر العديد من أقوال ابن الجوزي في التَّوسُّل في : مناقب الإمام أحمد (ص٣٩٨) ، (ص٥٤٥) ، بحر الدموع (ص٥٨) .

وقال الإمام عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) : " ... والله سبحانه يتقبل من الخادم فيه صالح دعائه ، وينصره على جاحدي نعمائه ، بمحمَّد وآله " . انظر : خريدة القصر وجريدة العصر (٢/ ٣٥٤) .

وقال الإمام علي بن أبي بكر بن علي الهروي (٦١١هـ) : " ... وفقه الله لطاعته وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته ، بمحمَّد وآله وعترته " . انظر : الإشارات إلى معرفة الزيارات (ص١٣) .

وقال الإمام شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّج بن حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيُّ (٦١١هـ) : " ... أحسن الله عافيتها بمحمَّد وآله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " . انظر : أربعون حديثا لعلي بن المفضل المقدسي ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيُّ ، (ص٤٣) ، مخطوط .

وقال الإمام موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) : " واقضِ حوائجنا في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله وصحبه أجمعين " . انظر : مرشد الزوار إلىٰ قبور الأبرار (١/ ١٨٨) .

وقال في " مرشد الزوار إلىٰ قبور الأبرار" (١/ ١٩٦) في ترجمة الإمام العالم القاسم الطيِّب بن محمَّد المأمون ابن جعفر الصادق بن محمَّد الباقر بن زين العابدين (٩٤هـ) : " وقد كتب علىٰ قبره من نظم ابن سناء الملك الوزير :

يا من إذا سأل المقصِّرُ عفوه	فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالي سوىٰ فقرىٰ إليــك وسيلة	وتشفُّعي بمحمَّد وبآلـــــــــه

وقال الإمام نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) : " ولا بأس بالتَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ في الاستسقاء بالشُّيوخ والزُّهَّاد وأهل العلم والفضل والدِّين من المسلمين " . انظر : المستوعب (١/ ٢٩٣) .

وقال الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) : " قَالَ الشَّيخ الإِمَام الْعَالم محب الدِّين أَبُو الْبَقَاء عبد الله بن الْحُسَيْن بن عبد الله العكبرىٰ رَحمَه الله تَعَالَىٰ ورحم أسلافه بمحمَّد واله وَأَصْحَابه وأنصاره " . انظر : التبيان في إعراب القرآن (١/ ١) .

وقال الإمام أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) : " والله سبحانه وتعالىٰ المسؤول في أن يوفِّقنا للإقبال علىٰ امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقر من أجره وثوابه ، ويباعد من سخطه وعقابه بمحمَّد وآله " . انظر : عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة (٣/ ١٣١٣) .

وقال الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠ هـ) : " ... وإذا كانت لك حاجة إلىٰ الله تعالىٰ ، تريد طلبها منه فتوضَّأ وأحسن الوضوء ، واركع ركعتين وأثنِ علىٰ الله عزَّ وجلَّ ، وصلِّ علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ قل: ... اللهمَّ إنِّي أسالك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي الرَّحمة ، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلىٰ ربِّي وربِّك عزَّ وجلَّ فيقضي لي حاجتي . ويذكر حاجته . وروي أنَّ السَّلف كانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يصليهما ثمَّ يقول : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجه ، اللهمَّ ذلِّل لي صعوبة أمري ، وسهل من الخير أكثر ممَّا أرجو ، واصرف عنِّي من الشَّر أكثر ممَّا أخاف " . انظر : الوصية (ص٤٦) .

قلت : وقد قامت الأيدي الظالمة الأثيمة بالتلاعب في كتاب " الوصيَّة " للإمام ابن قدامة المقدسي ، فشطبوا هذه الفقرة من كتاب " الوصيَّة " الذي نشرته دار تيسير السُّنَّة ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤١١ هـ ، ١٩٩٠م) ، بتحقيق : أُم عبد الله بنت محروس العسيلي ، وإشراف : أبو عبد الله محمود بن محمَّد الحدَّاد ، والموجود في المكتبة الشَّاملة ، الإصدار السَّادس . وللأمانة لم أستطع الحصول علىٰ النُّسخة الورقيَّة من هذه الطَّبعة ، وبالتَّالي لا أدري : هل وقع العبث من قبل المسؤولين عن المكتبة الشَّاملة أم كان العبث ممَّن حقَّق الكتاب أصلاً ...

أمَّا النُّسخة التي نقلت عنها ، والتي هي من تحقيق : محمَّد خير رمضان يوسف ، وطباعة دار ابن حزم ، بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ، (١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م) ، فقد ذكر المحقِّق الأستاذ محمَّد خير رمضان يوسف ، أنَّه قد حقَّقها علىٰ ثلاث نسخ ، رمز لها بـ : (أ)،(ب)،(ج) . وذكر أنَّ النُّسخة (أ) ، النُّسخة هي الأقدم من بين النُّسخ ، ولذلك اتَّخذها المحقِّق أصلاً ، وفيها جاء نصُّ الكلام الذي ذكرناه . أمَّا النُّسخة (ب) فهي ناقصة ، وأمَّا النُّسخة (ج) ، فهي نسخة مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة ، وهي النُّسخة الأحدث من بين النُّسخ الثَّلاث حيث نسخت عام (١٣٣٥هـ) ، وناسخها ممَّن يدَّعون السلفيَّة ، واسمه : الشَّيخ القاضي محمَّد بن سليمان البصيري ، وقد قام هذا النَّاسخ بحذف حديث التَّوسُّل تماماً !! وكذا قام بحذف قول ابن قدامة : اللهمَّ بك أستفتح وأستنجح ، وإليك بنبيِّك محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتوجَّه !! فإلىٰ الله المشتكىٰ من هذه الشِّرذمة التي دأبت علىٰ التَّزوير والعبث بكتب أهل العلم في القديم والحديث ، فالله حسيبهم ...

وقال الإمام عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) في " التَّدوين في أخبار قزوين" (٢/٧٦) في ترجمة محمَّد بْن علي بْن حسول أَبُو العلاء الوزير الصفي : " معروف بالفضل وحسن النَّظم والنَّثر ثمَّ بالوزارة ورفعة القدر والجاه ، وقد ورد قزوين كتب إِلَىٰ الإمام أبي حفص هبة اللَّه بْن محمَّد بْن زاذان :

زرت الإمام بْن الإمام بلا مراء أو ريـــــــاء
بل قاضياً حقَّاً عَلَي له جديراً بالقضـــــاء

ومراعيا فرضاً وما أنا فِي الفروص من البطـاء
متوسِّلاً بشفـــــــــــاعة من عنده يـــــــــوم الجزاء

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) : " فأحسن الله عنَّا جزاءه ، وأدام عزَّه وعلاءه ، بمحمَّد وآله الكرام " . انظر : معجم البلدان (١/ ١٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) : " وسألت الله أن لا يحرمنا ثواب التَّعب فيه ، ولا يكلنا إلىٰ أنفسنا فيما نعمله وننويه ، بمحمَّد وآله وأصحابه الكرام البررة " . انظر : معجم البلدان (٥/ ٤٥٧).

وقال الإمام ياقوت الحموي : " والله يحسن لنا العافية ، ولا يحرمنا ثواب حسن النيَّة في الإفادة والاستفادة ، بحقِّ محمَّد وآله " . انظر : معجم البلدان (٥/ ٨٧) .

وقال الإمام علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) : " الراجي الْعَفو بمحمَّد وَآله وَصَحبه ، وإجزال الثَّوَاب من إلهه ، وَهُوَ غَايَة إربه " . انظر : بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٥/ ٨٣٤) .

وقال الإمام ابن الأثير (٦٣٠هـ) : " نسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا به في الدُّنيا والآخرة ، وأن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، بمحمَّد وآله " . انظر : أسد الغابة (٥/ ٤٤٩) .

وقال الإمام ابن الأثير : " نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَخْتِمَ أَعْمَالَنَا بِالْحُسْنَىٰ ، وَيَجْعَلَ خَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاهُ بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " فَاللَّه يُعِيدُهُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ ، وَيُقِرُّ أَعْيُنَ الْمُسْلِمِينَ بِفَتْحِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ "

وقال أيضاً : " نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الْعُقْبَىٰ ، بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَيَسَّرَ لِلْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِهِمْ وَحَفِظَ بِلَادِهِمْ ، بمحمَّد وَآلِهِ " .

وقال أيضاً : " وَاللَّه تَعَالَىٰ يَخْذُلُهُ وَيَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الكامل في التاريخ (٨/ ٦٦٥) ، (٨/ ٦٩٤) ، (٩/ ٢٤٥) ، (١٠/ ٣٧٦) ، (١٠/ ٤٣٠) بالترتيب .

وألَّف الإمام سليمان بن موسىٰ الكلاعي (٦٣٤هـ) ، كتاباً بعنوان : " مصباح الظَّلام ، في المستغيثين بخير الأنام ، في اليقظة والمنام " . انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٧٠٦) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدّبيثي (٦٣٧هـ) : " ... فالله يمتِّع الإسلام وأهله بدوام أيام مولانا أمير المؤمنين النَّاصر لدين الله ، ويثبت دعوته وينشر في الخافقين ألويته ويعز به دين الإسلام علىٰ ممرِّ السِّنين والأعوام ، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " . انظر : ذيل تاريخ مدينة السَّلام (٢/ ٢٣٥) .

وقال الإمام المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) : " ... بمحمَّد وآله وصحبه أولي الحمد والتَّمجيد " . انظر : تاريخ إربل (١/ ٩٧) .

وقال الإمام ابن المستوفي : " ... وإيَّاه أسأل التَّوفِيق لما يُرضيه ، والهداية إِلَىٰ مَا يُحبه ويُزلف إليه ، بمحمَّد وآله وصحبه " . انظر : تاريخ إربل (١/ ٣٢٢) .

وقال الإمام عثمان بن عبد الرَّحمن ، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) : " ... رَضِي الله عَنهُ وأرضاه ، وَجعل الْجنَّة مَأْوَاه ، بمحمَّد وَآله " . انظر : طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٢٦٤) .

وقال الإمام ابن الصَّلاح وهو يتكلَّم عن معجزات النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... وَأي فنٍّ أخزىٰ من فنٍّ يُعمي صَاحبه أظلم قلبه عَن نبوة نَبينَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلما ذكره ذَاكر ، وَكلما غفل عَن ذكره غافل ، مَعَ انتشار آيَاته المستبينة ومعجزاته المستنيرة ، حَتَّىٰ لقد انتدب بعض الْعلمَاء لاستقصائها ، فَجمع مِنْهَا ألف معْجزَة ، وعددناه مقصراً إِذا فَوق ذَلِك بأضعاف لَا تحصىٰ ، فَإِنَّهَا لَيست محصورة علىٰ مَا وجد مِنْهَا فِي عصره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل لم تزل تتجدَّد بعده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ تعاقب العصور ، وَذَلِكَ أَنَّ كرامات الْأَوْلِيَاء من أُمته وإجابات المتوسلين بِهِ فِي حوائجهم ومغوثاتهم عقيب توسُّلهم بِهِ فِي شدائدهم براهين لَهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قواطع ، ومعجزات لَهُ سواطع ، وَلَا يعدها عدٌّ ، وَلَا يحصرها حدٌّ ، أعاذنا الله من الزَّيغ عَن مِلَّته ، وَجَعَلنَا من المهتدين الهادين بهديه وسنته " . انظر : فتاوىٰ ابن الصلاح (١/ ٢١٤) .

وقال الإمام محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي ، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) : " ... أعاننىٰ الله وإياه علىٰ ما يقرِّبنا منه ، ويزلفنا لديه ، بجاه سيِّدنا محمَّد وآله الطَّاهرين " . انظر : الجمل في المنطق (ص٤) .

وألَّف الإمام عبد الْعَظِيم بن عبد القوىٰ بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكىٰ الدِّين أَبُو محمَّد المنذرىٰ القيرواني ثمَّ المصرىٰ الشَّافعي (٦٥٦هـ) كتاباً بعنوان : " زَوَال الظما فِي ذكر من اسْتَغَاثَ برَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشدَّة والعما " . انظر : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (١/ ٥٨٦) .

وقال الإمام ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، في ترجمة : عَبْد اللَّه بْن محمَّد بْن عَلِيّ بْن عَبْد اللَّه بْن عُبَيْد اللَّه بْن سَعِيد بْن محمَّد بْن ذِي النُّون الحَجْري (٥٩١هـ) : " ... وَدفن بجبل المينا مِنْهَا وصادف وقتُ وَفَاته بسبتة قحطاً أضرّ بِأَهْلِهَا ، فَلَمَّا وُضعت جنَازَته عَلَىٰ شَفير قَبره ، توسَّلوا بِهِ إِلَىٰ اللَّه تَعَالىٰ فِي إغاثتهم وتداركهم بالسُقيا ، فسُقوا من تِلْكَ اللَّيْلَة مَطَراً وابلاً ، وَمَا اخْتلف النَّاس إِلَىٰ قَبره مُدَّة الْأُسْبُوع ... " . انظر : التكملة لكتاب الصلة ، (٢/ ٢٨١) .

وقال الإمام أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) في " عيون الأنباء في طبقات الأطباء" (ص٦٦٤) في ترجمة الصَّاحب نجم الدِّين أَبُو زكريَّا يحيىٰ بن الْحَكِيم الامام شمس الدِّين محمَّد بن عَبْدَانِ بن عَبْدَانِ بن عبد الْوَاحِد أوحد فِي الصِّنَاعَة الطبيَّة ندرة فِي الْعُلُوم الْحكمِيَّة (٦٢١هـ) : " وَمن شعره وَهُوَ مِمَّا انشدني لنَفسِهِ فَمن ذَلِك : قَالَ فِي الْخَلِيل عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام وَهُوَ مُتَوَجِّه الىٰ خدمته عِنْد عودته من الدِّيار المصريَّة وأنشدها عِنْد بَاب السِّرداب وَهُوَ قَائِم فِي ذِي الْقعدَة سنة إحدىٰ وَسِتِّينَ وستِمِائَة :

هذي المهابة والجلال الهائــل	بهرا فَمَاذَا أن يَقُول الْقَائِــل
لَو أَن قسا حَاضراً متمثـلاً	يَوْماً لديك حسبته هُوَ بَاقِــل
هَل تقدر الفصحاء يَوْماً أن يرَوا	وبيانهم عَن ذِي الْجلَال يناضل
وَبِك اقْتدىٰ جلّ النَّبِيين الأُولىٰ	ولديك أضحت حجَّة وَدَلَائِـل
أظهرت إبراهيم أسباب الْهـدىٰ	وَالْخَيْر وَالْمَعْرُوف انت الْعَامِل
شيدت أركــان الشَّرِيعَة مُعْلناً	ومقرراً أَنَّ الإلـــه الْفَاعِل
مَا زَالَ بَيْتك مهبط الْوَحْـي الَّذِي	لجلاله مقفر ربعك آهل
وبهرت في كلِّ الأمـور بمعجز	مَا أَن يُخَالف فِيهِ يَوْماً عَـاقل
وَكَفَـاك يَوْم الْفَخر أَن مُحَمَّداً	يَوْم التناسب فِي النجار مواصل
مَا زلت تنقل للنبوءة سرَّهـا	حَتَّىٰ غَدا لمُحَمد هُوَ حَاصل
فعليكما صلوَات ربٍّ لـم يزل	يأتيكما مِنْهُ ثَنَا وفواضل
وَقد التجأت إلىٰ جنابك خاضعاً	متوسلاً وَأَنا الْفَقِير السَّائِل
أرجوك تسْأَل لي لَدَىٰ رب الْعــلَا	غفران مَا قد كنت فِيهِ أُزاول
وَأرىٰ وَقد غفرت لَدَيْهِ خطيتـي	وَبَلغت مقصودي وَمَا أَنا آمـل

وَرجعت مُنْقَطِعاً الىٰ أبوابــه لَا ألتقي عَن غَيره أَنا سَائـل
وَلَقَد سَأَلت لكامل فِي جـوده يُعْطي بِلَا منٍّ وَلَا هُوَ باخل
فحقيقة أَنِّي بلغت إرادتـــــــــي سِيمَا وَأَنت لما سَأَلت الْحَامِـــل

وقال القرطبي (٦٧١هـ) : " ... وهذا فرار التبرِّي ، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحقِّ محمَّد نبيّ الرَّحمة وصحبه الكرام البررة ، وجعلنا ممَّن حشر في زمرتهم ، ولا خالف بنا علىٰ طريقهم ومذهبهم بمنِّه وكرمه آمين ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم " . انظر : التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (١/ ٥٧٩)

وقال الإمام القرطبي أيضاً : " ... وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَدِدْتُ أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا ... " . الْحَدِيثَ . فَجَعَلَنَا إِخْوَانَهُ ، إِنِ اتَّقَيْنَا اللَّهَ وَاقْتَفَيْنَا آثَارَهُ حَشَرَنَا اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِ وَلَا حَادَ بِنَا عن طريقته وملَّته بحق ، وفي رواية بجاه – كما قال المحقِّق – محمَّد وآله " . انظر : الكتاب : الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٤٠)
.

وقال الإمام القرطبي : " قَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ : وَاسْتَدَلَّ أَيْضاً مَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ ، بِأَنَّ أَيْمَانَ الْمُسْلِمِينَ جَرَتْ مُنْذُ عَهْدِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ يَحْلِفُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّىٰ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا إِذَا حَاكَمَ أَحَدُهُمْ صَاحِبَهُ ، قَالَ : احْلِفْ لِي بِحَقِّ مَا حَوَاهُ هَذَا الْقَبْرُ ، وَبِحَقِّ سَاكِنِ هَذَا الْقَبْرِ ، يَعْنِي النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَلِكَ بِالْحَرَمِ وَالْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ ، وَالرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَالْمِحْرَابِ وَمَا يُتْلَىٰ فيه " . انظر : الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠/ ٤٢) .

وقال الإمام ابن الحدَّاد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفىٰ: بعد ٦٧٣هـ) : " بلغه الله الآمال فِي الدُّنيا والمآل ، وأدام دولته ، وَحفظ مهجته ، وأعزَّ أنصاره ، وضاعف اقتداره وَأحسن إِلَيْهِ بإحسانه إِلَيْنَا ، وأنعم عَلَيْهِ بإنعامه علينا بمحمَّد وَآله الطَّاهرين" . انظر : الجوهر النفيس في سياسة الرئيس (ص١٢٠) .

وقال الإمام النَّووي (٦٧٦هـ) : " فصل في زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأذكارها : اعلم أنه ينبغي لكل من حجّ أن يتوجَّه إلىٰ زيارة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سواء كان ذلك طريقه أو لم يكن ، فإن زيارته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهمّ القربات وأربح المساعي وأفضل الطَّلبات ، فإذا توجَّه للزيارة أكثرَ من الصَّلاة عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طريقه ، فإذا وقعَ بصرُه علىٰ أشجار المدينة وحَرمِها وما يَعرفُ بها ، زاد من الصَّلاة والتَّسليم عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسأَلَ الله تعالىٰ أن ينفعَه بزيارته

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن يُسعدَه بها في الدَّارين ، وليقلْ : اللهمَّ افْتَحْ عَليَّ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَارْزُقْنِي في زِيارَةِ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رزقْتَهُ أَوْلِياءَكَ وأَهْلَ طَاعَتِكَ ، واغْفِرْ لي وارْحمنِي يا خَيْرَ مَسْؤُول ... فإذا صلَّىٰ تحية المسجد أتىٰ القبر الكريم فاستقبله واستدبر القبلة علىٰ نحو أربع أذرع من جدار القبر ، وسلَّم مقتصداً لا يرفع صوته ، فيقول : السَّلام عَلَيْكَ يا رَسُولَ الله ، السَّلام عَلَيْكَ يا خِيرَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللَّهِ ... ثمَّ يرجعُ إلىٰ موقفه الأوَّل قُبالة وجهِ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتوسَّلُ به في حقِّ نفسه ، ويتشفعُ به إلىٰ ربه سبحانه وتعالىٰ ، ويدعو لنفسه ولوالديه وأصحابه وأحبابه ومَن أحسنَ إليه وسائر المسلمين ، وأن يَجتهدَ في إكثار الدُّعاء ، ويغتنم هذا الموقف الشَّريف " . انظر : الأذكار (ص٢٠٤-٢٠٥) .

وقال الإمام النَّووي : " رَوَيْنَا في " كتاب ابن السنِّي " ، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهُ ، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : " إِذَا انْفَلَتَتْ دابَّةُ أَحَدِكُمْ بأرضٍ فلاةٍ فليُنادِ : يا عِبادَ الله ! احْبِسُوا ، يا عِبادَ اللَّهِ ! احبسوا ؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ في الأَرْضِ حاضِراً سَيَحْبِسُهُ " . قال الإمام النَّووي : " حكىٰ لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنَّه انفلتت له دابَّة أظنُّها بغلة ، وكان يَعرفُ هذا الحديث ، فقاله : فحبسَها الله عليهم في الحال ؛ وكنتُ أنا مرَّةً مع جماعة فانفلتت منها بهيمةٌ ، وعجزوا عنها ، فقلته ، فوقفت في الحال بغيرِ سببٍ سوىٰ هذا الكلام " . انظر : الأذكار للنووي (ص٣٧٨) .

وقال الإمام ابن خلِّكان (٦٨١هـ) : " ... اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلِّغنا في معاليه ، ما نؤمِّله ونرتجيه ، بمحمَّد النَّبي وصحبه وذويه " . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦/ ١٣٢) .

وألَّف الإمام أبو عبد الله محمَّد بن موسىٰ بن النُّعمان المراكشي (٦٨٣هـ) كتاباً سمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام " ، وهو مطبوع .

وقال الإمام أبو طالب عبد الرَّحمن بن عمر البصري العبدلياني (٦٨٤هـ) : " ... ويُباح التَّوسُّل بالصُّلحاء " . انظر : كتاب الحاوي في الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ص٤٤٣) .

وقال الإمام أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) : " رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين بمحمَّد وآله " . انظر : الرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ٣١) .

وقال الإمام محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري (٦٩٤هـ) : " أحسن الله خاتمتها بمحمَّد وآله وصحبه آمين وحسبنا الله وكفىٰ" . انظر : ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوىٰ القربىٰ (ص٢٦١) .

وقال الإمام شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) في قصيدته المسمّاة : " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " والمشهورة بـ" البردة " أو " البُرأة " :

ما سامني الدَّهرُ ضيماً واستجَرْتُ به — إلَّا ونِلْتُ جِـــــواراً منه لم يُضَمِ
ولا التمستُ غِنَىٰ الدَّارين مِن يَــده — إلَّا استلمتُ الندىٰ مِن خير مُستَلَـم

قال العلَّامة الصَّفدي بعد أن ذكرها في كتابيه : " ولم أقف للشَّيخ رحمه الله تعالىٰ علىٰ نظم هو خير من هذه القصيدة ؛ لقصدها الصَّالح " اهـ.

وقال الإمام البوصيري (٦٩٧هـ) كما في " معجم أعلام شعراء المدح النَّبوي" (ص٣٥٦) :

خدمته بمديح أستقيل بـــه — ذنوب عمر مضىٰ في الشِّعر والخدم
فإنَّ لي ذمَّة منه بتسميتـي — محمدا وهو أوفىٰ الخلق بالذِّمـــم
حاشاه أن يحرم الرَّاجي مكارمه — أو يرجع الجــار منه غير محترم
يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به — سواك عند حلول الحـادث العمـم
يا ربّ بالمصطفىٰ بلِّغ مقاصدنا — واغفر لنا ما مضىٰ يا واسع الكـرم
واغفر إلهي لكلِّ المسلمين بما — يتلوه في المسجد الأقصىٰ وفي الحرم
بجاه من بيتـــــه في طيبة حرم — واسمه قسم من أعظــــم القسم

وللإمام أحمد بن محمَّد بن علي الأنصاري ، أبو العبَّاس ، نجم الدِّين ، المعروف بابن الرفعة (٧١٠) ردٌّ علىٰ ابن تيمية ، وهو الذي ناظره في التَّوسُّل والزِّيارة ، وكان أحد أسباب سجنه .

وقال الإمام ابن منظور (٧١١هـ) : " والذي نقول نَحْنُ فِي يَوْمِنَا هَذَا : إنا نَرْغَبُ إِلىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَتَضَرَّعُ إِليه فِي نُصْرَةِ مِلَّتِهِ وإِعْزاز أُمته وإِظهار شَرِيعَتِهِ ، وأَن يُبْقِي لَهُمْ هِبَة تأْويل هَذَا الْمَنَامِ ، وأَن يُعِيدَ عَلَيْهِمْ بِقُوَّتِهِ مَا عَدَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ للإِسلام بمحمَّد وَآلِهِ ، عَلَيْهِمُ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : لسان العرب (١١/ ٧٨)

وقال الإمام سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) : **﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾** [القصص : ١٥] ، احتجَّ بها الشَّيخ شمس الدِّين الجزري شارح المنهاج في أصول الفقه

علىٰ الشَّيخ تقي الدِّين ابن تيمية فيما قيل عنه أنَّه قال : لا يُستغاث برسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّ الاستغاثة بالله عزَّ وجلَّ من خصائصه وحقوقه الخاصَّة به فلا تكون لغيره كالعبادة .

وتقرير الحجَّة المذكورة : أنه قال : يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ماهي وهي الاستنصار والاستصراخ ثمَّ قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسىٰ واستنصره واستصرخه بنصِّ هذه الآيات وهي استغاثة مخلوق بمخلوق ، وقد أقرَّ موسىٰ عليها الإسرائيلي ، وقد أقرَّ الله عزَّ وجلَّ موسىٰ علىٰ ذلك ، ولم ينكر محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لما نزلت هذه الآيات ، أي : فكان هذا إقراراً من الله عزَّ وجلّض ورسوله علىٰ استغاثة المخلوق بالمخلوق ، وإذا جاز أن يُستغاث بموسىٰ فبمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولىٰ لأنَّه أفضل بإجماع .

وممَّا يحتج به علىٰ ذلك : حديث هاجر أم إسماعيل حيث التمست الماء لابنها فلم تجد ، فسمعت حسَّاً في بطن الوادي ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، وهذا في معنىٰ الاستغاثة منها بجبريل ، وقد أقرَّها علىٰ ذلك ولم ينكره النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عليها لما حكاه عنها .

ولأنَّ اعتقاد التَّوحيد من لوازم الإسلام ، فإذا رأينا مسلماً يستغيث بمخلوق ، علمنا قطعاً أنه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزَّ وجلَّ ، وإنَّما ذلك منه طلب مساعدة أو توجَّه إلىٰ الله ببركة ذلك المخلوق ، وإذا استصرخ النَّاس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التَّخفيف عنهم ، جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام . وقد صنَّف الشَّيخ أبو عبدالله النُّعمان كتاباً سمَّاه : " مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام " ، واشتهر هذا الكتاب ، وأجمع أهل عصره علىٰ تلقِّيه منه بالقبول ، وإجماع أهل كلّ عصر حجَّة ، فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع . فإن قيل : الآية المذكورة في قصَّة موسىٰ والإسرائيلي ليست في محل النِّزاع من وجهين :

أحدهما : أنَّ موسىٰ حينئذ كان حيَّاً ، ونحن إنَّما نمنع الاستغاثة بميِّت .

الثَّاني : أنَّ استغاثة صاحب موسىٰ به كان في أمر يمكن موسىٰ فعله ، وهو إعانته علىٰ خصمه ، وهو أمر معتاد ، ونحن إنَّما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختص فعله بالله عزَّ وجلَّ ، كالرَّحمة ، والمغفرة ، والرِّزق ، والحياة ، ونحو ذلك ، فلا يقال : يا محمَّد اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو أجبني ، وفي نسخة أخرىٰ : أحيني بدل أجبني ، أو أعطني مالاً وولداً ، لأنَّ ذلك شرك بإجماع .

وأجيب عن الأوَّل : بأنَّ الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي فضلاً عن الأفضل أولىٰ ، لأنَّه أقرب إلىٰ الله عزَّ وجلَّ من الحي لوجوه :

أحدها : أنَّه في دار الكرامة والجزاء والحي في دار التَّكليف .
الثَّاني : أنَّ الميت تجرَّد عن عالم الطَّبيعة القاطعة عن الوصول إلىٰ عالم الآخرة والحي متلبس بها .
الثَّالث : أنَّ الشُّهداء في حياتهم محجوبون ، وبعد موتهم أحياء عند ربِّهم يُرزقون .

وعن الثَّاني : أنَّ ما ذكرتموه أمرٌ مجمعٌ عليه ، معلوم عند صغير المسلمين فضلاً عن كبيرهم أنَّ المخلوق علىٰ الإطلاق لا يُطلب منه ولا يُنسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهيَّة به . وقد رأينا أغمار النَّاس وعامَّتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يزيدون علىٰ أن يسألوا الشَّفاعة والوسيلة يا رسول الله ، وفي نسخة أخرىٰ : برسول الله ، اشفع لنا يا الله ببركة نبيِّك اغفر لنا ، فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلاً لا حاجة بأحد من المسلمين إليه .

وإذا لم يكن بدّ من التَّعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد فليكن بعبارة لا توهم نقصاً في النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غضَّاً من منصبه ، مثل أن يقال : ما استأثر الله عزَّ وجلَّ بالقدرة عليه ، فلا يطلب من مخلوق علىٰ الإطلاق أو نحو هذا ، ولا يتعرَّض للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسلب الاستغاثة عنه مطلقاً ولا مقيَّداً ، ولا يذكر إلَّا بالصَّلاة والسَّلام عليه والرِّواية عنه ونحو ذلك .

هذا حاصل ما وقع في هذه المسألة سؤالاً وجواباً ذكرته بمعناه وزيادات من عندي " . انظر : الإشارات الإلهية إلىٰ المباحث الأصولية (٣/ ٨٩-٩٣) .

وقال الإمام الشَّمْس كَمَال الدِّين الزَّملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيخ الإِمَام العلَّامة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزَّملكاني الْأَنْصَارِيّ السّماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧ هـ) في " الوافي بالوفيات" (٤/ ١٥٣-١٥٤) :

أهواك يَا ربة الأستار أهواك   وَإِن تبَاعد عَن مغناي مغناك
وأعمل العيس والأشواق ترشدني   عَسىٰ يُشَاهد معناكي معناك
تهوىٰ بهَا البيد لَا تخشىٰ الضلال وَقد   هدت ببرق الثنايا الغر مضناك
تشوقها نسمات الصُّبْح سَارِيَة   تسوقها نَحْو رؤياكي برياك
يَا ربة الْحرم العالي الْأمين لمن   وافاه من أَيْن هَذَا الْأَمْن لولاك
أَن شبهوا الْخَال بالمسك الذكي   فَهَذَا الْخَال من دونه المحكي والحاكي
أفدي بأسود قلبِي نور أسوده   من لي بتقبيله من بعد يمناك
إنِّي قصدتك لَا ألوي علىٰ بشرِ   ترمي النَّوَىٰ بِي سرَاعًا نَحْو مرماك

وَقد حططت رحالي فِي حماك عَسىٰ تحط أثقال أوزاري بلقياك
كَمَا حططت بِبَاب الْمُصْطَفىٰ أملي وَقلت للنَّفس بالمأمول بِشِرَاك
محمدٌ خير خلق الله كلهم وفاتح الْخَيْر ماحي كل إشراك
سما بأخمصه فَوق السَّمَاء فكم أوطا أسافلها من علو أفلاك
ونال مرتبَة مَا نالها أحدٌ من أَنْبيَاء ذَوي فضلٍ وأملاك
يَا صَاحب الجاه عِنْد الله خالقه مَا رد جاهك إِلَّا كل أفاك
أَنْت الْوَجِيه علىٰ رغم العدىٰ أبدا أَنْت الشَّفِيع لفتاكٍ ونساك
يَا فرقة الزيغ لَا لقِيت صَالِحَة وَلَا شفىٰ الله يَوْمًا قلب مرضاك
وَلَا حظيت بجاه الْمُصْطَفىٰ أبداً وَمن أعانك فِي الدُّنْيَا ووالاك
يَا أفضل الرُّسُل يَا مولىٰ الْأَنَام وَيَا خير الْخَلَائق من إنسٍ وأملاك
هَا قد قصدتك اشكو بعض مَا صنعت بِي الذُّنُوب وَهَذَا ملْجأ الشاكي
قد قيدتني ذنوبٌ عَن بُلُوغ مدىً قصدي إِلَىٰ الْفَوْز مِنْهَا من غير إمْسَاك
عَلَيْك من رَبك الله الصَّلَاة كَمَـــــا منا عَلَيْـــــك السَّلَام الطّيب الزاكي

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني (٧٢٨هـ) : " وفي منسك المروذي الذي نقله عن أحمد أنَّه قال في السَّلام علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ولا تستقبل الحائط ، وخذ ممَّا يلي صحن المسجد فسلِّم علىٰ أبي بكر وعمر .

وقال : فإذا أردت الخروج فأت المسجد وصلِّ ركعتين وودع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل سلامك الأوَّل ، وسلِّم علىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وحول ، وسل الله حاجتك متوسِّلاً إليه بنبيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تقض من الله عزَّ وجلَّ " . انظر : الإخنائية (أو الرد علىٰ الإخنائي) (ص٤١٠) .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني في "مجموع الفتاوىٰ" (٢/ ١٥٠-١٥١) : " وَقَدْ تَقَدَّمَ لَفْظُ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْمُسْنَدِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ لَمَّا " قِيلَ لَهُ متىٰ كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ : وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ " ، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بشران مِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ فِي " الوفا بِفَضَائِلِ الْمُصْطَفَىٰ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ محمَّد بْنُ عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ صَالِحٍ ، ثَنَا محمَّد بْنُ سِنَانٍ العوفي ، ثَنَا إبْرَاهِيمُ بْنُ طهمان ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ ، عَنْ مَيْسَرَةَ ، قَالَ : قُلْت : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَىٰ كُنْت نَبِيّاً ؟ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَاسْتَوَىٰ إلَىٰ السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

سَمَوَاتٍ وَخَلَقَ الْعَرْشَ : كَتَبَ عَلَىٰ سَاقِ الْعَرْشِ محمَّد رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَخَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي أَسْكَنَهَا آدَمَ وَحَوَّاءَ فَكَتَبَ اسْمِي عَلَىٰ الْأَبْوَابِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْقِبَابِ وَالْخِيَامِ وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، فَلَمَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : نَظَرَ إِلَىٰ الْعَرْشِ ، فَرَأَىٰ اسْمِي فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سيِّد وَلَدِك ، فَلَمَّا غَرَّهُمَا الشَّيْطَانُ تَابَا وَاسْتَشْفَعَا بِاسْمِي إِلَيْهِ .

وَرَوَىٰ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ : وَمِنْ طَرِيقِ الشَّيخ أَبِي الْفَرَجِ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رشدين ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الفهري ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحمن بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَمَّا أَصَابَ آدَمَ الْخَطِيئَةَ رَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ بِحَقِّ محمَّد إِلَّا غَفَرْت لِي ، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ : وَمَا محمَّد ؟ وَمَنْ محمَّد ؟ فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنَّك لَمَّا أَتْمَمْت خَلْقِي رَفَعْت رَأْسِي إِلَىٰ عَرْشِك فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ محمَّد رَسُولُ اللَّهِ ، فَعَلِمْت أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِك عَلَيْك ؛ إِذْ قَرَنْت اسْمَهُ مَعَ اسْمِك . فَقَالَ : نَعَمْ قَدْ غَفَرْت لَك ، وَهُوَ آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِك ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقْتُك ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يُؤَيِّدُ الَّذِي قَبْلَهُ ، وَهُمَا كَالتَّفْسِيرِ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ " .

وقال الإمام ابن تيمية الحرَّاني في " قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة" (ص٢٠١) : " ورُوي في ذلك أثر عن بعض السَّلف ، مثل ما رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب مجابي الدُّعاء ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمعت كثير ابن محمَّد ابن كثير بن رفاعة ، يقول : جاء رجل إلىٰ عبد الملك بن سعيد ابن أبجر ، فجسَّ بطنه فقال : بك داء لا يبرأ . قال : ما هو ؟ قال : الدُّبَيْلة . قال : فتحوَّل الرَّجل ، فقال : الله الله ، الله ربِّي ، لا أشرك به شيئاً ، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيّ الرَّحمة صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسليماً ، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلىٰ ربِّك وربِّي يرحمني ممَّا بي . قال : فجسَّ بطنه ، فقال : قد برئت ما بك علَّة .

قلت : فهذا الدُّعاء ونحوه قد روي أنَّه دعا به السَّلف ، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التَّوسُّل بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّعاء " .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) في " السُّلوك في طبقات العلماء والملوك" (١/ ١٦١) عن نفيسة بنت الْحسن بن زيد بن الْحسن بن عَليّ بن أبي طَالب : " ... وَلأهل مصر بهَا اعْتِقَاد عَظِيم ، وَكَانَت وفاتها بِشَهْر رَمَضَان من سنة ثَمَان ومئتين ، وَأَرَادَ زَوجهَا أَن ينقلها إِلَىٰ مَدِينَة يثرب ، فَتعلَّق بِهِ المصريُّون ، وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ أَن يقبرها مَعَهم للتَّبرُّك ، فأجابهم

، ودفنها بِالدَّار الَّتِي كَانَت تسكنها عِنْد الْمشَاهد بَين الْقَاهِرَة ومصر ، وقبرها مَشْهُور يُزار كثيراً ، ويُستجاب عِنْده الدُّعاء " .

وقال الإمام أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) في " نهاية الأرب في فنون الأدب" (٥/ ١٣٩) : " والله تعالىٰ يُعِزُّ أنصاره ، ويوالي مباره ، بمحمَّد وآله " .

وألَّف الإمام عمر بن أبي اليمن اللخمي الفاكهي المالكي (٧٣٤هـ) كتاباً بعنوان : " التُّحفة المختارة في الرَّدِّ علىٰ منكر الزِّيارة " .

وقال الإمام أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) في " رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام" (٣/ ٢٣٨) : " نسأل اللَّه العظيم أن يجعلنا من أهل الخير ، ولا يجعلَنا من أهل الشَّر، بمنِّه وكرمه ، آمين ، بمحمَّد وآله أجمعين " .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) في "المدخل" (١/ ٢٦٤) : " ... فَإِذَا زَارَهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَإِنْ قَدَرَ أَنْ لَا يَجْلِسَ فَهُوَ بِهِ أَوْلَىٰ ، فَإِنْ عَجَزَ ، فَلَهُ أَنْ يَجْلِسَ بِالْأَدَبِ ، وَالِاحْتِرَامِ ، وَالتَّعْظِيمِ ، وَقَدْ لَا يَحْتَاجُ الزَّائِرُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ أَنْ يَذْكُرَهَا بِلِسَانِهِ ، بَلْ يُحْضِرُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ وَهُوَ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ لِأَنَّهُ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – أَعْلَمُ مِنْهُ بِحَوَائِجِهِ وَمَصَالِحِهِ وَأَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَقَدْ قَالَ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –: " إنَّما مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْفَرَاشِ تَقَعُونَ فِي النَّارِ وَأَنَا آخُذُ بِحُجُزِكُمْ عَنْهَا " .

أَوْ كَمَا قَالَ ، وَهَذَا فِي حَقِّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في كلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ أَعْنِي فِي التَّوسُّل بِهِ وَطَلَبِ الْحَوَائِجِ بِجَاهِهِ عِنْدَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ زِيَارَتُهُ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِجِسْمِهِ ، فَلْيَنْوِهَا كُلَّ وَقْتٍ بِقَلْبِهِ ، وَلْيُحْضِرْ قَلْبَهُ أَنَّهُ حَاضِرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَشَفِّعاً بِهِ إلَىٰ مَنْ مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو محمَّد بْنُ السيِّد الْبَطَلْيُوسِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ – فِي رُقْعَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَهَا إلَيْهِ مِنْ أَبْيَاتٍ :

إلَيْك أَفِرُّ مِنْ زَلَلِي وَذَنْبِـــــي ... وَأَنْتَ إذَا لَقِيت اللَّهَ حَسْبِي
وَزَوْرَةُ قَبْرِك الْمَحْجُوجُ قِدَمــاً ... مُنَايَ وَبُغْيَتِي لَوْ شَاءَ رَبِّي
فَإِنْ أُحْرَمْ زِيَارَتَهُ بِجِسْمِي ... فَلَمْ أُحْرَمْ زِيَارَتَهُ بِقَلْبِـــــي
إلَيْك غَدَتْ رَسُـــولَ اللَّهِ مِنِّي

تَحِيَّـــــــــــةُ مُؤْمِنٍ دَنِفٍ

مُحِبِّ

اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا شَفَاعَتَهُ وَلَا عِنَايَتَهُ فِي الدُّنيا ، وَالْآخِرَةِ وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِك فِي زُمْرَةِ الْمُتَّبِعِينَ لَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين بِجَاهِهِ عِنْدَك ، فَإِنَّ جَاهَهُ عِنْدَك عَظِيمٌ ، ثمَّ يُسَلِّمُ " .

وقال الإمام ابن الحاج في " المدخل" (١/ ٢٥٤-٢٥٦) : " وَكَذَلِكَ يَدْعُو عِنْدَ هَذِهِ الْقُبُورِ عِنْدَ نَازِلَةٍ نَزَلَتْ بِهِ ، أَوْ بِالْمُسْلِمِينَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي زَوَالِهَا وَكَشْفِهَا عَنْهُ وَعَنْهُمْ ، وَهَذِهِ صِفَةُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ عُمُوماً .

فَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ الْمُزَارُ مِمَّنْ تُرْجَىٰ بَرَكَتُهُ فَيَتَوَسَّلُ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِهِ ، وَكَذَلِكَ يَتَوَسَّلُ الزَّائِرُ بِمَنْ يَرَاهُ الْمَيِّتُ مِمَّنْ تُرْجَىٰ بَرَكَتُهُ إِلَىٰ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَلْ يَبْدَأُ بِالتَّوَسُّلِ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِالنَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، إِذْ هُوَ الْعُمْدَةُ فِي التَّوسُّل ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ ، وَالْمُشَرِّعُ لَهُ فَيَتَوَسَّلُ بِهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَبِمَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين ، وَقَدْ رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – " أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَىٰ بِالْعَبَّاسِ ، فَقَالَ : اللهمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِنَبِيِّك – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْك بِعَمِّ نَبِيِّك فَاسْقِنَا فَيُسْقَوْنَ " انْتَهَىٰ .

ثُمَّ يَتَوَسَّلُ بِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ أَعْنِي بِالصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ ، ثمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ وَلِوَالِدِيهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِأَقَارِبِهِ وَلِأَهْلِ تِلْكَ الْمَقَابِرِ وَلِأَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَلِأَحْيَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّين وَلِمَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَيَجْأَرُ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِالدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ وَيُكْثِرُ التَّوسُّل بِهِمْ إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اجْتَبَاهُمْ وَشَرَّفَهُمْ وَكَرَّمَهُمْ فَكَمَا نَفَعَ بِهِمْ فِي الدُّنيا فَفِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ ، فَمَنْ أَرَادَ حَاجَةً فَلْيَذْهَبْ إِلَيْهِمْ وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَخَلْقِهِ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الشَّرْعِ وَعُلِمَ مَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِهِمْ مِنْ الِاعْتِنَاءِ ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ مَشْهُورٌ ، وَمَا زَالَ النَّاس مِنْ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَكَابِرِ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ مَشْرِقاً وَمَغْرِباً يَتَبَرَّكُونَ بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ ، وَيَجِدُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ حِسّاً وَمَعْنًىٰ ، وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيخ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ النُّعْمَانِ – رَحِمَهُ اللَّهُ – فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّىٰ بِـ " سَفِينَةِ النَّجَاءِ لِأَهْلِ الِالْتِجَاءِ فِي كَرَامَاتِ الشَّيخ أَبِي النَّجَاءِ " ، فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا هَذَا لَفْظُهُ : تَحَقَّقَ لِذَوِي الْبَصَائِرِ ، وَالِاعْتِبَارِ أَنَّ زِيَارَةَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ مَحْبُوبَةٌ لِأَجْلِ التَّبَرُّكِ مَعَ الِاعْتِبَارِ ، فَإِنَّ بَرَكَةَ الصَّالِحِينَ جَارِيَةٌ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا كَانَتْ فِي حَيَاتِهِمْ الْجَلِيلُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ – فِي كِتَابِ آدَابِ السَّفَرِ مِنْ كِتَابِ الْإِحْيَاءِ لَهُ مَا هَذَا نَصُّهُ : الْقِسْمُ الثَّاني : وَهُوَ أَنْ يُسَافِرَ لِأَجْلِ العِبَادَةِ إِمَّا لِجِهَادٍ ، أَوْ حَجٍّ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهِ زِيَارَةُ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَقُبُورِ

الصَّحابة ، وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَكُلُّ مَنْ يُتَبَرَّكُ بِمُشَاهَدَتِهِ فِي حَيَاتِهِ يُتَبَرَّكُ بِزِيَارَتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَيَجُوزُ شَدُّ الرِّحَالِ لِهَذَا الْغَرَضِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا لِثَلَاثِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى " .

لِأَنَّ ذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ ؛ لِأَنَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ ، وَإِلَّا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ زِيَارَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَالْعُلَمَاءِ فِي أَصْلِ الْفَضْلِ ، وَإِنْ كَانَ يَتَفَاوَتُ فِي الدَّرَجَاتِ تَفَاوُتاً عَظِيماً بِحَسَبِ اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالى السَّلامة وحسن العاقبة ، بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالى السَّلامة بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله العصمة في القول والعمل ، بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " والله سبحانه وتعالى المسئول في التَّجاوز والعفو عمَّا مضى والتَّدارك واللطف والإقالة ممَّا بقي ، بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله الكريم من فضله أن يمنَّ علينا بما منَّ به عليهم ، فإنَّه أهل لذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صلَّى الله عليه وعليهم وسلَّم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنِّه آمين ، بمحمَّد وآله صلَّى الله عليه وعليهم وسلَّم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " والله تعالى يوفّقنا وإيَّاك لما فيه رضاه ، بمحمَّد وآله صلَّى الله عليه وعليهم "

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " سلك الله بنا الطَّريق الأرشد ، إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك ، فإنَّك وليّه والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صلَّى الله عليه وعليهم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا من بركاتهم بمنِّك ، بمحمَّد وآله صلَّى الله عليه وعليهم وسلَّم تسليماً كثيراً " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ مُنَّ علينا بذلك ، ولا تجعل حظَّنا منه الكلام ، بمحمَّد وآله " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله تعالىٰ أن لا يحرمنا ذلك ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك يا ربّ العالمين ، بمحمَّد وآله صلَّىٰ الله عليه وعليهم وسلَّم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن يمن علينا بالاتباع وترك الابتداع ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " أسأل الله أن لا يحرمنا ذلك بكرمه إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صلَّىٰ الله عليه وعليهم وسلَّم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " اللهمَّ لا تحرمنا ذلك بمنِّك وكرمك إنَّك علىٰ كلِّ شيء قدير ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله السَّلامة بمنِّه ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم ورأيهم ونظرهم إنَّه ولي ذلك والقادر عليه ، بمحمَّد وآله صلَّىٰ الله عليه وعليهم وسلَّم " .

وقال الإمام ابن الحاج أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ أن يرينا الحقَّ حقَّاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، بمحمَّد وآله وصحبه صلَّىٰ الله عليه وعليهم وسلَّم " . انظر : المدخل (١/ ٢١) ، (١/ ٤٦) ، (١/ ٤٩) ، (١/ ٧٦) ، (١/ ١٩٦) ، (٢/ ١٣٠) ، (٢/ ١٤٤) ، (٢/ ١٦٤) ، (٣/ ١٢٢) ، (٣/ ١٣٢) ، (٣/ ١٣٨) ، (٣/ ١٥٢) ، (٣/ ١٨٣) ، (٣/ ٢٨٣) ، (٣/ ٢٩١) ، (٤/ ١٨) ، (٤/ ٢٧) ، (٤/ ٤٣) ، (٤/ ٥٧) ، (٤/ ١٥٤-١٥٥) بالترتيب .

وقال الإمام أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) في " القوانين الفقهيَّة" (ص٩٥) : " يَنْبَغِي لمن حج أَن يقْصد الْمَدِينَة فَيدْخل مَسْجِد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيصَلي فِيهِ وَيسلِّم علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَلىٰ ضجيعيه أبي بكر وَعمر رَضِي الله عَنْهُمَا ويتشفع بِهِ إِلَىٰ الله وَيُصلي بَين الْقَبْر والمنبر ويودع النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج من الْمَدِينَة " .

وقال الإمام يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) في " تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال" (١٣/ ١٨٦) : " وقال أبو عبد الله الأردبيلي : سمعت أبا بكر بن أبي الخصيب يقول : ذُكر صفوان بن سليم عند أحمد بن حنبل فقال : هذا رجل يُستسقىٰ بحديثه ، وينزل القطر من السَّماء بذكره " .

وقال الإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) في " تبيين الحقائق شرح كنز الدَّقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ" (١٤٨/٥) : " ... هَذَا مَا ظَهَرَ لِكَاتِبِهِ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَقَاصِدَهُ ، بمحمَّد وَآلِهِ ".

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) في " العقود الدريَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية" (ص٣٦٤) : " ... أعاذنا الله تَعَالَىٰ من غوائل الْحَسَد وعصمنا من مخائل النّكد ، بمحمَّد وَآله الطيِّبين الطَّاهرين ، وَالْحَمْد لله رب الْعَالمين " .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) في " طبقات الشَّافعيَّة الكبرىٰ" (٩/ ١٨١) :

فارج الْإِلَه وَلَا تخف من غَيره ... تَجِد الْإِلَه لضيق صدرك قد شرح
وارغب إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفىٰ ... فِي كشف ضرِّك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَا يَرْجُو نداه مخلص ... لسؤاله إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَهُ ... جاه علا وعلو قدر قد رجح
وَهُوَ النَّعيم لمن توقىٰ وَاتَّقَىٰ ... وَهُوَ الْجَحِيم لمن تكبر واتقح
هُوَ وابل الدُّنيا إِذا شح الحيا ... وَمُشَفَّع الْأُخْرَىٰ إِذا عرق رشح

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) : " أحسن الله تفخيمه فِي خير وعافية ، بمحمَّد وَآله " . انظر : سلاح المؤمن في الدُّعاء والذكر (ص٥٢٤) .

وقال الإمام الذَّهبي (٧٤٨هـ) : " وقال مجالد ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن جعفر ، قال : ما سألت علياً – رضي الله عنه – شيئاً بحقِّ جعفر إلَّا أعطانيه " . انظر : سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٨) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة سَلمان بْن ربيعة الباهليّ : " يقال: له صُحَبة ، وقد سمع من عُمَر . رَوَىٰ عَنْهُ : أَبُو وائل ، والصُّبَيّ بْن مَعبَّد ، وعمرو بْن ميمون . وكان بطلاً شجاعاً فاضلاً عابداً ، ولَّاه عُمَر قضاء الكوفة ، ثمَّ وُلِّيَ زمنَ عثمان غزو أرمينية فقُتِل ببَلَنْجَر ، وقيل : بل الَّذِي قُتِل بها أخوه عبد الرَّحمن ، وقيل : إنّ التُّرك إذا قحطوا يستسقون بقبر سَلْمان ، وهو مدفون عندهم ، وقد جعلوا عظامه في تابوت " . انظر : تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام (٢/ ١٨٧) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٨٩) ، وانظر : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٤٣٦)

وقال الإمام الذَّهبي : " وَنَفَعَ المُسْلِمِيْنَ بِبَرَكَتِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ " . انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٣٣)

وقال الإمام الذَّهبي : " فَمَنْ وَقَفَ عِنْدَ الحُجْرَةِ المُقَدَّسَةِ ذَلِيْلاً ، مُسْلِماً ، مُصَلِيّاً عَلَى نَبِيِّهِ ، فَيَا طُوْبَى لَهُ ، فَقَدْ أَحْسَنَ الزِّيَارَةَ ، وَأَجْمَلَ فِي التَّذَلُّلِ وَالحُبِّ ، وَقَدْ أَتَى بِعِبَادَةٍ زَائِدَةٍ عَلَى مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فِي أَرْضِهِ ، أَوْ فِي صَلاَتِهِ ، إِذِ الزَّائِرُ لَهُ أَجْرُ الزِّيَارَةِ ، وَأَجْرُ الصَّلاة عَلَيْهِ ، وَالمُصَلِّي عَلَيْهِ فِي سَائِرِ البِلاَدِ لَهُ أَجْرُ الصَّلاة فَقَطْ ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدَةً ، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْراً ، وَلَكِنْ مَنْ زَارَهُ – صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ – وَأَسَاءَ أَدَبَ الزِّيَارَةِ ، أَوْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ ، أَوْ فَعَلَ مَا لاَ يُشْرَعُ ، فَهَذَا فَعَلَ حَسَناً وَسَيِّئاً ، فَيُعَلَّمُ بِرِفْقٍ ، وَاللهُ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ .

فَوَاللهِ مَا يَحْصُلُ الانْزِعَاجُ لِمُسْلمٍ ، وَالصِّيَاحُ وَتَقْبِيْلُ الجُدْرَانِ ، وَكَثْرَةِ البُكَاءِ ، إِلاَّ وَهُوَ مُحِبٌّ للهِ وَلِرَسُوْلِهِ ، فَحُبُّهُ المِعْيَارُ وَالفَارِقُ بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، فَزِيَارَةُ قَبْرِهِ مِنْ أَفْضَلِ القُرَبِ ، وَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَى قُبُوْرِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ ، لَئِنْ سَلَّمْنَا أَنَّهُ غَيْرُ مَأْذُوْنٍ فِيْهِ لِعُمُوْمِ قَوْلِهِ – صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِ –: " لاَ تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ " .

فَشَدُّ الرِّحَالِ إِلَى نَبِيِّنَا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مُسْتَلْزِمٌ لِشَدِّ الرَّحْلِ إِلَى مَسْجِدِهِ ، وَذَلِكَ مَشْرُوْعٌ بِلاَ نِزَاعٍ ، إِذْ لاَ وُصُوْلَ إِلَى حُجْرَتِهِ إِلاَّ بَعْدَ الدُّخُوْلِ إِلَى مَسْجِدِهِ ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحِيَّةِ المَسْجِدِ ، ثمَّ بِتَحِيَّةِ صَاحِبِ المَسْجِدِ – رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ ذَلِكَ آمِيْنَ " . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٤– ٤٨٥) .

وقال الإمام الذَّهبي : " قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ: رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعرةً مِن شَعرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَيَضَعُهَا عَلَى فِيْهِ يُقبِّلُهَا . وَأَحسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِه ، وَيَغْمِسُهَا فِي المَاءِ وَيَشرَبُه يَسْتَشفِي بِهِ . ورَأَيْتُهُ أَخذَ قَصْعَةَ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَغَسلهَا فِي حُبِّ المَاءِ ، ثمَّ شَرِبَ فِيْهَا ، وَرَأَيْتُهُ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشفِي بِهِ ، وَيَمسحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجهَه .

قُلْتُ : أَيْنَ المُتَنَطِّعُ المُنْكِرُ عَلَى أَحْمَدَ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ سَأَلَ أَبَاهُ عَمَّنْ يَلمَسُ رُمَّانَةَ مِنْبَرِ النَّبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيَمَسُّ الحُجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ ، فَقَالَ : لاَ أَرَى بِذَلِكَ بَأْساً ، أَعَاذنَا اللهُ وَإِيَّاكُم مِنْ رَأْيِ الخَوَارِجِ وَمِنَ البِدَعِ " . انظر : سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) .

وقال الإمام الذَّهبي : " ... وَقَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيَكُوْنُ عندكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إِلَى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بنِ إِسْمَاعِيْلَ ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يُتوسَّلُ بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٣٠) .

وقال الإمام الذَّهبي : " وَقَالَ محمَّد بن أحمد البلخي ورَّاق البخاري : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيْدٍ الأَشَجَّ ، وَخَرَجَ إِلَيْنَا فِي غداةٍ بَارِدَةٍ ، وَهُوَ يرتعدُ مِنَ البَرْدِ ، فَقَالَ : أَيكُوْنُ عندكُم مِثْلُ ذَا البَرْدِ ؟ فَقُلْتُ : مِثْلُ ذَا يَكُوْنُ فِي الخريفِ وَالرَّبِيْعِ ، وَرُبَّمَا نُمسِي وَالنَّهْرُ جَارٍ ، فنصبحُ وَنَحتَاجُ إِلَى الفَأْسِ فِي نَقْبِ الجَمَدِ . فَقَالَ لِي : مِنْ أَيِّ خُرَاسَان أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بُخَارَى . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : هُوَ مِنْ وَطَنِ محمَّد بن إِسْمَاعِيْل ، فَقَالَ لَهُ : إِذَا قَدِمَ عَلَيْك مَنْ يُتوسَّلُ بِهِ فَاعرفْ لَهُ حقَّهُ ، فَإِنَّهُ إِمَامٌ " . انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٧٨) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة السَّرَّاجُ أَبُو الحَسَنِ محمَّد بنُ الحَسَنِ بنِ أَحْمَدَ : " حَدَّثَ أَبُو الحَسَنِ - رَحِمَهُ اللهُ - مِنْ أُصولٍ صحيحَةٍ، سَمِعْتُهُ يَقُوْلُ : رَأَيْتُ النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي المَنَام، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ، فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِ يَحْيَى بنِ يَحْيَى ، وَتَقَدَّمَ وَصَفَّ خَلْفَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحابة ، وصلَّى عَلَيْهِ ، ثمَّ التَفَتَ فَقَالَ : هَذَا القَبْرُ أَمَانٌ لأَهْلِ هَذِهِ المَدِيْنَةِ " . انظر : سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٦٢) .

وقال الإمام الذَّهبي في ترجمة أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُعَمَّرُ رَكْنُ الدِّين أَبُو العبَّاس الْقَزْوِينِيُّ الطَّاوُسِيُّ الصُّوفِيُّ : " أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ، غَيْرَ مَرَّةٍ ، أنا أَبُو جَعْفَرٍ الصَّيْدَلانِيُّ ، كِتَابَهُ ، أنا أَبُو عَلِيٍّ الْحَدَّادُ ، حُضُوراً ، أنا أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ ، نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، ثنا محمَّد بْنُ عَاصِمٍ ، نا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ : أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مَسَّ قَبْرِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قُلْتُ : كَرِهَ ذَلِكَ لأَنَّهُ رَآهُ إِسَاءَةَ أَدَبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ مَسِّ الْقَبْرِ النَّبوي وَتَقْبِيلِهِ ، فَلَمْ يَرَ بِذَلِكَ بَأْساً ، رَوَاهُ عَنْهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ .

فَإِنْ قِيل : فَهَلا فَعَلَ ذَلِكَ الصَّحابة ؟ قِيلَ : لأَنَّهُمْ عَايَنُوهُ حَيّاً وَتَمَلَّوْا بِهِ وَقَبَّلُوا يَدَهُ ، وَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وُضُوئِهِ وَاقْتَسَمُوا شَعْرَهُ الْمُطَهَّرَ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ ، وَكَانَ إِذَا تَنَخَّمَ لا تَكَادُ نُخَامَتُهُ تَقَعُ إِلا فِي يَدِ رَجُلٍ فَيُدَلِّكُ بِهَا وَجْهَهُ ، وَنَحْنُ فَلَمَّا لَمْ يَصِحَّ لَنَا مِثْلُ هَذَا النَّصِيبِ الأَوْفَرِ تَرَامَيْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِالالْتِزَام وَالتَّبْجِيلِ وَالاسْتِلام وَالتَّقْبِيلِ ، أَلا تَرَى كَيْفَ فَعَلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ؟ كَانَ يُقَبِّلُ يَدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَيَضَعُهَا عَلَى وَجْهِهِ وَيَقُولُ : يَدٌ مَسَّتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهَذِهِ الأُمُورُ لا يُحَرِّكُهَا مِنَ الْمُسْلِمِ إِلا فَرْطُ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَشَدَّ مِنْ حُبِّهِ لِنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعِينَ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ ، وَمِنَ الْجَنَّةِ وَحُورِهَا ، بَلْ خَلْقٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ ، وَعُمَرَ أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ أَنْفُسِهِمْ .

حَكَى لَنَا جُنْدَارٌ ، أَنَّهُ كَانَ بِجَبَلِ الْبِقَاعِ فَسَمِعَ رَجُلاً سَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَسَلَّ سَيْفَهُ ، وَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَلَوْ كَانَ سَمِعَهُ يَسُبُّهُ ، أَوْ يَسُبُّ أَبَاهُ لَمَا اسْتَبَاحَ دَمَهُ ، أَلا تَرَى الصَّحابة فِي فَرْطِ حُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

قَالُوا : أَلا نَسْجُدُ لَكَ ؟ فَقَالَ : " لا " فَلَوْ أَذِنَ لَهُمْ لَسَجَدُوا لَهُ سَجُودَ إِجْلالٍ وَتَوْقِيرٍ ، لا سُجُودَ الْمُسْلِمِ لِقَبْرِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ لا يُكَفَّرُ بِهِ أَصْلاً ، بَلْ يَكُونُ عَاصِياً ، فَلْيَعْرِفْ أَنَّ هَذَا مَنْهِيٌّ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ الصَّلاة إِلَىٰ الْقَبْرِ " . انظر : معجم الشيوخ الكبير (١/ ٧٣-٧٤) .

وقال الإمام الذَّهبي : " فالله يمتع ببقائه أهل المصرين ، ويجمع له ولمواليه خير الدَّارين ، بمحمَّد وآله " . انظر : العبر في خبر من غبر (٤/ ٢٠٠) .

وقال الإمام محمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) : " والله أسأل أن ينفع به ، بمحمَّد وآله ". انظر : نخب الذخائر في أحوال الجواهر (ص١) .

وقال الإمام أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) : " أدام الله أيام مولاي ، وجعلها موشحة بالخلود منسمة بالإقبال والسعود ما لاحت ذكاء ، وطلعت الجوزاء ، بمحمَّد وآله " . انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٧/ ١٥٥) .

وقال الإمام تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩ هـ) : " ... ويُبَاحُ التَّوسُّل بالصُلَحَاء " . انظر : كتاب المنور في راجح المحرر علىٰ مذهب الإمام المبجل والحبر المفضل أحمد بن محمَّد بن حنبل (ص١٩٠) .

وقال الإمام القاضي محمَّد السَّعدي المصري الأخنائي (٧٥٠هـ) كتاباً بعنوان : " المقالة المرضيَّة في الرَّدِّ علىٰ من ينكر الزّيارة المحمديَّة " . وقد طُبع ضمن كتاب : " البراهين السَّاطعة في ردِّ بعض البدع الشَّائعة " لسلامه القضاعي العزامي .

وقال الإمام عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) : " وجعل أعمارهم أطول الأعمار ، بمحمَّد وآله الطيِّبين الطَّاهرين وصحبه الكرام المنتجبين " . انظر : مشيخة القزويني (ص٧٩) .

وألَّف الإمام أبو الحسن تقي الدِّين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) كتاباً سمَّاه : " شفاء السّقام في زيارة خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام " .

وقال الإمام تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) : " اعلم أنه يجوز ويحسن التَّوسُّل والاستعانة والتشفُّع بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربِّه سبحانه وتعالىٰ ، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكلِّ ذي دين ، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السَّلف الصَّالحين والعلماء والعوام من المسلمين ، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ، ولا سمع به في زمن من الأزمان ، حتىٰ جاء ابن

تيمية فتكلَّم في ذلك بكلام يُلبِّس فيه على الضعفاء الأغمار ، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار "
. انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٣٣) .

وقال أيضاً : " وليس المراد نسبة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الخلق والاستقلال بالأفعال ، هذا لا يقصده مسلم ، فصرفُ الكلام إليه ومنْعُهُ من باب التَّلبيسِ في الدِّين ، والتَّشويشِ على عوام الموحِّدين ، وإذْ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطَّلب من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وظهر المعنى ، فلا عليك في تسميته توسُّلاً ، أو تشفُّعاً ، أو استغاثة ، أو تَجَوُّهاً – أي : توسُّلاً بالجاه – ، أو تَوَجُّهاً ؛ لأنَّ المعنى في جميع ذلك سواء...

وأمَّا الاستغاثة : فهي طلب الغوث ، وتارة يطلب الغوث من خالقه ، وهو الله تعالى وحده ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، وتارة يطلب ممَّن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب ، ومن هذا النَّوع : الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وفي هذين القسمين تعدّى الفعل تارة بنفسه كقوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٩] ، ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص : ١٥] ، وتارة بحرف الجر ، كما في كلام النُّحاة في المستغاث به ، وفي كتاب سيبويه رحمه الله تعالى فاستغاث بهم ليشتروا له كليباً ، فيصح أن يقال : استغثتُ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واسْتغيث بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى واحد ، وهو طلب الغوث منه بالدُّعاء ونحوه على النَّوعين السَّابقين في التَّوسُّل من غير فرقٍ ، وذلك في حياته وبعد موته ، ويقول : استغثت الله وأستغيث بالله ، بمعنى : طلب خلق الغوث منه ، فالله تعالى مُسْتَغَاثٌ ، فالغوث منه خَلْقاً وإيجاداً ، والنَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مستغاثٌ ، والغوث منه تسبُّباً وكَسْباً...

وقد تكون الاستغاثة بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه آخر ، وهو أن يُقال : استغثتُ الله بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما تقول : سألت الله بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيرجع إلى النوع الأوَّل من أنواع التَّوسُّل ، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده ، وقد يُحذفُ المفعول به ، ويقال : استغثت بالنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنى . فصار لفظ الاستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له معنيان :

أحدهما : أن يكون مستغاثاً ، والثَّاني : أن يكون مستغاثاً به ، والباء للاستعانة .

فقد ظهر جواز إطلاق الاستغاثة والتَّوسُّل جميعاً ، وهذا أمر لا يُشَكُّ فيه ، فإن الاستغاثة في اللغة طلب الغوث ، وهذا جائزٌ لغةً وشرعاً من كل من يقدر عليه ، بأي لفظ عبر عنه ، كما قالت أم إسماعيل : " أغث إن كان عندك غواث " . انظر : شفاء السقام في زيارة خير الأنام (ص١٤٦-١٤٧) .

وقال أيضاًلا : " أَمْتَعَنِي اللَّهُ بِحَيَاتِهِ وَزَادَ فِي حَسَنَاتِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي (١/ ٢٥٥) .

وقال أيضاً : " وَاَللَّهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُرْضِيه ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي (١/ ٣٠٠) .

وقال أيضاً : " ... وَاَللَّهُ تَعَالَىٰ يُلْهِمُنَا رُشْدَنَا ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : فتاوىٰ السُّبكي (٢/ ٣٠٩) .

وقال الإمام تقي الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السُّبكي (٧٥٦هـ) وولده تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهَّاب (٧٧١هـ) : " أسأل الله تعالىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، موجباً للفوز لديه ، وأن يعمّ النَّفع به ، بمحمَّد وآله وصحبه " . انظر : الإبهاج في شرح المنهاج (٣/ ٢٧٤)

وقال الإمام إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطّرسوسي، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) : " رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنَّة مثواه ، بمحمَّد وآله آمين ". انظر : تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك (ص١) .

وقال الإمام الزَّيلعي (٧٦٢هـ) : " أحسن الله عَاقبَتهَا بمحمَّد وَآله وَصَحبه وسلَّم تَسْلِيماً دَائِماً أبداً إِلَىٰ يَوْم الدِّين " . انظر : تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٧) .

وقال الإمام محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرَّامينىٰ ثمَّ الصالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : إنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (٣/ ٢٢٩) .

وقال أيضاً : " وَرَوَىٰ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي كِتَابِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " إذَا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، فَلْيَقُلْ : يَا عِبَادَ اللَّهِ احْبِسُوا ، فَإِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ حَاضِراً سَيَحْبِسُهُ " . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إمَامِنَا أَحْمَدَ : سَمِعْت أَبِي يَقُولُ : حَجَجْت خَمْسَ حِجَجٍ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ رَاكِباً وَثَلَاثاً مَاشِياً فضللت الطريق في حجَّة وكنت ماشياً فَجَعَلْت أَقُولُ : يَا عِبَادَ اللَّهِ دُلُّونَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ وَقَعْت عَلَىٰ الطَّرِيقِ ، أَوْ كَمَا قَالَ أَبِي " . انظر : الآداب الشرعية (١/ ٤٥٧-٤٥٨) .

وقال أيضاً : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل بِصَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ ، قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : إنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دُعَائِهِ ، وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ ، وَجعَلَهَا شَيْخُنَا كَمَسْأَلَةِ

الْيَمِينِ بِهِ ، قَالَ : وَالتَّوَسُّلُ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ ، والصَّلاة والسَّلام عَلَيْهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِدُعَائِهِ وَشَفَاعَتِهِ ، وَنَحْوِهِ مِمَّا هُوَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَفْعَالِ الْعِبَادِ الْمَأْمُورِ بِهَا فِي حَقِّهِ مَشْرُوعٌ ، فِي قَوْله تَعَالَىٰ : **﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾** [المائدة : ٣٥] . وَقَالَ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ : فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلام : " أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " : الِاسْتِعَاذَةُ لَا تَكُونُ بِمَخْلُوقٍ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ : الدُّعاء عِنْدَ قَبْرِ مَعْرُوفٍ التِّرْيَاقُ الْمُجَرَّبُ . وَقَالَ شَيْخُنَا : قَصْدُهُ لِلدُّعَاءِ عِنْدَهُ رَجَاءَ الْإِجَابَةِ بِدْعَةٌ لَا قُرْبَةٌ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ ، وَقَالَ أَيْضاً : يحرم بلا نزاع بين الأئمة " . انظر : كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي (٣/ ٢٢٩) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " قَالَ الشَّيخ شمس الدِّين الذَّهبي وَمن خطه نقلت : حَدثنِي الإِمَام محمَّد بن منتاب أَنَّ عز الدِّين يُوسُف الْموصِلِي كتب إِلَيْهِ وَأَرَانِي كِتَابه ، قَالَ : كَانَ لنا رَفِيق يشْهد مَعنا فِي سوق الطَّعَام ، يُقَال لَهُ : الشَّمْس بن الحشيشي ، كَانَ يسبُّ أَبَا بكر وَعمر رضى الله عَنْهُمَا ، ويبالغ ، فَلَمَّا ورد شَأْن تَغْيِير الْخطْبَة إِذْ ترفض القان خربندا افترى وَسَب ، فَقلت : يَا شمس قَبِيح عَلَيْك أَن تسبَّ وَقد شبت ، مَالك وَلَهُم ، وَقد درجوا من سبع مَاية سنة ، وَالله يَقُول : " تِلْكَ أمة قد خلت " فَكَانَ جَوَابه : وَالله إِنَّ أَبَا بكر وَعمر وَعُثْمَان فِي النَّار . قَالَ ذَلِك فِي مَلأ من النَّاس ، فَقَامَ شعر جَسَدِي ، فَرفعت يَدي إِلَىٰ السَّمَاء ، وَقلت : اللهمَّ يَا قاهر فَوق عباده ، يَا من لَا يخفى عَلَيْهِ شَيْء ، أَسأَلك بنبيك إِن كَانَ هَذَا الْكَلْب على الْحق فَأنْزل بِي آيَة ، وَإِن كَانَ ظَالِماً ، فَأنْزل بِهِ مَا يعلم هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَة أَنه على الْبَاطِل فِي الْحَال ، فورمت عَيناهُ حَتَّى كَادَت تخرج من وَجهه ، واسودَّ جِسْمه حَتَّى بَقِي كالقبر ، وانتفخ وَخرج من حلقه شَيْء يصرع الطُّيُور ، فَحمل إِلَى بَيته ، فَمَا جَاوز ثَلَاثَة أَيَّام حَتَّى مَاتَ ، وَلم يتَمَكَّن أحد من غسله مِمَّا يجْرِي من جِسْمه وَعَيْنَيْهِ ، وَدفن . وَقَالَ ابْن منتاب : جَاءَ إِلَى بَغْدَاد أَصْحَابنَا وَحَدثُوا بِهَذِهِ الْوَاقِعَة ، وَهِي صَحِيحَة ، وَتُوفِّي سنة عشر وَسبع مَاية " . انظر : الوافي بالوفيات (٣/ ١٨-١٩) .

وقال الإمام صلاح الدِّين خليل بن أيبك الصَّفدي (٧٦٤هـ) : " ... لا زال جابراً بقبوله وإقباله ، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله ، بمحمَّد وآله إن شاء الله تعالىٰ " . انظر : أعيان العصر وأعوان النصر (٤/ ٦٦٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) : " فالله تعالىٰ يُبقيه ويُمتع الاسلام ويديم النَّفع به الأنام ، بجاه المصطفىٰ سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، محمَّد بن علي الحسيني الدِّمشقي ، (ص٣١٥) .

قلت : وقد قامت الأيدي الأثيمة بشطب هذا الكلام للإمام الحسيني الدِّمشقي من نسخة ذيل تذكرة الحفَّاظ للإمام شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي ، دار الكتب العلميَّة ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م) ، وذلك من نسخة ذيل التَّذكرة الموجودة ضمن المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ... فتنبَّهوا لصنيع هذه الفئة الدَّخيلة علىٰ تراثنا الذي لم يسلم منهم لا في القديم ولا في الحديث ...مع أنَّ كلام الإمام الحسيني موجود في ذيل تذكرة الحفَّاظ الموجودة في المكتبة الشَّاملة ، والتي أُضيف إليها : لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفَّاظ ، لابن فهد المكي ، وذيل طبقات الحفَّاظ للذَّهبي للسُّيوطي ... ودائماً : إذا كنت كَذوباً فكن ذَكُوْراً ...

وقال الإمام خالد بن عيسىٰ بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفىٰ: بعد ٧٦٧هـ) : " ... وها أنا أقف موقف الخجل والتَّقصير ، وأسأل الله العلي الكبير ، بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد رسوله البشير النَّذير ، أن يجعله حجاً مبروراً ، وسعياً مباركاً مشكوراً ، وعملاً صالحاً متقبَّلاً مذخوراً " . انظر : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق (ص١٤٣) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) : " اللهمَّ إنَّا نسألك التَّوفيق ، ونعوذ بك من الخذلان والتَّعويق ، بجاه نبيِّك الكريم ، عليه أفضل الصَّلاة والتَّسليم ". انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ١٧٥) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

ووفِّق لما ترضىٰ بجاه محمَّد   وواصل له أزكىٰ الصَّلاة مديماً

انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ٦٨) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) :

قصور وحور لا تطاق صفاتهـا   وكلّ نعيم ما لـه العقل يعقل

إلهي بجاه المصطفىٰ لا حرمتنـا   نعيماً بها يا نعم مولىٰ مؤمل

وصل علىٰ تاج العلىٰ سيِّد الـورىٰ   رسول كريم لا يسـاويه مرسل

انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٢/ ٣٢٢) .

وقال الإمام اليافعي أيضاً : " نسأل الله الكريم الاستقامة علىٰ الدِّين القويم ، بجاه نبيِّه عليه أفضل الصَّلوات والتَّسليم " . انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٣/ ٧٧) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي : " وأسأله أن يتقبَّل ما ذكرت من دعائه ، وأن يغفر لنا جميع الذُّنوب ، ويبلغنا من الخيرات كلّ مطلوب ، بجاه نبيّه المصطفىٰ المكرم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم " . انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤/ ٢٤١) .

وقال الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي :

إلهي بجاه المصطفىٰ سيِّد الورىٰ ... وملجأهم من كل ما منه يهرب

وتاج العلي بدر الهدىٰ معدن الندىٰ ... طراز جمال الكون أبهج مذهب

أنلني منائي منك يا غاية المنىٰ ... لا ضحىٰ ولي شغل بحبك مذهب

انظر : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (٤/ ٢٤٢) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) : " وَنَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ فِوَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ طَالِبَهُ وَالنَّاظِرَ فِيهِ ، وَأَنْ يُعَامِلَنَا بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، بمحمَّد وَآلِهِ الْأَطْهَارِ وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ ". انظر : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٧١٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : "

فاسأل إلهك بالنَّبي محمَّد ... متوسِّلاً تظفر بِكُل أَمَان

انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٣/ ٣٨٢) .

وفي كتابه معجم الشُّيوخ ذكر الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) قصيدة الإمام الأديب جمال الدِّين بن نُباتة الفارقي (٧٦٨هـ) المسمَّاة بالقصيدة اللاميَّة ، وهي في ديوانه ، وذكر أنَّه سمعها منه ، وفيها :

يا خاتم الرُّسل لي في المذنبين ... غداًعلىٰ شفاعتك الغرَّاء تعويل

صلَّىٰ عليك الذي أعطاك منزلةً ... شفيعها في مقام الحشر مقبول

أنت المَلاذُ لنا دنيا وآخِرةً ... فباب قصدك في الدَّارين مأهول

انظر : معجم الشيوخ (ص٤٦٢) .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي(٧٧١هـ) في ترجمة الإمام محمَّد بن عبد اللَّطِيف بن يحيىٰ بن عَليّ بن تَمام السُّبكي الْفَقِيه الْمُحدث الأديب المتفنِّن تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح : " وَمن شعر الشَّيخ تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح :

فارج الْإِلَه وَلَا تخف من غَيره — تَجِد الْإِلَــه لضيق صدرك قد شرح
وارغب إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفىٰ — فِي كشف ضرّك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَــا يَرْجُو نداه مخلص — لسؤاله إِلَّا تهلل وانشــرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَــــهُ — جاه علا وعلوّ قدر قد رجــــح
وَهُوَ النَّعيــم لمن توقىٰ وَاتَّقَىٰ — وَهُوَ الْجَحِيم لمن تكبَّر واتقــح
هُوَ وابل الدُّنيــا إِذا شحَّ الحيــا — وَمُشَفَّع الْأُخْرَىٰ إِذا عرق رشـــــح

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة الإمام ابن دقيق العيد، من كلامه : " ... أعد لَهَا جاه الشَّفِيع المشفع ... " .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة محمَّد بن عبد اللَّطِيف بن يحيىٰ بن عَليّ بن تَمام السُّبكي الْفَقِيه الْمُحدث الأديب المتفنن تَقِيّ الدِّين أَبُو الْفَتْح (٧٤٤هـ) :

وارغب إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفىٰ — فِي كشف ضرك عل يأسو مَا انجرح
تالله مَا يَرْجُــو نداه مخلص — لسؤالــه إِلَّا تهلل وانشرح
فَهُوَ النَّبي الْهَاشِمِي وَمن لَـــــهُ — جاه علا وعلو قدر قد رجـــــــح

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي في ترجمة حسَّان بن محمَّد بن أَحْمد بن هَارُون بن حسَّان بن عبد الله بن عبد الرَّحمن ابْن عَنْبَسَة بن سعيد بن الْعَاصِ القرشي الأموي الإِمَام الْجَلِيل أحد أَئِمَّة الدُّنيا أَبُو الْوَلِيد النَّيسابوري : " ... قَالَ وَسمعت أَبَا الْحسن عبد الله بن محمَّد الْفَقِيه يَقُول مَا وَقعت في ورطة قطّ وَلَا وَقع لي أَمر مُهِمّ فقصدت قبر أَبِىٰ الْوَلِيد وتوسَّلت بِهِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ إِلَّا اسْتَجَابَ الله لي " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٩/ ١٨١) ، (٩/ ٢٢١) ، (٩/ ١٨١) ، (٣/ ٢٢٨) بالترتيب .

وقال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي : " أَنْشَدَنَا الإِمَامُ الْبَارِعُ جَمَالُ الدِّين أَبُو بَكْرٍ محمَّد بْنُ محمَّد بْنِ محمَّد بْنِ حَسَنِ بْنِ نُبَاتَةَ الْمِصْرِيُّ الأَصْلِ ثمَّ الدِّمشقي :

يَا خَـاتَمَ الرُّسْلِ لِي فِي الْمُذْنِبِينَ — غَداً عَلَــىٰ شَفَاعَتِكَ الْغَرَّاءِ تَعْوِيلُ
إِنْ كَانَ كعبٌ بِمَا قَدْ قَالَ ضَيْفَكَ — فِي دَارِ النَّعِيمِ فَلِي بِالْبَابِ تَطْفِيلُ
وَأَيْنَ كَابْنِ زهيرٍ لِــي شَذَا كَلِمٍ — رَبِيعُهَا بِغَمَــامِ الْقُرْبِ مَطْلُولُ
صَلَّىٰ عَلَيْكَ الَّذِي أَعْطَـاكَ مَنْزِلَةً

أَنْتَ الْمَلاذُ لَنَا دُنْيَــــــا وَآخِرَةً شَفِيعُهَا فِي مَقَـامِ الْحَشْرِ مَقْبُولُ
فَبَابُ قَصْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ مَأْهُـــــــولُ

انظر : معجم الشيوخ (ص٤٦٢) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي : " وأنا أسأل الله تعالىٰ وأتضرع إليه ، وأتوسَّل إليه بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنه أكرم خلقه عليه ، أن يسكنه وإيَّاي وسائر ذريَّته في الجنَّة مكاناً مرفوعاً " . انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٣٠) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي أيضاً :

بجاه رسول الله قد نلت كلَّ ما أتىٰ وسيأتىٰ دائمــــــاً بأمان
فصلَّىٰ عليه الله ما ذرّ شــــارق وسلَّم ما دامت لـــــه الملوان

انظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٢٧٢) .

وقال الإمام ابن كثير الدِّمشقي (٧٧٤هـ) : " وَقَدْ رُوِّينَا أَنَّ عُمَرَ عَسَّ الْمَدِينَةَ ذات ليلة عَامِ الرَّمَادَةِ فَلَمْ يَجِدْ أَحَداً يَضْحَكُ ، وَلَا يَتَحَدَّثُ النَّاس فِي مَنَازِلِهِمْ عَلَىٰ الْعَادَةِ ، وَلَمْ ير سَائِلاً يَسْأَلُ ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ السُّؤَّالَ سَأَلُوا فَلَمْ يُعْطَوْا فَقَطَعُوا السُّؤَالَ ، والنَّاس فِي هَمٍّ وَضِيقٍ فَهُمْ لَا يَتَحَدَّثُونَ وَلَا يَضْحَكُونَ . فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ بِالْبَصْرَةِ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . وَكَتَبَ إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ أَنْ يَا غَوْثَاهُ لِأُمَّةِ محمَّد . فَبَعَثَ إِلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِقَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَسَائِرَ الْأَطْعِمَاتِ ، وَوَصَلَتْ مِيرَةُ عَمْرٍو فِي الْبَحْرِ إِلَىٰ جُدَّةَ وَمِنْ جُدَّةَ إِلَىٰ مكَّة . وَهَذَا الْأَثَرُ جَيِّدُ الْإِسْنَادِ ، لَكِنَّ ذِكْرَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ مُشْكِلٌ ، فَإِنَّ مِصْرَ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ فِي سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامُ الرَّمَادَةِ بَعْدَ سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ، أَوْ يَكُونَ ذِكْرُ عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ " . انظر : البداية والنِّهاية (٧/ ٩٠) .

وقال الإمام ابن كثير الدِّمشقي أيضاً : " وَقَالَ يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ محمَّد بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي خَلْدَةَ خَالِدِ بْنِ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ ، قَالَ : لَمَّا افْتَتَحْنَا تُسْتَرَ وَجَدْنَا فِي مَالِ بَيْتِ الْهُرْمُزَانِ سَرِيراً ، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ ، فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ فَحَمَلْنَاهُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَعَا لَهُ كَعْباً فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا . فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ (٩٠هـ) : مَا كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : سِيَرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ . قُلْتُ : فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْراً مُتَفَرِّقَةً ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا ؛ لِنُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاس فَلَا يَنْبِشُونَهُ . قُلْتُ :

فَمَا يَرْجُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ . قُلْتُ : مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ دَانْيَالُ . قُلْتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . قُلْتُ : مَا تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا شَعَرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ ؛ إِنَّ لُحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السِّبَاعُ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مَحْفُوظاً مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ لِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ، بِنَصِّ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ وَالْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ ، وَقِيلَ: سِتُّمِائَةٍ . وَقِيلَ : سِتُّمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَدْ يَكُونُ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَقْتِ دَانْيَالَ إِنْ كَانَ كَوْنُهُ دَانْيَالَ هُوَ الْمُطَابِقَ لِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَجُلاً آخَرَ ؛ إِمَّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوِ الصَّالِحِينَ ، وَلَكِنْ قَرُبَتِ الظُّنُونُ أَنَّهُ دَانْيَالُ ، لِأَنَّ دَانْيَالَ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مَلِكُ الْفُرْسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَسْجُوناً ، كَمَا تَقَدَّمَ " . انظر : البداية والنّهاية (٢/ ٣٧٦-٣٧٧)
.

وقال الإمام ابن كثير في ترجمة محمَّد بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أَبُو شُجَاعٍ، الملقَّب ظَهِيرَ الدِّينِ، الرُّوذَرَاوِرِيُّ الْأَصْلِ الْأَهْوَازِيُّ (٤٨٨هـ) : " وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاس ، خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ ، ثمَّ عُزِلَ عَنِ الْوَزَارَةِ فَسَارَ إِلَى الْحَجِّ وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ثمَّ مَرِضَ ، فَلَمَّا ثَقُلَ فِي الْمَرَضِ جَاءَ إِلَى الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظلموا أنفسهم جاؤوك فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُول لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾** [النساء : ٦٤] ، وَهَا أَنَا قَدْ جِئْتُكَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبِي وَأَرْجُو شَفَاعَتَكَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثمَّ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ رَحِمَهُ الله ، ودفن في البقيع " . انظر : البداية والنّهاية (١٢/ ١٨٥) .

وقال الإمام ابن كثير: " ثمَّ ظَهَرَتْ عِنْدَنَا بِالْحَرَّةِ وَرَاءَ قُرَيْظَةَ عَلَى طَرِيقِ السُّوَارِقِيَّةِ بِالْمَقَاعِدِ مَسِيرَةً مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الظُّهْرِ نَارٌ عَظِيمَةٌ تَنْفَجِرُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَارْتَاعَ لَهَا النَّاس رَوْعَةً عَظِيمَةً ، ثمَّ ظَهَرَ لَهَا دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ يَنْعَقِدُ حَتَّى يَبْقَى كَالسَّحَابِ الأبيض ، فيصل إِلَى قَبْلِ مَغِيبِ الشَّمْسِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، ثمَّ ظَهَرَتِ النَّارُ لَهَا أَلْسُنٌ تَصْعَدُ فِي الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وَعَظُمَتْ وَفَزِعَ النَّاس إِلَى الْمَسْجِدِ النبوي وَإِلَى الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَاسْتَجَارَ النَّاس بِهَا وَأَحَاطُوا بِالْحُجْرَةِ وكشفوا رؤوسهم وَأَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ وَابْتَهَلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَجَارُوا بِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام ، وَأَتَى النَّاس إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمِنَ النَّخْلِ ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالصِّبْيَانُ ، وَاجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ وَأَخْلَصُوا إِلَى اللَّهِ " . انظر : البداية والنّهاية (١٣/ ٢٢٢) .

وقال الإمام ابن كثير في ترجمة ابن تيمية : " ... تَقَدَّمَ فِي الصَّلاة عَلَيْهِ أولاً الشَّيخ محمَّد بْنُ تَمَّامٍ ، ثمَّ صُلِّيَ عَلَيْهِ بالجامع الأموي عقيب صلاة الظُّهر ، وقد تضاعف اجتماع النَّاس علىٰ ما تقدَّم ذكره ، ثمَّ تزايد الجمع إلىٰ أن ضاقت الرِّحاب والأزقَّة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثمَّ حمل بعد أن يصلِّي عليه علىٰ الرُّؤوس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتدَّ الزِّحام وعلت الأصوات بالبكاء والنَّحيب والتَّرحُّم عليه والثَّناء والدُّعاء له ، وألقىٰ النَّاس علىٰ نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النِّعال من أرجل النَّاس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنَّظر إلىٰ الجنازة ، وصار النَّعش علىٰ الرُّؤوس تارة يتقدَّم وتارة يتأخَّر ، وتارة يقف حتىٰ تمر النَّاس ، وَخَرَجَ النَّاس مِنَ الْجَامِعِ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّهَا وهي شديدة الزِّحام ، كلّ باب أشدّ زحمة من الآخر ، ثمَّ خرج النَّاس من أبواب البلد جميعها من شدَّة الزِّحام فيها ، لكن كان معظم الزِّحام مِنَ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ : بَابِ الْفَرَجِ الَّذِي أُخْرِجَتْ مِنْهُ الْجِنَازَةُ ، وَبَابِ الْفَرَادِيسِ ، وَبَابِ النَّصْرِ ، وَبَابِ الجابية .

وعظم الأمر بسوق الخيل وتضاعف الخلق وكثر النَّاس ، ووضعت الجنازة هناك وَتَقَدَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ هُنَاكَ أَخُوهُ زَيْنُ الدِّين عبد الرَّحمن ، فلمَّا قضيت الصَّلاة حمل إِلَىٰ مَقْبَرَةِ الصُّوفيَّة فَدُفِنَ إِلَىٰ جَانِبِ أَخِيهِ شَرَفِ الدِّين عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ، وَكَانَ دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلِّي عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرىٰ وغيرهم ، وأغلق النَّاس حَوَانِيتَهُمْ وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الْحُضُورِ إِلَّا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحُّم والدُّعاء له ، وأنَّه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كنَّ علىٰ الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحمن ويبكين عليه فما قيل .

وأمَّا الرِّجال فحرزوا بستين ألفاً إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ إلىٰ أكثر من ذلك إلىٰ مائتي ألف وشرب جماع الْمَاءَ الَّذِي فَضَلَ مِنْ غُسْلِهِ ، وَاقْتَسَمَ جَمَاعَةٌ بقيَّة السِّدر الذي غسل به ، ودفع في الْخَيْطَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الزِّئْبَقُ الَّذِي كَانَ في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وَقِيلَ إِنَّ الطَّاقِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ دفع فيها خمسمائة درهماً .

وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع ، وختمت له ختمات كثيرة بالصَّالحيَّة وبالبلد ، وَتَرَدَّدَ النَّاس إِلَىٰ قَبْرِهِ أَيَّاماً كَثِيرَةً لَيْلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون ... " . انظر : البداية والنِّهاية (١٤/ ١٥٦-١٥٧) .

فما رأيكم يا من تدَّعون السلفيَّة بصنيع أتباع ابن تيمية الذي نقله تلميذه ابن كثير بتقرير ومن غير نكير ؟!!! فهل تكفِّرون أتباع ابن تيمية على ما صنعوا من التَّبرُّك به أثناء تشييع جنازته ؟!!! أم أنَّ هذا الصَّنيع عندكم حتمٌ لازم بحقِّ من نعتُّموه بشيخ الإسلام مع أنَّه (شرخ الإسلام) لا شيخه ... أفيدونا ...

وقال الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي : " ... أجزل الله ثوابه ، وأحسن مآبه بمحمَّد وآله والصحابة آمين " . انظر : طبقات الشافعيين (ص٩٤) .

وقال الإمام ابن كثير في حديثه عن النَّار التي ظهرت في الحجاز : " ... وَهَذِهِ النَّارُ فِي أَرْضٍ ذَاتِ حَجَرٍ لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا نَبْتَ ، وَهِيَ تَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ ، وَهِيَ تُحْرِقُ الْحِجَارَةَ وَتُذِيبُهَا ، حَتَّى تَعُودَ كَالطِّينِ الْمَبْلُولِ ، ثمَّ يَضْرِبُهُ الْهَوَاءُ حَتَّى يَعُودَ كَخَبَثِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْكِيرِ ، فَاللَّهُ يَجْعَلُهَا عِبْرَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالِمِينَ ، بمحمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ " . انظر : البداية والنِّهاية (١٣/ ٢٢٤-٢٢٥) .

أثبت الإمام ابن كثير في " البداية والنِّهاية " أنَّ الإمام ابن تيمية قال : " لا يُستغاث إلَّا بالله ، لا يُستغاث بالنَّبي استغاثة بمعنى العبارة ، وَلَكِنْ يُتَوَسَّلُ بِهِ وَيُتَشَفَّعُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ". انظر البداية والنِّهاية (١٤/ ٥١٢) .

وقال الإمام عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) : " ... وأسأل الله الْعَظِيم بجاه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِتْمَامه في خير وعافية " .

وقال أيضاً : " ... رزقنا الله مَا رزقه بجاه مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٣٥٣) (٢/ ٤٢) ، بالترتيب .

وقال الإمام خليل بن إسحاق بن موسى ، ضياء الدِّين الجندي المالكي (٧٧٦هـ) : " أسألك بجاه النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيشة سويَّة ، وميتة نقيَّة " . انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/ ٦٢٠) .

وقال أيضاً : " ونسأل الله العظيم بجاه النَّبي الكريم أن يعصمنا منها ، وأن يميتنا على الإسلام وهو راض عنَّا " . انظر : التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب (٨/ ٢١٥) .

وقال الإمام محمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) في ترجمة علي بن أحمد بن خلف بن محمَّد بن الباذش الأنصاري : " ... ودفن بمقبرة باب البيرة ، وازدحم النَّاس على نعشه ، وكانت جنازته حافلة ، وتفجّع النَّاس على قبره . وقبره مشهور ، يتبرّك به النَّاس " . انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٧٨) .

وقال الإمام لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله (٧٧٦هـ) : " اللهمَّ الإعانة على التَّمام بجاه سيِّد الأنام ، عليه افضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " . انظر : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة (١/ ٢٥)

وقال الإمام محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) في " نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشَّريف والرد على ماقتهم السَّخيف" (ص٩٠) :

بجاه رَسُول الله نسْأَل فاكفنا عَلَيْهِ صَلَاة الله نوفي بهَا النَّظما

وقال الإمام علي بن محمَّد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) : " وأسأله متوسِّلاً بهذا الرَّسُول الكريم عليه أن يصلِّي عليه في كلِّ وقت ويسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه" . انظر : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية (ص٧٩٨)

وقال الإمام سعد الدِّين التَّفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) : " ... ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخبرات واستدفاع الملمات ، فإنَّ للنَّفس بعد المفارقة تعلُّقاً ما بالبدن وبالتُّربة التي دفنت فيها ، فإذا زار الحيُّ تلك التُّربة ، وتوجَّهت تلقاء نفس الميِّت حصل بين النَّفسين ملاقاة وإفاضات ..." . انظر : شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ٤٣) .

وقال الإمام ابن الملقِّن (٨٠٤هـ) : " نفع الله بالجميع بمحمَّد وآله وجعلهم مقرَّبين من رضوانه مبعدين من سخطه وحرمانه نافعين لكاتبهم وسامعهم نفعاً شاملاً في الحال والمآل ... " . انظر : خلاصة البدر المُنير (١/ ٥) .

وقال الإمام ابن الملقِّن: " أسألُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَى أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمِّها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله " . انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن : " جعل الله ذَلِكَ خَالِصاً لوجهه ، بمحمَّد وَآله " . انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (٢/ ١٨٥) .

وقال الإمام ابن الملقِّن : " ... أسألُ الله الْكَرِيم إِتْمَامه مصوناً عَاجلاً ، عَلَى أحسن الْوُجُوه ، وأبركها ، وأعمّها ، وأنفعها ، وأدومها ، بمحمَّد وَآله " . انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام ابن الملقِّن في ترجمة يحيىٰ بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكريَّا (٢٥٨هـ) : " أحد الأوتاد ، وكان أوحد وقته في فنه . مات سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقبره بنيسابور يُستسقىٰ به ، ويُتبرَّك بزيارته " . انظر : طبقات الأولياء (ص٣٢١) .

وقال الإمام ابن الملقِّن : " أسأل الله الكريم إتمامه والنَّفع به بمحمَّد وآله " . انظر : الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١/ ١٣٢) .

وقال الإمام ابن الملقِّن : " أدام الله النَّفْع بِعُلُومِهِ بمحمَّد وَآله آمين " . انظر : غاية السول في خصائص الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٦٧) .

وقال الإمام أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، في كلامه علىٰ حديث : " أُدْنُنِي مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ " : " ... وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ مَعْرِفَةِ قُبُورِ الصَّالِحِينَ لِزِيَارَتِهَا وَالْقِيَامِ بِحَقِّهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لِقَبْرِ السيِّد مُوسَىٰ – عَلَيْهِ السَّلام – عَلَامَةً مَوْجُودَةً فِي قَبْرٍ مَشْهُورٍ عِنْدَ النَّاس الْآنَ بِأَنَّهُ قَبْرُهُ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَوْضِعَ الْمَذْكُورَ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبي – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ حِكَايَاتٌ وَمَنَامَاتٌ . وَقَالَ الْحَافِظُ الضِّيَاءُ : حَدَّثَنِي الشَّيخ سَالِمٌ التَّلُّ ، قَالَ : مَا رَأَيت اسْتِجَابَةُ الدُّعاء أَسْرَعَ مِنْهَا عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ ، وَحَدَّثَنِي الشَّيخ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ الْمَعْرُوفُ بِالْأَرْمَنِيِّ أَنَّهُ زَارَ هَذَا الْقَبْرَ وَأَنَّهُ نَامَ فَرَأَىٰ فِي مَنَامِهِ قُبَّةً عِنْدَهُ وَفِيهَا شَخْصٌ أَسْمَرُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ مُوسَىٰ كَلِيمُ اللَّهِ أَوْ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْت : قُلْ لِي شَيْئاً فَأَوْمَىٰ إِلَيَّ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ وَوَصَفَ طُولَهُنَّ ، فَانْتَبَهْت فَلَمْ أَدْرِ مَا قَالَ ، فَأَخْبَرْت الشَّيخ ذَيَّالَ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : يُولَدُ لَكَ أَرْبَعَةُ أَوْلَادٍ ، فَقُلْت : أَنَا قَدْ تَزَوَّجْت امْرَأَةً فَلَمْ أَقْرَبِهَا ، فَقَالَ : تَكُونُ غَيْرَ هَذِهِ فَتَزَوَّجْت أُخْرَىٰ فَوَلَدَتْ لِي أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ ". انظر : طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٣) .

وقال الإمام ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) : " ... نسأله سبحانه وتعالىٰ من فيض فضله العميم ، ونتوسَّل إليه بجاه نبيِّه الكريم ، أن يرزقنا إيماناً دائماً ، وقلباً خاشعاً ، وعلماً نافعاً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قيماً والعافية من كلِّ بليَّة ، وتمام العافية ، ودوام العافية ، والشُّكر علىٰ العافية ... " . انظر : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (٦/ ٤٩) .

وقال الإمام الدَّميري (٨٠٨هـ) : " نسأل الله تعالىٰ الثَّبات عند الممات ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : النجم الوهاج في شرح المنهاج (٣/ ١٢)

وقال الإمام الدّميري : " وكان رجل من عباد الله الصَّالحين الموحدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالىٰ عنه ، فقال له : علِّمني اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطىٰ ، فقال : قل هذه الكلمات صباحاً ومساء ، فإنَّه ما دعا بهنَّ خائف ، إلَّا أمن ، ولا سائل إلا أعطاه الله مسألته ، وهي هذه الكلمات : يا من له وجه لا يبلىٰ ونور لا يطفىٰ ، واسم لا ينسىٰ ، وباب لا يغلق ، وستر لا يهتك ، وملك لا يفنىٰ ، أسألك وأتوسل إليك بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ٥٩) .

وقال الإمام الدّميري: " ... نصره الله نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، بمحمَّد وآله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحمد لله وحده " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ١٥١) .

وقال الإمام الدّميري: " ... فنسأل الله التَّوفيق والهداية والأمانة علىٰ الإيمان به وبرسوله ، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه ، بمحمَّد وآله " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ١٥١) .

وقال الإمام الدّميري: " ... أسألك وأتوسَّل إليك بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي ، بمحمَّد وآله " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ٣١٧) .

وقال الإمام الدميري: " نسأل الله تعالىٰ السَّلامة ، وحسن الخاتمة ، بجاه سيِّدنا محمَّد وآله " . انظر : حياة الحيوان الكبرىٰ (١/ ٣١٧) .

وقال الإمام أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) : " وَمن توسل إِلَيْهِ بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجاه ونفعه " . انظر : وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصَّلاة والسَّلام (ص٣١) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين (٨١٢هـ) : " خلَّد الله مُلكه ، وأبقىٰ عدله ، وزاد كلّ يوم دولته بمحمَّد وآله" . انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٢/ ٢٠٥) .

وقال الإمام علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي : " ... وفي هذه الواقعة يقول القسم بن علي بن هُتَيْملٍ يمدح السُّلطان الملك المظفَّر : ...

أحييتهُ بالعفو ثمَّ لقيتهُ ... ببشاشةٍ وسكينةٍ ووقار
ووهبتهُ دمهُ بجاه محمَّد ... ورضىٰ عليّ وجعفر الطيَّار
لو أنَّ غيرك يا مظفَّر صادهُ ... لكساهُ ثوبي ذلَّة وصغار

انظر : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (١/ ١٧٣) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) : " وأمَّا الكتب التي تكتب إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، فقد جرت عادة الأمَّة من الملوك وغيرهم بكتابة الرَّسائل إليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته بالسَّلام والتَّحيَّة والتَّوسُّل والتَّشفُّع به إلىٰ الله تعالىٰ في المقاصد الدُّنيويَّة والأخرويَّة ، وتسييرها إلىٰ تربته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وأكثر النَّاس معاطاة لذلك أهل المغرب لبعد بلادهم ، ونزوح أقطارهم " . انظر : صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء (٦/ ٤٥٨) .

وقال الإمام القلقشندي: " ... تقبَّلها الله تعالىٰ من المملوك ومن كلِّ داع مخلص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيام مولانا ملك الأمراء ، وخلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلوّ درجاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " ... وهو من أكرم فريق ، بمحمَّد وآله " .

وقال القلقشندي أيضاً : " والله تعالىٰ يكمّل توفيقه ، ويسهّل إلىٰ نجح المقاصد طريقه ، بمحمَّد وآله "

وقال القلقشندي أيضاً : " أدام الله تعالىٰ النَّفع به وببركته ، وأشركنا والمسلمين في صالح أدعيته ، بمحمَّد وآله وصحبه وعترته " .

وقال القلقشندي أيضاً : " أشكر الله وأحمد ، بمحمَّد وآله " . انظر : صبح الأعشىٰ في صناعة الإنشاء (٨/ ١٧٨) ، (١١/ ٣٠٢) ، (١٢/ ٣٦١) ، (١٤/ ٣٦٧) ، (١٤/ ٣٧٢) بالترتيب .

وقال الإمام الفقيه تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) : " والمراد أنَّ الاستغاثة بالنَّبي ، واللواذ بقبره مع الاستغاثة به كثير علىٰ اختلاف الحاجات ، وقد عقد الأئمَّة لذلك باباً ، وقالوا : إنَّ استغاثة من لاذ بقبره ، وشكىٰ إليه فقره وضرَّه ، توجب كشف ذلك الضرِّ بإذن الله تعالىٰ" . انظر : دفع شبه من شبه وتمرد (ص٨٩) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) : " فالله تعالىٰ يثيبه ويحسن إليه ويجزيه خيراً بمحمَّد وآله أجمعين " . انظر : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (١/ ٤٥١)

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي: " وأسال الله أن يوفِّقني في ذلك للسَّداد ، وأن يسعفني ومن أصلح فيه خللاً نيل المراد ، بمحمَّد سيِّد المرسلين وآله وصحبه الأكرمين " . انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٣٣) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن علي، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي : " ... ونسأل الله أن يسعفه بمطلوبه بمحمَّد سيِّد المرسلين وأله وصحبة الصَّفوة الأكرمين " . انظر : ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (١/ ٦٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك : " ... وتوفي في شهر رمضان سنة إحدىٰ وثمانين ومائة ، وقبره بهيت معروف ، يُزار ، زرته ، وتبرَّكت به " . انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٤٦) .

وقال الإمام شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) في " غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٩٦-٩٧) في ترجمة الإمام الشَّافعي : " وقبره بقرافة مصر مشهور ، والدُّعاء عنده مستجاب ، ولمَّا زرته قلت :

زرتُ الإمـــــام الشَّافعي ... لأنَّ ذلك نافعــــــــي

لأنال منه شفاعـــــــة ... أكرم به من شـــــــافع

وقال الإمام ابن حجَّة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) : " ... وأعاد علينا من بركاته في الدُّنيا والآخرة ، بمحمَّد وآله " . انظر : خزانة الأدب وغاية الأرب (١/ ٢٢٧) .

وقال الإمام ابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) : " وابتدأت من ذَلِك بالمحمَّدين تبركاً باسم سيِّد الْمُرْسلين صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ " . انظر : الرد الوافر (ص٢٥) .

وقال الإمام ابن ناصر الدِّين أيضاً : " فرغ مِنْهَا كِتَابَة بعد أَن تشرف بهَا مطالعة ، متوسلاً بِمن ألفت فِيهِ صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ أَن يغْفر ذنُوبه " . انظر : سلوة الكئيب بوفاة الحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٢٠٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمَّار (٨٤٤هـ) : " ... كما أنشدني بلفظه بالثغر المحروس الإسكندريَّة عام واحد وتسعين وسبعمائة شيخنا الرّحلة والمعمر بهاء الدِّين عبد الله المخزومي الدَّماميني من قصيدة يمدح فيها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشكو له من ظَلَمَه مطلعها :

فؤاد لأطلال المحصَّب شـــائقٌ ... ونفس لها منه شهيد وسائق

إلىٰ أن قال :

وقمت بجـــاه القبر يسمعني الذي له نسب في ذروة المجد شاهق
وقلت أغثني يا أماني فإنَّني بنصرك قلبي في البريَّة واثــــــقُ
وقد ذهب الأعداء إلَّا بما لـــه وباطلها في جنب حقك زاهــقُ
جعلتك قصدي والمهيمن حـاكمٌ وأنت شفيع الخلق والله رازقُ
وقلت لخصمي إذ تجرَّدت شاكياً تأنَّىٰ فقد حقَّت لدينا الحقائـقُ
تأنَّىٰ فهذا منزلٌ منزلٌ فيــه حاكمٌ عن الله عن جبريل بالحقِّ ناطقُ
شكـوت ولا شك بانك نــاصرٌ ولا شك بين النَّاس أني صادقُ
ومن يك بالبـــــاب المعظم لائذٌ يدور عليه من حلاه المناطـــــــق

انظر : مفتاح السعيدية في شرح الألفية الحديثية (ص٤٦٩) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) : " ... تم ذلك علىٰ يد جامعه ومنشئه أحمد بن عبد القادر بن محمَّد المقريزىٰ الشَّافعي – غفر الله ذنبه وستر عيبه بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه " . انظر : رسائل المقريزي (ص٢٥١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) :

بجاه عريض الجاه والعالي الشَّان محمَّد الْمُخْتَار من آل عدنان

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ١٤٠) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) :

يا سيِّدي يا رسولَ الله خُذ بِيَدي فأنتَ قَصْدي وأنتَ السُّـؤلُ والأرَبُ
يا صـاحبَ النجدةِ العُظمَىٰ لِمُعْتَلِقٍ بجاهِه ولذاكَ اليــــــــــوم أرتَقِـبُ

انظر : المجموعة النبهانية (١/ ٤٨٤) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) : " ... بخير ، بمحمَّد وآله وصحبه وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم " . انظر : العجاب في بيان الأسباب (٢/ ٩٢١) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث الشَّفاعة : " فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ، ثمَّ بِمُوسَىٰ ، ثمَّ بمحمَّد صلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم ": " وَفِيهِ : أَنَّ النَّاس يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَصْحِبُونَ حَالَهُمْ فِي الدُّنيا مِنَ التَّوسُّل إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي حَوَائِجِهِمْ بِأَنْبِيَائِهِمْ " . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٤٤١) .

وهذا صريح منه بأنَّ الاستغاثة هي نوع من أنواع التَّوسُّل...

وذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في " الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة" (٦/ ١٦٦) في ترجمة هَارُون بن عِيسَىٰ بن مُوسَىٰ الْأَزْرَقِيّ زين الدِّين أَبُو محمَّد ، من شعره :

رَجَوْت الله فِي عسري ويسـري يفرج كربتـي ويشدّ أزري

ويعتقني وشيبي من جحـــــيم بجـــــــاه محمَّد ويفك أسرِي

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " ... وأحدث من يومئذ عقب صلاة الصُّبح التَّوسُّل بجاه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أمر القاضي الشَّافعي بذلك المؤذِّنين ففعلوه " . انظر : إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٢٦٠) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " أَحْسَنَ اَللَّهُ عَاقِبَتَهَا بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ (ص٦٠٧) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمَّد وآله ". انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢/ ١٢٤) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " وكبت أعداءه بمحمَّد وآله ". انظر : نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار (٢/ ١٣٠) .

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني : " أبقاه الله تعالىٰ ، وأدام النَّفع بعلومه بمحمَّد وآله آمين " . انظر : التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز المشهور بـ التلخيص الحبير (ص٩١) .

وقال الإمام أبو الفضل أحمد بن علي بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني : " وقال الحاكم في تاريخ نيسابور ... وسمعت أبا بكر محمَّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسىٰ يقول : خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثَّقفي مع جماعة من مشائخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلىٰ زيارة قبر علي بن موسىٰ الرّضي بطوس . قال فرأيت من تعظيمه يعني بن خزيمة لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيرنا " . انظر : تهذيب التهذيب (٧/ ٣٨٧-٣٨٨) .

قلت : وقد قامت الأيدي العابثة الأثيمة المجرمة الضَّالة المضلَّة بشطب الفقرة السَّابقة من كتاب " تهذيب التَّهذيب " الموجود في المكتبة الشاملة / الإصدار السادس ... وقد عُدتُ للنسخة الورقية من كتاب تهذيب التَّهذيب لابن حجر العسقلاني ، نشر : مطبعة دائرة المعارف النِّظاميَّة ، الهند ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٣٢٦هـ) النُّسخة الورقيَّة ، وفيها النَّص السَّابق ، وقد نقلت عنها النصَّ السَّابق الذي فُقد من

النُّسخة الموجودة في الشَّاملة ، وهذا يثبت بلا مِرية أنّ في الأمر إنَّ ، ولكنَّ ... وأنَّ الحذف مقصودٌ ، وأنَّه أمر دبِّر بليل ... وهذه هي أخلاق من يدَّعون السَّلفيَّة ...غش ، وكذب ، وتدليس ، وعبث بكتب أهل العلم ...فإلىٰ الله تعالىٰ وحده المشتكىٰ من أخلاق هذه الشِّرذمة القليلون الذين ما فتئوا يعبثون بكتب علماء الأمَّة وجهابيذها وأساطينها ... كما تمَّ شطبة من نسخة تاريخ نيسابور الموجودة في المكتبة الشَّاملة ... فتأمَّل يا رعاك الله ...

وقال الإمام الحافظ مخاطباً الحبيب المصطفىٰ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعراً :

فاشفع لمادِحك الذي بِكَ يتَّقي — أهـــوالَ يوم الدِّين والتعذيبِ
فلأحمـدَ بنِ عليٍّ الأثَريِّ في — مَأهُولِ مَدحِك نَظْمُ كلِّ غريبِ
قد صحَّ أن ضَـــناه زاد، وذنبُه — أصلُ السِّقَام وأنتَ خيرُ طبيبِ
صلَّىٰ عليــــك وسلَّم اللهُ الذي — أعطاك فضلاً ليس بالمَحسـوبِ

وقال أيضاً :

يا سيِّدي يا رســولَ الله قد شَرُفَـتْ — قصائدي بمديـــحٍ فيك قد رُصِــفا
مدحتُك اليوم أرجو الفضل منك غداً — من الشَّفاعة فالْحَـظْني بها طرفـــا
ببــابِ جودِك عبدٌ مذنِـبٌ كَلِفٌ — يا أحسنَ النَّاس وجـهاً مشرقاً وقفـا
بكُم توسَّلَ يرجو العفـــوَ عن زلـــل — مِن خَـــوفه جَفْنُه الهـامي لقد ذَرَفـا

وقال أيضاً :

يا سيِّد الرُّسْل الذي فاق الورىٰ — بأْساً سمَا كلَّ الوُجودِ وَجُــــودا
هذي ضــــراعةُ مُذنِبٍ مُتمسِّـــكٍ — بولائكم مِن يومِ كان وليـدا
يرجو بك المحيا السَّعيد وبعثه — بعد الممات إلىٰ النَّعيم شهودا
صلَّىٰ عليــــــك وسلَّم اللهُ الذي — أحيـا بك الإيمان والتَّوحيــــــدا

وقال أيضاً :

نبـيَّ الله يا خيـرَ البرايــا — بجاهك أتَّقي فصلَ القضاء
وأرجو يا كريم العفــــو عمَّا — جنَـتْه يدايَ يا ربَّ الحِبَـــاء
فقل يــــا أحمدُ بنَ عليٍّ اذْهَبْ — إلىٰ دار النَّعيــم بلا شقــاءِ
عليك ســلامُ ربِّ النَّـــاس يتلىٰ

صلاةً في الصَّبـــاح وفي المساء

وقال أيضاً :

وكم مُذنبٍ وَافَـاه يطلب نجدةً تُنَجِّيه في الأُخرىٰ فأنجَىٰ وأَنْجَدَا

أيا خيرَ خلقِ اللهِ دعوةُ مذنبٍ تَخَوَّفَ مِن نار الجحيم تَوَقُّـــدا

له سندٌ عالٍ بمدحِك نَيِّـــرٌ وبابُك أمسىٰ منه أَسْنَىٰ وأَسْندا

وأنت الذي جنَّبْتَنا طـارقَ الرَّدَىٰ وأنت الذي عرَّفْتَنــــا طرق الهُدَىٰ

انظر : ديوان الحافظ ابن حجر العسقلاني ، (ص١٠) ، (ص١٦)، (ص٢٠) ، (ص٢٦) ، (ص٢٩) بالترتيب .

وقال الإمام شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) : " حكي أنَّ غلماناً من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصّوالجة وأسقف البحرين قاعد ، فوقعت الأكرة علىٰ صدره ، فأخذها ، فجعلوا يطلبونها منه فأبىٰ ، فقال غلام منهم : سألتك بحقِّ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا رددتها علينا ، فأبىٰ لعنه الله وسبَّ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأقبلوا عليه بصوالجهم ، فما زالوا يخبطوا حتىٰ مات لعنة الله عليه ، فرفع ذلك إلىٰ عمر رضي الله تعالىٰ عنه ، فو الله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف ، وقال : الآن عزَّ الإسلام ، إنَّ أطفالاً صغاراً شُتم نبيُّهم فغضبوا له وانتصروا ، وأهدر دم الأسقف " . انظر : المستطرف في كلِّ فن مستطرف (ص٤٧١) .

وقال الإمام بدر الدِّين العينىٰ (٨٥٥هـ) : " ... فنسأل الله العظيم متوسِّلين بنبيِّه الكريم أن يحرسنا من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ وحسد ، ومن عداوة كلِّ ذي حقدٍ ونكد ". انظر : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ص٢٠٨) .

وقال الإمام كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السّيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) : " الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ : فِي زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ: مِنْ أَفْضَلِ الْمَنْدُوبَاتِ وَفِي مَنَاسِكِ الْفَارِسِيِّ وَشَرْحِ الْمُخْتَارِ : أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ الْوُجُوبِ لِمَنْ لَهُ سِعَةٌ ... ثمَّ يَقُولُ فِي مَوْقِفِهِ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا خِيرَةِ اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا حَبِيبَ اللَّهِ ، السَّلام عَلَيْك يَا سيِّد وَلَدِ آدَمَ ، السَّلام عَلَيْك أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّك عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّك يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَلَّغْت الرِّسَالَةَ وَأَدَّيْت الْأَمَانَةَ وَنَصَحْت الْأُمَّةَ وَكَشَفْت الْغُمَّةَ، فَجَزَاك اللَّهُ عَنَّا خَيْراً، جَازَاك

اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَىٰ نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ ... وَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلاً إِلَىٰ اللَّهِ بِحَضْرَةِ نَبِيِّهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام –. وَأَعْظَمُ الْمَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا سُؤَالُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ ، ثمَّ يَسْأَلُ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الشَّفَاعَةَ فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُك الشَّفَاعَةَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَسْأَلُك الشَّفَاعَةَ وَأَتَوَسَّلُ بِك إِلَىٰ اللَّهِ فِي أَنْ أَمُوتَ مُسْلِماً عَلَىٰ مِلَّتِك وَسُنَّتِك ، وَيَذْكُرُ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الِاسْتِعْطَافِ وَالرِّفْقِ بِهِ ... " . انظر : فتح القدير (٣/ ١٧٩-١٨١) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) : " فالله تعالىٰ يُبقيه ويمتع الإسلام ويديم النَّفع به الأنام بجاه المصطفىٰ سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العلويّ الأصفوني : " ونعمة شاملة وأفراح بلا كدر كاملة بمحمَّد وآله " . انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٢٠٩) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العلويّ الأصفوني : " تغمَّده الله تعالىٰ برحمته وأسكنه فسيح جنته بمحمَّد وآله " . انظر : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (ص٢٢٠) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) : " ولما كثر فساد المماليك الأجلاب عمل بعض الظُّرفاء بلّيقا ، ذكر فيه أفعال الأجلاب ومساوئهم ، واستطرد إلىٰ أن قال في آخره :

فالله بجاه سيِّد عدنان عوّض لنا منك بإحسان

انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٦/ ١٦١) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري: " عامله الله بعدله وألحق به من بقي من ذريته ليستريح كلّ أحد من هذه السلالة الملعونة. بمحمَّد وآله " . انظر : المنهل الصافي والمستوفىٰ بعد الوافي (٧/ ٤٢٨) .

وقال الإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري: " أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمَّد وآله وصحبه وسلَّم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١/ ٤٥١) ، (١١/ ١٠٣) ، (١٥/ ٢٥٥) ، (١٦/ ٥٦) بالترتيب .

وقال أيضاً: " فالله تعالىٰ يحسن العاقبة بمحمَّد وآله " . انظر : حوادث الدهور في مدىٰ الأيام والشهور (٢/ ٣٢٩)

وقال أيضاً : " ... أدام الله نعمته ورحم سلفه بمحمَّد وآله وصحبه وسلَّم " .

وقال أيضاً : " نسأل الله تعالىٰ حسن الخاتمة بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " أحسن الله عاقبته بمحمَّد وآله " . انظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٢/ ٣٤٣) ، (١١/ ١٠٣) ، (١٥/ ٢٥٥) ، (١٦/ ٥٦) بالترتيب .

وقال الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) : " لطف الله تعالىٰ به وبلغه إلىٰ مأموله وعفا عنه وعن فروعه وأصوله بجاه مصطفاه ورسوله صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وعلىٰ آله وصحبه الكرام " .

وقال أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي أيضاً :

سألتك الله بالمختـــــار سيِّدنا ... محمَّد ذي التُّقىٰ والطُّهر والحسب

أن لا ترينـــــــا سرَّ حمنا ... ولا تعاملنـــــا بالمقت والغضب

بجـــــاه هذا النَّبي السيِّد السَّند ... الهــــادي الشَّفيع الرَّفيع القدر والرُّتب

انظر : كنوز الذَّهب في تاريخ حلب (١/ ٤٥) ، (٢/ ١٠٨) ، بالترتيب .

وقال الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) : " جعل الفردوس مقره ومأواه بمحمَّد وآله " . انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٨٤) .

وقال الإمام أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشّرجي ، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) : " والمسؤول من الله تعالىٰ أن ينفع بذلك ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين " . انظر : التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (ص١٥) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفُّوري (٨٩٤هـ) : " فنسأل اللهمَّ بجاه هذا النَّبي الكريم ، وبما كان بينك وبينه ليلة الحلوة والحلوة ، والتَّقريب والتَّعظيم ، أن تغفر لنا كلَّ ذنب عظيم ، وتنظر إلينا بعين رحمتك يا رحيم ، وارزقنا شفاعته بفضلك وعلمك ورضاك يا أرحم الرَّاحمين ، يا رب العالمين ، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم " . انظر : نزهة المجالس ومنتخب النفائس (٢/ ١٢٦) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمة الإمام إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد البرهان أبو إسحاق بن الشَّمس الخجندي المدني الحنفي (٨٩٧هـ) : " وسمعته ينشد مما قاله وهو بالقاهرة لما بلغه ما وقع من الحريق بالمسجد النَّبوي :

قلت بمصر جـــــاءنا خبر وقد جرىٰ بطيبة أَمرٌ مَهول

خافت النَّـــــــار إلها فانتحت تتشفع لائذة بالرَّســـــــول

انظر : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (١/ ٨٣) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي ، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) : " ... وأن ينفع به الخاص والعام ، بجاه محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام " . انظر : شرح زروق علىٰ متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (١/ ١٠) .

وقال الإمام إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين القبيباتي الشَّافعي النَّاجي (٩٠٠هـ) : " ... وبالله نستعين وعليه نتوكَّل ، وإليه بنبينا أشرف مرسل نتوسَّل في سلوك السَّبيل الأعدل ، والطَّريق الأمثل فهو سبحانه ذو الجلال الأكمل " . انظر : عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب عَلىٰ ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كِتابه الترغيب والترهيب (١/ ١٤٤) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) في " الضُّوء اللامع لأهل القرن التَّاسع" (٩/ ١١٥) .في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إبراهيم الشَّمس بن الشَّمس المسوفي الأصل المدني المالكي (٨٨٥هـ) ، أنَّه أنشد بحضرة السَّخاوي قصيدة مطلعها :

بجاه النَّبي الْمُصْطَفَـــىٰ أتوسَّل إِلَىٰ الله فِيمَا أَبْتَغِـــي وأؤمل

وأقصد بَاب الْهَاشِمِي محمَّد وَفِي كلِّ حـاجاتي عَلَيْهِ أعول

حللت حمىٰ من لَا يضام نزيله فَعَنْهُ مدىٰ مَـا دمت لَا أتحول

أَقُول حَبِيبِي يَا محمَّد سَيدي ملاذي عياذي من بِهِ أتوسَّل

عَسىٰ نفحة يَا سيِّد الْخلق أهتدي بهَا من ضلالي إِنَّنِــــي متعطِّل

وقال الإمام السَّخاوي في " الضُّوء اللامع لأهل القرن التَّاسع" (٩/ ٢٠٤) في ترجمة محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن إِسْمَاعِيل المغربي الأندلسي ثمَّ القاهري الْمَالِكِي وَيعرف بالرَّاعي : " ... أنْشد قبيل مَوته بِشَهْر فِي حَال صِحَّته بعض أَصْحَابه من نظمه :

أفكر فِي موتِـي وَبعد فَضِيحَتِي فيحزن قلبِي من عَظِيم خطيئتي
وتبكي دَماً عَيْني وَحقّ لَهَا البكا علىٰ سوء أفعالي وَقلة حيلتـــي
وَقد ذَابَتْ أكبـادي عناء وحسرة علىٰ بعد أوطاني وفقد محبَّتي
فَمَالِي إِلَّا الله أرجـوه دَائِماً وَلَا سِيمَا عِنْد اقتراب منيتــي
فأَسَأَلَ رَبِّي فِي وفاتـــــي مُؤمناً بجاه رَسُول الله خير الْبَريَّـــــة

قال الإمام السَّخاوي : " وذكر الدَّيلمي أنَّ علي بن موسىٰ المذكور لما دخل نيسابور وهو في عمارته علىٰ بغلة شهباء ، خرج علماء البلد في طلبه : يحيىٰ بن يحيىٰ ، وإسحاق ابن راهويه ، وأحمد بن حرب ، ومحمد بن رافع ، فتعلَّقوا بلجامه ، فقال له إسحاق : بحقِّ آبائك الطَّاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك ؟ فقال : حدَّثنا العبد الصَّالح أبي موسىٰ بن جعفر ، وذكره " . انظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة (ص٢٢٩) .

وقال الإمام السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، في ترجمة علي بن ناصر بن محمَّد بن أحمد النُّور أبو الحسن البلبيسي ثمَّ المكي الشَّافعي (ت: بعد ٩١٦هـ) : " ... سَائِلاً الله بجاه أَحْمد أَن يصلح الشَّأْن " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦/ ٤٧) .

وذكر الإمام السَّخاوي في ترجمة عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر ابْن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ ، من شعره :

بجاه عريض الجاه والعالي الشَّان محمَّد الْمُخْتَار من آل عدنان

وقال السَّخاوي في ترجمة فَاطِمَة المدعوة ستيتة وَرُبمَا يُقَال لَهَا نَاجِية ابْنة القَاضِي كَمَال الدِّين مَحْمُود ابْن ابْن شيراين الْحَنَفِيّ : " قَالَه وَكتبه السَّخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجياً السّتْر والغفران متوسلاً بِسَيِّد ولد عدنان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً ، ثمَّ كتبت إلىٰ سَائِلَة أَيْضاً بقولِهَا :

أَنْتُم وَمن لَاذَ بكم فِــي الورىٰ بِحَق رب بالخفايا عليم
بجاه من أسرىٰ بِهِ فِي الدُّجــىٰ وَكَانَ للْمولىٰ كليـــم نديم
مُحَمَّد الْمُخْتَـار من هَــــاشم سيِّد سَادَات النّقـــا والحطيم

انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ١٤٠) ، (١٢/ ١٠٩-١١٠) بالترتيب .

وقال الإمام السَّخاوي في " الجواهر والدُّرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" (١/ ٤٦٣) : " ... ومنهم : الشَّيخ زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن محمَّد بن أحمد البكري القاضي . فأنشدني مِنْ لفظه بحضرة الممدَّح عند عوده للقضاء قوله :

رعاهُ اللَّه ما غَنَّت حمامٌ … على عُودٍ بشَجوٍ مُستطابِ
وقلَّدَ حاسديه طوقَ ذُلٍّ … وصَيَّرهم بقلبٍ في انقلابِ
بجاهِ محمَّد خيرِ البرايا … وأفضلِ مَنْ مَشَى فوق التُّرابِ
صلاةُ اللَّه يتلوها سلامٌ … عليه وآلِه ثمَّ الصِّحابِ

وقال الإمام السَّخاوي : " وأما الصَّلاة في الأحوال كلِّها ومن تشفع بجاهه – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وتوسَّل بالصَّلاة عليه بلغ مراده وأنجح قصده ، وقد أفردوا ذلك بالتَّصنيف ، ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف الماضي ، وغيره ، وهذه من المعجزات الباقية على ممرِّ الدُّهور والأعوام ، وتعاقب العصور والأيَّام ، ولو قيل : إنَّ إجابات المتوسِّلين بجاهه عقب توسُّلهم يتضمَّن معجزات كثيرة بعدد توسُّلاتهم ، لكان أحسن ، فلا يطمع حينئذ في عدِّ معجزاته حاصر ، فإنه لو بلغ ما بلغ منها حاسر قاصر ، وقد انتدب لها بعض العلماء الأعلام فبلغ ألفاً ، وايم الله أنه لو أنعم النَّظر زاد منها آلافا تلفى – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – تسليماً كثيراً " . انظر : القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاة عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ (ص٢٤٠-٢٤١) .

وقال الإمام السَّخاوي : " فاللَّه تعالى يُبقيه ليُنتفع به ، بمحمَّد وآله " . انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ٢٨٦) .

وقال الإمام السَّخاوي : " أدام اللَّه به النَّفع بمحمَّد وآله " . انظر : الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (٢/ ٨٩٣) .

وقال الإمام السَّخاوي : " سيِّدنا محمَّد سيِّد الْأَنَامِ كُلِّهِمْ ، وَوَسِيلَتِنَا وَسَنَدِنَا وَذُخْرِنَا فِي الشَّدَائِدِ وَالنَّوَازِلِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً آمِينَ ، آمِينَ ، آمِينَ " . انظر : فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي (٤/ ٤٠٥) .

وقال الإمام السَّخاوي في ترجمة محمَّد بن محمَّد النّصاري الزّنوري المغربي الْمَالِكِي : " ثمَّ استوطن الْمَدِينَة منشداً قَوْله :

ببابكم حط الْفَقِير رحاله … وَمَا خَابَ عبد أمكُم متوسِّلاً . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٤٢) .

وقال الإمام السَّخاوي : " قَالَه وَكتبه السخاوي محمَّد بن عبد الرَّحمن راجياً السِّتْر والغفران ، متوسلاً بِسَيِّد ولد عدنان ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢/ ١٠٩) .

وقال الإمام السَّخاوي : " ويبوئه من الفردوس الْأَعْلَىٰ أَعلَىٰ درجاته بمحمَّد وَآله وَأَصْحَابه وأزواجه وذرياته " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/ ٢٤) .

وقال الإمام الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) في " معجم أعلام شعراء المدح النَّبوي " (ص١٢٨) :

يا مليح الوجه يا خير الورىٰ   أنت بعد الله نعم المعتمد

ربّ جنِّبنا بجاه المصطفــــىٰ   كلّ كدّ وبلاء ونكــــــــد

وقال الإمام عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السَّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) :

قُم فَاسْتَفْتَحَ بَاب الْفرج بمحمَّد الْبَدْر البهج

وقال أيضاً : " نفع الله بهما وَأعَاد علىٰ الْجَمِيع من بركتهما بمحمَّد وَآله آمين " . انظر : طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي " (ص١١٣) ، (ص٢٤٨) .

وقال الإمام علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) : " اللهمَّ قرِّب الْفرج بمحمَّد وَصَحبه " . انظر : تاريخ البصروي (ص١٥٧) .

وقال الإمام يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) : " نسأل الله التَّوفيقَ والهدايةَ والإماتة علىٰ الإيمان بالله وبرسوله ، والإعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه بمحمَّد وآله " . انظر : صب الخمول علىٰ من وصل أذاه إلىٰ الصالحين من أولياء الله (مطبوع ضمن مجموع رسائل ابن عبد الهادي) (ص١٠٠) .

وقال الإمام علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السّمهودي (٩١١هـ) : " ... وعن إسماعيل التَّيميّ ، قال : كان أبن المنكدر يصيبه الصّمات ، فكان يقوم فيضع خده علىٰ قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعوتب في ذلك ، فقال : إنَّه يستشفي بقبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ (١/ ٤٥٨) .

وقال السّمهودي : " الفصل الثَّالث في توسّل الزائر وتشفُّعه به صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم إلىٰ ربِّه تعالىٰ ، واستقباله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سلامه وتوسله ودعائه : اعلم أنَّ الاستغاثة والتَّشفُّع بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبجاهه وبركته إلىٰ ربه تعالىٰ من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السَّلف الصَّالحين

، واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم وبعد خلقه ، في حياته الدنيوية ومدَّة البرزخ وعرصات القيامة " . وقال أيضاً : " وقد يكون التَّوسُّل به صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم بطلب ذلك الأمر منه ، بمعنىٰ أنه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم قادر علىٰ التَّسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلىٰ ربِّه فيعود إلىٰ طلب دعائه وإن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك مرافقتك في الجنَّة الحديث ، ولا يقصد به إلَّا كونه صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم سبباً وشافعاً ". انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ (٤/ ١٩٣) ، (٤/ ١٩٥-١٩٦) ، بالترتيب .

وقال الإمام السّمهودي : " ... وفي كتاب " العلل والسُّؤالات " لعبد الله ابن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن الرَّجل يمسّ منبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبرَّك بمسَّه وتقبيله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالىٰ ، فقال : لا بأس به . قال العز بن جماعة : وهذا يبطل ما نقل عن النَّووي من الإجماع . وقال السُّبكي : عدم المسح بالقبر ليس ممَّا قام الإجماع عليه ، وأستدلَّ في ذلك بما رواه يحيي بن الحسن عن عمر بن خالد عن أبي نباتة عن كثير بن يزيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، قال : أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ، قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، إني لم آت الحجر ولم آت اللبن ، وإنَّما جئت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وذكر الحديث الآتي من رواية أحمد ، لكن لم يصرِّح فيه برفعه في نسخة يحيي التي وقعت للسُّبكي ، وصرح برفعه في غيرها ، ثمَّ قال المطلب : وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري . قال السُّبكي : وعمر بن خالد لم أعرفه ، وأبو نباتة ومن فوقه ثقات ، فإن صحَّ هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر . قلت : رواه أحمد بسند حسن ، ولفظه : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه علىٰ القبر ، فأخذ مروان برقبته ثمَّ قال : هل تدري ما تصنع ؟ فأقبل عليه ، فقال : نعم ، أني لم آت الحجر ، إنَّما جئت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : " لا تبكوا علىٰ الدِّين إذا وليه أهله ، ولكن أبكوا علىٰ الدِّين إذا وليّه غير أهله " . انظر : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ (١/ ٤٥٦-٤٥٧) .

وقال الإمام السّمهودي في وصف النَّار التي أضاءت لها أعناق الإبل في بصرىٰ الشَّام: " ، فتلك النَّار نعمة في صورة نقمة ، ولهذا وجلت منها القلوب وأشفقت ، وأيقن النَّاس أنَّ العذاب قد أحاط بهم . قال القاضي سنان : وطلعت إلىٰ الأمير – وكان عز الدِّين منيف بن شيحة – وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلىٰ الله ، فأعتق كلَّ مماليكه ، وردَّ علىٰ النَّاس مظالمهم – زاد القاشاني : وأبطل المكس – ثمَّ هبط الأمير للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السَّبت ، ومعه جميع أهل المدينة

حتىٰ النِّساء والصِّغار ، ولم يبق أحد في النَّخل إلَّا جاء إلىٰ الحرم الشَّريف ، وبات النَّاس يتضرَّعون ويبكون ، وأحاطوا بالحجرة الشَّريفة كاشفين رؤوسهم ، مقرّين بذنوبهم ، مبتهلين ، مستجيرين بنبيهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال القطب : ولما عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة ، واعتبر ، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر ، وأظهر التوبة والإنابة ، وأعتق جميع مماليكه ، وشرع في رد المظالم ، وعزم أهل المدينة علىٰ الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفزعوا إلىٰ التَّضرُّع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشَّريف سنان وأعيان البلد ، والتَّجؤوا إلىٰ الحجرة الشَّريفة ، وباتوا بالمسجد الشَّريف بأجمعهم حتىٰ النِّساء والأطفال ؛ فصرف الله تعالىٰ عنهم تلك النَّار العظيمة ذات الشِّمال ، ونجوا من الأوجال ...". انظر : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ (١/ ١١٦-١١٧) .

وقال الإمام السّمهودي في " وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ" (٤/ ٢١٧-٢١٨) : " وتقدَّم أيضاً أنَّ بلالاً رضي الله تعالىٰ عنه لما قدم من الشَّام لزيارة النَّبي صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم أتىٰ القبر ، فجعل يبكي عنده ، ويمرِّغ وجهه عليه ، وإسناده جيد كما سبق .

وفي تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيىٰ الحسيني ، قال : حدَّثني أبي ، عن جدي ، عن جعفر بن محمَّد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله تعالىٰ عنه ، قال : لما رمس رسول الله صلَّىٰ الله تَعَالىٰ عَلَيْه وسلَّم جاءت فاطمة رضي الله تعالىٰ عنها ، فوقفت علىٰ قبره صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت علىٰ عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا علىٰ من شمَّ تربة أحمد ... أن لا يشمّ مدىٰ الزَّمان غواليا
صُبَّت عليّ مصـــائب لو أنَّها ... صُبَّت علىٰ الأيَّـــام عدن لياليا

ولم ينكر عليها أحد من الصَّحابة صنيعها ...

وقال الإمام السُّيوطي (٩١١هـ) في "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة " (١/ ٥٧٧) في ترجمة الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي بكر بن عمر بن عمران بن نجيب الأنصاري السَّعدي الدّنجاوي (٩٠٣هـ) : " ومن نظمه وإنشاده عندي في الإملاء :

وإنَّ الفقير القادري لعــــاجز ... عن المدح في عليــاه إذ يتقصد
وقـاه إله العرش من كلِّ محنــة ... وما أضمرت يوماً عداه وحسد
بجاه رســـول الله أحمد مرسل ... بأمداحه جاء الكتاب الممجَّد
عليه مع الآل الكرام وصحبـــه

وقال الإمام السُّيوطي : " أعادنا الله إِلَى الاِنْتِفَاعِ مِنْهَا كَمَا كُنَّا قَرِيباً ، بمحمَّد وَآله " . انظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ٣٢٧) .

وقال الإمام السُّيوطي : " ... وأسال الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التَّاسعة !! بجاه محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وصحبه أجمعين ، آمين" . انظر : تاريخ الخلفاء (ص٣٦٩) .

وقال الإمام السُّيوطي : " ... وأسال الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التَّاسعة !! بجاه محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وصحبه أجمعين ، آمين " . انظر : تاريخ الخلفاء (ص٣٦٩) .

وقال الإمام السُّيوطي : " ... أحسن الله عقباها ، بمحمَّد وآله آمين " . انظر : الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (ص٢٢٦) .

وقال الإمام السُّيوطي : " ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ حُمَاةِ السُّنَّةِ ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٥٥) .

وقال الإمام السُّيوطي : " أَحْسَنَ اللَّهُ خِتَامَهَا ، بمحمَّد وَآلِهِ أَجْمَعِينَ" . انظر : الحاوي للفتاوي (٢/ ٣٠٧) .

وقال الإمام السُّيوطي : " ... طالباً ممن نظر فيه دعوة خالصة في وقت استجابةٍ أن ينفعنا بهذا القرآن العظيم ، بجاه نبيِّه عليه أفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٦١) .

وقال الإمام السُّيوطي : " اخلع علينا بُرد حزن ، حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك ، بجاه مَنْ أنزلت عليه هذا الكتاب الشَّافع المشفَّع ، الماحل المصدِّق ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٣٨٧) .

وقال الإمام السُّيوطي : " فلا تُزِغْ قلوبنا بعد إِذْ هَدَيْتَنَا على صراطك القويم ، بجاه سيِّدنا ومولانا الفاتح الخاتم منقذنا من العذاب الأليم " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (١/ ٣٩٠) .

وقال الإمام السُّيوطي : " عصمنا الله منها بجاه نَبِيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) (٢/ ١٥٦) ، وانظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ٣٩٥) ، (٢/ ٤٢٩) ،

(٢/ ٤٨٥) ، (٢/ ٤٩٦) ، (٢/ ٥٧٠)،(٢/ ٦٣١) ، (٣/ ٣٧) ، (٣/ ٣٤٩) ، (٣/ ٣٧١)،(٣/ ٤١٤) ، (٣/ ٤١٩) ، (٣/ ٤٢٥) ، (٣/ ٥٢٣) ، الحاوي للفتاوي (١/ ١٢٩) ، (١/ ٤٥٠) ، (١/ ٤٥١) ، (٢/ ٤٠٩) .

وقال الإمام السُّيوطي : " وَاللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يُعِينَ عَلَىٰ إِكْمَالِهِ ، بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٤٤)

وقال الإمام السُّيوطي ، كما نقله العلَّامة النَّبهاني في " شواهد الحقّ في الاستغاثة بسيِّد الخلق" (ص٢٩٩) :

يا أكرمَ الرُّسْل يا من في إشـــارته ... حَوْزُ المُـنَىٰ وبلوغُ القصــد مِن أَمَمِ
ومن غدا في الورىٰ توشيحُ مِلَّــتِهِ ... يزهو علىٰ الزَّاهِرَيْن الرَّوضِ والنُّـــجُمِ
تَعَـطُّفاً لِمُحِـــبٍّ فيــك ليــس له ... تَعَـطُّفٌ عنــك معدود مِن الخَـدَمِ
يا صاحبَ العَلَمِ الهادي لِقــاصده ... حسنَ البيان أَجِرْني في حِمَىٰ العَلَمِ
فمطلَبي أنتَ أَوْلَىٰ في النَّجــاح له ... وأنت أَدْرَىٰ به يا مُسْـــــبِغَ النِّعَــمِ
من كان فيما عرىٰ تجريد مقصده ... له رأىٰ منــــك حبلاً غير مُنفَصِــم
ومَن يَلُذْ بحِمَـــاه وهـــو مَلْجَـؤُنا ... فلا اعتـــراض بما يخــشاه مِن نِقَــم
عليــه منَّا صلاةٌ ما لها عـــــــددٌ ... تفصيـــلُ مُجْمَلها يربو علىٰ الدِّيَــــم

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) : " أدام الله بهجته ، وحرس للأنام مهجته بمحمَّد وآله " . انظر : شرح الفصول المهمة في مواريث الأمة (٢/ ٧٨٧)

وقال الإمام محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) : " ... ونسأل الله الكريم المنان الموتَ علىٰ الإسلام والإيمان بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النبيين " . انظر : فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب (ص٣٥٠) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) : " عرفنا الله خيره وبركته بجاه سيِّدنا محمَّد النَّبي الأمين سيِّد المرسلين وإمام المتَّقين وقائد الغرّ المحجَّلين ، صلَّىٰ الله وسلَّم عَلَىٰ آله وصحبه الطيِّبين الطاهرين المنتخبين ، والحمد لله ربّ العالمين " . انظر : شفاء الغليل في حل مقفل خليل (٢/ ١١٧٣) .

وقال الإمام زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) : " ... رحمه الله ، وتغمَّده الله بالرَّحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان ، بجاه سيِّدنا محمَّد آمين " . انظر : نيل الأمل في ذيل الدول (٥/ ٩) .

وقال الإمام إبراهيم بن موسىٰ بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطَّرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) : " نسأل الله الثَّبات علىٰ الدِّين والموت علىٰ الإسلام ، بجاه النَّبي محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأتمّ السَّلام وعلىٰ آله وأصحابه الأئمَّة العظام البرره الكرام ، والحمد لله علىٰ التَّمام " . انظر : الإسعاف في أحكام الأوقاف (ص١٤٥) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني (٩٢٣هـ) : " ... وينبغىٰ للزَّائر أن يكثر من الدُّعاء والتَّضرُّع والاستغاثة والتَّشفُّع والتوسل به – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالىٰ فيه .

واعلم أنَّ الاستغاثة هي طلب الغوث ، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه ، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ : الاستغاثة أو التَّوسُّل أو التَّشفع أو التَّجوّه أو التَّوجه ، لأنَّهما من الجاه والوجاهة ، ومعناه : علوّ القدر والمنزلة .

وقد يتوسَّل بصاحب الجاه إلىٰ من هو أعلىٰ منه ، ثمَّ إنَّ كلا من الاستغاثة والتَّوسل والتَّشفُّع والتَّوجُّه بالنَّبي – صلَّىٰ الله عليه وسلَّم – كما ذكره في " تحقيق النُّصرة " و " مصباح الظَّلام " – واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته في الدُّنيا وبعد موته في مدَّة البرزخ ، وبعد البعث في عرصات القيامة . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٦٠٤-٦٠٥) .

وقال الإمام القسطلاني أثناء حديثه عن زيارة قبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ... ويجدِّد التَّوبة في حضرته الكريمة ، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحاً ، ويُكثر من الصَّلاة والسَّلام علىٰ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بحضرته الشَّريفة حيث يسمعه ويردّ عليه " . انظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٣/ ٥٩٨) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي (٩٢٦هـ) : " تغمده الله برحمته ورضوانه وَأَسْكَنَهُ فسيح جنانه بمحمَّد وَآله وعترته وَأَصْحَابه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمين ". انظر : الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٦٣) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي أيضاً : " تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (١/ ٢) ، وانظر أيضاً : الغرر البهية في شرح البهجة الوردية (٥/ ٣٣٤) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي أيضاً : " ... ثمَّ وَقَفَ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ ، مُسْتَقْبِلَ رَأْسِ الْقَبْرِ الشَّرِيف ، وَيَبْعُدُ مِنْهُ نَحْوَ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ ، نَاظِراً لِأَسْفَلَ مَا يَسْتَقْبِلُهُ فَارِغَ الْقَلْبِ مِنْ علق الدُّنيا ، ويسلم بلا رفع صوت وَأَقَلُّهُ : السَّلام عَلَيْك يَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمَّ يَتَأَخَّرُ صَوْبَ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، ثمَّ يَتَأَخَّرُ قَدْرَ ذراع فيسلم عَلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ثمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ مَوْقِفِهِ الأوَّل قُبَالَةَ وَجْهِ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ ... " . انظر : فتح الوهَّاب بشرح منهج الطلاب (هو شرح للمؤلف علىٰ كتابه هو منهج الطلاب الذي اختصره المؤلف من منهاج الطالبين للنووي) (١/ ١٧٦) .

وقال الإمام زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي أيضاً : " متَّع الله بوجوده الأنام ، وحرسه بعينه التي لا تنام ، بجاه سيِّدنا محمَّد أشرف الأنام ، وآله وصحبه البررة الكرام " . انظر : المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٨) ، مطبوع بهامش منار الهدىٰ في بيان الوقف والابتدا .

وقال الإمام محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) : " متوسِّلاً إلىٰ الله تعالىٰ بصاحب الحضرة النَّبويَّة خير الأنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النَّبي المختار (ص٥٠) .

وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) : " ... لطف الله بِهِ ونفع الْجَمِيع بجاه سيِّدنا ومولانا محمَّد الشَّفِيع صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كثيراً " . انظر : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص١٣٧) ، وانظر أيضاً : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (ص٢٠٥) ، (ص٣١٧).

وقال الإمام علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) : " ... والله سبحانه وتعالىٰ المسؤول أن يوفِّقنا للإقبال علىٰ امتثال مأموراته ، والإحجام عن ارتكاب محظوراته ، ويلهمنا ما يقرب من أجره وثوابه ، ويباعدنا من سخطه وعقابه ، بمحمَّد وآله وصحبه وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد النَّبي الأُمِّي وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدِّين ". انظر : كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني (٢/ ٦٧٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " اللهمَّ إنا نسألك ، ونتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن تحسن عاقبتنا في الأمور كلّها " . انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٨) .

وقال الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) : " جماع أبواب التَّوسُّل به – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الباب الأوَّل : في مشروعية التَّوسُّل به– صلَّىٰ الله عليه وسلَّم– إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ : قال الإمام السُّبكي– رحمه الله تعالىٰ– : أعلم أنَّ الاستعانة والتَّشفُّع بالنَّبي– صلَّىٰ الله عليه وسلَّم– وبجاهه وبركته إلىٰ ربِّه تبارك وتعالىٰ من فعل الأنبياء – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وسير السَّلف الصَّالحين واقع في كلِّ حال ، قبل خلقه وبعد خلقه ، في مدة حياته الدُّنيويَّة ، ومدَّة البرزخ ، وبعد البعث وعرصات القيامة ، وذلك ممَّا قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار ، وإذا جاز السُّؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصَّحيح ، وهي مخلوقة ، فالسُّؤال بالنَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أولىٰ ، وفي العادة أنَّ من له عند شخص قدر يتوسَّل به إليه في غيبته ، فإنه يجيب إكراماً للمتوسل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظّم سبباً للإجابة ، ولا فرق في هذا بين التَّعبير بالتَّوسُّل ، أو الاستعانة ، أو التَّشفُّع أو السُّجود ، ومعناه : التَّوجُّه بذي الحاجة ، وقد يتوجَّه بمن له جاه إلىٰ من هو أعلىٰ منه ، وكيف لا يتشفَّع ويتوسَّل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه ، بل يجوز التَّوسُّل بسائر الصَّالحين ، كما قاله السُّبكي " . انظر : سبل الهدىٰ والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد (١٢/ ٤٠٣) .

وجاء في فتاوىٰ الإمام الرملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) : " (سُئِلَ) عَمَّا يَقَعُ مِنْ الْعَامَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ : يَا شَيْخُ فُلَانٌ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الِاسْتِغَاثَةِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، فَهَلْ ذَلِكَ جَائِزٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَشَايِخِ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَمَاذَا يُرَجِّحُ ذَلِكَ ؟

(فَأَجَابَ) بِأَنَّ الِاسْتِغَاثَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ جَائِزَةٌ ، وَلِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ إغَاثَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . أَمَّا الْأَنْبِيَاءُ فَلِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ ، وَتَكُونُ الْإِغَاثَةُ مِنْهُمْ مُعْجِزَةً لَهُمْ . وَالشُّهَدَاءُ أَيْضاً أَحْيَاءٌ شُوهِدُوا نَهَاراً جِهَاراً يُقَاتِلُونَ الْكُفَّارَ .

وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَهِيَ كَرَامَةٌ لَهُمْ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَى أَنَّهُ يَقَعُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ بِقَصْدٍ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ ، يُجْرِيهَا اللَّهُ تَعَالَى بِسَبَبِهِمْ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهَا : أَنَّهَا أُمُورٌ مُمْكِنَةٌ ، لَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ وُقُوعِهَا مُحَالٌ ، وَكُلُّ مَا هَذَا شَأْنُهُ فَهُوَ جَائِزُ الْوُقُوعِ ، وَعَلَى الْوُقُوعِ : قصَّة مَرْيَمَ وَرِزْقُهَا الْآتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى مَا نَطَقَ بِهِ التَّنْزِيلُ ، وَقِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَضْيَافِهِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ ... " . انظر : فتاوى الرملي (٤/ ٣٨٢) .

وقال الإمام طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) : " ... اللهمَّ ارحمه وارحم والديَّ كما ربَّياني صغيراً ، واجمع بيني وبينهما في مستقرِّ رحمتك بحرمة نبيِّك محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

وقال أيضاً : " وارحم والدي كما ربَّياني صغيراً واجمع بيني وبين والديَّ بلطفك إنَّك مولى الإجابة ، في مستقر رحمتك يا رحمن يا رحيم بحرمة نبيِّك الكريم " . انظر : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (١/ ٢٣٣) ، (١/ ٣١٤) ، بالترتيب .

وقال الإمام ابن نُجيم المصري (٩٧٠هـ) : " وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُتَوَسِّلاً إِلَيْهِ بِمَنْ صَلَاتُهُ عَلَيْهِ تَتَوَالَى أَنْ يُلْهِمَنِي الصَّوَابَ " . انظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق (١/ ٣) ، وفي آخره : تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري ، وبالحاشية : منحة الخالق لابن عابدين .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي (٩٧٣هـ) داعياً : " ... ختم الله لنا ولمن رأى في هذا الكتاب بالسَّعادة والخير ورفعنا وإيَّاهم في الجنَّة إلى المقام الأسنى ، بجاه سيِّد الأوَّلين والآخرين ، من له علينا وعليهم الفضل والمنَّة ، ومن له في الآخرة المقام المحمود في الجنَّة ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرِّف ومجِّد وكرِّم وعظِّم " . انظر : تحفة الزوار إلى قبر النَّبي المختار (ص٢١٠) .

وذكر الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه " الصَّواعق" ، بيتين للإمام الشَّافعي يتوسَّل بهما بآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهما :

آل النَّبي ذريعتي ... وهم إِلَيْهِ وسيلتي
أَرْجُو بهم أعطى غداً ... يُبْدِي الْيَمين صحيفتي

انظر : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٥٢٤-٥٢٥) .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي أيضاً : " أَثَابَكُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَفَسَّحَ فِي مُدَّتِكُمْ بِبَلَدِهِ الْحَرَامِ وَبَلَّغَكُمْ جَمِيعَ الْمَرَامِ ، بِجَاهِ محمَّد عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : الفتاوى الفقهية الكبرى (٣/ ٨٤) .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي أيضاً : " سائلاً من ذي الجلال والإكرام بجاه من جعلت هذا خدمة لجنابه الرَّفيع : أن يتقبَّله مني بفضله ، ويجعله متكفّلاً لي بجميع ما أؤمّله من جوده الوسيع " . انظر : الدر المنضود في الصَّلاة والسَّلام علىٰ صاحب المقام المحمود (ص٣٤) .

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي أيضاً : " لَا زِلْتُمْ مَصَابِيحَ الظَّلَامِ وَهُدَاةَ الْأَنَامِ ، بمحمَّد وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلاة والسَّلام " . انظر : الفتاوىٰ الفقهية الكبرىٰ (٤/ ٢٠١) .

وقال الإمام علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) : " إذا شجاك شيطان أو سلطان فقل : يا من يكفي من كل أحد ، يا أحد من لا أحد له ، يا سند من لا سند له انقطع الرَّجاء إلَّا منك ، فكَّني ممَّا أنا فيه ، وأعنِّي علىٰ ما أنا عليه ، ممَّا قد نزل بي ، بجاه وجهك الكريم ، وبحقِّ محمَّد عليك آمين " . الدَّيلمي عن عمر وعلي معاً " . انظر : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (٢/ ١٢٠) .

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني(٩٧٧هـ) : " جمعني الله وإيَّاهم والمسلمين في مستقرِّ رحمته ، بمحمَّد وآله وصحابته " . انظر : السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١/ ٣) .

وقال الإمام شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني أيضاً : " ... فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، اللهمَّ بجاه محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهله " . انظر : السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (٢/ ١٩٢) ، (٢/ ٥٧٢) ، وانظر : السراج المنير (٣/ ١٠٢) ، (٣/ ١٢٥) ، (٤/ ٦١٨) ، ، (٤/ ٦١٩) .

وقال الإمام الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) : " فَأَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الَّذِي بِهِ الضُّرُّ وَالنَّفْعُ ، وَمِنْهُ الْإِعْطَاءُ وَالْمَنْعُ ، أَنْ يَجْعَلَهُ لِوَجْهِهِ خَالِصاً ، وَأَنْ يَتَدَارَكَنِي بِأَلْطَافِهِ إذَا الظِّلُّ أَضْحَىٰ فِي الْقِيَامَةِ قَالِصاً ، وَأَنْ يُخَفِّفَ عَنِّي كُلَّ تَعَبٍ وَمُؤْنَةٍ ، وَأَنْ يَمُدَّنِي بِحُسْنِ الْمَعُونَةِ ، وَأَنْ يَرْحَمَ ضَعْفِي كَمَا عَلِمَهُ، وَأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زُمْرَةِ مَنْ رَحِمَهُ ، أَنَا وَوَالِدَيَّ ، وَأَوْلَادِي ، وَأَقَارِبِي ، وَمَشَايِخِي ، وَأَحْبَابِي ، وَأَحِبَّائِي ، وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بمحمَّد وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ " . انظر : مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٦/ ٥٢٤) .

وقال الإمام عبد الباسط بن موسىٰ بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ) : " علقه مختصراً لنفسه ، ثمَّ لمن شاء الله من بعده ، المفتقر إلىٰ رحمة ربه القوي ، عبد الباسط بن موسىٰ العلموي ، ثمَّ الموقت الواعظ بالجامع الأموي ، لطف الله به بجاه النَّبي المصطفوي " . انظر : العقد التليد في اختصار الدر النضيد (المعيد في أدب المفيد والمستفيد) (ص٢٨٨) .

وقال الإمام أحمد بن قاسم العبادي (٩٩٢هـ) : " طَيَّبَ اللَّهُ ثَرَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ ، بِجَاهِ سيِّدنا محمَّد خَيْرِ أَنْبِيَاهُ " . انظر : حاشية الإمام أحمد بن قاسم العبادي على تحفة المحتاج في شرح المنهاج (١٠/ ٤٢٩) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) : " ... وَالله أسأَل وبنبيِّه أتوسَّل أَن يَجعله خَالِصاً لوجهه الْكَرِيم ، مُوجباً للفوز بجنَّات النَّعيم " . انظر : غاية البيان شرح زبد ابن رسلان (١/ ٢) ، (٥/ ٤٨١) .

وقال الإمام شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) : " ... شَيْخُ الْإِسْلَامِ بِلَا نِزَاعٍ وَبَرَكَةُ الْأَنَامِ بِلَا دِفَاعٍ الْقُطْبُ الرَّبَّانِيُّ وَالْعَالِمُ الصَّمَدَانِيُّ مُحْيِي الدِّين النَّوَوِيُّ ، تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَنَفَعَنَا وَالْمُسْلِمِينَ بِبَرَكَتِهِ بِجَاهِ محمَّد وَآلِهِ وَعِتْرَتِهِ ... " . انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (١/ ١٠) .

وقال الإمام تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) في " الطَّبقات السنيَّة في تراجم الحنفيَّة" (ص٢٠٠) في ترجمة تغري برمش ، سيف الدِّين الجلالي ، النَّاصري ثمَّ المؤيدي (٨٥٢هـ) : " وقد مدحه محمَّد بن حسن بن علي النواجي ، بقصيدة فريدة ، منها :

ويا رَبِّ فاحْرُسْهُ بجَاهِ محمَّد وأيِّدْهُ بالمَأْمُونِ من حادِثِ الدَّهْرِ

وقال الإمام أبو السَّعد زين الدِّين منصور بن أبي النصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) : " وَالله الْمُوفق للصَّوَاب والسَّداد ، وَنَرْجُو من كرمه وفضله تبييض وُجُوهنَا يَوْم الْمعَاد ، وَأَن يُؤمن فزعنا يَوْم التَّناد بجاه محمَّد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أفضل الْعباد والعُبّاد " . انظر : كتاب الشمعة المضية بنشر قراءات السبعة المرضية (٢/ ٦٧٩) .

وقال الإمام علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) : " وَقِيلَ : إِنَّهُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَ يَسْتَشْفِعُ بِهِ عِنْدَ الْجَدْبِ فَتَمْطُرُ السَّمَاءُ ، فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – بِكَشْفِ قَبْرِهِ مُبَالَغَةً فِي الِاسْتِشْفَاعِ بِهِ ، فَلَا يَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ حِجَابٌ " . انظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٨٣٩) .

وألَّف الإمام نور الدِّين علي بن إبراهيم الحلبي الشَّافعي (١٠٢٢هـ) كتاباً سمَّاه : " بغية ذوي الأحلام بأخبار مَن فُرِّجَ كربُه برؤية المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام في المنام " . مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم : ٣/ ٣٦ (٣٣٣٥) ، (٦٣ مجاميع) .

وقال الإمام المناوي (١٠٣١هـ) : " والله أسأل أن ينفع بها ويرحم مؤلِّفها بالدَّرجات العلىٰ في الجنان ، بجاه سيِّدي ولد عدنان " . انظر : التوقيف علىٰ مهمات التعاريف (ص١٣) .

وقال الإمام المناوي : " ... قال عبد الحق في العاقبة : فيندب لولي الميت أن يقصد به قبور الصَّالحين ، ومدافن أهل الخير ، فيدفنه معهم وينزله بإزائهم ويسكنه في جوارهم تبرُّكاً وتوسُّلاً " . انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/ ٢٢٩) .

وقال الإمام المناوي في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٢/ ١٣٤) : " قال ابن عبد السَّلام : ينبغي كون هذا مقصوراً علىٰ النَّبي ، لأنَّه سيِّد ولد آدم ، وأن لا يقسم علىٰ الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء ، لأنَّهم ليسوا في درجته ، وأن يكون ممَّا خصَّ به تنبيهاً علىٰ علو رتبته وسمو مرتبته . قال السُّبكي : ويحسن التَّوسُّل والاستعانة والتَّشفُّع بالنَّبي إلىٰ ربِّه ، ولم ينكر ذلك أحد من السَّلف ولا من الخلف ، حتىٰ جاء ابن تيمية فأنكر ذلك ، وعدل عن الصِّراط المستقيم ، وابتدع ما لم يقله عالم قبله ، وصار بين أهل الإسلام مثلة " .

وقال في " فيض القدير شرح الجامع الصَّغير" (٥/ ٤٨٧) : " فإذا وقف إنسان علىٰ قبر إنسان قوي النَّفس ، كامل الجوهر ، شديد التَّأثير ، حصل بين النَّفسين ملاقاة روحانيَّة ، وبهذا الطَّريق تصير تلك الزِّيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرىٰ ، والبهجة العظمىٰ لروح الزَّائر والمزور ، ويحصل لهما من السَّلام والردِّ غاية السُّرور ، وهذا هو السَّبب الأصلي في مشروعيَّة الزِّيارة .

وفي العاقبة لعبد الحق عن الفخر التَّبريزي : أنَّه كان يشكل عليه مسائل فيطيل الفكر فيها ويبذل الجهد في حلِّها ، فلا تنجلي حتىٰ يذهب لقبر شيخه التَّاج التَّبريزي ، ويجلس بين يديه كما كان في حياته ، ويفكِّر فيها ، فتنجلي سريعاً ، قال : جربت ذلك مراراً " .

وقال أيضاً في " التَّيسير بشرح الجامع الصَّغير" (٢/ ٥١٠) : " أدام الله علىٰ ارجائها أَحْكَامه وَنشر علىٰ هام الْخَافِقين اعلامه حَافِظاً لَهُ وَلَا نجاله الْكِرَام لَا سِيمَا توفيقه الْبَدْر التَّمام بجاه محمَّد خَاتم الرُّسُل الْكِرَام " .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيىٰ التَّكروري ، التّنبكتي (١٠٣٦هـ) في " نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج" (٢/ ١٠٨) : " ختم الله تعالىٰ له بالحسنىٰ بجاه سيِّد الأوَّلين والآخرين " .

وقال الإمام أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصدِّيقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) في " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" (١/ ١٤٧) :

بجاه رَسُول الله أفضل مُرْسل ترىٰ الْأسد فِي الغابات من خَوفه صرعىٰ
عَلَيْهِ صَلَاة الله ثمَّ سَلَامـــــــه وَأَصْحَابه والآل أجمعهم جمعـــــــا

وقال الإمام محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) في "النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر" (ص٢٨-٢٩) : " كَانَ الشَّريف الْحُسَيْن ينظر اليّ ثمَّ يُشِير بِيَدِهِ إِلَىٰ سَيِّدي الشَّيخ وَيَقُول القطب أَنْت الْأَكْمَل القطب أَنْت الْأَكْمَل يكررها ليحقق مَا كَانَ قَالَه لي فِي الْمَنَام فِي حَالَة ذُهُوله ، وَمن شعره ... هَذِه الْوَسِيلَة الْعَظِيمَة ، وَهِي :

يَا رَسُول الله عوناً ومدد أَنْتُم الْوَالِد وَالْعَبْد ولـــد
يَا رَسُول الله فِي جاهك مَا يبلغ القاصد أَقْصَىٰ مَا قصد
يَا رَسُول الله مَا لي عتد غير حبّك وَيَا نعـــــم العتد
يَا رَسُول الله قوم أودىٰ يَا فلكم قومت بِالـدِّينِ أود
يَا رَسُول الله هَل من نظرة تصلح الْقلب سَرِيعاً والجســـد
يَا رَسُول الله هَل من جذبة تجذب العَبْد إِلَىٰ النَّهـج الجدد
يَا رَسُول الله هَل من عطفة تعطف العَبْد إِلَــىٰ طرق الرّشد
يَا رَسُول الله هَل من نفحة مِنْك تَأتي وَمن الْفَـرد الصَّمد
يَا رَسُول الله كن لي شافعاً أَنْت وَالله شَفِيـــــع لَا ترد
يَا رَسُول الله هَل تسمعني أَي وربِّي تسمع القَــوْل مقد
أَنا بِاللَّه وبالوجه الَّذِي قَالَ ذُو الْعَرْش لَهُ أَسجــد فَسجدَ
سيِّد الرُّسل ختام الْأَنْبِيَاء صَــاحب السَّجْدَة وَالْقَوْل الْأسد
أصل مبدأ الْكَوْن بل غَايَته حجَّة الله علـــىٰ كلِّ أحد
رَحْمَة الله الَّتِي عَمَّ بهَا كلَّ مَخْلـُـوق علىٰ بر الْأَبَد
صفوة الله من الْخلق مَعاً فَهُوَ الْجَوْهَر والخـــلق زبد
الَّذِي قد خصَّه الله بِمَا يعجز الْعد فَلَا يُحْصِىٰ عدد
كلَّما فِي الْأَنْبِيَاء من شرف ضم فِيهِ بعد أَن كَـــانَ بدد

وَلَقَد زيد عَلَيْهِم شرفاً	واختصاصات بمعناها انْفـرد
من لِيَوْم الْجمع إِلَّا أَحْمد	يَوْم لَا وَالِد يُغنـي عَن ولد
ينقذ النَّاس بسجدات لَهُ	من هموم وكروب وشدد
يَا مجلي الكرب السُّود أغث	مَا رآك الكـرب إِلَّا وشرد
يَا مليح الْوَجْه يَا خير الورىٰ	أَنْت بعد الله نعم الْمُعْتَمد
يَا عَظِيم الجاه وَالْفضل وَيَا	أكْرم الْخلق إِلَيْـك الْمُسْتَند
مدحتي نَحْوك قد أَهْدَيْتهَا	فاجرني بِقبُـــول ومدد
واسأل الرَّحمن لي من فَضله	الْعَفو والغفران والرِّزق الرَّغد
ربّ جنِّبنا بجاه الْمُصْطَفَــــىٰ	كلِّ كدٍّ وبلاء ونكد
وأقض حاجاتي واصلح عَمَلي	وَاخْتِمْ الْعُمر بِخَير إِن نفـد
وكذاك الْآل وَالْأَصْحَاب من	قد دنا مِنْهُم إِلَيْنَا وابتعـد
وَصَلَاة الله مَعَ تَسْلِيمه	لرَسُول الله من غير أمـــــــد
وكذاك الْآل وَالْأَصْحَـــاب من	قَـــــــــامَ للدِّين بنصر واجتهد

وقال أيضاً في " النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر" (ص١٥) :

يَا رب وَاخْتِمْ لي بِخَير إِنَّني	متوسِّلٌ بالمصطفىٰ خير الورىٰ

وقال في " النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر" (ص١٢٧-١٢٨) : "فِي فجر يَوْم الْأَحَد شهر ربيع الآخر سنة ثَلَاثِينَ وَتِسْعِمِائَة توفّي الشَّيخ إِمَام شيخ الْإِسْلَام العلَّامة ذُو التَّصانيف المفيدة والفتاوي السَّديدة الْمجمع علىٰ جلالته وتحرِّيه وورعه اقضىٰ قَضَاهُ الْمُسلمين أوحد عباد الله الصَّالِحين صفي الدِّين أَبُو السُّرور القَاضِي أَحْمد بن عمر بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن القَاضِي يُوسُف بن محمَّد بن عَليّ بن محمَّد بن حسَّان بن الْملك سيف بن ذِي يزن المدحجي السيفي الْمرَادِي شهَاب الدِّين الشَّهير بالمزجد بميم مَضْمُومَة ثمَّ زاء مَفْتُوحَة ثمَّ جِيم مُشَدّدَة مَفْتُوحَة ودال مُهْملَة آخر الْحُرُوف الشَّافعي الزَّبيدِيّ ... قال :

وثق بِجَمِيع مَا فِيهِ فَانــــِّي	منحت الْعلم فِيــــــهِ مستفيده
إلهي اجْعَلْهُ لي ذخْرا وضاعف	ثوابي من عطاياك الحميده
وجد بقبوله وَاجعَل جزائـي	رضاك وجنَّة الْخلــد المشيده

بجاه محمَّد خير البرايـــا	وتنقذهم عَن الكرب الشَّديده
وصل مُسلمـــــــاً أبدا عَلَيْهِ	وَعم جَمِيع عترتـــه السَّعيده

وقال في " النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر" (ص٣٧٤) ، نقلاً عن الإمام محمَّد بن أبي الحسن البكري الصِّدِّيقي الشَّافعي المصري (٩٩٣هـ) في لاميَّته الشَّهيرة :

ما أرســـل الرَّحمن أو يرسـلُ	من رحمـة تصعــــد أو تنــزلُ
في ملكــــــوت الله أو مُلكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلَّا وطـــــه المطفىٰ عبـــدُه	نبيُّـه مُختـاره المُرسَـــل
واسطةٌ فيـــــها وأصـلٌ لها	يعـلم هــذا كلُّ مَن يعقِــل
فلُذْ به في كلِّ مــــا ترتجي	فهـــو شفيـــعٌ دائماً يُقبَـل
وعُــــذْ به مِن كل ما تختــشي	فإنـــه المَأمَـنُ والمَعْقِل
وحُـطَّ أحمـالَ الرَّجـــا عنده	فإنَّـه المرجِـــعُ والمَوئِل
ونادِهِ إنْ أزْمــةٌ أَنشَبَــتْ	أظفارَها واستحكم المُعضِل
يا أكرمَ الخـــلقِ علىٰ ربِّهِ	يا خيرَ مَن فيـهم به يُسْأَل
قد مسَّني الكربُ وكم مــرَّة	فرَّجْـتَ كرباً بعضُه يُذهِل
ولن ترىٰ أعجزَ مني فما	لِشِـدَّةٍ أقوىٰ ولا أحمــلُ
فبالذي خصَّك بين الورىٰ	برتبـةٍ عنها العُـلَىٰ تَنـــزلُ
عَجِّـلْ بإذهـاب الذي أشتكي	فإن توقَّفْـتَ فمَن أسألُ
فحيلتي ضاقت وصبري انقضىٰ	ولست أدري ما الذي أفعل
فأنت بـــابُ الله أيُّ امـرئٍ	أتـاه مِن غيرك لا يدخـل
صلَّىٰ الله عليك ما صـافحَتْ	زهرَ الرَّوابي نسمة شَـمألُ
مُسَــلِّماً ما فاح عطرُ الحمىٰ	وضاع منه النَّـدُّ والمَنْدَلُ
والآلِ والأصحـــاب ما غرَّدَتْ	ساجعةٌ أُمْلُودُهــــا مُخْضلُ

وقال الإمام أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) : " ... بجاه سيِّد الأنام " . انظر : المرشد المعين علىٰ الضروري من علوم الدِّين (٢/ ٣٠٠) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيىٰ ، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) : " ... والله يسمح لنا ولهما بجاه النَّبي " . انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/ ٢٢٤) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني : " نسأل الله بجاه هذا النَّبي الشَّرف القدر العظيم المزية أن يعتقنا من النَّار ويجيرنا في الدُّنيا والآخرة من كلِّ مصيبة ورزيَّة " . انظر : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (٢/ ٢٥٢) ، وانظر : (٢/ ٣٩٢) ، (٣/ ١٩) ، (٣/ ٨٧) ، (٣/ ٣٠١) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) في " نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب" (١/ ٣٢) : " علىٰ أنَّني أقول : اللهمَّ يسِّر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب ، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب ، بجاه نبيِّنا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر والأسود والأعاجم والأعارب ، عليه أفضل صلاة وأزكىٰ سلام ، وعلىٰ آله وأصحابه الأعلام " .

وقال في " نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب" (١/ ٦٠٣) : " ... نعوذ بالله من شرّ أنفسنا ، ومن شرّ كلِّ ذي شرّ ، بجاه نبيِّنا عليه أزكىٰ صلوات الله وأفضل سلامه " .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني في " نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب" (٢/ ٤٢٦) :

والله نرجو أن يتيح الختما ... بالخير كي نعطىٰ القبول حتما
بجاه خير العـــــالمين أحمدا ... صلَّىٰ عليه الله مـــا طال المدىٰ

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) في " نفح الطيب "(٢/ ٤٣٤) :

ألبسه الله البرود الصَّافيه ... من منّه وعفوه والعافيه
بجـــــــــاه سيِّد البرايا طرّا ... ملجــــإ من إلىٰ الكروب اضطرّا

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني في "نفح الطيب" :

فالله يجزيه الجزاء الأوفـــىٰ ... في يوم تبدي الأنبياء الخوفا
وخطّ هذا المقّريّ من وجل ... مرتجياً من ربّـــه عزَّ وجلَّ
كشف كروبِ عقد صبرِ حلّت

بجاه طه الهـــــــاشميّ منه وغفران ذنــــوبٍ جلّت

أحمدا عليه أزكـــــــــىٰ صلواتٍ سرمدا

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري التِّلمساني :

وخطّ هذا المقّريّ عن عجل مؤمّلاً من ربـِّــه عزَّ وجلَّ

غفران ما جنىٰ من الذُّنوب والصَّفح عن معرَّة العيوب

بجـــــــاه خير العالمين صلَّىٰ عليــــــــه الله دأباً سرمدا

أحمدا

انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٣٩) ، (٢/ ٤٥٧) ، (٢/ ٤٨٢) ، (٢/ ٦٢٦) ، (٢/ ٦٩٦) ، (٢/ ٧٠٤) ، (٣/ ٩٧) ، (٥/ ٣٥٥) ، (٥/ ٦٠٥) ، (٧/ ١٣٥) ، (١/ ٣٢) ، (١/ ٦٠٣) ، (٢/ ٤٥٧) ، (٢/ ٦٢٦) ، (٣/ ٩٧) ، (٥/ ٣٥٥) بالترتيب .

وقال الإمام البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) : " ولا بأس بالتَّوسُّل بالصَّالحين ونصه في منسكه الذي كتبه للمروذي أنَّه يتوسَّل بالنَّبي ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه ، وجزم به في المستوعب وغيره " . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٧٣) .

وقال الإمام البهوتي الحنبلي أيضاً : " وَقَالَ السَّامِرِيُّ ، وَصَاحِبُ التَّلْخِيصِ : لَا بَأْسَ بِالتَّوَسُّلِ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالشُّيُوخِ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَّقِينَ ، وَقَالَ فِي الْمَذْهَبِ : يَجُوزُ أَنْ يُسْتَشْفَعَ إلَىٰ اللَّهِ بِرَجُلٍ صَالِحٍ ، وَقِيلَ : يُسْتَحَبُّ قَالَ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ أَنَّهُ يَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ فِي دُعَائِهِ وَجَزَمَ بِهِ فِي الْمُسْتَوْعِبِ وَغَيْرِهِ " . انظر : كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٦٨) .

قال الإمام محمَّد بن علان الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) : " ... لأنَّ التَّوسُّل به سيرة السَّلف الصَّالح الأنبياء والأولياء وغيرهم " . انظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب (٢/ ٤٣٢)

وألَّف الإمام محمَّد بن علي بن علَّان الصدِّيقي المكي (١٠٥٧هـ) كتاباً بعنوان : " المبرد المبكي في ردِّ الصَّارم المنكي " .

وقال الإمام مصطفىٰ بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) : " ... ويحمي أعراضنا عن ناره ، الموقدة بحرمة أمين وحيه " . انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٢٠٥٤) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " نسأل الله من فضله العفو والعافية ، بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/ ٢٠٦) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) في مراقي الفلاح : " روىٰ سعيد بن منصور وسمرة ابن حبيب وحكيم بن عمير قالوا : إذا سوىٰ علىٰ الميت قبره وانصرف النَّاس ، كانوا يستحبُّون أن يقال للميت عند قبره : يا فلان ، قل لا إله إلَّا الله ، ثلاث مرات ، يا فلان : قل ربِّي الله وديني الإسلام ، ونبيِّي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اللهمَّ أنِّي أتوسَّل إليك بحبيبك المصطفىٰ أن ترحم فاقتي بالموت علىٰ الإسلام والإيمان ، وأن تشفِّع فينا نبيَّك عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام ... " . انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢١٢) .

وقال الإمام حسن بن عمار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) : " ... وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا ومولانا محمَّد خاتم الأنبياء وعلىٰ آله وصحبه وذريته ومن والاه ، ونسأل الله سبحانه متوسِّلين إليه بالنَّبي المصطفىٰ الرَّحيم أن يجعله وشرحه ومختصره هذا عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به . انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (ص٢٦٩) .

وقال الإمام الشّرنبلالي المصري الحنفي : " وفَّقنا الله تعالىٰ بفضله ومن علينا بالعود علىٰ أحسن حال إليه بجاه سيِّدنا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح (١/ ٢٨٢) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي : " وأنا الآن منتِظرٌ لألطاف رَبّىٰ ، وهو في كلِّ الأمورِ حسْبىٰ ، أن يُعيدني لجوارِه ، واجتِّلاء نُورِ حَبيِبه ومخُتارِه ، به إليه مُتوسّلاً ، وفي نَيّل رجائي مُتوكّلاً لا مُتأكّلاً " .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي: " اللهمَّ كما يسَّرت هذا الإتمام يسَّر لنا حسن الاختتام ، بجاه نبيِّك عليه أفضل صلاة وسلام وعلىٰ آله وصحبه الكرام " . انظر : ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدُّنيا (ص٣٨١) ، وانظر : (ص٤٤٨) بالترتيب .

وقال الإمام شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي المصري: " جعلنا الله ممن يدعىٰ لتلك الأبواب من غير حساب ولا عقاب ، بجاه سيِّدنا ونبينا محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ جميع الأهل والأصحاب " . انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي ، الْمُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي (٧/ ٢٣٠) ، وانظر : (٧/ ٣٦٦) ، (٧/ ٤٥٤) .

وقال الشَّيخ العلَّامة محمَّد أحمد الخطيب الشّوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) في الجواب على سؤال ورد إليه عن كرامات الأولياء والاستغاثة بهم بعد الوفاة : " ويجوز التَّوسُّل بهم - يعنى الأولياء - إلى الله تعالى والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والعلماء والصَّالحين بعد موتهم ؛ لأنَّ معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء لا فارق بينهما إلَّا التَّحدي ، أمَّا الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم يصلُّون ويحجُّون ، كما وردت به الأخبار الصَّحيحة ، فتكون الإغاثة بهم معجزة لهم ، والشُّهداء أحياء أيضاً عند ربِّهم بالنصِّ القرآني ، وشوهدوا جهاراً يقاتلون الكفَّار ، أمَّا الأولياء فهي كرامة لهم ، فإنَّ أهل الحق على أنَّه يقع للأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم ، والدَّليل على جوازها : أنَّها أمور ممكنة ، لا يلزم من جوازها ووقوعها محال أصلاً ، وكلُّ ما هذا شأنُه فهو ممكن الوقوع " . انظر : سعادة الدارين في الردِّ على الفرقتين الوهَّابيَّة ومقلدة الظاهرية (١/ ٢٢٨-٢٢٩) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي المالكي (١٠٧٢هـ) : " ... نتوسَّل إليك بجاه أحبِّ الخلق " . انظر : كتاب الدر الثمين والمورد المعين (٢/ ٣٠٢) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة المالكي : " ... أبقى الله وجوده كهفاً للإسلام ، وجلاءً لغياهب الظَّلام ، وأعانه على ما هو بصدد من إخماد الكفرة ونصرة الإسلام ، وكبت أعدائه ، بجاه سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام " . انظر : الدر الثمين والمورد المعين (شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) (ص٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي المالكي: " فَاَسْأَلُ النَّفْعَ بِهِ على الدَّوَامْ مِنْ رَبِّنَا ، بِجَاهِ سيِّد الأَنامِ " . انظر : حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي ، الْمُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي (٦/ ٤٠٤) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) : " أَصْلَحَهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ وَإِيَّانَا بِجَاهِ نَبِيِّهِ " . انظر : مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/ ٥٠١) .

وجاء في حاشية أبي الضياء نور الدِّين بن علي الشّبراملسي الأقهري (١٠٨٧هـ) : "... حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ سُوءٍ بِجَاهِ محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، وقال : وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَىٰ الْإِتْمَامِ ، بِجَاهِ محمَّد سيِّد الْأَنَامِ وَمِصْبَاحِ الظَّلَامِ " . انظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٢٣) .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) : " فنسأل الله تعالىٰ التَّوفيق والقبول، بجاه الرَّسُول " . انظر : الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (١/ ١٦) .

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي (١٠٨٩هـ) في " شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب" (١٠/ ٦٧) في ترجمة الحافظ تقي الدِّين عبد الرَّحيم بن الشَّيخ محب الدِّين محمَّد الأوجافي المصري الشَّافعي (٩١٠هـ) : " وقال في مرضه الذي مات فيه :

لمَّا مرضت من الذُّنوب وثقلها ... وأيست من طبّ الطَّبيب النَّافع
علَّقت أطمـاعي برحمة سيِّدي ... وأَتيته متوسِّلاً بالشَّـافعي

وقال الإمام عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي عن علي بن حميد أبو الحسن الذّهلي : " ... وقبره يُزار ويُتبرَّك به " . انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥/ ٢٢٤) ، وانظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢/ ٤٧٨) ، (٣/ ١٠٩) (٣/ ١٥٠) ، (٤/ ٢٧٨) ، (٥/ ٢٢٤) ، (٥/ ٢٦٠) ، (٦/ ٣٠٠) ، (٧/ ٥٧) ، (١٠/ ١٥٢) ، (١٠/ ٢٩٨) ، (١/ ٣٥٣) .

وقال الإمام عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) : " ... وَيسر لَهُ النَّصْر المتين ، وَسَهل لَهُ الْفَتْح الْمُبين ، بجاه حَبِيبه وَرَسُوله محمَّد الْأَمين آمين " . انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (١/ ٥) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) : " ... نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِجَاهِ الْحَبِيبِ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَقَاصِدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّك قَرِيبٌ مُجِيبٌ " . انظر : شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٥٨) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي (١١٠١هـ) : " ... الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الوهَّاب وَهَّابِ الْعَطَايَا ، وَمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ ، نَتَوَسَّلُ إلَيْك بِجَاهِ الْحَبِيبِ أَنْ تُبَلِّغَ الْمَقَاصِدَ عَنْ قَرِيبٍ فَإِنَّك قَرِيبٌ مُجِيبٌ " . انظر : شرح مختصر خليل للخرشي (١/ ٥٨) .

وقال الإمام الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) : " نسأل الله سبحانه أن يكمل ذلك لنا وله ولسائر الأحباب بالفوز يوم الحشر والرضوان الأكبر ، بجاه نبيّه المصطفىٰ المبعوث إلىٰ الأسود والأحمر ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آله وصحبه المجلين في كلِّ مفخر " . انظر : المحاضرات في اللغة والأدب (ص١٩) .

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) في " نفحة الرَّيحانة ورشحة طلاء الحانة" (١/ ٢٠٤) : " ... بجاه سيِّدنا محمَّد الذي علا علىٰ البراق ، وتشرَّفت به الآفاق " .

وقال في " نفحة الرَّيحانة ورشحة طلاء الحانة" (٢/ ٢٠١) في حديثه عن موسىٰ القلبيبي الأزهري : " فمما اخترته من شعره المعسول ، هذه القطعة من موشح قاله في التَّوسُّل بجاه الرَّسُول :

الرَّســـــولُ المُقْتَفىٰ ممَّن ... مَضَــــــىٰ مَهْبِطُ الأسْرارْ
الصِّراطُ المُسْتقِيـمُ المُرْتضَىٰ ... صــــــــــاحبُ المِقْدارْ
شــــــاهرُ السَّيفِ القويمِ ... المُنْتضَىٰ مَاحِقُ الأغْيـــارْ
كـــــالِئِ الإسلامِ حتىٰ ... أن سَمَا كــــاسِرُ الأرْجاسْ
شـــــافعُ الخَلْقِ إذا اشْتدَّ ... الظَّمَا صـــــافِعُ الوَسْواسْ
قد توسَّلْتُ به أرْجُــــــــو ... الفَرَجْ فامْحُ آثـــــامِي
وأزِلّ عنِّي عَنـــائِي والحَرَجْ ... واجْلُ إجْرامِـــــــــــــي
وبلُطْفٍ منك بَرِّدْ مَا وَهَــــــجْ ... واشْفِ أسْقامِــــــــــــي

وقال الإمام محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي الحموي الأصل ، الدِّمشقي (١١١١هـ) : " ... وَنقل فِي شَرحه علىٰ الْجَوْهَرَة – يعني اللقاني – ، قَالَ : لَيْسَ للشَّدائد والغموم مِمَّا جرَّبه المعتنون مثل التَّوسُّل بِهِ صلَّىٰ الله تَعَالَىٰ عَلَيْهِ وسلَّم !!! وَمِمَّا جرب فِي ذَلِك قصيدتي المقلبة بكشف الكروب بملاحات الحبيب والتَّوسُّل بالمحبوب الَّتِي أنشأتها بِإِشَارَة وَردت علىٰ لِسَان الخاطر الرحماني عِنْد نزُول بعض الملمَّات ، فَانْكَشَفَتْ بِإِذن خَالق الأَرْض وَالسَّمَوَات وَكَاشف الْمُهِمَّات لَا إِلَه غَيره وَلَا خير إِلَّا خَيره ، وَهِي :

يَا أكْرم الْخلق قد ضَـــاقَتْ بِي السُّبل ... ودق عظمي وَغَـــابَتْ عني الْحِيَل
وَلم أجد من عَزِيز أستجير بِهِ ... سوىٰ رَحِيم بِهِ تستشفع الرُّسُل
مشمر السَّاق يحمي من يلـــوذ بِهِ ... يَوْم الْبـلَاء إِذا مَـــــا لم يكن بَلل
غوث المحاويج إِن مَحل ألم بهـم ... كَهْف الضِّعَاف إِذا مَا عَمها الوجـل
مُؤَمل البائس الْمَتْرُوك نصرتـه ... مكرم حِين يَعْلُو سرّه الخجـل
كنز الْفَقِير وَعز الْجُود من خضعت ... لَهُ الْمُلُوك وَمن تحيـــا بِهِ الْمحل
من لِلْيَتَامَىٰ بِمَـــال يَوْم أزمتـهم ... وللأرامل ستر سابغ خضل

لَيْث الْكَتَائِب يَوْم الْحَرْب إِن حميت　　وطيسهـا واستحد الْبيض والأسل
من ترتجي فِي مقَام الهــول نصرته　　وَمن بِهِ تكشف الغماء والغلـل
مُحَمَّد ابْن عبـد الله ملجاؤنـا　　يَوْم التَّنادي إِذا مَا عمنَا الوهــل
الفـاتح الْخَـاتم الميمون طَائِره　　بَحر الْعَطاء وكنز نَفعه شَمــــل
الله أكبر جَـاءَ النَّصْر وانكشفت　　عَنَّا الغموم وَولي الضّيق وَالْمحل
بعزمة من رَسُول الله صَادِقَة　　وهمَّة يمتطها الحـازم البطل
أغث أغث سيِّد الكونين قد نزلت　　بِنَا الرَّزايا وَغَابَ الْخلّ والأخـل
ولاح شيبي وَولي الْعُمر مُنْهَزِماً　　بعسكر الذَّنب لَا يلوىٰ بِهِ عجل
كن للمعنىٰ مغيثاً عِنْد وحدتـه　　وَكن شَفِيعاً لــــهُ إِن زلت النَّعْل
فجملة القَوْل أَنِّي مذنب وَجـل　　وَأَنت غوث لمن ضــاقَتْ بِهِ السُّبل
صلىٰ عَلَيْك إلهي دَائِما أبداً　　مَا إِن تعاقبت الضَّحواء وَالْأَصل
وآلك الغر والصَّحب الْكِرَام كَــذَا　　مُسلما والسَّلام الطّيب الحفــــل

انظر : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١/ ٨) ، وانظر : (١/ ١٤٧) ، (٣/ ٤٨٤) ، (٤/ ١٥٨) ، (٤/ ٢٤٦) ، (٤/ ٢٩٣)

وقال الإمام عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكِّي (١١١١هـ) داعياً : " ... أسأَل الله أَن يرزقه مِنْهُ مسحة قبُول بجاه جدِّه الرَّسُول وعَلىٰ آله وَصَحبه وسلَّم " . انظر : سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ٧١) ، وانظر : (٤/ ٤٩٠) ، (٤/ ٥٢٣) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) : " وأتوجَّه للمولىٰ تعالىٰ أن يقبل هذا العمل وأن يكرمني بخدمة كتابه الكريم وحفاظه المكرمين بجاه سيِّد المرسلين عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ التَّسليم والحمد لله ربِّ العالمين " . انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (ص٣) ، وانظر : (ص٦) ، (ص٦١٩) .

وقال الإمام علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) : " رجع إلىٰ شعر الشَّيخ عبد الرَّحمن صاحب التَّرجمة فمنه أيضاً مادحاً السيِّد ثقبه ومهنئاً له بعافية ابنه السيِّد قتادة ومتشكراً من انعام أنعمه عليه :

فلا زال في عزِّ السَّعادة مالكـــاً زمام العلا والدَّهر من جملة الجند
بجاه النَّبي الطُّهر مستنصراً وبالأ ئمَّة أعني من ختــامهم المهدي
عليهم صلاة اللّه ثمَّ سلامـــــه يدومان ماهز الصّبـــــا عذب الرند

انظر : سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (ص٨٧) ، وانظر : (ص٤١) .

وقال الإمام أبو عبد الله محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) : " وَأَسْأَلُهُ الْإِعَانَةَ عَلَىٰ التَّمَامِ خَالِصاً لِوَجْهِهِ بِجَاهِ أَفْضَلِ الْأَنَامِ " . انظر : شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣/ ٣٧٨) ، (٤/ ٦٩٥) ،(١٢/ ٢١٩-٢٢٢) ، (١٢/ ٤٣٧) .

وقال الإمام إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي (١١٢٧هـ) : " آمين آمين آمين ، بجاه النَّبي الأمين " . انظر : روح البيان (١/ ١٤٣) ، وانظر : روح البيان ، (٣/ ٣٥٥) ، (٤/ ٣) ، (٧/ ١٠٢) ، (٩/ ١٠٥) ، (٩/ ٢٠٦) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدّمياطيّ الأشعري الشَّافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) : " منحني الله تعالىٰ به فوق منتهىٰ الأماني ، بمحمَّد وآله وصحبه ذوي التَّهاني وبدور التَّداني ". انظر : الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدمياطيّ الأشعري الشَّافعي ، أبو حامد (المتوفىٰ: ١١٤٠هـ) ، مخطوط .

وقال الإمام محمَّد بن عيسىٰ بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) : " ... ونسأله القبول بجاه الرَّسُول ". انظر : يوميات شامية (الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية) (ص٤٦) ، (ص١٢٠) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن مصطفىٰ بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) : " وَيَجُوزُ التَّوسُّل إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَالِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، لِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ وَالْكَرَامَةَ لَا تَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِمْ . وَعَنْ الرَّمْلِيِّ أَيْضاً : بِعَدَمِ انْقِطَاعِ الْكَرَامَةِ بِالْمَوْتِ . وَعَنْ إمَامِ الْحَرَمَيْنِ : وَلَا يُنْكِرُ الْكَرَامَةَ وَلَوْ بَعْدَ الْمَوْتِ إلَّا رَافِضِيٌّ . وَعَنْ الْأُجْهُورِيِّ : الْوَلِيُّ فِي الدُّنيا كَالسَّيْفِ فِي غِمْدِهِ فَإِذَا مَاتَ تَجَرَّدَ مِنْهُ فَيَكُونُ أَقْوَىٰ فِي التَّصَرُّفِ ، كَذَا نُقِلَ عَنْ نُورِ الْهِدَايَةِ لِأَبِي عَلِيٍّ السِّنْجِيِّ " . انظر : بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (١/ ٢٠٣) ، وانظر : (٣/ ١٠٧) .

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد العجلوني الدِّمشقي (١١٦٢هـ) في " كشف الخفاء ومزيل الإلباس" (٢/ ٤٨) : " وممَّا يناسب إيراده هنا ما نسب لبعضهم :

قرب الرَّحيل إلىٰ ديار الآخـــــرة فاجعل إلهي خير عمري آخره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحــم وبحار جودك يا إلهي زاخرة
آنس مبيتي في القبور ووحدتي وارحم عظامي حين تبقىٰ ناخرة
فأنا المسيكين الذي أيامـه ولت بأوزار غدت متواتـــرة
يا ربّ فارحمني بجاه المصطفىٰ كنز الوجود وذي الهبات الباهـــرة
وبخير خلقـــــك لم أزل متوسِّلاً ذي المعجزات وذي العلوم الفـــاخرة

وقال الإمام إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني: " وضع الله عنَّا سيِّئات أعمالنا بأفضاله الجاري ، وختمها بالصَّالحات ، بجاه محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سيِّد السادات " . انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس (٢/ ٥١٥) .

وقال الإمام حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) : " وهذا آخر ما أردناه ، جعله الله من الأعمال المقبولة ، المنتفع بها علىٰ الدَّوام ، بجاه سيِّدنا محمَّد أشرف الأنام ، وعلىٰ آله وأصحابه أفضل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة (ص٢٩٩) .

وقال الإمام أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) كما في " معجم أعلام شعراء المدح النَّبوي (ص٧٥) :

لذ بجاه الذي أجار الغزالـــه وله بالبهاء تعنو الغزالـه
لا ترد غير منهل من حمـــــاه فأياديه بالنّدىٰ هطّالـه
لاح بدراً للعالمين منيـــــراً وله الله قد أتمّ كمالـه
لاذت الأنبيا به يوم هول دهش النَّاس مذ رأوا أهواله
لطفت ذاته فشفّت بنور ظلّ يمحو إن قام يمشي ظلاله
لمن العيس في الهجير ترامت تتفيّا ظلّ العقيق وضاله
لك يا خير مرسل تتهـــــادىٰ في سراها أعطافهـــــا المياله

وقال الإمام أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) : " ... وَالله أسأَل أَن يخْتم لنا وَلَك بِالْحُسْنَىٰ إِذْ بلغت الرّوح التراقي وَأَن يجمعنا وَإِيَّاك ومشايخنا فِي أَعلَىٰ

المراقي بجاه أفضل من علم وَعلم صلَّىٰ الله عَلَيْهِ وعَلىٰ آله وَصَحبه وسلَّم " . انظر : فهرسة علي بن خليفة المساكني (ص٥٨)

وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) : " قَوْلُهُ : " بمحمَّد وَآلِهِ " مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ حَالٌ تَنَازَعَ فِيهَا الْأَفْعَالُ الْمُتَقَدِّمَةُ ، أَيْ : رَحِمَهُ اللَّهُ إلَخْ فِي حَالِ كَوْنِنَا مُتَوَسِّلِينَ بمحمَّد وَآلِهِ " . انظر : حاشية العدوي علىٰ شرح كفاية الطالب الرباني (١/ ٥) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) : " ... وأمَّا صفوان ابن سليم ، فهو : أبو عبد الله ، وقيل : أبو الحرث القرشىٰ الزُّهرىٰ الفقيه ، وأبوه سليم مولىٰ حميد بن عبد الرَّحمن بن عوف ، قال ابن سعد : ثقة كثير الحديث عابد ، وقال يحيىٰ بن سعيد : هو رجلٌ يستسقىٰ بحديثه ، وينزل المطر من السَّماء بذكره ... ". انظر : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (٥/ ٢٠٠) ، وانظر : (٧/ ٤٥١) .

وقال الإمام الزبيدي أيضاً : " قال محمود بن محمَّد ، حدثنا الميمون ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشَّعبي ، قال : حضرت عائشة رضي الله عنها ، فقالت : إني قد أحدثت بعد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثاً ، ولا أدري ما حالي عنده ، فلا تدفنوني معه ، فإنِّي أكره أن أجاور رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أدري ما حالي عنده ، ثمَّ دعت بخرقة من قميص رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : ضعوا هذه علىٰ صدري وادفنوها معي لعلِّي أنجو بها من عذاب القبر".
انظر : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين (١٠/ ٣٣٣) .

قلت : لقد قامت الأيدي الأثيمة المجرمة عدوَّة الحقِّ وأهله بإزالة ما نقلناه هنا من كلام نفيس ، من نسخة المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، لأنَّه لا يتوافق مع عقائدهم ومذهبهم ومنهجهم ... فهذه هي السَّلفيَّة في ثوبها الحقيقي : غشٌّ ، تدليسٌ ، كذبٌ ، مراوغة ، عبثٌ ، فجورٌ ... ولذلك فإنِّي أدعو الجميع إلىٰ عدم الاطمئنان إلىٰ المكتبة الشَّاملة ، ولا بدَّ لطالب الحق من العودة إلىٰ الكتب الورقيَّة ذات الطَّبعات القديمة ، فإنَّ من يدَّعون السَّلفية ما فتئوا يعبثون ويعبثون بكتب التُّراث ...

وقال الإمام الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) في " تاج العروس من جواهر القاموس" (١٩/ ٥١١) : " ... وآثارُها جَليلةٌ كَثيرةٌ لَا يَسَعُها هَذَا الـمُخْتَصَرُ ، وَالله يَرُدُّها دارَ إِسلامٍ ، بمحمَّد وآلِهِ عليهِمُ السَّلام " .

وقال الإمام محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني (١٢٠٦هـ) : " ... وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزاده فضلاً وشرفاً ورفعة لديه كثيراً ما يذكر لأصحابه أخبار من مضىٰ من الأمم ، ليسلكوا بذلك الطَّريقة المثلىٰ والطَّريق الأتم ، فنتوجَّه اللهمَّ إليك به إذ هو الوسيلة العظمىٰ لمن استمسك بسببه " . انظر : سلك الدرر في أعيان القرن الثَّاني عشر (١/ ٢) ، وانظر في سلك الدرر أيضاً : (١/ ١١٣) ، (١/ ١١٥) ، (٢/ ٢٨) ، (٢/ ٧٤) ، (٢/ ١٨٧) ، (٢/ ١٩٨) ، (٣/ ١٠٥) ، (٣/ ١٠٦) ، (٣/ ٢٤٥) ، (٣/ ٢٧٥) ، (٤/ ٧٤) .

وألَّف شقيق محمَّد بن عبد الوهَّاب الإمام سليمان بن عبد الوهَّاب (١٢٠٨هـ) كتاباً سمَّاه : " فصل الخطاب في الردِّ علىٰ محمَّد بن عبد الوهَّاب " ، ردَّ فيه علىٰ أخيه محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وهذا أوَّل كتابٍ أُلِّف في الردِّ علىٰ الوهَّابيَّة .

وقال الإمام أبو عبد الله الطَّالب محمَّد بن أبي بكر الصدِّيق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) في " فتح الشَّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور" (ص١٢٨) : " اللهمَّ يا من نفع البعض بالبعض انفعنا بهم ، بجاه من له جاه عندك يا ربّ العالمين آمين " .

وقال الإمام سليمان بن محمَّد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشَّافعي (١٢٢١هـ) في " تحفة الحبيب علىٰ شرح الخطيب "حاشية البجيرمي علىٰ الخطيب " (٢/ ٢٤٣) : " وَحِكْمَةُ تَوَسُّلِهِ بِهِ دُونَ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَعَ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَسِيلَةً حَيّاً وَمَيِّتاً الْإِشَارَةُ إلَىٰ رِفْعَةِ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقُرْبِهِمْ مِنْ اللَّهِ ... " .

وقال الإمام سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي: " قال عبد الله بن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج النَّاس يستسقون وخرجت معهم ، إذ أقبل علينا غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحداهما ووضع الأخرىٰ علىٰ عاتقه ، فجلس إلىٰ جنبي فسمعته يقول : إلهي اختلفت الوجوه بكثرة الذُّنوب والمساوئ ، وقد حبست عنا غيث السَّماء لتؤدِّب عبادك ، فأسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلَّا الجميل أن تسقيهم السَّاعة فلم يزل يقول السَّاعة السَّاعة حتَّىٰ اكتست السَّماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان . قال ابن المبارك : فجئت إلىٰ الفضيل رضي الله عنه ، فقال لي : أراك كئيباً ، فقلت : قد سبقنا إليه غيرنا وتولاه دوننا ؛ وقصصت عليه القصَّة ، فصاح الفضيل وخرَّ مغشيّاً عليه ... قوله : (وإنَّا نتوسَّل الخ) وحكمة توسله به دون النَّبي مع أنه أعظم وسيلة حيَّاً وميتاً الإشارة إلىٰ رفعة قرابة رسول الله وقربهم من الله " . انظر : تحفة الحبيب علىٰ شرح الخطيب (البجيرمي علىٰ الخطيب) (٢/ ٤٨٠–٤٨١) .

وألَّف الإمام السيِّد علوي بن أحمد الحداد (١٢٢٢هـ) في هذا الباب كتاباً سمَّاه : " السَّيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر " .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) : " جعلنا الله تعالى من أهل ذاك المقام ، بجاه سيِّد الأنام ، عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام ". انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٧) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي : " نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلباب القبول ، ويُبلغ به كلّ مَن طالعه ، أو حصّله القصدَ والمأمول ، بجاه سيِّد الأولين والآخرين ، سيِّدنا ومولانا محمَّد ، خاتم النَّبيين وإمام المرسلين " . انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، (٧/ ٣٧٩) ، وانظر : (٨/ ٥٦٤) .

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) : " ... شيخنا وشيخ شيوخنا الحاج النَّاسك الأبر أبو الثناء محمود بن سعيد مقديش الصَّفاقسي أصلاً ووطناً وقراراً المالكي مذهباً ، الأشعري اعتقاداً ، أسبل الله علينا وعليه جلابيب ستره بجاه سيِّدنا محمَّد نبيّه وعبده ... " . انظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (١/ ٦٢٧) .

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) في " نزهة الأنظار في عجائب التَّواريخ والأخبار" (٢/ ٢٢٨) : " وأنشد الأريب الأديب الشَّيخ أبو إسحاق الخرّاط ، أبقى الله مهجته وأحسن عاقبته في هذه الواقعة ما كتب على ضريح الحاج الأبر أبي الثّناء محمود بن عمر ، أحد الشُّهداء يومئذ – رحمه الله تعالى – هذه الأبيات :

هذا الضَّريــــــــح المشتهر ... فيه الشَّهيـــــــــد ابن عمر
محمــــــــــــود البرّ الذي ... طــــــــاف وحجّ واعتمر
ومــــــات في معترك الكـ ... ـفّـــــار من غير مفـــر
وأربعـــــــــون جاهدوا ... معـــــــه فماتوا عن أثر
يا ربّنا انفعنـــــا بهم ... بجـــــاه سيِّد البشـــر
تاريخه في رابـــــــــع ... من قرن ثـــــــالث عشر

وقال الإمام محمود بن سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) : " ... والله تعالىٰ ينصر مولانا السُّلطان وعساكر الإسلام ويحمي الجميع من طوارق الحدثان ، وألزم الكفرة الذلَّة والهوان بجاه نبيّنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ السَّلام " . انظر : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار (٢/ ٢٢٩) .

وجاء في حاشية الطَّحطاوي (١٢٣١هـ) علىٰ مراقي الفلاح : " قوله (فيتوسَّل إليه بصاحبيه) ذكر بعض العارفين أنَّ الأدب في التَّوسُّل : أن يتوسَّل بالصَّاحبين إلىٰ الرَّسُول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ به إلىٰ حضرة الحق جلَّ جلاله وتعاظمت أسماؤه ، فإنَّ مراعاة لواسطة عليها مدار قضاء الحاجات ... " . انظر : حاشية الطحطاوي علىٰ مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (١/ ٣٦٠) .

وقال الإمام محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) : " غَفَرَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَنْبَ مُؤَلِّفِهِ وَمَشَايِخِهِ وَوَالِدَيْهِ ، وَلِمَنْ قَرَأَهُ وَتَأَمَّلَهُ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلِكَاتِبِهِ ، بِجَاهِ سيِّد الْمُرْسَلِينَ " . انظر : ثمر الثمام شرح (غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام) (ص٧١) .

وقال الإمام عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (١٢٣٧هـ) : " ... ثمَّ رأيت في " الفتوحات الإلهيَّة في نفع أرواح الذَّوات الإنسانيَّة " وهو كتاب نحو كراس لشيخ الإسلام زكريَّا الأنصاري ما نصّه : إذا أراد الشَّيخ أن يأخذ العهد علىٰ المريد ، فليتطهر وليأمره بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيَّأ لقبول ما يلقيه إليه من الشُّروط في الطَّريق ، ويتوجَّه إلىٰ الله تعالىٰ ويسأله القبول لهما ، ويتوسَّل إليه في ذلك بمحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنَّه الواسطة بينه وبين خلفه ... " . انظر : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، (١/ ٣٤٤) .

وقال الإمام أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) : " وَمِنْ خَصَائِصِهَا – أَيْ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ – وُجُوبُ زِيَارَتِهَا كَمَا فِي حَدِيثِ الطَّبَرَانِيِّ ، وَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ زِيَارَتُهَا ، فَالرِّحْلَةُ إلَيْهَا مَأْمُورٌ بِهَا وَاجِبَةٌ ، أَيْ : مُتَأَكِّدَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُسْتَطِيعِ لَهُ سَبِيلاً ... وَالْأَفْضَلُ فِي الزِّيَارَةِ الْقُرْبُ مِنْ الْقَبْرِ الشَّرِيف ، بِحَيْثُ يَكُونُ النَّبي يَسْمَعُ قَوْلَهُ عَلَىٰ حَسَبِ الْعَادَةِ ، وَيَلْزَمُ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْأَدَبُ الظَّاهِرِيُّ وَالْبَاطِنِيُّ لِيَظْفَرَ بِالْمُنَى ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ فِي جَمِيعِ مَطْلُوبَاتِهِ ، ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ ... ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ، ثمَّ يَنْتَقِلُ قُبَالَةَ قَبْرِ عُمَرَ و ثمَّ يَتَوَسَّلُ بِهِ إلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ . ثمَّ يَخْرُجُ إلَىٰ الْبَقِيعِ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِهِ هَكَذَا ، وَيَتَوَسَّلُ بِهِمْ إلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ... " . انظر : بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي علىٰ الشرح الصغير (٢/ ٧١-٧٢) ، وانظر : (٢/ ٧٢) ، (٤/ ٧٨٢) ، (٤/ ٨١٣) .

وقال الإمام مصطفىٰ بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانىٰ مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) : " وَلَا بَأْسَ بِلَمْسِ قَبْرٍ بِيَدٍ لَا سِيَّمَا مَنْ تُرْجَىٰ بَرَكَتُهُ ". انظر : مطالب أولي النهىٰ في شرح غاية المنتهىٰ (١/ ٩٣٤).

وقال في " مطالب أولي النُّهىٰ في شرح غاية المنتهىٰ " (١/ ٨١٧) : " (وَكَذَا) أُبِيحَ (تَوَسُّلٌ بِصَالِحِينَ) عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ الْمَذْهَبِ ، قَالَهُ فِي " الْإِنْصَافِ ". (وَقِيلَ : يُسَنُّ) ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَنْسَكِهِ الَّذِي كَتَبَهُ لِلْمَرُّوذِيِّ : يُتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي دُعَائِهِ ".

وألَّف الإمام القاضي اسماعيل التَّميمي التُّونسي (١٢٤٨هـ) في هذا الباب كتاباً سمَّاه : " المنح الإلهيَّة في طمس الضَّلالة الوهَّابيَّة . وهو مخطوط بدار الكتب الوطنية في تونس رقم (٢٧٨٥) ، ومصورتها في معهد المخطوطات العربيَّة ، القاهرة ، وقد طبع .

وفي تعليقه علىٰ حديث : " اللهمَّ إِنِّي أَسأَلك وأتوجه إِلَيْك بنبيِّك محمَّد نَبِي الرَّحْمَة ، يَا محمَّد : إِنِّي أتوجَّه بك إِلَىٰ رَبِّي فِي حَاجَتي هَذِه لتقضىٰ لي ، اللهمَّ فشفعِّه فِيَّ " ، قال الإمام الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في " تحفة الذَّاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيِّد المرسلين" (ص٢١٢) : " ... وَفِي الحَدِيث دَلِيل علىٰ جَوَاز التَّوسُّل برَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الله عزَّ وَجلَّ مَعَ اعْتِقَاد أَنَّ الْفَاعِل هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، وَأَنه الْمُعْطِي الْمَانِع ، مَا شَاءَ كَانَ وَمَا يَشَأْ لم يكن " .

وقال الإمام محمَّد بن علي الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في نهاية أبواب الهدايا والضَّحايا من كتابه : " نيل الأوطار " : " وإلىٰ هنا انتهىٰ النِّصف الأوَّل من " نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار بمعونة العزيز الغفار ، وصلَّىٰ الله علىٰ نبيه المختار وآله الأخيار " . بك اللهمَّ أستعين علىٰ نيل الأوطار من أسرار منتقي الأخبار متوسِّلاً إليك بنبيِّك المختار " . انظر : نيل الأوطار من أحاديث سيِّد الأخبار شرح منتقىٰ الأخبار (٥/ ٢٣٥) .

قلتُ : وكعادتها ... قامت الأيدي المتمسلفة بشطب كلام الإمام الشَّوكاني السَّالف ، لأنَّه يتعارض مع منهجهم وفكرهم حيث لا طاقة ولا قدرة لهم علىٰ محاربة فكر مجموع الأمَّة إلَّا بالغش والكذب والتَّدليس والتَّزوير وتغيير الحقائق.... وقد عُدت إلىٰ طبعتين تضمنتا كلام الإمام الشَّوكاني الذي ذكرت ، وهما : طبعة دار الجيل ، بيروت ، (١٩٧٣م) ، وطبعة إدارة الطِّباعة المنيريَّة ، أمَّا النُّسخة الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، فقد عبث فيها اللصوص العابثون المتمسلفون وشطبوا كلام الشَّوكاني الذي هو كلام مجموع الأمَّة التي لم يجد علماؤها ما يمنع من التَّوسُّل ، والنُّسخة الموجودة في الشَّاملة هي من تحقيق : عصام الدِّين الصّبابطي ، دار الحديث ، مصر ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤١٣هـ، ١٩٩٣م)

، ولم أستطع الحصول على هذه النُّسخة لأتأكَّد من مصدر التَّزوير : أهو من دار الحديث أم من القائمين على المكتبة الشَّامله ... فمرحى ثمَّ مرحى لمن تخصَّصوا بتزوير الحقائق وقلبها ، وهُم همُ على مدار الزَّمان ، وكأنَّهم : " تواصوا به " ، لكن للحق رجال ، استعملهم الله تعالى لكشف تزويرهم وتدميرهم لكتب التُّراث الذي ما فتئوا يحاربونه ويناصبونه العداء ....

وقال الإمام الشَّوكاني (١٢٥٠هـ) في " الدُّر النَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد" (ص١٩-٢٠) : " التَّوسُّل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في حياته وبعد موته ، وفي حضرته ، ولا يخفاك أنه قد ثبت التَّوسُّل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته ، وثبت التَّوسُّل بغيره بعد موته بإجماع الصَّحابة إجماعاً سكوتيَّاً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسُّله بالعبَّاس ، رضي الله عنه . وعندي أنَّه لا وجه لتخصيص جواز التَّوسُّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما زعمه الشَّيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام لأمرين : الأوَّل : ما عرفناك به من إجماع الصَّحابة ، رضي الله عنهم . والثَّاني أنَّ التَّوسُّل إلى الله بأهل الفضل والعلم ، هو في التَّحقيق توسُّل بأعمالهم الصَّالحة ، ومزاياهم الفاضلة ، إذ لا يكون فاضلاً إلَّا بأعماله . وقال : ويتوسَّل إلى الله بأنبيائه والصَّالحين " .

وقال الإمام محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) : " ومنه الدُّعاء الوارد إذا تفلت القرآن عزاه السُّيوطي في أذكاره إلى الدَّيلمي في مسند الفردوس ، وابن حبَّان : " اللهمَّ إنِّي أسألك بمحمَّد نبيك ، وإبراهيم خليلك ، وموسى نجيّك ، وعيسى روحك وكلمتك .... " الحديث " . انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (١/ ٢٨٧) .

وقال الإمام الشَّوكاني : " وأحسن الختام بجاه محمَّد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الملك العلَّام " . انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/ ٢٩٤٩) .

وقال الإمام الشَّوكاني : " وفقنا الله تعالى إلى سلوك سبيل السَّلام وأصلح لنا النيَّات ، وأحسن الختام بجاه محمَّد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الملك العلَّام " . انظر : الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٦/ ٢٩٦٧) .

وقال الإمام الشَّوكاني في " البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع" (١/ ٤٢٢) في ترجمة السيِّد علي بن إبراهيم بن محمَّد بن إسماعيل بن صَلَاح الْأَمِير :

فَعَسَى ربِّي بجاه الْمُصْطَفى   يذهب الدَّاء فتزول الْغصَص

وقال في " البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع" (١٥/٢) : " وَلَا زَالَت الْعِنَايَة الربَّانيَّة لَهُ مُلَاحظَة والكلاية الصَّمدانيَّة عَلَيْهِ حافظة آمين ، بجاه سيِّد الْمُرْسلين " .

وقال في " البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع" (١٨/٢) ناقلاً عن الشَّريف غالب بن مساعد : " ... وعزيزنا الإِمَام ابْن الإِمَام أَمِير الْمُؤمنِينَ الْمَنْصُور بِاللَّه رب الْعَالمين ، أدام الله لَهُ الإقبال وبلغه ، بجاه جدِّه الآمال ... " .

وقال في " البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع" (٢٥٩/٢) ناقلاً عن يُوسُف باشا أمير المدينة المنوَّرة : " دمَّرهم الله وخذلهم ، بجاه محمَّد خير الْبَرِيَّة " .

وقال في " البدر الطَّالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع" (٣٦٤/٢) ناقلاً عن يُوسُف باشا أمير المدينة المنورة : " ... ودمتم سَالِمين بجاه محمَّد الْأمين آمين " .

وقال الإمام ابن عابدين ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) في " رد المحتار على الدُّر المختار" (٧٨/١) : " وَكَذَا يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ جَامِعُ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ رَاجِياً مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسِّلاً بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَماً وَفَضْلاً بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ " .

وقال في " رد المحتار على الدُّر المختار" (١١٩/٤) : " ... مَوْلَانَا عَبْدُ الْحَمِيدِ أَفَنْدِي كَجّه جى زَادَهْ الْقَاضِي سَابِقاً بِدِمَشْقَ الشَّامِ ، دَامَ فِي عِزٍّ وَإِنْعَامٍ ، وَمَجْدٍ وَاحْتِرَامٍ ، بِجَاهِ مَنْ هُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ خِتَامٌ ... " .

وجاء في تنقيح الفتاوى الحامدية للإمام ابن عابدين (٤١٧/٧) : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ – أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ – جَاءَ مِنْ الْجَرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ ، وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئاً كَثِيراً مِنْهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، اللهمَّ : اُقْتُلْ كِبَارَهَا ، وَأَمِتْ صِغَارَهَا ، وَأَفْسِدْ بِيضَهَا ، وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، بِجَاهِ النَّبي الْأَمِينِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ ... " .

وقال الإمام ابن عابدين: " ... يَقُولُ أَسِيرُ الذُّنُوبِ ، جَامِعُ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ رَاجِياً مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، مُتَوَسِّلاً بِنَبِيِّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِكُلِّ ذِي جَاهٍ عِنْدَهُ تَعَالَى ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِ كَرَماً وَفَضْلاً بِقَبُولِ هَذَا السَّعْيِ وَالنَّفْعِ بِهِ لِلْعِبَادِ ، فِي عَامَّةِ الْبِلَادِ ، وَبُلُوغِ الْمَرَامِ ، بِحُسْنِ الْخِتَامِ ، وَالِاخْتِتَامِ ، آمِينَ ". انظر : رد المحتار على الدر المختار (٧٨/١) .

وقال الإمام ابن عابدين : " وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ وَأَلْفٍ جَاءَ مِنْ الْجَرَادِ شَيْءٌ كَثِيرٌ بِدِمَشْقَ وَقَدْ قَتَلَ أَهْلُ دِمَشْقَ شَيْئاً كَثِيراً مِنْهُ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ اللَّهُمَّ: اُقْتُلْ كِبَارَهَا وَأَمِتْ صِغَارَهَا

وَأَفْسِدْ بِيضَهَا وَادْفَعْ شَرَّهَا عَنْ أَرْزَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِجَاهِ النَّبي الْأَمِينِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ " . انظر : العقود الدرية في تنقيح الفتاوىٰ الحامدية (٢/ ٣٢٩) .

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشّرواني (١٢٥٣هـ) في " نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشّجن" (ص١٤٢) : " وكتب إليّ الشَّيخ الفقيه العالم الفاضل اللوذعي عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي ببلدة كلكتة أبياتاً ، وهي هذه :

عسىٰ المولىٰ المهيمن ذو العطايا	يلمّ الشَّعث أنا كالفقـــــاع
ويجمعنا بمن نهوىٰ قريبــاً	فإنَّ القلب آذن بانصداع
بجاه المصطفىٰ طـــــــــه وآل	وصحب قد قفوهــــــم باتِّباع

وقال الإمام أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشَّرواني في " نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشّجن" (ص١٣٦) ناقلاً عن السيِّد الجليل المولوي ذو المقام السَّامي غلامي علي آزاد البلجرامي رحمه الله تعالىٰ :

سقىٰ الإله محلاً أنت ساكنــــه	ما أورق الغصن والوسمىٰ يرويه
بجاه خير الورىٰ يا ربّ أهد لـــــه	منَّا صلاة مدىٰ الأيام ترضيـــــــه

وألَّف الإمام محمَّد عابد بن أحمد بن عليّ السِّندي الأنصاري المدني الحنفي (١٢٥٧هـ) كتاباً سمَّاه : " جواز الاستغاثة والتَّوسُّل ". مخطوطة في خزانة الرباط ، أوَّل المجموعة ١١٤٣ ، كتاني .

وقال الإمام علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) : " ويجعله لنا ولهم سلّماً لجنّات نعيم ، بجاه أشرف خلقه سيِّدنا محمَّد عليه أفضل الصَّلاة وأزكىٰ التَّسليم ". انظر : أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد (ص٣٢٩) .

وقال الإمام علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي في " أجوبة التّسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد" (ص٣٤١) : " ... فنطلب من سيِّدنا – نصره الله – أنّ يلتزم لنا بفضله من هذه البيعة القبول ، مستشفعين بجاه جدِّه الرسول- صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الطيِّبين وصحابته المنتخبين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين " .

وقال في " البهجة في شرح التُّحفة (شرح تحفة الحكام)" (٢/ ٧٠٦) : " ... وَأَن يَجعله خَالِصاً لوجهه الْكَرِيم مُوجبا للخلود مَعَ الْأَحِبَّة وَالْمُسْلِمين فِي جنَّة النَّعيم بجاه عين الرَّحْمَة الْوَاسِطَة في كلِّ نعمه سيِّدنا محمَّد الْمُصْطَفىٰ الْكَرِيم " .

وقال الإمام الألوسي (١٢٧٠هـ) في "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني" (١/ ٨٥) : " ... اللهمَّ اجعلنا سعداء الدَّارين ، بحرمة سيِّد الثَّقلين صلَّىٰ الله تعالىٰ عليه وسلَّم " .

وقال الإمام الألوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني" (٣/ ٢٩٧) : " وهذا الذي ذكرته إنَّما هو لدفع الحرج عن النَّاس والفرار من دعوىٰ تضليلهم - كما يزعمه البعض - في التَّوسُّل بجاه عريض الجاه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا للميل إلىٰ أنَّ الدُّعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصدحت بها ألسنة السُّنَّة ، فإنَّه لا يستريب منصف في أنَّ ما علمه الله تعالىٰ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرج عليه الصَّحابة الكرام رضي الله تعالىٰ عنهم وتلقَّاه من بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم ، فقد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً .

بقي هاهنا أمران ، الأوَّل : أنَّ التَّوسُّل بجاه غير النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بأس به أيضاً إن كان المتوسِّل بجاهه مما علم أنَّ له جاهاً عند الله تعالىٰ كالمقطوع بصلاحه وولايته ... " .

وقال الإمام الآلوسي في " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني" (٦/ ١٢٨) : " ... وبعد هذا كله أنا لا أرىٰ بأساً في التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه النَّبي صلَّىٰ الله عليه و سلَّم عند الله تعالىٰ حيَّاً وميتاً ، ويراد من الجاه معنىٰ يرجع إلىٰ صفة من صفاته تعالىٰ ، مثل : أن يُراد به المحبَّة التَّامَّة المستدعية عدم ردِّه ، وقبول شفاعته ، فيكون معنىٰ قول القائل : إلهي أتوسَّل بجاه نبيِّك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقضىٰ لي حاجتي : إلهي اجعل محبَّتك له وسيلة في قضاء حاجتي ولا فرق بين هذا وقولك : إلهي أتوسَّل برحمتك أن تفعل كذا ، إذ معناه أيضاً : إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا ، بل لا أرىٰ بأساً أيضاً بالإقسام علىٰ الله تعالىٰ بجاهه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعنىٰ ، والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه ... " .

وقال شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بك بن السيِّد إبراهيم عصمت بك بن إسماعيل رائف باشا الحسيني الحنفي (١٢٧٥هـ) في تقريظ له : " فأيِّد اللهمَّ هذا السُّلطان الرَّحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم السَّليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنَّصر علىٰ الأعداء والمشركين ، بجاه سيِّد المرسلين ، وخاتم النَّبيين ، عليه وعلىٰ آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٤٦)

.

وألَّف الإمام أحمد سعيد الفاروقي السَّرهـندي النَّقشبندي (١٢٧٧هـ) كتاباً في هذا الباب سمَّاه : " الحقُّ المبين في الرَّدِّ علىٰ الوهـابيِّين " .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) : " ... ونسأل الله حسن الختام ، بجاه سيِّد الكائنات عليه وعلى آله وصحابته وأتباعهم أتم الصَّلاة والسَّلام ، آمين " . انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٢٩) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني: " نفعنا الله به وبعلومه ، وأعاد علينا من أنوار وأسرار منطوقه ومفهومه بجاه نبيِّه النَّبي الأعظم أبى القاسم – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حقَّ قَدْرِه ومقدارِه، فهو الفاتح الخاتم" . انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٣٤) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني : " ولا ريب أنَّ هذا المؤلَّف من الآلآء على كلِّ مصنَّف ، فاض العَذَارَى الحسان ، ولاسيما من مخدّرات اللسان ، جامع أشتاته ومرجع رفاته ، لا زال فينا وهو نصر لدولة فرائده الجوهريَّة ، ذابّ جموع المعنتين عنها بأقلامه السَّمْهريَّة ، بجاه المصطفى وآله الكرام عليهم أكمل الصَّلاة والسَّلام " . انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٣٧) .

وقال الإمام نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني: " فأبقى الله مؤلفَه أبا الوفا ، وأدامه ممر الجديدين مجتنى ثمر الصّفا ، ولا برح متمكِّناً من الآداب تمكُّنَ من حَسُن له فيها مبتدأ وخبر ، وزاد بيانه سحراً حتى يقال هذه ثغور الغوانى إذا نَظم ، وهذه نجوم الدَّرارى إذا نَثَر ، بجاه خير الأنام ، خاتم رسل الله عليه أفضل الصَّلاة وأتمّ السَّلام" . انظر : المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ (ص٤٤٣) .

وقال الإمام عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) داعياً : "وصلِّ وسلَّم على سيِّدنا محمَّد ، فإنه أقرب من يُتَوسل به إليك ، والمأمول منك القبول " . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٤) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) : " فَلَعَلَّ اللَّهَ بِأَنْفَاسِكُمْ يُلْهِمُ لِطَرِيقِ الصَّوَابِ بِجَاهِ النَّبِي الْأَوَّابِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (١/ ١٠٩) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش المالكي : " وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَتَوَلَّى هُدَانَا وَإِيَّاهُ بِجَاهِ خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. " . انظر : فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (٢/ ٢٩٨) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش المالكي : " اللهمَّ أَرِنَا الْحَقَّ فَنَتَّبِعَهُ وَالْبَاطِلَ بَاطِلاً فَنَجْتَنِبَهُ وَنَسْأَلُك بِجَاهِ سيِّدنا وَمَوْلَانَا محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ تَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ " . انظر : فتح العلي المالك في الفتوىٰ علىٰ مذهب الإمام مالك (٢/ ٣١٤) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش المالكي : " وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ التَّوْفِيقَ لِلصَّوَابِ ، وَأَنْ يَسْلُكَ بِنَا الزُّلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ، بِجَاهِ سيِّدنا محمَّد – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَلَىٰ آلِهِ وَالْأَصْحَابِ " . انظر : منح الجليل شرح مختصر خليل (٧/ ٤١٦) .

وألَّف الإمام داود بن سليمان النقشبندي البغدادي الحنفي (١٢٩٩هـ) كتاباً في الردِّ علىٰ مُدَّعي الَّسلفيَّة سمَّاه : " صلح الإخوان في الرَّدِّ علىٰ من قال علىٰ المسلمين بالشِّرك والكفران " . وألَّف كتاباً ثانياً سمَّاه : " التُّحفة الوهبيَّة في الرَّدِّ علىٰ الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام عبد الحميد المكي الشَّرواني (١٣٠١هـ) : " خَاتِمَةٌ : سُئِلَ الشَّيخ عِزُّ الدِّين : هَلْ يُكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ بِعَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ كَالنَّبِيِّ وَالْمَلَكِ وَالْوَلِيِّ ، فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَاءَ عَنْ النَّبي – صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ عَلَّمَ بَعْضَ النَّاس : اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك بِنَبِيِّك محمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إلَخْ ، فَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَقْصُوراً عَلَيْهِ – عَلَيْهِ الصَّلاة والسَّلام – لِأَنَّهُ سيِّد وَلَدِ آدَمَ وَلَا يُقْسِمُ عَلَىٰ اللَّهِ بِغَيْرِهِ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ ، لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي دَرَجَتِهِ ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ خَوَاصِّهِ اهـ . وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُغْنِي وَفِي ع ش بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ الشَّيخ عِزِّ الدِّين مَا نَصُّهُ : فَإِنْ قُلْت : هَذَا قَدْ يُعَارِضُ مَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرْحِهَا لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ : وَالْأَفْضَلُ اسْتِسْقَاؤُهُمْ بِالْأَتْقِيَاءِ ، لِأَنَّ دُعَاءَهُمْ أَرْجَىٰ لِلْإِجَابَةِ إلَخْ . قُلْت : لَا تَعَارُضَ لِجَوَازِ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الْعِزُّ مَفْرُوضٌ فِيمَا لَوْ سَأَلَ بِذَلِكَ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِلْزَامِ ، كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عَلَيْك إلَخْ . وَمَا فِي الْبَهْجَةِ وَشَرْحِهَا مُصَوَّرٌ بِمَا إذَا وَرَدَ عَلَىٰ صُورَةِ الِاسْتِشْفَاعِ وَالسُّؤَالِ مِثْلَ : أَسْأَلُك بِبَرَكَةِ فُلَانٍ أَوْ بِحُرْمَتِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ". انظر : حواشي الشرواني علىٰ تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٢/ ١٠٨) .

وقال الإمام عبد الحميد الشّرواني : " ... وأسأله تعالىٰ الإعانة علىٰ الإتمام بجاه محمَّد سيِّد الأنام ، وهو حسبي ونعم الوكيل ... " . انظر : حواشي الشرواني علىٰ تحفة المحتاج بشرح المنهاج (٦/ ٣٨١) .

وألَّف الإمام السيِّد أحمد بن زيني دحلان ، مفتي مكَّة الشَّافعي (١٣٠٤هـ) كتاباً سمَّاه : " الدُّرر السَّنيَّة في الرَّدِّ علىٰ الوهَّابيَّة " .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) في "التَّاج المكلَّل من جواهر مآثر الطِّراز الآخر والأوَّل" (ص١٦٩) : " فجزاه الله عنا وعن سائر

المسلمين جزاء حسناً ، وأفاض علينا من أنواره ، وكسانا من حلل أسراره ، وسقانا من حُمَيَّا شرابه ، وحشرنا في زمرة أحبابه ، بجاه سيِّد أصفيائه ، وخاتم أنبيائه – صلَّى الله عليه ، وعليهم وسلَّم ، وشرف وكرم وعظم " .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي في " يقظة أولي الاعتبار ممَّا ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار" (ص١٢٤) : " وفي التَّنْزِيل وقنا عَذَاب السّمُوم يُرِيد النَّار أجارنا الله مِنْهَا بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآله " . انظر : يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار (ص١٢٤) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي في " التَّاج المكلَّل من جواهر مآثر الطِّراز الآخر والأوَّل" (ص٥٤١) : " فنزَّهْتُ عيونَ أملي في روضةٍ ذاتِ أنوار ، وعلمت – وهي من رياض الجنَّة – أنِّي لا أدخل بعدَها النار ، وأنا الآن منتظر لألطاف ربي ، وهو في كلِّ الأمور حسبي ، أن يعدني لجواره ، واجتلاء نور حبيبه ومختاره ، به إليه متوسِّلاً ، وفي نيل رجائي متوكِّلاً " .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي في " يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النَّار وأصحاب النَّار" (ص١٢٤) : ﴿**وَقِنَا عَذَابَ السَّمُومِ**﴾ [الطور : ٢٧] ، يُرِيد : النَّار ، أجارنا الله مِنْهَا بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآله " .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي في " نيل المرام من تفسير آيات الأحكام" (ص٧) : " ... صانها الله وإيَّانا عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه نبيِّه المصطفى خير البريَّة صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه كلَّ بكرة وعشيَّة " .

وقال أبو الطيِّب محمَّد صديق خان البخاري القِنَّوجي في " أبجد العلوم" (ص٧٣٠) : " ... صانها الله وإيَّانا عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه نبيِّه المصطفى خير البريَّة صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه كلّ بكرة وعشيَّة " .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان القِنَّوجي : " ... صانها الله وأهلها عن كلِّ رزيَّة وبليَّة ، بجاه عريض الجاه سيِّدنا محمَّد خير البريَّة ، صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين " . انظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص٥٢٤) .

وقال الإمام أبو الطيِّب محمَّد صديق خان القِنَّوجي في " البلغة إلىٰ أصول اللغة" (ص٢٥٣) : " صانها الله وأهليها عن كل نازلة وبليَّة بجاه محمَّد خير البريَّة ، وصلَّىٰ الله تعالىٰ وسلَّم عليه وعلىٰ آله وصحبه أولي الشِّيم الرَّضيَّة " .

وقال الإمام أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدّمياطي (١٣١٠هـ) : " ... رزقنا الله الإخلاص والنَّجاة حين لا مناص ، وجعلنا من عباده الصَّالحين ، بجاه سيِّدنا محمَّد أفضل الخلق أجمعين ". انظر : إعانة الطالبين علىٰ حل ألفاظ فتح المعين ، (١/ ١٥٢) ، وانظر : (١/ ٢٠٠) ، ، (١/ ٣١٣) ، (٢/ ٧٨) ، ، (٢/ ١٠٧) ، (٢/ ١٦٤) ، (٢/ ٤٢٢) ، (٣/ ١٨٣) ، (٤/ ١٦٠) ، (٤/ ٣٨٧) ، (٤/ ٣٩٢) ، (٤/ ٣٩٢) .

وقال الإمام محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولِّي (١٣١٣هـ) : " و توسُّلاً بمحمَّد المجتبي لمناجاة حضرة قدسه ، وتوجُّهاً بأحمد المنتقي من هذا العالم جنِّه وإنسه ، صلَّىٰ الله وسلَّم وعليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين لم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه " . انظر : إتحاف الأنام وإسعاف الأفهام في وقف حمزة وهشام ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي ، (ص١) ، مخطوط بمكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز الجامعية (٣٥٥) .

وقال الإمام شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد النَّاصري الدّرعي الجعفري السّلاوي (١٣١٥هـ) : " وَفِي سنة إِحْدَىٰ وَسِتِّينَ وَخَمْسمِائَة توفّي الشَّيخ أَبُو شُعَيْب أَيُّوب بن سعيد الصّنهاجي الملقَّب بِسَارِيَة ... كنت زرت ضريح هَذَا الشَّيخ سنة ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ وَألف ومدحته بقصيدة سلكت فِيهَا مَسْلَك الأدباء من النّسَب وَغَيره وأنشدتها عِنْد ضريحه فَرَأَيت لَهَا بركَة وَالْحَمْد لله فَأَحْبَبْت أَن أذكرها هُنَا وَهِي هَذِه ...

سقىٰ ضريحك غيث مَا يزَال بِــهِ — بُسْتَان أنسك وَهُوَ مُورق الفنن
بجـــــاه أفضل خلق الله كلّهم — محمَّد ذِي المزايـــا الغر والمنن
عَلَيْهِ أزكــىٰ صَلَاة الله مَـا تليت — صحف وَمَا نسج القريض ذُو لسن
والآل والصَّحب والأزواج قاطبـة — وَمن قفا نهجهم في كلِّ مَا زمـــــــن

وألَّف الإمام محمَّد النافلاتي الحنفي مفتي القدس الشَّريف (كان حيَّاً سنة ١٣١٥هـ) في هذا الباب كتاباً سمَّاه : " التَّحريرات الرَّائقة " .

انظر : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصىٰ (٢/ ٢٠٨-٢٠٩) ، وانظر : (٣/ ٢٩) ، (٣/ ٢٩) .

وقال الإمام محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التناري بلداً (١٣١٦هـ) : " اللهمَّ أجرنا وَأجر والدُّينا من النَّار بجاه النَّبي الْمُخْتَار ، وأدخلنا الْجنَّة مَعَ الْأَبْرَار ، بِفَضْلِك وكرمك يَا عَزِيز يَا غفَّار " . انظر : نهاية الزين في إرشاد المبتدئين (ص٧٧) .

وألَّف الإمام عبد الله القدومي الحنبلي النَّابلسي ، عالم الحنابلة بالحجاز والشَّام (١٣٣١هـ) رسالة في الرَّدِّ علىٰ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، ردَّ عليه في مسئلة الزِّيارة ومسئلة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين ، وقد ذكر ذلك في رسالته " الرِّحلة الحجازيَّة والرِّياض الأنسية في الحوادث والمسائل .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) : " ... رحمهم الله أجمعين، وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيِّد المرسلين " . انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص١٦١٦) .

وقال الإمام عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي : " نسأل الله حسن الأحوال ، بجاه سيِّدنا محمَّد والصَّحب والآل ". انظر : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (ص٦٨٣) ، وانظر : (ص٣٣) ، (ص١٤٦) ، (١٩٦) ، (ص٢٥٥) ، (ص١٣٠٢) ، (ص١٥١٣) ، (ص١٦١٥) .

وألَّف الإمام محمَّد بن محمَّد مصطفىٰ المشرفي الإغريسي (١٣٣٤هـ) كتاباً سمَّاه : " إظهار العقوق في الردِّ علىٰ منع التَّوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بالنَّبي والولي الصَّدوق " .

وألَّف الإمام مختار بن أحمد المؤيد العظمي (١٣٤٠هـ) كتاباً بعنوان : " جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتَّوسُّل بجاه خير الأنام عليه الصَّلاة والسَّلام " ، وقد ردَّ فيه علىٰ كتاب ابن تيمية المسمَّىٰ : " رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام " .

وقال الإمام أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثَّناء الألوسي (١٣٤٢هـ) : " أعاذنا الله تعالىٰ من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النَّكد ، بمحمَّد وآله الطَّاهرين " . انظر : غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني (٢/ ٢٥٤) .

وألَّف الإمام مصطفىٰ الكريمي ابن الشَّيخ ابراهيم السيامي كتاباً بعنوان : " رسالة السنيِّين في الرَّدِّ علىٰ المبتدعين الوهَّابيِّين والمستوهبين .

وألَّف الإمام محمَّد حسن صاحب السَّرهندي ، المجدِّدي (١٣٤٦هـ) كتاباً في هذا الباب سمَّاه : " الأصول الأربعة في ترديد الوهَّابيَّة " .

وألَّف الإمام المفتي مصطفىٰ بن أحمد الشطي الحنبلي الدِّمشقي (١٣٤٨هـ) كتاباً في هذه المسألة بعنوان : " النُّقول الشَّرعيَّة " .

وجاء في دليل الحيران علىٰ مورد الظمآن لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) :

عسىٰ برشدهم به أن أرشدا ... من ظلم الذّنب إلىٰ نور الهدىٰ

بجـــاه سيِّد الورىٰ الشَّفيـــــع ... محمَّد ذي المحتد الرَّفيــــــــع

انظر : دليل الحيران علىٰ مورد الظمآن (ص٣٤١) ، وانظر : (ص٣٤٢) ، (ص٤٤٥) .

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (١٣٥٠هـ) : " وأسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعل هذا الكتاب من أفضل الحسنات الجاري نفعها في الحياة وبعد الممات ، بجاه نبيّه سيِّد الرُّسل الكرام ، عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام " . انظر : وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرَّسُول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (ص٣٦) .

وقال الإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني : " ... يصاحبنا في الدُّنيا ، ويلازمنا في البرزخ ، ولا يفارقنا يوم الدِّين ؛ بجاه خير الوسائل إليه ، وأقرب المقرّبين لديه ، حبيبه الأكرم ، ورسولـــه الأعظم : سيِّدنا محمَّد سيِّد المرسلين صلَّىٰ الله عليه وعليهم ، وعلىٰ آلهم وأصحابهم الكرام " . انظر : وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرَّسُول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (١/ ٣٩٦) .

وللإمام يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني كتاب في الموضوع سمَّاه : " شواهد الحق في التَّوسُّل بسيِّد الخلق " مطبوع .

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفىٰ البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) وهو يتحدَّث عن مسجد " سيتا " : " داخل باب الفرج علىٰ يسرة الدَّاخل منه وهو مسجد عامر له منارة جميلة الصَّنعة جداً ... مكتوب علىٰ دائر موقف المؤذن تحت الدرابزون (أنشأ هذه المنارة المباركة فقير عفو الله راجي رحمة الله مستجير من عذاب القبر والنَّار متوسِّلا بسيِّد المرسلين أن يمن عليه بالتَّوبة قبل الموت ويثبته علىٰ كلمة التَّوحيد والإيمان في الدُّنيا والآخرة تحت رحمة الله محمَّد بن عبد الله القاري وذلك في اليوم التَّاسع من شهر شعبان المعظم قدره سنة (٧٥١) من الهجرة النَّبويَّة علىٰ صاحبها أفضل التَّحيَّة) ، ومكتوب علىٰ زنار هذه المنارة الأوَّل (أنشأ هذه المنارة المباركة العبد الفقير إلىٰ مولاه القدير

المقر بالعجز والتَّقصير محمَّد بن عبد الله متوسِّلا بسيِّد المرسلين وشفيع المذنبين أن يكون خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز بجنات النعيم " . انظر : نهر الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٦٢) .

وقال الإمام كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفى البالي الحلبي، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) : " ... ودام اقتداره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " ... خلَّد الله ملكه ، وأعزَّ أنصاره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " ... أعزَّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره بمحمَّد وآله " .

وقال أيضاً : " ... خلّد الله ملكه ، وأدام اقتداره بمحمَّد وآله " . انظر : نهر الذهب في تاريخ حلب (٢/ ١٩) ، (٢/ ٨٠) ، (٢/ ٢٨٤) ، (٣/ ١٨٤) .

وألَّف الإمام مفتي الدِّيار المصريَّة محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) كتاباً بعنوان التَّوسُّل ...

وقال مفتي الدِّيار المصريَّة محمَّد بخيت المطيعي الحنفي في تقريظه لكتاب " فهرس الفهارس " : " ... أحسن الجزاء ، وأدام النَّفع به وحفظه من الأسواء ، بجاه من هو للأنبياء ختام ، عليه الصَّلاة والسَّلام " . انظر : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٢/ ١١٧٢) .

وألَّف الإمام مصطفى بن أحمد الشَّطِّي الحنبلي الدِّمشقي ، رسالة النقول الشَّرعيَّة في الرد على الوهَّابيَّة ، ذكرها الإمام يوسف النَّبهاني ...

وقال الإمام محمَّد سعيد رمضان البوطي : " وإذا علمت أنَّ التَّبرُّك بالشَّيء إنَّما هو طلب الخير بواسطته ووسيلته ، علمت أنَّ التَّوسُّل بآثار النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرٌ مندوبٌ إليه ومشروع ، فضلاً عن التَّوسُّل بذاته الشَّريفة ، وليس ثمَّة فرق بين أن يكون ذلك في حياته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعد وفاته ، فآثار النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضلاته لا تتَّصف بالحياة مطلقاً ، سواء تعلَّق التَّبرُّك والتَّوسُّل بها في حياته أو بعد وفاته ، ولقد توسَّل الصَّحابة بشعراته من بعد وفاته ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري في باب شيب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومع ذلك فقد ضلَّ أقوام لم تشعر أفئدتهم بمحبَّة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وراحوا يستنكرون التَّوسُّل بذاته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ، بحجَّة أنَّ تأثير النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطع بوفاته ، فالتوسُّل به إنَّما هو توسُّل لا بشيء تأثير له البتة . وهذه حجَّة تدلُّ على جهل عجيب جداً ، فهل ثبت لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأثير ذاتي في الأشياء في حال حياته حتى نبحث عن مصير هذا التأثير

بعد وفاته ؟ إنَّ أحداً من المسلمين لا يستطيع أن ينسب أي تأثير ذاتي في الأشياء لغير الواحد الأحد ، ومن اعتقد خلاف ذلك يكفر بإجماع المسلمين كلهم ... فمناط التبرُّك والتَّوسُّل به أو بآثاره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، وإنَّما المناط كونه أفضل الخلائق عند الله علىٰ الإطلاق ، وكونه رحمة من الله للعباد ، فهو التَّوسُّل بقربه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ربه وبرحمته الكبرىٰ للخلق ، وبهذا المعنىٰ توسَّل الأعمىٰ به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يردَّ عليه بصره ، فردَّه الله عليه ، وبهذا المعنىٰ كان الصَّحابة يتوسَّلون بآثاره وفضلاته دون أن يجدوا منه أي إنكار . وقد مرَّ بيان استحباب الاستشفاع بأهل الصَّلاح والتَّقوىٰ وأهل بيت النُّبوَّة في الاستسقاء وغيره ، وأنَّ ذلك ممَّا أجمع عليه جمهور الأئمَّة والفقهاء بما فيهم الشَّوكاني ، وابن قدامة ، والصَّنعاني ، وغيرهم . والفرق بعد هذا بين حياته وموته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلط عجيب وغريب في البحث لا مسوِّغ له " . انظر : فقه السيرة (ص٣٢٦)

وفي الختام أورد الآن بعض من ذكروا في مصنَّفاتهم نُقل عنهم التَّوسُّل أو نقلوه مقرِّين وعاملين به ، ومن الذين نقلنا عنهم القول بالتَّوسُّل واعتقاده ونقله من غير نكير :

أبو عبيدة عامر بن الجراح (١٨هـ) ، عياض بن غنم ابن زهير بن أبي شدَّاد ، أبو سعد الفهري (٢٠هـ) ، عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ (٨٦هـ) ، سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) ، عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب بن سليمان بن هارون السّلمي الإلبيري القرطبي ، أبو مروان (٢٣٨هـ) ، أبو عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشَّيباني (٢٤١هـ) ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري (٢٧٦هـ) ، أبو بكر عبد الله بن محمَّد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدُّنيا (٢٨١هـ) ، وقال الإمام أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، أبو بكر أحمد بن مروان الدَّينوري المالكي (٣٣٣هـ) ، محمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ، التَّميمي ، أبو حاتم ، الدَّارمي ، البُستي (٣٥٤هـ) ، أبو الليث نصر بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم السَّمرقندي (٣٧٣هـ) ، أبو بكر محمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (٣٨٠هـ) ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (٣٨٥هـ) ، أبو حيَّان التَّوحيدي ، علي بن محمَّد بن العبَّاس (٤٠٠هـ) ، أبو عبد الله الحاكم محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطّهماني النَّيسابوري المعروف بابن البيع (٤٠٥هـ) ، منصور بن الحسين الرَّازي ، أبو سعد

الآبى (٤٢١هـ) ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (٤٣٠هـ) ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البر بن عاصم النّمري القرطبي (٤٦٣هـ) ، أبو معين الدِّين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي (٤٨١هـ) ، أبو القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالرَّاغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي الطُّوسي (٥٠٥هـ) ، شيرويه بن شهردار بن شيرو يه بن فناخسرو ، أبو شجاع الدّيلميّ الهمذاني (٥٠٩هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفطسي الطّرابلسي (المتوفىٰ بعد ٥١٥هـ) ، أبو محمَّد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) ، أبو الحسين ابن أبي يعلىٰ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، القاضي أبي الحسين ابن أبي يعلىٰ ، محمَّد بن محمَّد (٥٢٦هـ) ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ) ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨هـ) ، عبد الحق بن عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي ، الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بابن الخرَّاط (٥٨١هـ) ، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد الجوزي (٥٩٧هـ) ، عماد الدِّين الكاتب الأصبهاني ، محمَّد بن محمَّد صفي الدِّين بن نفيس الدِّين حامد ، أبو عبد الله (٥٩٧هـ) ، علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، أبو الحسن (٦١١هـ) ، شَرَفُ الدِّين ، عَلِيُّ بنُ المُفَضَّلِ بنِ عَلِيِّ بنِ مُفَرِّجِ بنِ حَاتِمِ بنِ حَسَنِ بنِ جَعْفَرٍ المَقْدِسِيّ (٦١١هـ) ، ابن جبير ، محمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، أبو الحسين (٦١٤هـ) ، موفق الدِّين أبو محمَّد بن عبد الرَّحمن ، ابن الشَّيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشَّارعي الشَّافعي (٦١٥هـ) ، نصير الدِّين محمَّد بن عبد الله السَّامري الحنبلي (٦١٦هـ) ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد جلال الدِّين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السَّعدي المالكي (٦١٦هـ) ، أبو محمَّد موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن محمَّد ، الشَّهير بابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ، عبد الكريم بن محمَّد بن عبد الكريم ، أبو القاسم الرَّافعي القزويني (٦٢٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومي الحموي (٦٢٦هـ) ، علي بن محمَّد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي ، أبو الحسن ابن القطَّان (٦٢٨هـ) ، محمَّد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع ، أبو بكر ، معين الدِّين ، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (٦٢٩هـ) ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجزري ، عز الدِّين ابن الأثير (٦٣٠هـ) ، سليمان بن موسىٰ الكلاعي ، أبو الرَّبيع (٦٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن سعيد ابن الدّبيثي (٦٣٧هـ) ، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب

اللخمي الإِربلي ، المعروف بابن المستوفي (٦٣٧هـ) ، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو ، تقي الدِّين المعروف بابن الصَّلاح (٦٤٣هـ) ، محمَّد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، أبو عبد الله ، أفضل الدِّين (٦٤٦هـ) ، عبد الْعَظِيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سَلامَة الْحَافِظ زكي الدِّين أَبُو محمَّد المنذري القيرواني ثمَّ المصري الشَّافعي (٦٥٦هـ) ، ابن الأبار ، محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (٦٥٨هـ) ، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، كمال الدِّين ابن العديم (٦٦٠هـ) ، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدِّين ، أبو العبَّاس ابن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدِّين القرطبي (٦٧١هـ) ، ابن الحداد محمَّد بن منصور بن حبيش (المتوفى بعد ٦٧٣هـ) ، أبو زكريَّا محيي الدِّين يحيى بن شرف النَّووي (٦٧٦هـ) ، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلّكان البرمكي الإربلي (٦٨١هـ) ، عفيف الدِّين اليافعي الشَّافعي (٦٨٣هـ) ، أبو العبَّاس ، أحمد بن عبد الله بن محمَّد ، محب الدِّين الطَّبري (٦٩٤هـ) ، محب الدِّين أحمد بن عبد الله الطَّبري (٦٩٤هـ) ، شرف الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن سعيد البوصيري (٦٩٦هـ) ، محمَّد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري الرّويفعى الإفريقى (٧١١هـ) ، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطُّوفي الصّرصري ، أبو الرَّبيع ، نجم الدِّين الطُّوفي (٧١٦هـ) ، الإمام عماد الدِّين بن العطَّار (٧٢٤هـ) ، الشَّمْس كَمَال الدِّين الزّملكاني محمَّد بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشَّيخ الإِمَام العلَّامة الْمُفْتِي قَاضِي الْقُضَاة ذُو الْفُنُون جمال الْإِسْلَام كَمَال الدِّين أَبُو الْمَعَالِي ابْن الزّملكاني الْأَنْصَارِيّ السّماكي الدِّمشقي كَبِير الشَّافِعِيَّة (٧٢٧هـ) ، محمَّد بن يوسف بن يعقوب ، أبو عبد الله ، بهاء الدِّين الجُنْدي اليمني (٧٣٢هـ) ، أحمد بن عبد الوهَّاب بن محمَّد بن عبد الدَّائم القرشي التَّيمي البكري ، شهاب الدِّين النّويري (٧٣٣هـ) ، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدِّين الفاكهاني (٧٣٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن محمَّد العبدري الفاسي المالكي الشَّهير بابن الحاج (٧٣٧هـ) ، أبو القاسم ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن عبد الله ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ) ، يوسف بن عبد الرَّحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدِّين ابن الزكي أبي محمَّد القضاعي الكلبي المزِّي (٧٤٢هـ) ، عثمان بن علي بن محجن البارعي ، فخر الدِّين الزَّيلعي الحنفي (٧٤٣هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدِّمشقي الحنبلي (٧٤٤هـ) ، تقي الدِّين أبو الفتح السُّبكي (٧٤٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن علي بن همام أبو الفتح ، تقيّ الدِّين ، المعروف بابن الإِمَام (٧٤٥هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبي (٧٤٨هـ) ، محمَّد بن إبراهيم بن

ساعد الأنصاري السّنجاري البخاري ، المعروف بابن الإكفاني (٧٤٩هـ) ، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله القرشي العدوي العمري ، شهاب الدِّين (٧٤٩هـ) ، تقي الدِّين أحمد بن محمَّد بن علي الأدمي (كان حياً قبل ٧٤٩هـ) ، عمر بن علي بن عمر القزويني ، أبو حفص ، سراج الدِّين (٧٥٠هـ) ، تقي اللدين علي بن عبد الكافي السُّبكي (٧٥٦هـ) ، إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم الطّرسوسي ، نجم الدِّين الحنفي (٧٥٨هـ) ، جمال الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن يوسف بن محمَّد الزَّيلعي (٧٦٢هـ) ، محمَّد بن مفلح بن محمَّد بن مفرج ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين المقدسي الرامينىٰ ثمَّ الصَّالحي الحنبلي (٧٦٣هـ) ، صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفدي (٧٦٤هـ) ، محمَّد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقَّب بصلاح الدِّين (٧٦٤هـ) ، شمس الدِّين أبو المحاسن محمَّد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدِّمشقي الشَّافعي (٧٦٥هـ) ، خالد بن عيسىٰ بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي ، أبو البقاء (المتوفىٰ: بعد ٧٦٧هـ) ، الإمام أبو محمَّد عفيف الدِّين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي ثمَّ الحموي ، أبو العبَّاس (٧٧٠هـ) ، تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، أبو حامد ، بهاء الدِّين السُّبكي (٧٧٣هـ) ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدِّمشقي (٧٧٤هـ) ، عبد القادر بن محمَّد بن نصر الله القرشي ، أبو محمَّد ، محيي الدِّين الحنفي (٧٧٥هـ) ، خليل بن إسحاق بن موسىٰ، ضياء الدِّين الجندي المالكي المصري (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الله بن سعيد السَّلماني اللوشي الأصل ، الغرناطي الأندلسي ، أبو عبد الله ، الشَّهير بلسان الدِّين ابن الخطيب (٧٧٦هـ) ، لسان الدِّين بن الخطيب ، محمَّد بن عبد الله (٧٧٦هـ) ، محمَّد بن عبد الرَّحمن بن عمر بن محمَّد بن عبد الله ، أبو حامد ، جمال الدِّين الحبيشي الوَصَابي الشَّافعي (٧٨٦هـ) ، علي بن محمَّد بن أحمد بن موسىٰ ابن مسعود ، أبو الحسن ابن ذي الوزارتين ، الخزاعي (٧٨٩هـ) ، سعد الدِّين التفتازاني الشَّافعي (٧٩١هـ) ، إبراهيم بن علي بن محمَّد ، ابن فرحون ، برهان الدِّين اليعمري (٧٩٩هـ) ، ابن الملقِّن سراج الدِّين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشَّافعي المصري (٨٠٤هـ) ، أبو الفضل زين الدِّين عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (٨٠٦هـ) ، كمال الدِّين ، محمَّد بن موسىٰ بن عيسىٰ بن علي الدَّمِيري أبو البقاء الشَّافعي (٨٠٨هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدِّين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) ، أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، أبو العبَّاس القسنطيني ، ابن قنفذ (٨١٠هـ) ، علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن ابن وهاس الخزرجي الزَّبيدي ، أبو الحسن موفق الدِّين (٨١٢هـ) ، أحمد بن علي بن أحمد

الفزاري القلقشندي ثمَّ القاهري (٨٢١هـ) ، تقي الدِّين أبي بكر الحصني الدِّمشقي الشَّافعي (٨٢٩هـ) ، محمَّد بن أحمد بن علي ، تقي الدِّين ، أبو الطيِّب المكي الحسني الفاسي (٨٣٢هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير ابن الجزري ، محمَّد بن محمَّد بن يوسف (٨٣٣هـ) ، ابن حجَّة الحموي ، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (٨٣٧هـ) ، محمَّد بن عبد الله أبي بكر بن محمَّد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدِّمشقي الشَّافعي ، شمس الدِّين ، الشَّهير بابن ناصر الدِّين (٨٤٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن عمار بن محمَّد بن أحمد المصري المالكي المعروف بابن عمار (٨٤٤هـ) ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العبَّاس الحسيني العبيدي ، تقي الدِّين المقريزي (٨٤٥هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن عَليّ بن أبي بكر بن عَليّ بن محمَّد بن أبي بكر اٌبن عبد الله بن عمر بن عبد الرَّحمن بن عبد الله أَبُو محمَّد النَّاشِرِيّ (٨٤٨هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن كميل المنصوري الشَّافعي (٨٤٨هـ) ، أبو بكر بن أحمد بن محمَّد بن عمر بن قاضي شهبة (٨٥١هـ) ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشَّافعي (٨٥٢هـ) ، شهاب الدِّين محمَّد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (٨٥٢هـ) ، لأبي العبَّاس أحمد بن يحي الوانشريسي المالكي (٨٥٤هـ) ، أبو محمَّد محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدِّين العيني (٨٥٥هـ) ، كمال الدِّين محمَّد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (٨٦١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد ، أبو الفضل تقي الدِّين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثمَّ المكيّ الشَّافعي (٨٧١هـ) ، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظَّاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدِّين (٨٧٤هـ) ، أحمد بن إبراهيم بن محمَّد بن خليل ، موفق الدِّين ، أبو ذر سبط ابن العجمي (٨٨٤هـ) ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (٨٨٥هـ) ، علاء الدِّين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الصَّالحي الحنبلي (٨٨٥هـ) ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، زين الدِّين الزَّبيدي (٨٩٣هـ) ، عبد الرَّحمن بن عبد السَّلام الصفُّوري (٨٩٤هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن أحمد بن محمَّد بن عيسىٰ البرنسي الفاسي، المعروف بـ زروق (٨٩٩هـ) ، إبراهيم بن محمَّد بن محمود بن بدر ، برهان الدِّين ، أبو إسحاق الحلبي القبيباتي الشَّافعي النَّاجي (٩٠٠هـ) ، شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) ، الحسين بن صديق بن الأهدل (٩٠٣هـ) ، عبد الوهَّاب بن عبد الرَّحمن البريهي السَّكسكي اليمني (٩٠٤هـ) ، علي بن يوسف بن علي بن أحمد، علاء الدِّين الدِّمشقي العاتكي الشَّافعي الشَّهير بالبصروي (٩٠٥هـ) ، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصَّالحي ، جمال الدِّين ، ابن المِبْرَد الحنبلي (٩٠٩هـ) ، السُّيوطي (٩١١هـ) ، علي بن عبد الله بن أحمد

الحسني السَّمهودي (٩١١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد الغزال الدِّمشقي ، بدر الدِّين ، الشَّهير بسبط المارديني (٩١٢هـ) ، محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن ، أبو عبد الله ، شمس الدِّين الغزي ، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (٩١٨هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن علي بن غازي العثماني المكناسي (٩١٩هـ) ، زين الدِّين عبد الباسط بن أبي الصَّفاء غرس الدِّين خليل بن شاهين الظَّاهريّ الملطيّ ثمَّ القاهري الحنفيّ (٩٢٠هـ) ، إبراهيم بن موسىٰ بن أبي بكر ابن الشَّيخ علي الطَّرابلسي ، الحنفي (٩٢٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (٩٢٣هـ) ، زكريَّا بن محمَّد بن أحمد بن زكريَّا الأنصاري ، زين الدِّين أبو يحيىٰ السّنيكي (٩٢٦هـ) ، محمَّد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشَّافعي ، الشَّهير بـ " بَحْرَق " (٩٣٠هـ) ، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (٩٣٨هـ) ، علي بن خلف المنوفي المالكي المصري أبو الحسن المالكي (٩٣٩هـ) ، محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي (٩٤٢هـ) ، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (٩٥٤هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشَّافعي (٩٥٧هـ) ، موسىٰ بن أحمد بن موسىٰ بن سالم بن عيسىٰ بن سالم الحجاوي المقدسي ، ثمَّ الصالحي ، شرف الدِّين ، أبو النَّجا (٩٦٨هـ) ، طاش كبري زادة (٩٦٨هـ) ، زين الدِّين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري ، شهاب الدِّين شيخ الإسلام ، أبو العبَّاس (٩٧٣هـ) ، علاء الدِّين علي بن حسام الدِّين ابن قاضي خان القادري الشَّاذلي الهندي البرهانفوري ثمَّ المدني فالمكي الشَّهير بالمتَّقي الهندي (٩٧٥هـ) ، شمس الدِّين ، محمَّد بن أحمد الخطيب الشَّربيني الشَّافعي (٩٧٧هـ) ، عبد الباسط بن موسىٰ بن محمَّد بن إسماعيل العلموي ثمَّ الموقت الدِّمشقي الشَّافعي (٩٨١هـ) ، أحمد بن قاسم العبَّادي (٩٩٢هـ) ، شمس الدِّين محمَّد بن أبي العبَّاس أحمد بن حمزة شهاب الدِّين الرَّملي (١٠٠٤هـ) ، تقي الدِّين بن عبد القادر التَّميمي الدَّاري الغزي (١٠١٠هـ) ، أبو السَّعد زين الدِّين منصور بن أبي النصر بن محمَّد الطَّبَلاوي ، سبط ناصر الدِّين محمَّد بن سالم (١٠١٤هـ) ، علي بن سلطان محمَّد ، أبو الحسن نور الدِّين الملا الهروي القاري (١٠١٤هـ) ، زين الدِّين محمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدَّادي ثمَّ المناوي القاهري (١٠٣١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمَّد أقيت بن عمر بن علي بن يحيىٰ التَّكروري ، التَّنبكتي (١٠٣٦هـ) ، أبو المواهب بن محمَّد بن علي البكري الصدِّيقي المصري الشَّافعي (١٠٣٧هـ) ، محي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (١٠٣٨هـ) ، أبو محمَّد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن

عاشر الأنصاري ، المعروف بابن عاشر (١٠٤٠هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن أحمد بن يحيىٰ ، أبو العبَّاس المقري التِّلمساني (١٠٤١هـ) ، منصور بن يونس بن صلاح الدِّين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (١٠٥١هـ) ، محمَّد بن علان الصدِّيقي الشَّافعي (١٠٥٧هـ) ، مصطفىٰ بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) ، حسن بن عمار بن علي الشّرنبلالي المصري الحنفي (١٠٦٩هـ) ، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد بن عمر الخفَّاجي (١٠٦٩هـ) ، محمَّد أحمد الخطيب الشّوبري الشَّافعي (١٠٦٩هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد ميارة الفاسي (١٠٧٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن محمَّد بن سليمان المدعو بشيخي زاده ، يعرف بداماد أفندي (١٠٧٨هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد الحِصْني المعروف بعلاء الدِّين الحصكفي الحنفي (١٠٨٨هـ) ، عبد الحي بن أحمد بن محمَّد ابن العماد العَكري الحنبلي ، أبو الفلاح (١٠٨٩هـ) ، عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد البغدادي (١٠٩٣هـ) ، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الخرشي المالكي الخرشي (١١٠١هـ) ، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي ، نور الدِّين اليوسي (١١٠٢هـ) ، محمَّد أمين بن فضل الله بن محب الدِّين بن محمَّد المحبي (١١١١هـ) ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (١١١١هـ) ، أحمد بن محمَّد بن أحمد بن عبد الغني الدّمياطيّ ، شهاب الدِّين الشَّهير بالبناء (١١١٧هـ) ، علي بن أحمد بن محمَّد معصوم الحسني الحسيني ، الشَّهير بابن معصوم (١١١٩هـ) ، محمَّد بن عبد الباقي بن يوسف الزّرقاني المصري الأزهري (١١٢٢هـ) ، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولىٰ أبو الفداء (١١٢٧هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد البديري الحسيني ، الدّمياطيّ الأشعري الشَّافعي ، أبو حامد (١١٤٠هـ) ، محمَّد بن عيسىٰ بن محمود بن كنان الحنبلي (١١٥٣هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن مصطفىٰ بن عثمان ، أبو سعيد الخادمي الحنفي (١١٥٦هـ) ، إسماعيل بن محمَّد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدِّمشقي ، أبو الفداء (١١٦٢هـ) ، حسين بن محمَّد المحلي الشَّافعي المصري (١١٧٠هـ) ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح المنيني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن خليفة بن رزق الله بن عبد الواحد بن علي المساكني (١١٧٢هـ) ، أبو الحسن علي بن أحمد بن مكرم الصَّعيدي العدوي (١١٨٩هـ) ، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري ، المعروف بالجمل (١٢٠٤هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن الحسيني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضىٰ (١٢٠٥هـ) ، محمَّد خليل بن علي بن محمَّد بن محمَّد مراد الحسيني ، أبو الفضل (١٢٠٦هـ) ، أبو عبد الله الطالب محمَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (١٢١٩هـ) ، سليمان بن محمَّد بن عمر البجيرمي الشَّافعي (١٢٢١هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصُّوفي (١٢٢٤هـ) ، محمود بن

سعيد مقديش الملقَّب بأبي الثَّناء الصَّفاقسي (١٢٢٨هـ) ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل الطَّحطاوي الحنفي (١٢٣١هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن عبد القادر بن عبد العزيز السَّنَباوي الأزهري ، المعروف بالأمير (١٢٣٢هـ) ، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (١٢٣٧هـ) ، أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد الخلوتي ، الشَّهير بالصَّاوي المالكي (١٢٤١هـ) ، مصطفىٰ بن سعد بن عبده السُّيوطي شهرة ، الرّحيبانىٰ مولداً ثمَّ الدِّمشقي الحنبلي (١٢٤٣هـ) ، محمَّد بن علي بن محمَّد بن عبد الله الشَّوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) ، محمَّد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدِّمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) ، أحمد بن محمَّد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الشرواني (١٢٥٣هـ) ، علي بن عبد السَّلام بن علي ، أبو الحسن التُّسُولي المالكي (١٢٥٨هـ) ، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) ، نصر أبو الوفاء ابن الشَّيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمدي الأزهري الأشعري الحنفي الشَّافعي (١٢٩١هـ) ، عبد الغني الغنيمي الحنفي (١٢٩٨هـ) ، محمَّد بن أحمد بن محمَّد عليش ، أبو عبد الله المالكي (١٢٩٩هـ) ، عبد الحميد المكي الشّرواني (١٣٠١هـ) ، أبو الطيب محمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (١٣٠٧هـ) ، أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمَّد شطا الدمياطي (١٣١٠هـ) ، محمَّد بن أحمد بن عبدالله متولي (١٣١٣هـ) ، شهاب الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن خالد بن محمَّد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (١٣١٥هـ) ، محمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً ، التّناري بلداً (١٣١٦هـ) ، عبد الرزَّاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدِّمشقي (١٣٣٥هـ) ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمَّد بن أبي الثناء الألوسي (١٣٤٢هـ) ، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني التُّونسي المالكي (١٣٤٩هـ) ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَاني (١٣٥٠هـ) ، كامل بن حسين بن محمَّد بن مصطفىٰ البالي الحلبي ، الشَّهير بالغزي (١٣٥١هـ) ، محمَّد بخيت المطيعي الحنفي (١٣٥٤هـ) ، أبو عبد الله محمَّد المكي البطاوري (١٣٥٥هـ) ، أبو الفيض عبد الستَّار بن عبد الوهَّاب البكري الصدِّيقي المكي الحنفي (١٣٥٥هـ) ، الحسن بن محمَّد بن الغَسَّال الطّنجي (١٣٥٨هـ) ، محمَّد بن محمَّد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (١٣٦٠هـ) ، مصطفىٰ وهيب بن إبراهيم البارودي (١٣٦٢هـ) ، عبدالله بن محمَّد الغازي المكِّي الحنفي ، (١٣٦٥هـ) ، محمَّد زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) ، محمَّد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمَّد الحسني الإدريسي ، المعروف بعبد الحي الكتَّاني (١٣٨٢هـ) ، محمَّد عميم الإحسان المجددي البركتي (١٣٩٥هـ) ، عبد القادر بن ملّا حويش السيِّد محمود آل غازي العاني (١٣٩٨هـ) ، حسن بن محمَّد المشاط المالكي (١٣٩٩هـ) ، عبد السَّلام بن عبد القادر بن محمَّد بن عبد القادر بن الطَّالب بن محمَّد ابن سودة (١٤٠٠هـ) ،

محمَّد عبد الله عنان المؤرِّخ المصري (١٤٠٦هـ) ، علي بن مصطفىٰ الطَّنطاوي (١٤٢٠هـ) ، إحسان عبَّاس (١٤٢٤هـ) ، محمَّد بن علوي المالكي (١٤٢٥هـ) ، محمَّد إبراهيم محمَّد سالم (١٤٣٠هـ) ، أبو عبد الله محمَّد عبد القادر بن محمَّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشَّهير بالشَّيخ باي بلعالم (١٤٣٠هـ) ، محمَّد سيِّد طنطاوي (١٤٣١هـ) ، محمَّد سعيد رمضان البوطي (٢٠١٣م) ، بالإضافة إلىٰ أغلب دور الإفتاء في العالمين : العربي ، والإسلامي ... فما عسىٰ ابن باز وسائر من يزعمون السَّلفيَّة أن يقولوا ؟؟؟!!!!

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : " س : لقد سمعت منكم مؤخَّراً أنَّ المولد الشَّريف من المنكر والبدع ، وأودُّ أن أقول وأسأل هنا ، إنَّ في المولد الشَّريف يجتمع النَّاس علىٰ الأخوَّة والتَّقوىٰ ، وقراءة شيء من القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة ، وقراءة شيء من الشِّعر الذي قيل قديماً ، إمَّا بمدح الإسلام ، أو الرَّسُول العظيم ، وهذا كلُّ ما يحدث ، وليس في ذلك ما يعارض الشَّريعة الإسلاميَّة ، أرجو توضيح ذلك ، ولكم كلّ تقديري واحترامي ؟

ج : لا ريب أنَّ الاحتفال بالمولد النَّبوي علىٰ صاحبه أفضل الصَّلاة والسَّلام قد يقع فيه شيء ممَّا ذكره السَّائل بالنِّسبة لأهل العلم وأهل البصائر ، ولكن ينبغي أن يعلم أنَّنا عبيد مأمورون لا مشرِّعون ، علينا أن نمتثل أمر الله ، وعلينا أن ننفِّذ شريعة الله . وليس لنا أن نبتدع في ديننا ما لم يأذن به الله ، يجب أن نعلم هذا جيِّداً ، الله سبحانه يقول : ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّين مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورىٰ : ٢١] ، ويقول المصطفىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث الصَّحيح ، الذي رواه الشَّيخان عن عائشة رضي الله عنها : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، يعني : فهو مردودٌ علىٰ من أحدثه ، وفي لفظ آخر عند مسلم : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، وجاء في هذا المعنىٰ أحاديث كثيرة ، تدل علىٰ تحريم البدع ، وأنَّ البدع هي المحدثات في الدِّين ، وكان النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبته عليه الصَّلاة والسَّلام : " أما بعد : فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، وتعلمون أيها المستمعون من أهل العلم أنَّ الرَّسُول عليه الصَّلاة والسَّلام ، عاش بعد النُّبوَّة ثلاثاً وعشرين سنة ، ولم يحتفل بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، ولم يقل للنَّاس احتفلوا بالمولد ، لدراسة السِّيرة أو لغير ذلك ، ولا سيما بعد الهجرة ؛ فإنَّها وقت التَّشريع ، وكمال التَّشريع ، فمات صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يقل شيئاً من ذلك ، وأمَّا حديث أنه سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ قال : " ذلك يوم ولدت فيه ، وبعثت فيه " ، فهذا لا يدلُّ علىٰ الاحتفال بالموالد ، كما يظنُّ بعض النَّاس

، وإنَّما يدلُّ علىٰ فضل يوم الاثنين ، وأنه يوم شريف ، لأنه أوحي إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه ولأنه ولد فيه عليه الصَّلاة والسَّلام ، ولأنه يوم تعرض فيه الأعمال علىٰ الله عزَّ وجلَّ ، فإذا صامه الإنسان ، لما فيه من المزايا ، فهذا حسن ، أما أن يزيد شيئاً غير ذلك ، فهذا عمل ما شرعه الله ، إنَّما قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ولدت فيه " ؛ لبيان فضل صومه ، ولما سئل في حديث آخر عن صوم يوم الاثنين والخميس ، أعرض عن الولادة ، وقال في يوم الاثنين والخميس : " إنَّهما يومان تعرض فيهما الأعمال علىٰ الله ، وأحبُّ أن يعرض عملي وأنا صائم " ، وسكت عمَّا يتعلَّق بالمولد ، فعلم بذلك أن كونه يوم المولد ، جزء من أسباب استحباب صومه ، مع كونه تعرض فيه الأعمال علىٰ الله ، وكونه أنزل عليه الوحي فيه ، فهذا لا يدلُّ علىٰ الاحتفال بالموالد ، ولكن يدل علىٰ فضل صيام يوم الاثنين ، وأنَّه يصام لهذه الأمور ، كونه ولد فيه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكونه أنزل عليه الوحي فيه ، ولأنَّه تعرض فيه الأعمال علىٰ الله عزَّ وجلَّ ، ولو كان الاحتفال بالموالد ، أو بمولده عليه الصَّلاة والسَّلام ، أمراً مشروعاً أو مرغوباً فيه لما سكت عنه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو المبلغ عن الله ، وهو أنصح النَّاس ، ولا يمكن الظَّنّ به أنَّه يسكت ، عن أمر ينفع الأُمَّة ، وينفعه عليه الصَّلاة والسَّلام ، وهو في طاعة الله عزَّ وجلَّ ، وهو أنصح النَّاس ، وهو ليس بغاش الأُمة ، وليس بخائن ولا كاتم ، لقد بلغ البلاغ المبين عليه الصَّلاة والسَّلام ، وأدَّىٰ الأمانة ونصح الأُمَّة ، وكل شيء لم يكن في وقته مشروعاً ، فلا يكون بعد وقته مشروعاً ، فالتَّشريع من جهة الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أوحىٰ الله إليه جلَّ وعلا ، وصحابته المبلِّغون عنه ، ويحملون عنه ما بلغه الأُمَّة ، فهو لم يبلغ النَّاس أنَّ الاحتفال بمولده مطلوب ، لا فعلا ولا قولاً ، وصحابته ما فعلوا ذلك ، ولا أرشدوا إليه ، لا بأفعالهم ولا بأقوالهم وهم أحب النَّاس إلىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهم أعلم النَّاس بالسُّنة ، وهم أفقه النَّاس ، وهم أحرص النَّاس علىٰ كلِّ خير ، فلم يفعلوه ثمَّ التَّابعون لهم كذلك ، ثمَّ أتباع التَّابعين ، حتىٰ مضت القرون المفضلة ، فكيف يجوز لنا أن نحدث شيئاً ما فعله هؤلاء الأخيار ، وما فعله الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا أرشد إليه ولا فعله صحابته رضي الله عنهم ، ولا أتباعهم بإحسان في القرون المفضلة ، وإنَّما أحدثه بعض الشِّيعة ، بعض الرَّافضة ، أحدثه أوَّل من أحدثه شيعة بني عبيد القداح ، شيعة الفاطميين ، الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إنَّ ظاهرهم الرَّفض ، وباطنهم الكفر المحض ، هم الفاطميون الذين ملكوا المغرب ومصر والشَّام ، علىٰ رأس المائة الثَّالثة ، وبعدها إلىٰ القرن الخامس ، وأوَّل السَّادس فالمقصود أنَّ هؤلاء هم الذين أحدثوا الأعياد ، بالاحتفال بالموالد كما ذكر جماعة من المؤرِّخين ، أحدثوا ذلك في المائة الرابعة ثمَّ جاء بعدهم من

أحدث هذه الأشياء ، أحدثوها لمولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وللحسن والحسين وفاطمة وحاكمهم ، فالمقصود أنهم هم أوَّل من أحدث هذه الموالد ، فكيف يتأسىٰ بهم المؤمن في بدعة أحدثها الشِّيعة ، هذا من البلاء العظيم ، ثمَّ أمر آخر وهو أنه قد يقع في هذه الاحتفالات ، في بعض الأحيان في بعض البلدان ، شرور كثيرة ، قد يقع فيها من الشِّرك بالله ، والغلو في النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودعائه من دون الله ، والاستغاثة به ومدحه بما لا يليق إلَّا بالله ، كما في البردة ، فإنَّ صاحب البردة قال فيها :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلَّا فقل يا زلَّة القدم

فإنَّ من جُودك الدُّنيا وضرَّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فأيّ شيء أبقاه لله عزَّ وجلَّ بهذا الغلو العظيم ؟! وكثير من النَّاس يأتون بهذه القصيدة في احتفالاتهم وفي اجتماعاتهم ، وهي قصيدة خطيرة فيها هذا الشِّرك العظيم ، المقصود أنَّ كثيراً من الاحتفالات في بعض البلدان ، يقع فيها الشِّرك الأكبر ، بسبب الغلو في النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والغلو في مدحه ، وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " لا تطروني كما أطرت النَّصارىٰ ابن مريم ، إنَّما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله " ، ويقع فيها في بعض الأحيان أيضاً منكرات أخرىٰ ، من شرب الخمور ومن الفواحش والزِّنىٰ ، واختلاط الرِّجال بالنِّساء ، هذا يقع في بعض الأحيان ، وقد أخبرنا بهذا من لا نتهم ، وإن كانت بعض الاحتفالات سليمة من هذا ، والحاصل أنه بدعة مطلقاً ، حتىٰ ولو كان علىٰ أحسن حالة ، لو كان ما فيه إلَّا مجرَّد قراءة السِّيرة ، والصَّلاة علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهو بدعة بهذه الطَّريقة ، أن يحتفل به في أيام مولده ، ربيع الأوَّل علىٰ طريقة خاصة ، كلّ سنة أو في يوم يتكرر ، يعتاد باسم الاحتفال بمولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هذا يكون بدعة ، لأنَّه ليس في ديننا هذا الشَّيء ، وأعيادنا عيدان : عيد النَّحر وعيد الفطر وأيَّام النَّحر ويوم عرفة ، هذه أعياد المسلمين ، فليس لنا أن نحدث فيها شيئاً ما شرعه الله عزَّ وجلَّ ، وإذا أراد النَّاس دراسة السِّيرة فيدرسوها بغير هذه الطَّريقة ، يدرسونها في المساجد ، وفي المدارس ، سيرة النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مطلوبة ، تجب دراستها والتَّفقُّه فيها في المدارس وفي المعاهد ، وفي الكليَّات ، وفي البيوت ، وفي كل مكان ، لكن بغير هذه الطَّريقة ، وبغير طريقة الاحتفال بالمولد ، هذا شيء وهذا شيء فيجب علىٰ أهل العلم التنبه لهذا الأمر ، وعلىٰ طالب العلم أن يتنبه لهذا الأمر ، وعلىٰ

محب الخير التنبُّه لهذا الأمر ففي السَّنة خير وسلامة ، والبدعة كلّها شرٌّ وبلاء . رزق الله الجميع العافية والهدىٰ ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٦٣-٦٨) .

ففي الفتوىٰ السَّابقة يجيب ابن باز علىٰ سؤال جاء فيه : في المولد الشَّريف يجتمع النَّاس علىٰ الأخوة والتَّقوىٰ ، وقراءة شيء من القرآن الكريم ، والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة ، وقراءة شيء من الشِّعر الذي قيل قديماً ، إما بمدح الإسلام ، أو الرَّسُول العظيم ، وهذا كُلّ ما يحدث ، وليس في ذلك ما يعارض الشَّريعة الإسلاميَّة ... فماذا في هذا الكلام الطيِّب الرَّائع !!! ومع ذلك يقول ابن باز في الجواب عليه :

" لا ريب أنَّ الاحتفال بالمولد النَّبوي علىٰ صاحبه أفضل الصَّلاة والسَّلام قد يقع فيه شيء ممَّا ذكره السَّائل بالنِّسبة لأهل العلم وأهل البصائر ..." .

قلت : بل هذا هو كلُّ ما يقع فيه ، وهو مظهر من المظاهر الطيِّبة التي يُعبِّر بها المحتفلون عن حبِّهم للحبيب صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو فرصة رائعة لتدارس شمائله ، ومعجزاته ، وسيرته ، كي نقف من خلالها كثير من أقواله وأعماله وآثاره ، وكذا الصَّلاة والسَّلام عليه المطلوبين في قوله تعالىٰ : **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب : ٥٦] ، وما أدَّىٰ إلىٰ المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً . ثمَّ إنَّ الاحتفال بمولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مظهر من مظاهر الفرح به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أمر مطلوب منَّا بنصِّ كتاب الله تعالىٰ ، قال سبحانه : **﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس : ٥٨] . فالله تعالىٰ طالبنا بالفرح بالرَّحمة ، ورسولُ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظم رحمة حلَّت علىٰ البشريَّة ، قال تعالىٰ : **﴿وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ﴾** [الأنبياء : ١٠٧] .

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : س : ما قولكم فيمن يقول إنَّ إقامة الموالد ، وقراءة القرآن علىٰ الأموات وإهداء ثوابه إليهم جائز ؟

ج : الصَّواب أنَّه بدعة ، ما فعله الرَّسُول ولا أصحابه ، ولا أمر به ولا دعا إليه ولا أقرَّه عليه الصَّلاة والسَّلام ، ولا فعله السَّلف الصَّالح والقرون المفضَّلة ، فهو بدعة من وسائل الشِّرك ، فالاحتفال بالموالد بدعة منكرة ، ولا فرق بين مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره ، وهو من وسائل الشِّرك ، لأنَّ النَّاس إذا احتفلوا بالمولد يدعون صاحب المولد، يستغيثون به ، كما يفعل الجهَّال في النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وبعضهم يقول : إن النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرج من قبره ويحضرهم ، هذا من المنكر ؛ لأنَّ النَّبي لا

يخرج من قبره إلىٰ يوم القيامة ، لكن روحه في الجنَّة في أعلىٰ عليين عليه الصَّلاة والسَّلام ، تردّ إلىٰ جسده إذا شاء الله ذلك ، عند السَّلام عليه ، عليه الصَّلاة والسَّلام كما في الحديث يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ما من أحد يصلِّي علي إلَّا ردَّ الله عليَّ رُوحي ، حتىٰ أرد عليه السَّلام " ، المقصود : أنَّ الاحتفال بالموالد ، سواء كان للأنبياء أو بعض الصالحين أو غيرهم ، أو للملوك كلّه بدعة ، لا يجوز الاحتفال بالموالد ، لأنَّه محدث ، والرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، يعني : هو مردود ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في خطبة الجمعة : " أما بعد ، فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ بدعة ضلالة " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " إيَّاكم ومحدثات الأمور ، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة ، وكلّ بدعة ضلالة " ، وهي أحاديث صحيحة ، بعضها في مسلم وبعضها في الصَّحيحين ، وبعضها في السُّنن فالواجب علىٰ علماء الإسلام إنذار النَّاس وتعليمهم ، والواجب علىٰ العامَّة سؤال أهل العلم عما أشكل عليهم ، والتَّفقُّه في الدِّين ، وسؤالهم يكون لأهل العلم ، من أهل السُّنَّة ، ليسوا علماء البدعة وأهل الخرافة ، يكون لعلماء السُّنَّة الذين يعرفون سنة الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويحكمون القرآن والسُّنَّة ويعملون بهما ، أمَّا علماء السُّوء وعلماء البدع ، فليسوا محلّ السُّؤال ، وليسوا أهلا للسُّؤال ، إنَّما السُّؤال يكون لأهل العلم الذين يحكمون كتاب الله ، وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويعملون بهما يتأسَّون بالسَّلف الصَّالح باتِّباع السُّنَّة والحذر من البدعة ، نسأل الله للجميع الهداية والتَّوفيق " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٦٨-٦٩) .

❁❁❁ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب " س : تسأل الأخت وتقول : في يوم مولد النَّبي الشَّريف ، يتمُّ في بعض مناطق قطرنا توزيع الطَّعام والحلوىٰ علىٰ النَّاس ؛ إحياء لهذا اليوم العزيز ، ويقولون : إنَّ توزيع الطَّعام والحلوىٰ وبالأخص الحلوىٰ لها أجر كبير عند الله عزَّ وجلَّ ، هل هذا صحيح ؟

ج : الاحتفال بالمولد هذا مما اتخذه النَّاس وليس مشروعاً ، ولم يكن معروفاً عند السَّلف الصَّالح ، لا في عهد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا في عهد التَّابعين ، ولا في عهد أتباع التَّابعين ، ولا في القرون المفضَّلة ، ولم يكن معروفاً في هذه العصور العظيمة ، وهي القرون الثَّلاثة المفضلة ، وإنَّما أحدثه النَّاس بعد ذلك ، وذكر المؤرِّخون أنَّ أوَّل من أحدثه ، هم الفاطميُّون الشِّيعة حكام مصر والمغرب ، وهم أوَّل من أحدث هذه الاحتفالات ، الاحتفال بالمولد النَّبوي ، وبمولد الحسين ومولد فاطمة ، وحكامهم جعلوا هناك احتفالات بعدة موالد ، منها مولد النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ، هذا هو المشهور أنَّهم أوَّل من أحدثه

في المائة الرَّابعة من الهجرة ، ثمَّ حدث بعد ذلك من النَّاس الآخرين تأسيًّاً بغيرهم ، والسُّنَّة في ذلك عدم فعل هذا المولد ، لأنَّه من البدع المحدثة في الدِّين ، والرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام قال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " .

والاحتفال قربة وطاعة ، فلا يجوز إحداث قربة وطاعة إلَّا بدليل ، وما يفعله النَّاس اليوم ليس بحجَّة ، ما يفعله النَّاس في كثير من الأمصار في اليوم الثَّاني عشر، من ربيع الأوَّل ، من الاحتفال بالموالد ، مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتوزيع الطَّعام أو الحلوىٰ، أو قراءة السِّيرة في ذلك اليوم وإقامة الموائد ، كلّ هذا ليس له أصل فيما علمنا ، عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم ، ولا عن السَّلف الصَّالح في القرون المفضَّلة ، وهذا هو الذي علمناه من كلام أهل العلم ، وقد نبَّه علىٰ ذلك أبو العبَّاس ابن تيمية رحمه الله شيخ الإسلام ، ونبَّه علىٰ ذلك الشَّاطبي رحمه الله في (الاعتصام بالسُّنَّة) ، ونبه علىٰ ذلك آخرون من أهل العلم ، وبيَّنوا أنَّ هذا الاحتفال أمر لا أساس له ، وليس من الأمور الشَّرعيَّة ، بل هو ممَّا ابتدعه النَّاس ، فالذي ننصح به إخواننا المسلمين ، هو ترك هذه البدعة وعدم التَّشاغل بها ، وإنَّما حب النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتضي اتباعه وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، كما قال الله سبحانه : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران : ٣١] ، فليس العلامة علىٰ حبِّه أن نحدث البدع ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، من الاحتفال بالمولد أو الحلف بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو الدُّعاء والاستغاثة به ، أو الطَّواف بقبره أو ما أشبه ذلك ، كلّ هذا ممَّا لا يجوز وليس من حبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بل هو من مخالفة أمره عليه الصَّلاة والسَّلام ، فحبُّه يقتضي اتِّباعه وطاعة أوامره ، وترك نواهيه والوقوف عند الحدود ، التي حدَّها عليه الصَّلاة والسَّلام ، هكذا يكون المؤمن ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران : ٣١] ، وقال عزَّ وجلَّ : **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [الحشر : ٧] ، وقال جلَّ وعلا : **﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُول إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾** [النور : ٥٤] ، ولو كان الاحتفال بالمولد أمراً مشروعاً ، لم يكتمه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإنَّه ما كتم شيئاً ، فقد بلَّغ البلاغ المبين عليه الصَّلاة والسَّلام ،

فلم يحتفل بمولده ولم يأمر أصحابه بذلك ، ولم يفعله الخلفاء الرَّاشدون رضي الله عنهم ، ولا بقيَّة الصَّحابة رضي الله عنهم ، ولا التَّابعون وأتباعهم بإحسان في القرون المفضَّلة ، فكيف يخفى عليهم ويعلمه من بعدهم هذا مستحيل ، فعلم بذلك أنَّ إحداثه من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن قال : إنَّه بدعة حسنة ، فهذا غلط لا يجوز ، لأنَّه ليس في الإسلام بدع حسنة . الرَّسُول عليه السَّلام قال : " كلُّ بدعة ضلالة " ، وكان يخطب بالنَّاس يوم الجمعة ، ويقول : " إنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، فلا يجوز للمسلم أن يقول في بدعة : إنَّها حسنة ، يعني يناقض النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعاكسه ، هذا لا يجوز للمسلم بل يجب عليه أن يتأدَّب مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويحذر مخالفة أمره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومخالفة شريعته في هذا وغيره ، فلمَّا قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كلُّ بدعة ضلالة " . فهذه الجملة جملة عامَّة وصيغة عامَّة ، تعمُّ الموالد وغير الموالد من البدع ، وهكذا ما أحدثه بعض النَّاس من الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج ، ليلة سبع وعشرين من رجب ، أو ليلة النِّصف من شعبان ، هذه أيضاً من البدع ، لأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعلها ولا فعلها أصحابه ، فتكون بدعة وهكذا جميع ما أحدثه النَّاس من البدع في الدِّين ، كلُّها داخلة في هذا المعنىٰ ، فليس لأحد من المسلمين أن يحدث شيئاً من العبادات ، بغير ما شرعه الله بل يجب علىٰ أهل الإسلام الاتباع ، والتَّقيُّد بالشَّرع أينما كانوا والحذر من البدعة ، ولو أحدثها من أحدثها من العظماء والكبار ، فالرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوقهم ، فوق جميع العظماء هو سيِّد ولد آدم ، وهو الذي أوجب الله علينا طاعته ، واتباع شريعته ، فليس لأحد أن يقدم علىٰ هديه هدي أحد من النَّاس ، ولا طاعة أحد من النَّاس ، ثمَّ الله فوق الجميع سبحانه وتعالىٰ، هو واجب الطَّاعة وهو إله الحقّ سبحانه وتعالىٰ ، هو الذي بعث الرَّسُول يعلِّم النَّاس ويرشد النَّاس ، والرَّسول هو المبلِّغ عن الله عزَّ وجلَّ ، فلو كان الاحتفال بهذه الأمور مما أمره الله به لم يكتمه بل يبلِّغه ؛ لأنَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلَّغ البلاغ المبين ، وهكذا أصحابه ، لو كان بلَّغهم وأعلمهم لبلَّغوا أيضاً ، فلمَّا لم يأتنا هذا عنه ، علمنا يقينا أنه من البدع التي أحدثها النَّاس ، وأنَّ الواجب علىٰ أهل الإسلام ألَّا يوافقوا علىٰ البدع ، بل عليهم أن يسيروا علىٰ النَّهج الذي سار عليه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسار عليه أصحابه الكرام رضي

الله عنهم ، ثمَّ أتباعهم بإحسان في القرون المفضَّلة ، نسأل الله للجميع الهداية والتَّوفيق " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٧٠-٧٤)

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : " س : يقول السَّائل: س. ف. ك. من ليبيا : عندنا عادة في بلادنا وهي في اليوم الثَّاني عشر ، من ربيع الأوَّل نعمل وجبة إفطار منذ الصَّباح الباكر ونقوم بتوزيعها علىٰ الجيران ، ونحن نهنئ الجيران والأقرباء بعضهم بعضاً ، بحجَّة الفرح بالمولد النَّبوي ، فهل لنا أن نستمر في عمل هذه الأطعمة ، والأكل منها ونعمل تلك الاحتفالات ؟

ج : هذا العمل ليس مشروعاً بل هو بدعة ، ولو فعله كثير من النَّاس ، لأنَّ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه لم يفعلوا ذلك ، فلم يحتفل صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمولده في حياته ، ولم يأمر بذلك وهو أنصح النَّاس ، عليه الصَّلاة والسَّلام وأعلم النَّاس ، وأحرص النَّاس علىٰ الخير عليه الصَّلاة والسَّلام ، فلو كان هذا العمل مشروعاً وحسناً ، لفعله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو أرشد إليه ، وهكذا الخلفاء الرَّاشدون ، وهم أفضل النَّاس بعد الأنبياء ، لم يفعلوه ولم يأمروا به ، وهكذا بقيَّة الصَّحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه ولم يأمروا به ، وهكذا سلف الأمَّة في القرون المفضَّلة ، لم يفعلوه وهم خير النَّاس بعد الأنبياء ، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " خير النَّاس قرني ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم " ، فالواجب عليكم ترك هذه البدعة ، والحرص علىٰ اتِّباع النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في أقواله وأعماله ، هذا هو الواجب علىٰ المسلمين، أن يتبعوه وأن ينقادوا لشرعه ، ويعظِّموا أمره ونهيه ، ويسيروا علىٰ سنَّته ونهجه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، أمَّا البدع فلا خير فيها ، فهي شرّ ، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، أي : فهو مردود ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، متَّفق علىٰ صحَّته .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه ، قال : كان النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول في الخطبة خطبة الجمعة : " أمَّا بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكلُّ بدعة ضلالة " ، هذا العمل الذي فعلته من إهداء الطَّعام ، والاحتفال وغير ذلك ، في اليوم الثَّاني عشر من ربيع الأوَّل ، بالطَّعام أو بالصَّلوات ، أو بالتَّزاور كلُّه بدعة لا أصل له ، يقول الرَّب عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران : ٣١] ، فاتباع النَّبي هو دليل الحبِّ الصَّادق ، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام : " من رغب عن سنَّتي فليس منِّي " ، فنوصيكم وغيركم من إخواننا المسلمين ، بترك هذه البدعة ، وهي الاحتفالات بالمولد النَّبوي ، أو بغير

المولد النَّبوي ، بالموالد الأخرىٰ كلها غير مشروعة ، ولكن نوصيكم باتباع الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائماً ، والتَّفقُّه في الدِّين ، وتعليم النَّاس السُّنَّة ، والحرص علىٰ طاعة الله ورسوله ، في كلِّ شيء هذا هو الواجب ، علىٰ جميع المكلَّفين أن يخلصوا لله العبادة ، وأن يعظموه وأن ينقادوا لشرعه ، وأن يسيروا علىٰ نهج نبيِّه ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القول والعمل ، في جميع الأحوال ، قال تعالىٰ في كتابه العظيم : **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** [الحشر : ٧] ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث الصَّحيح : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصىٰ الله " .

فالواجب طاعته واتباع هديه ، عليه الصَّلاة والسَّلام ، والحذر ممَّا خالف هديه ، عليه الصَّلاة والسَّلام في كلِّ شيء " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٧٥-٧٧).

❁❁❁ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : " س : يسأل م. ح. مصري ويقول : هناك ما يسمَّىٰ بالتَّواشيح ، والابتهالات الشَّرعيَّة ، وهي عبارة عن عبادات مدح للرَّسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وشيء من الأدعية يؤدِّيها بعض الأشخاص الذين يملكون صوتاً حسناً ، هذه التَّواشيح إذا صحبها شيء من المعازف ، ما رأي سماحتكم فيها؟ وما حكم الاستماع إليها ؟

ج : هذه التَّواشيح لا نعرف تفصيلها ، فإذا كانت قد توقع في الغلو في النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووصفه بما لا يجوز وصفه به حرمت ، أو كانت بألفاظ مبتدعة حرمت ، وإنَّما السُّنَّة عند الدُّعاء ، أن يصلِّي علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويكفي كما قال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في الحديث الصَّحيح : لما سمع رجلاً يدعو ولم يصلِّ علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يحمد الله ، قال : " إذا صلَّىٰ أحدكم فليبدأ بتحميد ربِّه ، والثَّناء عليه ، ثمَّ ليصلِّ علىٰ النَّبي ، ثمَّ يدعو " ، هذه خير من التَّواشيح ، التَّواشيح لا حاجة إليها ، قد يكون فيها شرٌّ ، قد يكون فيها بدعة ، النَّبي علَّمنا كيف الصَّلاة ، قال : " قولوا : اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّد ، وعلىٰ آل محمَّد ، كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم ، إنَّك حميد مجيد ، اللهمَّ بارك علىٰ محمَّد ، وعلىٰ آل محمَّد ، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد " .

فالمؤمن إذا أراد الدُّعاء يدعو بحمد الله ، اللهمَّ لك الحمد ، اللهمَّ لك الحمد علىٰ كلِّ حال ، اللهمَّ لك الحمد حمداً كثيراً ، ثمَّ يصلِّي علىٰ النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصَّلاة المشروعة ثمَّ يدعو ، ولا حاجة إلىٰ تواشيح ما أنزل الله بها من سلطان كأشعار أو كلمات قد يكون فيها غلو ، لا، بل يحمد الله، ويثني عليه ثمَّ يصلِّي علىٰ النَّبي الصَّلاة الشَّرعيَّة ، ثمَّ يدعو بما أحب من خيري الدُّنيا والآخرة " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٨٠-٨١) .

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : "س : أسأل عن مولد النَّبي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نحن عندنا عندما يموت شخص ، وبعد ثلاثة أيام يقوم أهل الميت ، يعملون مولداً للنَّبي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو بعد شهر يعملون أو بعد سنة ، يذبحون بقرة أو يشترون لحماً ويعملون أكلاً ويوزِّعونه علىٰ القرية ، وبعد ذلك يعملون مولد النَّبي محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هل هذا جائز أو سُنَّة ، أو الصَّحابة فعلوا ذلك أو أحد من السَّلف ، نرجو توضيح ذلك ، جزاكم الله خيراً ؟

ج : الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدِّين ، ولا فرق بين مولد النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام وغيره ، فإنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق ، وهو المعلم والنَّاصح ، لم يحتفل بالمولد عليه الصَّلاة والسَّلام ، وهكذا خلفاؤه الرَّاشدون ، لم يحتفلوا بالمولد ، وهكذا بقيَّة الصَّحابة رضي الله عنهم ، وهم أعلم النَّاس ، وأكثر حبَّاً منَّا للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأعلم بالسُّنَّة ومع هذا لم يحتفلوا بالمولد ، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّه بدعة ، والبدع كلُّها ضلالة كما قاله النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كلُّ بدعة ضلالة " ، وقد مضت القرون المفضلة الثلاثة ولم يحتفل بالمولد ، ولا فعله من السَّلف الصَّالح فيما نعلم بذلك ، فهو بدعة ، وأنَّ هذا ممَّا أحدثه النَّاس من بعد القرون المفضَّلة ، يقال : إنَّ أوَّل من أحدثه حكام مصر ، من العبيديين وهم من الشِّيعة مما ذكره جماعة من المؤرِّخين ، أحدثوه في المائة الرَّابعة ، ويقال إنَّهم أوَّل من أحدثه وعلىٰ كلِّ حال فهو محدث بدعة لا أصل له ، وقد زعم بعض النَّاس في بعض القرون الماضية وفي عصرنا هذا زعموا أنَّه سُنَّة . وأنَّه لا بأس به وأنَّه من البدع الحسنة ، وهذا قول فاسد لا وجه له ، بل هو فاسد وفي الحقيقة فيه اعتراض علىٰ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه وهم أعلم النَّاس ، وأفضل النَّاس، ولم يفعلوا هذه البدعة ، فالواجب ترك ذلك ، وفي الإمكان أن تدرَّس السِّيرة في الحلقات العلميَّة ، وفي الدُّروس اليوميَّة والأسبوعيَّة ، فيتعلَّم النَّاس السُّنَّة ، سُنَّة الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه من أعمال وأقوال ، كما يتعلَّمون أحكام الشَّريعة التي جاء بها عليه الصَّلاة والسَّلام هذا هو المطلوب في الدُّروس المدرسيَّة ، في الحلقات العلميَّة في المساجد ، في الوعظ والتَّذكير يتعلَّم فيها السُّنَّة والسِّيرة وإنكار المولد وما يحدث في المولد ، كلُّ هذا ممكن وهو شاف كاف ، أمَّا إيجاد موالد يحتفل بها ، ويقام بها موائد الطَّعام ، فهذا لا أصل له ، وهو من البدع المحدثة ، وكلُّ بدعة ضلالة ، ولا ينبغي لعاقل أن يغتر بفعل النَّاس ، فإن فعل النَّاس ليس بحجَّة ، وأكثر النَّاس ليس علىٰ بصيرة في أمور الدِّين ، قال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف : ١٠٣] ، فالعمدة : الحجَّة والدَّليل ، وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ ، ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من عمل عملاً

ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " . والدِّراسة لحال النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته ، ومولده ، وفي هجرته ، كلّ هذا يفعله العلماء في المدارس ، وفي الحلقات العلميَّة ، وفي التَّذكير ، والمواعظ ، من غير حاجة إلىٰ إقامة الموالد التي ابتدعها المبتدعون ، ويقع فيها بعض الأحيان شيء من الشِّرك والغلو ما لا يعلمه إلَّا الله يقع فيها أنواع من الشِّرك ، ويقع فيها أنواع من الشُّرور ، بعض الأحيان فيجب قفل هذا الباب ، وسدّ هذا الباب ، ويكتفىٰ بالدُّروس الإسلاميَّة في المساجد ، وفي حلقات العلم ، في التَّذكير والوعظ في جميع شئون الدِّين ، وفي كلِّ ما يتعلَّق بالسُّنَّة وأحكامها ، هذا هو الحقّ ، وما فعله بعض النَّاس اليوم ، وقبل اليوم من احتفالات بمولد الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أو بمولد البدوي أو الشَّيخ عبد القادر أو فلان أو فلان كله بدعة كلّه لا أصل له، والواجب تركه عملاً بقول النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، ولقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : " كلُّ بدعة ضلالة " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٨٤-٨٧) .

۞۞۞ وجاء في فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب : " س : ما حكم المولد النَّبوي ؟ وما حكم الذي يحضره ؟ وهل يعذَّب فاعله إذا مات وهو علىٰ هذه الصُّورة ؟

ج : المولد لم يرد في الشَّرع ما يدلُّ علىٰ الاحتفال به ، لا مولد النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره ، فالذي نعلم من الشَّرع المطهَّر وقرَّره المحقِّقون من أهل العلم ، أنَّ الاحتفال بالموالد بدعة ، لا شكَّ في ذلك ؛ لأنَّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أنصح النَّاس ، وأعلمهم لشرع الله ، وهو المبلِّغ عن الله لم يحتفل بالمولد مولده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولا مولد غيره ، ولا احتفل أصحابه بذلك لا خلفاؤه الرَّاشدون ولا غيرهم ، فلو كان حقَّاً وخيراً وسنَّة لما تركوه ، ولمَّا تركه النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولعلَّمه أمَّته وفعله بنفسه ، ولفعله أصحابه وخلفاؤه رضي الله عنهم ، فلمَّا تركوا ذلك ، علمنا يقيناً أنَّه ليس من الشَّرع ، وهكذا في القرون المفضَّلة ، لم يفعل ذلك ، فاتَّضح بذلك أنَّه بدعة ، وقد قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ " ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ " ، وفي أحاديث أخرىٰ تدلُّ علىٰ ذلك .

وبهذا يعلم أنَّ هذه الاحتفالات بالمولد النَّبوي ، في شهر ربيع الأوَّل أو في غيره ، وهكذا الاحتفالات بالموالد الأخرىٰ : كالبدوي ، والحسين ، وغير ذلك ، كلُّها من البدع المنكرة ، التي يجب علىٰ أهل الإسلام تركها ، وقد عوضهم الله ، بعيدين عظيمين : عيد الفطر وعيد الأضحىٰ ، ففيهما الكفاية عن إحداث أعياد ، واحتفالات منكرة مبتدعة ، وليس حب النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون بالموالد ،

وإقامتها ، وإنَّما حبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتضي اتباعه ، والامتثال بشريعته ، والذَّب عنها والدَّعوة إليها ، والاستقامة عليها ، هذا هو الحبّ يقول سبحانه : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** [آل عمران : ٣١] ، فحبُّ الله ورسوله ، ليس بالموالد ولا بالبدع ، ولكن حبُّ الله ورسوله يكون بطاعة الله ، ورسوله والاستقامة علىٰ شريعة الله ، والجهاد في سبيل الله بالدَّعوة إلىٰ سنة الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتعظيمها والذب عنها والإنكار علىٰ من خالفها ، هكذا يكون حبُّ الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويكون بالتأسِّي به في أقواله وأعماله ، والسير علىٰ منهاجه عليه الصَّلاة والسَّلام ، والدَّعوة إلىٰ ذلك، هذا هو الحبُّ الصَّادق الذي يدل عليه العمل الشَّرعي ، والعمل الموافق لشرعه سبحانه ، وأما كونه يعذب أو لا يعذب ، هذا شيء آخر ، هذا إلىٰ الله جلَّ وعلا ، فالبدع والمعاصي من أسباب العذاب ، لكن قد يعذب الإنسان بفعل معصيته ، وقد يعفو الله عنه ، إمَّا لجهله ، وإمَّا لأنَّه قلد من فعل ذلك ، ظنَّاً منه أنَّه مصيب ، أو لأعمال صالحة قدَّمها ، صارت من أسباب العفو من الله ، أو لشفاعة الشَّفعاء ، من الأنبياء والمؤمنين أو الأفراط ، فالحاصل أنَّ المعاصي والبدع من أسباب العذاب ، وصاحبها تحت مشيئة الله جلَّ وعلا ، إذا لم تكن بدعته مكفرة ، أما إذا كانت البدعة مكفّرة ، مثل الشِّرك الأكبر ، فصاحبها مخلَّد في النَّار ، نعوذ بالله ، لكن إذا كانت البدعة ليس فيها شرك أكبر ، وإنَّما هي فروع فيها خلاف الشَّريعة ، من صلوات مبتدعة ، أو احتفالات مبتدعة ، ليس فيها شرك ، فهذا تحت مشيئة الله كالمعاصي " . انظر : فتاوىٰ نور علىٰ الدرب (٣/ ٨٧-٨٩)

هذا مجمل ما قاله ابن باز في تحريمه وتجريمه للاحتفال والمحتفلين بمولد سيِّد الأنام محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ... وقد تمَّ الجواب عليها ... مع العلم أنَّ الوهَّابيَّة أفتوا بجواز الاحتفال بالمناسبات الوطنيَّة ، كما أنَّهم احتفلوا بمولد كبيرهم ومعلِّمهم : محمَّد بن عبد الوهَّاب ...

فقد جاء في فتاوىٰ ابن عثيمين : " وسئل فضيلة الشَّيخ : عن الفرق بين ما يسمَّىٰ بأسبوع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب – رحمه الله تعالىٰ– والاحتفال بالمولد النَّبوي حيث ينكر علىٰ من فعل الثَّاني دون الأوَّل ؟

فأجاب بقوله : الفرق بينهما حسب علمنا من وجهين :

الأوَّلُ : أنَّ أسبوع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب – رحمه الله تعالىٰ – لم يتَّخذ تقرُّباً إلىٰ الله – عزَّ وجلَّ – وإنَّما يقصد به إزالة شبهة في نفوس بعض النَّاس في هذا الرَّجل ، ويبيِّن ما منَّ الله به علىٰ المسلمين علىٰ يد هذا الرَّجل .

الثَّانِي : أسبوع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب – رحمه الله – لا يتكرَّر ويعود كما تعود الأعياد ، بل هو أمرٌ بين للنَّاس وكتب فيه ما كتب ، وتبيَّن في حقِّ هذا الرجل ما لم يكن معروفاً من قبل لكثير من النَّاس ثمَّ انتهىٰ أمره " . انظر : مجموع فتاوىٰ ورسائل فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العثيمين (٢/ ٣٠٠) .

هذا هو ما قاله ابن عثيمين في جوابه علىٰ السُّؤال ، ولنا عليه العديد من الملاحظات ، منها :
أوَّلاً : أمَّا عن قوله : " لم يتَّخذ تقرُّباً إلىٰ الله – عزَّ وجلَّ – " ، فنقول : إذا كان احتفالهم لم يتَّخذ تقرُّباً إلىٰ الله تعالىٰ ، فمعنىٰ كلامه أنَّهم يعبثون ، والأصل في المؤمن أن لا يعبث ، إذ العبث ليس من أخلاق المؤمن ، والواجب أن يقصد المؤمن بعمله كلّه وجه الله تعالىٰ ، لأنَّ الوقت هو من الأمور التي سيُسأل الله عنها الإنسان يوم القيامة ، قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ... " . أخرجه البزار (٤/ ٢٦٦ برقم ١٤٣٥) ، محمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي في تعظيم قدر الصَّلاة (٢/ ٨٤٠ برقم ٨٤٧) ، ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ٣٤٦ برقم ٣٥٨٣٩) ، تحقيق : محمَّد عوامة ، الطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٧٤ برقم ٤٧١٠) ، ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ص٦٨٣ برقم ١٢٠٥) ، هناد بن السري الكوفي في الزهد (٢/ ٣٧٥ برقم ٧٢٤) .

وأمَّا عن قوله : " وإنَّما يُقصد به إزالة شبهة في نفوس بعض النَّاس في هذا الرَّجل ، ويبين ما منَّ الله به علىٰ المسلمين علىٰ يد هذا الرَّجل " . فنقول : ما في نفوس النَّاس من محمَّد بن عبد الوهَّاب طامَّات ومصائب وجبال من الشُّبهات ... لا شبهة واحدة . ومع ذلك يصوِّر ابن عثيمين أنَّ احتفالهم بمحمَّد بن عبد الوهَّاب كان لبيان ما منَّ الله تعالىٰ به علىٰ المسلمين علىٰ يد محمَّد بن عبد الوهَّاب !!! وإليكم البيان :

أَوَّلاً : قال مفتي الحنابلة بمكة محمَّد بن عبد الله النَّجدي الحنبلي (١٢٩٥هـ) في كتابه : " السُّحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة " في ترجمة عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي بن مشرف التَّميمي النَّجدي : " وهو والد محمَّد صاحب الدَّعوة التي انتشر شررها في الآفاق ، لكن بينهما تباين مع أنَّ محمَّداً لم يتظاهر بالدَّعوة إلَّا بعد موت والده ، وأخبرني بعض من لقيته عن بعض أهل العلم عمَّن عاصر الشَّيخ عبد الوهَّاب هذا أنَّه كان غضباناً علىٰ ولده محمَّد لكونه لم يرض أن يشتغل بالفقه كأسلافه وأهل جهته ، ويتفرَّس فيه أن يحدث منه أمر ، فكان يقول للنَّاس : يا ما ترون من محمَّد من الشر ، فقدَّر الله أن صار ما صار ، وكذلك ابنه سليمان أخو الشَّيخ محمَّد كان منافياً له في دعوته ، وردَّ عليه ردَّاً جيداً بالآيات والآثار ، لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ، ولا يلتفت إلىٰ كلام عالم متقدماً أو متأخِّراً ، كائناً من كان غير الشَّيخ تقي الدِّين بن

تيمية وتلميذه ابن القيِّم ، فإنه يرىٰ كلامهما نصَّاً لا يقبل التأويل ، ويصولُ به علىٰ النَّاس ، وإن كان كلامهما علىٰ غير ما يفهم ، وسمَّىٰ الشَّيخ سليمان ردَّه علىٰ أخيه : " فصل الخطَّاب في الردِّ علىٰ محمَّد بن عبد الوهَّاب " ، وسلّمه الله من شرّه ومكره مع تلك الصَّولة الهائلة التي أرعبت الأباعد ، فإنَّه كان إذا باينه أحدٌ ورد عليه ولم يقدر علىٰ قتله مجاهرة ، يرسل إليه من يغتاله في فراشه أو في السوق ليلاً ، لقوله بتكفير من خالفه واستحلاله قتله ، وقيل إن مجنوناً كان في بلدة ومن عادته أن يضرب من واجهه ولو بالسِّلاح ، فأمر محمَّد أن يعطىٰ سيفاً ويدخل علىٰ أخيه الشَّيخ سليمان وهو في المسجد وحده ، فأدخل عليه فلما رءاه الشَّيخ سليمان خاف منه فرمىٰ المجنون السَّيف من يده وصار يقول : يا سليمان لا تخف إنَّك من الآمنين ، ويكرِّرها مراراً ، ولا شكَّ أنَّ هذه من الكرامات " . انظر : السحب الوابلة علىٰ ضرائح الحنابلة (ص٢٧٥-٢٧٦) .

وقد قام المتمسلفة بحذف هذا الكلام من الطَّبعة الأخيرة لكتاب : " السُّحب الوابلة " ... كما أخبرني بذلك بعض الإخوة الأحبَّة ...

ثَانِيَاً : وقال الشَّيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكَّة في أواخر السَّلطنة العثمانيَّة في تاريخه تحت فصل فتنة الوهَّابيَّة : " كان – أي محمَّد بن عبد الوهَّاب – في ابتداء أمره من طلبة العلم في المدينة المنوَّرة علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام ، وكان أبوه رجلاً صالحاً من أهل العلم وكذا أخوه الشَّيخ سليمان ، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرَّسون فيه أنَّه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته في كثير من المسائل ، وكانوا يوبِّخونه ويحذِّرون النَّاس منه ، فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزَّيغ والضَّلال الذي أغوىٰ به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدِّين ، وتوصَّل بذلك إلىٰ تكفير المؤمنين ، فزعم أنَّ زيارة قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتوسُّل به وبالأنبياء والأولياء والصَّالحين ، وزيارة قبورهم للتَّبرُّك شرك ، وأَنَّ نداء النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التَّوسُّل به شرك ، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصَّالحين عند التَّوسُّل بهم شرك ، وأَنَّ من أسند شيئاً لغير الله ولو علىٰ سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو : نفعني هذا الدَّواء ، وهذا الولي الفلاني عند التَّوسُّل به في شيء ، وتمسَّك بأدلَّة لا تنتج له شيئاً من مرامه ، وأتىٰ بعبارات مزورة زخرفها ولبّس بها علىٰ العوام حتىٰ تبعوه ، وألف لهم في ذلك رسائل حتىٰ اعتقدوا كفر كثر أهل التَّوحيد ...

وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهَّاب بالمدينة يقولون : سيضلُّ هذا أو يضلُّ الله به من أبعده وأشقاه ، فكان الأمر كذلك . وزعم محمَّد بن عبد الوهَّاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التَّوحيد

والتبرِّي من الشِّرك ، وأنَّ النَّاس كانوا علىٰ الشِّرك منذ ستمائة سنة ، وأنَّه جدّد للنَّاس دينهم ، وحمل الآيات القرءانيَّة التي نزلت في المشركين علىٰ أهل التَّوحيد ، كقوله تعالىٰ : **﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَستَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ وَهُم عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ﴾** [الأحقاف : ٥] ، وكقوله تعالىٰ : **﴿وَلاَ تَدعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾** [يونس : ١٠٦] ، وكقوله تعالىٰ : **﴿وَالَّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَستَجِيبُونَ لَهُم بِشَيءٍ﴾** [الرعد : ١٤] . وأمثال هذه الآيات في القرءان كثيرة ، فقال محمَّد بن عبد الوهَّاب : من استغاث بالنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصَّالحين أو ناداه أو سأله الشَّفاعة ، فإنَّه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم هذه الآيات ، وجعل زيارة قبر النَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وغيره من الأنبياء والأولياء والصَّالحين مثل ذلك- يعني للتَّبرُّك - . وقال في قوله تعالىٰ حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام : **﴿مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلفَى﴾** [الزمر : ٣] : إنَّ المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون : **﴿مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلفَى﴾** [الزمر : ٣] . انظر : الفتوحات الإسلامية لدحلان (٢/ ٦٦) .

وقال الإمام أحمد زيني دحلان : " كان محمَّد بن عبد الوهَّاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدِّرعيَّة ويقول في كلِّ خطبه : ومن توسَّل بالنبي فقد كفر ، وكان أخوه الشَّيخ سليمان بن عبد الوهَّاب من أهل العلم ، فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كلِّ ما يفعله أو يأمر به ، ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه ، وقال له أخوه سليمان يوماً : كم أركان الإسلام يا محمَّد بن عبد الوهَّاب ؟ فقال : خمسة ، فقال : أنت جعلتها ستَّة ، السَّادس : من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام . وقال رجل ءاخر يوماً لمحمد بن عبد الوهَّاب : كم يعتق الله كلّ ليلة في رمضان ؟ فقال له : يعتق في كلِّ ليلة مائة ألف ، وفي ءاخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشَّهر كلّه ، فقال له : لم يبلغ من اتبعك عشر عشر ما ذكرت ، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالىٰ ، وقد حصرت المسلمين فيك ، وفيمن اتَّبعك ، فبُهت الذي كفر .

ولمَّا طال النِّزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلىٰ المدينة المنوَّرة وألَّف رسالة في الرَّدِّ عليه وأرسلها له فلم ينته . وألَّف كثيرٌ من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرَّدِّ عليه وأرسلوها له فلم ينته . وقال له رجل ءاخر مرَّة وكان رئيساً علىٰ قبيلة بحيث إنَّه لا يقدر أن يسطو عليه : ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأنَّ قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني

فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم ، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم أتصدق الألف أم الواحد الصَّادق عندك ؟ فقال : أصدق الألف ، فقال له : إنَّ جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذّبون ما أتيت به ، ويزيِّفونه ، فنصدِّقهم ونكذِّبك ، فلم يعرف جواباً لذلك . وقال له رجل ءاخر مرَّة : هذا الدِّين الذي جئت به متَّصل أم منفصل ؟ فقال له حتىٰ مشايخي ومشايخهم إلىٰ ستمائة سنة كلّهم مشركون ، فقال له الرَّجل : إذن دينك منفصل لا متَّصل ، فعمَّن أخذته ؟ فقال : وحي إلهام كالخضر ، فقال له : إذن ليس ذلك محصوراً فيك ، كلّ أحد يمكنه أن يدَّعي وحي الإلهام الذي تدَّعيه ، ثمَّ قال له : إنَّ التَّوسُّل مُجمعٌ عليه عند أهل السُّنَّة حتىٰ ابن تيمية ، فإنَّه ذكر فيه وجهين ، ولم يذكر أن فاعله يكفر " . انظر : الدرر السنيَّة في الردِّ علىٰ الوهَّابيَّة (ص٤٢-٤٣) .

وجاء في " البدر الطَّالع " عن أتباع محمَّد بن عبد الوهَّاب : " ... وَلَكنهُمْ يرَوْنَ أَن من لم يكن دَاخِلاً تَحت دولة صَاحب نجد وممتثلاً لأوامره ، خَارج عَن الْإِسْلَام . وَلَقَد أخبرني أَمِير حجاج الْيمن السيِّد محمَّد بن حُسَيْن المراجل الكبسي أَنَّ جمَاعَة مِنْهُم خاطبوه هُوَ وَمن مَعَه من حجاج الْيمن بِأَنَّهُم كفَّار وَأَنَّهُمْ غير معذورين عَن الْوُصُول إِلَىٰ صَاحب نجد لينْظر فِي إسْلَامهمْ ، فَمَا تخلصوا مِنْهُ إِلَّا بِجهْد جهيد " . انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ٥-٦) .

وقال الإمام ابن عابدين (١٢٥٢هـ) عن الوهَّابيَّة : " ... كَمَا وَقَعَ فِي زَمَانِنَا فِي أَتْبَاعِ محمَّد ابْنِ عَبْدِ الوهَّاب الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَجْدٍ وَتَغَلَّبُوا عَلَىٰ الْحَرَمَيْنِ ، وَكَانُوا يَنْتَحِلُونَ مَذْهَبَ الْحَنَابِلَةِ ، لَكِنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ هُمْ الْمُسْلِمُونَ وَأَنَّ مَنْ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ مُشْرِكُونَ ، وَاسْتَبَاحُوا بِذَلِكَ قَتْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَتْلَ عُلَمَائِهِمْ حَتَّىٰ كَسَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ شَوْكَتَهُمْ وَخَرَّبَ بِلَادَهُمْ وَظَفِرَ بِهِمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ عَامَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ " . انظر : حاشية ابن عابدين ، (١٣/ ١٣٥) .

والجدير بالذِّكر هنا أنَّ المتمسلفة قاموا بحذف هذا الكلام من حاشية ابن عابدين ، الموجودة في المكتبة الشَّاملة / الإصدار السَّادس ، بل قاموا بحذف كتاب " البُغاة " من حاشية ابن عابدين ، وذلك في النُّسخة التي طُبعت علىٰ نفقة الوليد بن طلال ....

وكان الشَّطب والحذف من كتب أهل العلم بل حتىٰ إتلافها ديدن هذه الشِّرذمة في القديم والحديث . والغريب في الأمر أنَّ التَّحريف يقع ويحدث بعلمٍ من علمائهم الذين باركوا هذه الخطوة العبثيَّة في

القديم والحديث ، قال الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) : " وَفِي المبتدعة لَا سِيمَا المجسِّمة زِيَادَة لَا تُوجد فِي غَيرهم ، وَهُوَ أَنَّهم يرَوْنَ الْكَذِب لنصرة مَذْهَبهم وَالشَّهَادَة عَلَىٰ من يخالفهم فِي العقيدة بِمَا يسوءه فِي نَفسه وَمَاله بِالْكَذِبِ تأييداً لاعتقادهم ويزداد حنقهم وتقربهم إِلَىٰ اللَّه بِالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِمِقْدَار زِيَادَته فِي النّيل مِنْهُم فَهَؤُلَاءِ لَا يحل لمُسلم أَن يعْتَبر كَلَامهم " . انظر : طبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ١٦) .

وقال الإمام محمَّد بن زاهد الكوثري (١٣٧١هـ) في مقدمته لكتاب " تبيين كذب المفتري " موضِّحاً عادة للحشويَّة في إفناء كتب المخالفين لهم : " من عادة الحشويَّة أن يترصَّدوا الفرص لإِفناء أمثال هذه الكتب ، إما بحرقها علاناً يوم يكون لهم شوكة وسلطان أو بسرقتها من دور الكتب أو بوضع مواد متلفة فيها ، وإمَّا بتشويهها بطرح ما يخالف عقولهم منها عند نسخها أو بالكشط والشطب في نسخها الأصليَّة ... وكتابنا هذا كان حظُّه من النَّوع الثَّالث من فنون احتيالهم ، ولكن أبىٰ الله إلَّا أن يُظهر الحقَّ ، فلم تأكل هذه المادَّة غير أوَّله " ... انظر : تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلىٰ الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، (هامش صفحة د) ، تحقيق : محمَّد زاهد الكوثري .

وهذه بعض الأمثلة من تحريفاتهم وتشويهاتهم العديدة لكتب أهل العلم : قال الإمام شمس الدِّين أبو الخير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد بن أبي بكر بن عثمان بن محمَّد السَّخاوي (٩٠٢هـ) في ترجمته للإمام محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الْعَلَاء أَبُو عبد الله البُخَارِيّ العجمي الْحَنَفِيّ (٨٤١هـ) : " ... وَتوجه إِلَىٰ بِلَاد الْهِنْد فقطن كلبرجا مِنْهَا وَنشر بهَا الْعلم والتَّصوُّف ، وَكَانَ مِمَّن قَرَأَ عَلَيْهِ ملكهَا ، وترقَّىٰ عِنْده إِلَىٰ الْغَايَة لما وقر عِنْده من علمه وزهده وورعه ، ثمَّ قدم مكَّة فجاور بهَا وانتفع بِهِ فِيهَا غَالب أعيانها ثمَّ قدم الْقَاهِرَة ، فَأَقَامَ بهَا سِنِين ، وانثال عَلَيْهِ الْفُضَلَاء من كلِّ مَذْهَب ، وعظَّمه الأكابر فَمن دونهم ، بِحَيْثُ كَانَ إِذا اجْتمع مَعَه الْقُضَاة يكونُونَ عَن يَمِينه وَعَن يسَاره كالسُّلطان ، وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة بَالغ فِي وعظهم والإغلاظ عَلَيْهِم بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشد فِي الإغلاظ ، ويحضُّه عَلىٰ إِزَالَة أَشْيَاء من الْمَظَالِم مَعَ كَونه لَا يحضر مَجْلِسه ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يزْدَاد إِلَّا إجلالا ورفعة ومهابة فِي الْقُلُوب " . انظر : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٩/ ٢٩١) .

وقد تمَّ تحريف قول السَّخاوي بحقِّ العلاء البخاري : " وَإِذا حضر عِنْده أَعْيَان الدَّولة ، بَالغ فِي وعظهم ، والإغلاظ عَلَيْهِم ، بل ويراسل السُّلْطَان مَعَهم بِمَا هُوَ أَشد فِي الإغلاظ ، ويحضّه عَلىٰ إِزَالَة

أَشْيَاء من الْمَظَالِم " من قبل محقّق الكتاب الشَّيخ زهير الشَّاويش ليُصبح : " ... واتَّصل بحكامها ، وكان شديد الالتصاق بهم " . انظر تقديم الشَّيخ لكتاب الرد الوافر لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي ، (ص٢١) .

والسَّبب هو لأنَّ الإمام العلاء البخاري كان على خلاف مع ابن تيمية حتى أنَّه حكم بتكفيره ...

ومن عبثهم وخياناتهم وتدليسهم في كتب أهل العلم : ما ذكره الألباني في " مختصر العلو " ، حيث قال عن حديث الجارية ضمن من صحَّح الحديث : " فإنَّه مع صحَّة إسناده ، وتصحيح أئمَّة الحديث إيَّاه دون خلاف بينهم أعلمه ، منهم الإمام مسلم حيث أخرجه في " صحيحه " ، وكذا أبو عوانة في "مستخرجه عليه " والبيهقي في " الأسماء " حيث قال عقبه " (ص٤٢٢) : " وهذا صحيح ، قد أخرجه مسلم " .

وهذا كذب صُراح ... فقد قال الإمام البيهقي : " وَهَذَا صَحِيحٌ ، قَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مُقَطَّعاً مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ وَحَجَّاجٍ الصَّوَّافِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ دُونَ قِصَّة الْجَارِيَةِ !!! وَأَظُنُّهُ إِنَّما تَرَكَهَا مِنَ الْحَدِيثِ لِاخْتِلَافِ الرُّوَاةِ فِي لَفْظِهِ " . انظر : الأسماء والصفات (٢/ ٣٢٥ برقم ٨٩١) .

وقال الإمام البيهقي – أيضاً – عقب روايته لحديث الجارية في كتابه السُّنن الكبرى : " أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ الْأَوْزَاعِيِّ دُونَ قِصَّة الْجَارِيَةِ " . انظر : السنن الكبرى (١٠/ ٩٨ برقم ١٩٩٨٥) .

فالإمام مسلمٌ لم يقل ما نسبه له الألباني ، بل إنَّه حذف قصَّة الجارية من صحيحه بشهادة الإمام البيهقي . والسُّؤال الذي يطرح نفسه هنا : إذا كان الإمام البيهقي يشهد أنَّه في زمانه لم يكن حديث الجارية – بنصِّه الموجود في الصَّحيح اليوم – موجوداً ، فمتى ، وكيف ، ومن أَدخل وأضاف للحديث لفظ : " أين الله " ؟!!! وهذا عبثٌ آخر في نصِّ الحديث ... فتدبَّروا يا أُولي الألباب .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : " جاء في كتاب : " تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان " للشَّيخ السَّعدي : " قال الله متوجِّعاً !!! للعباد : **﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾** [يس : ٣٠] ، أي : ما أعظم شقاءهم ، وأطول عناءهم ، وأشدّ جهلهم ، حيث كانوا بهذه الصِّفة القبيحة ، التي هي سبب لكلِّ شقاء وعذاب ونكال " . انظر : تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٩٥) .

فالسَّعدي – وهو من كبار علماء الوهَّابيَّة – يصف الله تعالى بصفة التَّوجُّع التي لم يقلها قبله أحدٌ من العالمين ، وقد ورد هذا اللفظ الشَّنيع في طبعات : دار الرِّسالة ، ودار ابن الجوزي ، وطبعة مكتبة الرُّشد ، وقد حاول بعض أدعياء السَّلفيَّة تدارك فداحة ما وقع فيه مفسِّرهم السَّعدي المعتمد لديهم ، فحرَّف قوله

: (متوجِّعاً !!!) لتصبح (مترحِّماً) ، وقد نشرت التَّحريف في طبعتها لكتاب السَّعدي كل من : دار المدني بجدة ، وطبعة المؤسسة السَّعيديَّة ، وكذا طبعة مركز ابن صالح ... فما رأيكم بهذ التَّحريف الذي ما كان إلَّا لجبر كسر كبير حصل في كلام عالم من كبار علمائهم ، أم أنَّهم سيقولون بوصلتهم المعروفة دائماً : إنَّ الله تعالىٰ يتوجَّع لا كتوجُّعنا ، بل يتوجَّع توجُّعاً يليق به !! سبحانك ربِّي هذا بهتانٌ عظيم ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : أنَّهم طبعوا كتاب : " الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل " ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، الزَّمخشري جار الله (٥٣٨هـ) في دار العبيكان بالرِّياض ، وحرَّفوا فيه العديد العديد من المسائل ، منها : تحريفهم لتفسير الزَّمخشري لقوله تعالىٰ : **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾** [القيامة : ٢٢ - ٢٣] ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما فعلوه في كتاب : " حاشية العلَّامة الصَّاوي علىٰ تفسير الجلالين " ، للإمام أحمد بن محمَّد الصَّاوي المالكي الصَّاوي (١٢٤١هـ) ، عند تفسير قول الله تعالىٰ : **﴿إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾** [فاطر : ٦] ، فقد قال الإمام الصَّاوي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، كما هو مُشَاهَدٌ الآن في نَظَائِرهم ، وهم فرقة بأرض الحجاز ، يقال لهم : الوهَّابيَّة ، يحسبون أنهم علىٰ شيء ، ألا إنَّهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " . انتهىٰ كلام الشَّيخ الصَّاوي المالكي .

فهذا هو ما قاله الإمام الصَّاوي ، كما تجد ذلك في طبعة دار إحياء التُّراث العربي ، (٧٨/٥) ، طبعة جديدة محقَّقة علىٰ نسخة خطيَّة للجلالين .

وقد جاء النَّصُّ المحرَّف في طبعة دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولىٰ ، (١٩٩٥م) ، ضبطه وصحَّحه !!! محمَّد عبد السَّلام شاهين ، كالآتي : " وقيل : هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرِّفون تأويل الكتاب والسُّنَّة ، ويستحلُّون بذلك دماء المسلمين وأموالهم ، استحوذ عليهم الشَّيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشَّيطان ألا إنَّ حزب الشَّيطان هم الخاسرون ، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم " .

أمَّا النُّسخة التي أصدرتها دار الجيل ، بيروت ، وهي الطَّبعة الأخيرة التي راجع تصحيحها !!! فضيلة الشَّيخ علي محمَّد الضباع ، شيخ القرَّاء والمقارئ بالدِّيار المصريَّة ، فقد جاء فيها : (وهم فرقة بأرض

الحجاز ... يحسبون أنَّهم) . فقد وضعوا مكان الكلام المحذوف نقطاً ، فإلىٰ الله المشتكىٰ من قوم لا يستحون ولا يرعوون ...

وطال تحريفهم كتاب الأذكار للإمام يحي بن شرف الدِّين النَّووي ، وذلك في طبعة دار الهدي بالرِّياض سنة (١٤٠٩هـ) ، بتحقيق عبد القادر الأرنأووط الشَّامي ، حيث استبدل عنوان : " فصل في زيارة قبر الرَّسُول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ليصبح بعنوان : " فصل في زيارة مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ، مع حذف عدَّة أسطرٍ من أوَّل الفصل وأخره ، وكذا حذف قصَّة العُتبي التي ذكرها الإمام النَّووي بكاملها . وهذا اعتداء جائر علىٰ المؤلِّف وكتابه . ولما رُوجع المحقق أجاب بأَنَّ وكلاءهم هم الذين غيَّروا وبدَّلوا ، ولديَّ صورة بخطٍّ يده بذلك .

كما قاموا بحذف الفصل الخاصّ بالأولياء والأبدال والصَّالحين من حاشية ابن عابدين الشَّامي في الفقه الحنفي ... كما قاموا بحذف الجزء الخاص بالتَّصوُّف من الفتاوىٰ لابن تيمية ، وذلك في طبعتهم الأخيرة للفتاوىٰ ...

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : ما قاله الأستاذ محمَّد نوري الدّيرثوي في " ردود علىٰ شبهات السَّلفيَّة" (ص٢٤٩) : " ... بل التَّحريف وحذف الأسانيد شأن السَّلفيَّة وديدنهم . إنَّ نعمان الألوسي حرَّف تفسير والده المكرَّم علَّامة العراق الشَّيخ محمود الألوسي (تفسير : روح المعاني) ، ولولا تحريفه لكان التَّفسير الفريد وجامع الجوامع . وأمَّا الحذف والسَّلخ للعبارات والأحاديث فحدِّث ولا حرج ، لقد طبعوا كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي فحذفوا منه مبحث الاستغاثة ، وطبعوا شرح صحيح مسلم ، فسلخوا منه أحاديث الصِّفات ..." .

قلت : وممَّا يؤكِّد كلام الأستاذ محمَّد نوري الدّيرثوي : ما قاله الإمام تاج الدِّين عبد الوهَّاب بن تقي الدِّين السُّبكي (٧٧١هـ) في : طبقات الشَّافعيَّة الكبرىٰ" (٢/ ١٩) فقد قال : " وَقد وصل حَال بعض المجسِّمة فِي زَمَاننَا إِلَىٰ أَن كتب شرح صَحِيح مُسلم للشَّيْخ محيي الدِّين النَّوَوِيّ ، وَحذف من كَلَام النَّوَوِيّ مَا تكلَّم بِهِ عَلَىٰ أَحَادِيث الصِّفَات ، فَإِن النَّوَوِيّ أشعري العقيدة ، فَلم تحمل قوىٰ هَذَا الْكَاتِب أَن يكْتب الْكتاب عَلَىٰ الْوَضع الَّذِي صنَّفه مُصَنِّفه .

وَهَذَا عِنْدِي من كَبَائِر الذُّنُوب ، فَإِنَّهُ تَحْرِيف للشَّريعة ، وَفتح بَاب لَا يُؤمن مَعَه بكتب النَّاس وَمَا فِي أَيْديهم من المصنَّفات . فقبَّح اللَّه فَاعله وأخزاه ، وَقد كَانَ فِي غنية عَن كِتَابَة هَذَا الشَّرْح ، وَكَانَ الشَّرْح فِي غنية عَنهُ " .

ومن تحريفاتهم لكتب أهل العلم : وضع الأستاذ محمَّد رفيق الونشريسي الجزائري شرحاً لطيفاً على نظم المقدِّمة الآجروميَّة للإمام العلَّامة محمَّد بن أب المعروف بعبيد ربه الشَّنقيطي رحمه الله تعالى ، وطبعته دار الإمام مالك ، أبو ظبي :

وقد جعلها الله لكلِّ مبتدي   دائمة النَّفع بحبِّ أحمد

قال الأستاذ في الشَّرح الصفحة (٧٩-٨٠) : ثمَّ سأل (المؤلِّف) الله عزَّ وجلَّ أن يجعل نظمه هذا دائم النَّفع للمبتدئين في علم النَّحو ، وقد توسَّل إلى الله سبحانه وتعالى في الأصل بجاه محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال :

(دائمة النَّفع بجاه أحمد) ، ومعلوم ما في هذا التَّوسُّل من مخالفة لما كان عليه سلفنا الصَّالح - رضوان الله عليهم - فحذفته وأبدلته بتوسُّل مشروع ، وهو حبُّ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وراجع في ذلك ...]. اهـ

وقامت إدارة مساجد محافظة العاصمة (الجزائر) بطبع منظومة الآجروميَّة لعبيد ربّه الشَّنقيطي ، وذلك ضمن المسابقة الرَّمضانيَّة للغة العربيَّة في سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ، وبدل أن يتركوا نصَّ النَّاظم كما هو ويعلِّقوا في الهامش بما شاءوا ، غيَّروا النَّصَّ الأصلي رأساً في الصَّفحة (١٤) إلى ما يلي :

جعلها الله لكلِّ مبتدي   دائمة النَّفع دوام الأبد

وكتبوا في الهامش: ما بين معكوفين هي جملة من وضع فضيلة الشَّيخ زايد الأذان بن الطَّالب الشَّنقيطي شارح هذه المنظومة في كتابه مصباح السَّاري شرح منظومة عبيد ربِّه الشَّنقيطي على المقدِّمة الآجروميَّة ، فبدَّل عبارة للنَّاظم يقول : (بجاه أحمد) ولا يخفى عليك لماذا . انظر موقع شبكة روض الرياحين ، بقلم الأستاذ العلوي .

وجاء في موقع : " شبكة روض الرَّياحين " بقلم الأستاذ الأزهري : " كشف تزوير في اجتماع الجيوش لابن قيِّم الجوزيَّة : ذكر ابن القيِّم في اجتماع الجيوش عقيدة الإمام الحجَّة أبي أحمد بن الحسين الشَّافعي المعروف بالحدَّاد ، وذكر هذا النَّص من كلامه ، وهو منقول من الجيوش ، طبعة : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، (ط١ـ١٤٠٨هـ، ص٨٠) : " وَنَعْتَقِدُ حُبَّ آلِ محمَّد صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلَّم وَأَزْوَاجِهِ وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَنَذْكُرُ مَحَاسِنَهُمْ وَنَنْشُرُ فَضَائِلَهُمْ وَنَمْسِكُ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا عَنِ التَّطَلُّعِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهُمْ وَنَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّبَاعِهِمْ " .

لاحظ عبارة : " ونتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ باتِّباعهم " !! فما زلتُ أشكُّ في أَنَّ هذه العبارة مزوَّرة ، لأَنَّني لم أعهد القدماء يقولون هذا ، وإنَّما يقولون : نتوسَّل بهم ، فاستحضرتُ نسخة أُخرىٰ من الجيوش ، طبعة مكتبة المؤيَّد الرِّياض ، بتحقيق : بشير محمَّد عيون ، وقد حققها علىٰ مخطوطة الظَّاهرية ، والطَّبعة المنيريَّة ، فإذا النَّصُّ فيها (ص١٣٣) ، هكذا :

ونعتقد حبَّ آل محمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونُمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التَّطلُّع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهم " .

فإذا العبارة في هذه الطَّبعة المحقَّقة (بهم) وليست (باتباعهم) !! أ.هـ وقد أرفق الأستاذ الأزهري مخطوطة الكتاب الأصليَّة التي برهنت علىٰ التَّزوير المتعمَّد ... فإلىٰ الله تعالىٰ وحده المشتكىٰ ....

ثمَّ إنِّي وقفت بعد مدَّة علىٰ رسالة صغيرة من تصنيف العلَّامة ابن طولون الدِّمشقي الصَّالحي الحنفي عنوانها : (قيد الشَّريد من أخبار يزيد) ، جمعها في أخبار يزيد بن معاوية ، من مطبوعات دار الصَّحوة ـ القاهرة ، (ط١ ، ١٤٠٦هـ) ، وإذا به يذكر القطعة السَّابقة من عقيدة الحدَّاد نقلاً عن اجتماع الجيوش وفيها : " ... ونعتقد حبَّ آل محمَّد وأزواجه ، وسائر أصحابه ، ونذكر محاسنهم ، وننشر فضائلهم ، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التَّطلُّع فيما شجر بينهم ، ونستغفر الله لهم ، ونتوسَّل إلىٰ الله تعالىٰ بهم " .

فالعبارة في هذا النَّص عند ابن طولون ، كما هي في طبعة دار المؤيَّد بتحقيق بشير عيون .

قلت : والتَّحريف المُشار إليه وقع كذلك في طبعات كتاب الجيوش التي طبعتها كلٌّ من : مطابع الفرزدق التِّجاريَّة ، الرِّياض ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) ، بتحقيق : عواد عبد الله المعتق ، وطبعة : دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطَّبعة : الأولىٰ ، (١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) ، فإلىٰ الله المشتكىٰ من أصحاب فكر سيزول بإذن الله عاجلاً أم آجلاً ...

وعلىٰ كلِّ حال ، فقد قمتُ بحمد الله وعونه وتوفيقه بتتبُّع العديد العديد من عبثيَّاتهم وتحريفاتهم لكتب أهل العلم في القديم والحديث ، ضمن كتاب خاص بهذه المسألة ... **وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْن**

فِهْرِسُ المَوْضُوعَات

المَوْضُوْع	الصَّفَحَة